أبو نصر العتبي

اليميني = تاريخ العتبي

رقم الكتاب في المكتبة الشاملة: ٧٤٨٣
الطابع الزمني: ٢٠٢١-٠٨-١٣-٠٧-٠٠-٠٦
المكتبة الشاملة رابط الكتاب

المحتويات

عن الكتاب

الكتاب: اليميني
المؤلف: أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبي (المتوفى:٤٢٧ هـ)
تحقيق: د. إحسان ذنون عبد اللطيف الثامري
عدد الأجزاء:١
الناشر: دار الطليعة - بيروت
الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م
[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي]
أعده للشاملة: //محمود الجيزي - عفا الله عنه//

عن المؤلف

العُتْبي
(... - ٤٢٧ هـ = ... - ١٠٣٦ م)
محمد بن عبد الجبار العتبي، من عتبة بن غزوان، أبو نصر: مؤرخ من الكتّاب الشعراء.
أصله من الري. نشأ في خراسان، وولي نيابتها. ثم استوطن نيسابور. وانتهت إليه رياسة الإنشاء في خراسان والعراق. وناب عن شمس المعالي قابوس بن وشمكير في خراسان إلى أن توفي.
من كتبه (لطائف الكتّاب) في الأدب، و (اليميني - ط) نسبة إلى السلطان يَمِين الدَّولة محمود بن سبكتكين، شرحه المنيني في مجلدين، ويعرف بتاريخ العتبي.
عن الأعلام للزركلي (٦/ ١٦٤ - ١٦٥).

١ [مقدمة المحقق:]

الكتاب: اليميني
المؤلف: أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبي (المتوفى:٤٢٧ هـ)
تحقيق: د. إحسان ذنون عبد اللطيف الثامري
عدد الأجزاء:١
الناشر: دار الطليعة - بيروت
الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م
[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي]
أعده للشاملة: //محمود الجيزي - عفا الله عنه//

[مقدمة المحقق:]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

صلتي بالعتبي وكتابه (اليميني) تعود إلى فترة دراستي في المرحلة التحضيرية للماجستير، حيث اتجه اهتمامي إلى منطقة المشرق الإسلامي خلال القرون الهجرية الأولى. فقد وجدت كثيرا من المؤرخين القدامى والمحدثين يشيرون له، ويقتبسون منه، وينقلون عنه. بل إن مؤرخا كبيرا كابن الأثير (ت ٦٣٠ ه) ينقل عنه نقولات كثيرة عند حديثه عن السلطان محمود الغزنوي (٣٨٧ - ٤٢١ ه). والحق إنني لم أكن قد سمعت عن العتبي خلال دراستي الجامعية الأولى، فوجدت نفسي أبحث عن كتاب العتبي ذي الاسم الغريب (اليميني). ووصل بي البحث إلى مطالعة فهارس المخطوطات، فرأيت أن هناك نسخا عديدة محفوظة في مكتبات العالم، فشعرت بفرح غامر، خاصة بعد تسلمي النسخ التي طلبتها. ثم عرفت أن طبعة قديمة من كتاب (الكامل) لابن الأثير موشحة بنص كتاب (اليميني) «١». ليس هذا فحسب، وإنما اكتشفت أن هناك طبعة للكتاب على هامش شرح (اليميني) نفسه، ذلك أن الشيخ أحمد بن علي المنيني (ت ١١٧٢ ه) شرحه شرحا وافيا بما يتعلق باللغة والأدب والبلاغة، وتعرض في بعض الأحيان للأحداث التاريخية. هذا الأمر جعل اهتمامي بالكتاب يزداد كثيرا، حتى إنني اعتمدت عليه في رسالتي التي قدمتها لنيل درجة الماجستير في بعض الإشارات النادرة جدا، والتي لم ترد عند غيره من المؤرخين.

و حال حصولي على درجة الماجستير هيأت نفسي للغوص في أعماق (اليميني) وصاحبه، وإعدادهما موضوعا لنيل درجة الدكتوراه. لكن أستاذي العلامة عبد العزيز الدوري- باركه الله- نصحني بإعداد بحث في رسالة الدكتوراه، وليس تحقيق مصدر أولي، ولم أدرك قيمة هذه النصيحة- التي سأحفظها له مدى حياتي- إلا بعد انتهائي من إعداد رسالة الدكتوراه.

____

(١) على هامش الأجزاء ١٠ - ١٢، بولاق، القاهرة، ١٢٨٦ ه.

و منذ اليوم الأول بعد حصولي على درجة الدكتوراه باشرت العمل لنشر (اليميني). وكم كنت سعيدا بمصاحبتي لأبي النصر العتبي طيلة تلك المدة، أناقشه، وأحاوره، وأستفهم منه، متفقين أحيانا، ومختلفين أحيانا أخرى، أستزيد من علمه، وأصلح ما أخربه النساخ. فصار- رغم أسلوبه الأدبي المتكلف- صديقا أثيرا، أفهمه، وأفهم ما يعني ويقصد. ولطالما سرت خلفه أتتبع معلومة تاريخية، أو مفردة لغوية، أو ترجمة لأحد أشخاص (اليميني).

و على الرغم من ورود ذكره في عدد من المصادر، إلا أن كل من ذكره من المؤرخين لم يقدم ترجمة وافية لحياته. ومما زاد الأمر إرباكا تشابه كنيته ولقبه مع خاله أبي نصر العتبي.

يجمع المؤرخون على أنه محمد بن عبد الجبار العتبي. لكن الخلاف كان حول كنيته، فجاء في المصادر: (أبو النصر)، و (أبو النضر)، و (أبو نصر). لكن الذي يبدو لي أنه (أبو النصر)، لأن الثعالبي- وهو معاصر له- ميز كنيته بوضوح حينما قال: «أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي ... وقدم خراسان على خاله أبي نصر العتبي» «١». كما يحس هذا الأمر من عنوان كتاب للعتبي نفسه (شذور النصر من كلام أبي النصر) «٢»، حيث يوحي السجع بأنه أبو النصر لا أبو النضر. ولا يخفى على القارىء سهولة تصحيف هذين الحرفين.

و هو ذو أصول عربية، حيث يرجع تاريخ أسرته إلى عتبة بن غزوان ممصّر البصرة «٣»، لكن أحد أجداده كان قد توطن مدينة الري في فترة ما «٤»، وشغل اثنان من هذه الأسرة منصب الوزارة للسامانيين هما: أبو جعفر العتبي، وأبو الحسين العتبي «٥». لكن

(١) الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٥٨.
(٢) الجاجرمي- نكت الوزراء، ص ١٦٠.
(٣) السمعاني- الأنساب، ج ٤، ص ١٤٩؛ الصفدي- الوافي، ج ٣، ص ٢١٥.
(٤) الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٥٨؛ وانظر: تبريزي- ريحانة الأدب، ج ٣، ص ٦٧.
(٥) كرماني- نسائم الأسحار، ص ٣٥، ص ٣٦؛ خواندمير- دستور الوزراء، ص ٢١٤.

يصعب الأخذ بإشارة ابن خلكان حينما قال في ترجمة (الحاكم النيسابوري): «تقلد القضاء بنيسابور في سنة ٣٥٩ ه في أيام الدولة السامانية ووزارة أبي النصر محمد بن عبد الجبار العتبي» «١». إذ لم يرد في المصادر المعاصرة ما يشير إلى تسلمه منصب الوزارة، لا هو، ولا خاله أبو نصر العتبي الذي قال عنه الثعالبي: «و هو من وجوه العمال بها- أي بخراسان- وفضلائهم» «٢». وبقي هكذا إلى وفاته كما يصرح الثعالبي نفسه.

لكن العتبي صاحب (اليميني) اشتغل فيما بعد بالكتابة للأمير أبي علي المظفر بن محمد بن إبراهيم بن سيمجور (ت ٣٨٦ أو ٣٨٧ ه) «٣»، ثم للأمير أبي منصور سبكتكين (ت ٣٨٧ ه) والد السلطان محمود الغزنوي، ثم لمحمود نفسه. وتولى- لفترة قصيرة- منصب النيابة بخراسان للأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير «٤». وهذه النيابة أطلق عليها الجاجرمي «الوزارة» «٥»، وهو ما جعل البعض يظن أنها وزارة السامانيين، والدليل على أنه لم يستوزر للسامانيين قط قول الثعالبي: «و استوطن نيسابور» «٦». فنيسابور لم تكن عاصمة زمن السامانيين، ولا زمن الغزنويين، فكيف يستوطنها الوزير؟!

و قد ظل في نيسابور إلى أن قبض بها «٧»، لكنه تولى في أواخر حياته منصب

(١) ابن خلكان- وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢٨١. وتجدر الإشارة إلى أن محققة كتاب (نكت الوزراء) أحالت القارى ء في ترجمة أبي نصر العتبي إلى كتاب خواندمير (دستور الوزراء)، ص ٢١٤، لكن هذه الإحالة جانبت الصواب، فخواندمير لم يذكر غير أبي جعفر العتبي وأبي الحسين العتبي. كما إن النرشخي ذكره على أنه أبو جعفر العتبي الوزير، وهو وهم إما منه وإما من الناسخ. النرشخي- تاريخ بخارى، ص ٤٤؛ وانظر: بار تولد- تركستان، ص ٢٠٦.
(٢) الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٥٨؛ وانظر: الثعالبي- الكناية والتعريض، ص ٦.
(٣) ذكر الثعالبي: الأمير أبا علي فقط ولكنني رجحته أن يكون ابن سيمجور، وهو أحد كبار رجال السامانيين. عنه، انظر: السمعاني- الأنساب، ج ٣، ص ٣٦٣.
(٤) الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٥٨؛ وانظر: الصفدي- الوافي، ج ٣، ص ٢١٦.
(٥) الجاجرمي- نكت الوزراء، ص ١٦١.
(٦) الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٥٨.
(٧) البغدادي- هدية العارفين، مج ٦، ص ٦٨.

صاحب البريد في كنج رستاق، غير أن هذا المنصب لم يدم له طويلا بسبب سوء علاقته مع عاملها أبي الحسن البغوي، مما جعله ينشى ء في هجائه رسالة قاسية اللهجة، شديدة الوقع على سامعها، عرّض فيها بشخص البغوي تعريضا لا يدل إلا على استيائه الشديد منه، وامتلاكه ناصية الأدب واللغة بصورة محكمة «١».

و مهما حاولنا معرفة شيوخ العتبي، فإننا لن نجد لهم ذكرا لا عنده، ولا عند من ترجم له. ولم يرد شي ء عن تعليمه، خاصة وإنه قد «فارق وطنه الري في اقتبال شبابه، وقدم خراسان» للعمل كما يفهم من قول الثعالبي. لكنه عاش في كنف خاله «كالولد العزيز عند الوالد الشفيق» «٢».

و شحة المادة المقدمة في ترجمته تجعلنا لا نعرف شيئا عن حياته الخاصة باستثناء مذهبه الشافعي «٣»، وعلاقته الحميمة بالشاعر أبي الفتح البستي (ت ٤٠٠ أو ٤٠١ ه) الذي عمل معه لبعض الوقت في ديوان الإنشاء للأمير أبي علي «٤». كما عرفنا أن علاقة ودية كانت

تربطه بأبي الطيب الصعلوكي «٥» (ت ٤٠٤ ه)، وهو من كبار الفقهاء الشافعية «٦»، وبأبي منصور الثعالبي «٧» (ت ٤٢٩ ه)، وبأبي سعد محمد بن تمام المؤدب «٨» الذي كتب له:

أبا سعد فديتك من صديق ... بكل محاسن الدنيا خليق

____

(١) ص ٤٥٢ من هذا الكتاب.

(٢) الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٥٨.

(٣) ابن الصلاح- طبقات الفقهاء الشافعية، ج ١، ص ٢١٠؛ ابن الملقن- العقد المذهب، ص ٢٧١.

(٤) كتب أبو الفتح البستي لأبي النصر العتبي:

كلام لأبي النصر ... موفّى واجب النحل

فما أدري جنى النخل ... أتاني أم جنى النحل

الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٣٦٦، وانظر: ج ٤، ص ٣٤٦، ص ٤٥٨، ص ٤٥٩، ص ٤٦٨؛ الخولي- أبو الفتح البستي- ص ٢٨١؛ ابن الصلاح- طبقات الفقهاء الشافعية، ج ١، ص ٢١٠؛ ابن الملقن- العقد المذهب، ص ٢٧١.

(٥) الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٦٧.

(٦) عنه، انظر: السبكي- طبقات الشافعية، ج ٤، ص ٣٩٣.

(٧) الثعالبي- ثمار القلوب، ص ٣٧٢؛ الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٣٤٦.

(٨) عنه، انظر: القفطي- المحمدون من الشعراء، ج ١، ص ٢٠١.

أهمّ ببسط حجري لالتقاط ... إذا حاضرت بالدر النسيق «١»

و يبقى تحديد سنة وفاته صعب المنال، بسبب تضارب الأقوال. فالصفدي يحددها بسنة ٤١٣ ه «٢»، ويحددها آغا بزرك «٣»، وبروكلمان «٤» بسنة ٤٢٧ ه. بيد أن حاجي خليفة وإسماعيل باشا البغدادي يطمئنان إلى سنة ٤٣١ ه لتحديد وفاته «٥». ويرى محقق (طبقات ناصري) أن الكتاب قد وضع في حدود سنة ٤١٥ ه «٦». وهذا التضارب هو ما جعل عالما كبيرا مثل بار تولد يحجم عن الخوض في مناقشة هذه الآراء. فعدم وجود معطيات دالة لترجيح أحد هذه الآراء، يجعلنا عاجزين عن الجزم بسنة وفاته. على أن من المستغرب أن معاصريه لم يتطرقوا لهذا الأمر، وحتى ابن الأثير الذي حرص على تسجيل وفاة أبي نصر بن مشكان (ت ٤٣١ ه) كاتب الإنشاء للسلطان محمود وولده السلطان مسعود «٧»، لم يعر اهتماما لوفاة أبي النصر العتبي!.

و الذي يظهر لنا أن العتبي كان ذا موهبة أدبية عالية، وقلم ثرّ سيّال، فإنتاجه غزير شعرا ونثرا، حيث كان «معدنا لبدائع النثر، ومنبعا لروائع النظم» «٨». لكن الزمن لم يحفظ له سوى كتابه (اليميني)، وبعض القطع الأدبية النثرية، والأبيات الشعرية. و (اليميني) لم يسلم إلا بسبب اهتمام الناس به واعتنائهم بضبط ألفاظه. أما أدبه، فالفضل كل الفضل في حفظه يعود للثعالبي الذي أورد له عددا من القطع النثرية تتباين قصرا وطولا، وهي في

____

(١) الباخرزي- دمية القصر، ج ٢، ص ١٢٨٣.

(٢) الصفدي- الوافي، ج ٣، ص ٢١٦.

(٣) آغا بزرك- الذريعة، ج ٣، ص ٢٥٦.

(٤) بروكلمان- تاريخ الأدب العربي، ج ٦، ص ١؛ وانظر: تبريزي- ريحانة الأدب، ج ٣، ص ٦٨؛ دهخدا- لغت نامه، ج ٣٤، ص ٩٩.

(٥) حاجي خليفة- كشف الظنون، ج ٢، ص ٢٠٥٢؛ البغدادي- هدية العارفين، ج ٦، ص ٦٨؛ وانظر:

Nazim- ﷺ-I ,Utbi عليه الصلاة و السلامncyclopaedia of ,Islam ,Vo. IV ,P. ١٠٥٩.

(٦) جوزجاني- طبقات ناصري، ج ٢، ص ٢٧٤.

(٧) ابن الأثير- الكامل، ج ٨، ص ٢٣٥.

(٨) الجاجرمي- نكت الوزراء، ص ١٦٠.

معظمها مما يصنف في باب الإخوانيات والحكمة، وتميز بأسلوبه السجعي. قال الثعالبي:
و له من الفصول القصار شى ء كثير، كقوله:
- تعزّ عن الدنيا تعز.
- الشباب باكورة الحياة.
- للهمّ في وخز النفوس أثر السوس في خزّ السوس.
- لسان التقصير قصير «١».
كما أورد له ٥٠ بيتا من الشعر ليس فيها متصل أكثر من بيتين منها قوله:
بنفسي من غدا ضيفا عزيزا ... عليّ، وإن لقيت به عذابا

ينال هواه من كبدي كبابا ... ويشرب من دمي أبدا شرابا «٢»
و منها قوله:
تعلّم من الأفعى أمالي طبعها ... وآنس إذا أوحشت تعف عن الذمّ

لئن كان سمّ ناقع تحت نابها ... ففي لحمها ترياق غائلة السمّ «٣»
و للعتبي- بالإضافة إلى (اليميني)، وهذا الأدب الشعري والنثري- كتاب (لطائف الكتّاب) «٤»، وكتاب (شذور النصر من كلام أبي النصر) «٥». أما (الكتاب المبدع)، الذي ذكره ابن الصلاح «٦»، وابن الملقن «٧»، والبغدادي «٨»، فالأرجح أن يكون المقصود به

____
(١) الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٥٨؛ وانظر: مؤلفات الثعالبي: الإعجاز والإيجاز، ص ١٢٢؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٣٨٦، ص ٤٤١؛ ثمار القلوب، ص ٣٧٢، ص ٣٧٤، ص ٣٥٧، ص ٦٧٩؛ خاص الخاص، ص ٢٧، ص ٦٩؛ لطائف اللطف، ص ٧٢؛ من غاب عنه المطرب، ص ١٧٨.
(٢) الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٦٤.
(٣) الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٦٧؛ وانظر: ص ٨٨، ص ٣٧٦، ص ٣٧٨؛ خاص الخاص، ص ١٠٣، ص ٢٣٨؛ لباب الآداب، ج ٢، ص ١٢٧.
(٤) الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٥٨؛ الجاجرمي- نكت الوزراء، ص ١٦٠؛ ص ٢٦٧ من هذا الكتاب.
(٥) الجاجرمي- نكت الوزراء، ص ١٦٠.
(٦) طبقات الفقهاء الشافعية، ج ١، ص ٢١٠.
(٧) العقد المذهب، ص ٢٧١.
(٨) هدية العارفين، ج ٦، ص ٦٨. يخلط البغدادي فيقول: «له (لطائف الكتاب) المعروف (بتاريخ العتبي)، صنفه لمحمود بن سبكتكين. كتاب (المبدع)».

(اليميني) عينه. وكذلك، فإن كتاب (تاريخ الديالمة) الذي نسبه السيد محسن الأمين للعتبي «١»، لا يمكن أن يفسر إلا بالتباس الأمر على السيد الأمين بينه وبين كتاب (التاجي في أخبار الديلم) لإبراهيم بن هلال الصابي (ت ٣٨٤ ه) الذي ورد ذكره في (اليميني) «٢».
لقد حرص المؤرخون المسلمون من كتّاب التراجم والسير المفردة على الاتصال الشخصي بالمترجم لهم، والقرب منهم وتتبع حركاتهم وسكناتهم كي تأتي مادتهم مطابقة للواقع. وهكذا عمل العتبي الذي يعد أول مصنف لهذا النوع من الكتابة التاريخية (السيرة المفردة) «٣»، يستثنى من ذلك سير النبي محمد صلّى الله عليه وسلم بطبيعة الحال. فقد جمع سيرة السلطان محمود الغزنوي، وبسط الحديث في حروبه في خراسان وماوراء النهر، وعلاقاته مع القوى السياسية المحيطة، وخاصة الخلافة العباسية. لكن جلّ اهتمامه انصبّ على غزواته في بلاد الهند. وتطرق لذكر شى ء من أعماله العمرانية كبنائه مسجد غزنة الجامع. كما طعّم الكتاب بكثير من الشعر، وببعض القطع الأدبية النثرية. وقد عبّر عبد الغافر الفارسي صاحب (السياق من تاريخ نيسابور) عن ذلك بقوله: «قد صنّف (يقصد العتبي) في أيام محمود وأحواله لحظة لحظة» «٤».
و بهذا يكون العتبي قد قدم صورة واضحة عن طموح السلطان محمود السياسي، وجهوده الكبيرة في نشر الإسلام، وأعماله الداخلية في تثبيت أركان الدولة الغزنوية الناشئة، فهو يحتوي على عرض مفصل لسيرة السلطان محمود في السنين الواقعة بين ٣٦٥ و٤٠٩ للهجرة.

---

(١) أعيان الشيعة، مج ١، ص ١٥٤.
(٢) ص ١٦، ص ٥٠، ص ٢١٨، ص ٣١١ من هذا الكتاب.
(٣) بروكلمان- تاريخ الأدب العربي، ج ٦، ص ١.
(٤) الذهبي- سير، ج ١٣، ص ٣١٤.

و لم ينس العتبي ذكر شي ء من سيرة الأمير سبكتكين والد محمود مما جعل الكتاب يعرف في بعض الأحيان ب (تاريخ سبكتكين) «١». لكن العتبي اختار عنوان (اليميني) تبعا للقب السلطان محمود، وتيمنا به (يمين الدولة وأمين الملة)، وهو اللقب الذي منحه إياه الخليفة العباسي القادر بالله (٣٨١ - ٤٢٢ ه) «٢». وقد صرح بذلك في نهاية الكتاب، فقال: « ... خدمتي دولة السلطان يمين الدولة وأمين الملة ب (اليميني) في شرح أخباره، ومدح مقاماته في عدته وأنصاره» «٣». لذلك عرف الكتاب ب (تاريخ اليميني) «٤»، أو (كتاب اليميني) «٥». كما يعرف أيضا ب (تاريخ العتبي) «٦».

و يبدو أن صلاح سيرة هذا السلطان وفضله الكبير في نشر الإسلام هي التي دفعت العتبي لوضع كتابه، فقد «كان عاقلا، ديّنا، خيّرا، عنده علم ومعرفة. وصنف له كثير من الكتب في فنون العلوم، وقصده العلماء من أقطار البلاد، وكان يكرمهم، ويقبل عليهم، ويعظمهم، ويحسن إليهم، ملازما للجهاد. وفتوحه مشهورة مذكورة. وفيه ما يستدل به على بذل نفسه لله تعالى واهتمامه بالجهاد» «٧».

لكن أسبابا أخرى- بالإضافة إلى تمجيد السلطان- كانت من ضمن دوافع العتبي لتصنيف هذا الكتاب، أهمها طلب الأمير محمد بن محمود الغزنوي «٨»، ومنها التقرب للوزير شمس الكفاة أبي القاسم أحمد بن الحسن الميمندي وزير السلطان محمود

---

(١) آغا بزرك- الذريعة، ج ٢٥، ص ٢٨٦.
(٢) انظر: ص ١٧٨، من هذا الكتاب؛ نظام الملك- سياست نامه، ص ١٩٨؛ خوافي- مجمل فصيحي، ص ١٠٣.
(٣) انظر: ص ٤٨٣ من هذا الكتاب؛ ابن خلكان- وفيات الأعيان، ج ٥، ص ١٧٩.
(٤) بار تولد- تركستان، ص ٨٣.
(٥) السبكي- طبقات الشافعية، ج ٥، ص ٣١٥.
(٦) من ذلك ما اتخذه المنيني من اسم حينما شرح الكتاب فقد أطلق عليه: (الفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي)؛ وانظر: آغا بزرك- الذريعة، ج ٣، ص ٢٥٦، ص ٢٦٤.
(٧) ابن الأثير- الكامل، ج ٨، ص ١٨٩ - ١٩٠.
(٨) ص ١٨ من هذا الكتاب.

الغزنوي والحصول على الجائزة. وبالفعل، فقد عين- مكافأة على تأليفه الكتاب- على البريد في كنج رستاق «١».

و رغبة من العتبي في إظهار عرفانه بالجميل، وحفظه لحق خدمة البيت الغزنوي، ولأنه رأى أن أمجاد هذه الدولة لم تحفظ إلا في أشعار الفرس كالرودكي والخسروي والدقيقي، ولما رأى أن أشعار هؤلاء، وإن كانت كافية شافية- على حد قوله- غير معروفة، لأنها لم تخرج خارج خراسان، اقتضاه ذلك أن «يمتّع أهل العراق بكتاب في هذا الباب، عربي اللسان، كتّابي البيان. يتخذونه سميرا على السهر، وأنيسا في المقام والسفر. ويعرفون به عجائب آيات الله تعالى في تبديل الأبدال، وتقليب الأمور من حال إلى حال» «٢».

و الحق إن السلطان محمود كان محط إعجاب أكثر من مؤرخ، فوضعت في سيرته وغزواته عدة مصنفات لا يستبعد أن تكون قد تأثرت بكتاب العتبي. فقد وضع بعده أبو الريحان البيروني (ت ٤٤٠ ه) كتاب (تاريخ أيام السلطان محمود وأخبار أبيه) «٣»، وجمع أبو الفضل البيهقي (ت ٤٧٠ ه) سيرته في ٣٠ مجلدا «٤»، أسماها (تاريخ يميني) كما ذكر هو نفسه «٥». وصنّف القاضي جمال الدين علي بن يوسف بن إبراهيم القفطي (ت ٦٤٦ ه) كتاب (تاريخ محمود بن سبكتكين وبنيه إلى حين انفصال الأمر عنهم) «٦».

يتسم كتاب العتبي بأسلوبه الأدبي المغرق بالمحسنات البديعية، والسجع المتكلف، والتأنق اللفظي، والأساليب البلاغية الأخرى، مما جعل لغته عسيرة على

---

(١) ص ٤٤٩ من هذا الكتاب.
(٢) ص ١٨ من هذا الكتاب.
(٣) ياقوت- معجم الأدباء، ج ٥، ص ١٢٦.
(٤) ميرخوند- روضة الصفا، ج ١، ص ١٣.
(٥) البيهقي- تاريخ، ص ٢٥؛ وانظر: ابن فندق- تاريخ بيهق، ص ٢٠؛ بار تولد- البيهقي (أبو الفضل)، دائرة المعارف الإسلامية، مج ٤٠، ص ٤٣٢.
(٦) ياقوت- معجم الأدباء، ج ٤، ص ٣٨٨؛ وانظر: الذهبي- سير، ج ١٣، ص ٣١٥.

الفهم. لكن ذلك أضاف ميزة لغوية إلى مزاياه، وخاصة في عصر سادت فيه أساليب الإنشاء والبلاغة، وعدّت مقياسا لثقافة الكاتب، فكال له- لذلك- صاحب (مفتاح السعادة) المديح كيلا، فقال عنه: «من العجب العجاب في علم الإنشاء». وقال في موضع آخر: «و هذا الكتاب علم في الفصاحة والبلاغة واللطافة» «١».

هذه الأهمية التاريخية والأدبية واللغوية أكسبت الكتاب شهرة كبيرة في عصر ابن خلكان (ت ٦٨١ ه) «٢»، وقيمة عظيمة، حتى قال عنه السبكي (ت ٧٧١ ه): «و أهل خوارزم وما والاها يعتنون بهذا الكتاب، ويضبطون ألفاظه أشد من اعتناء أهل بلادنا بمقامات الحريري» «٣».

كما جعلته هذه الأهمية والأسلوب الأدبي واللغوي مثار اهتمام كثير من الكتّاب قبل أن يمر على تأليفه قرن ونصف فذيّل عليه أبو الحسن علي بن زيد البيهقي المعروف بابن فندق (ت ٥٦٥ ه) بكتاب (مشارب التجارب وغوارب الغرائب) أربعة مجلدات «٤»، وصنّف مجد الدين فضل الله بن عبد الحميد الكرماني شرحا له سنة ٦١١ ه «٥». وكذلك أبو محمد القاسم بن الحسين بن محمد الخوارزمي «٦» (ت ٦١٧ ه) «٧». ووضع أبو عبد الله حميد الدين محمود بن عمر النجاتي النيسابوري في شرحه كتاب (بساتين الفضلاء ورياحين العقلاء) وأتمه بتبريز سنة ٧٢٢ ه، بعد أن اطلع على خمسة شروح لليميني «٨».

(١) طاش كبري زادة- مفتاح السعادة، ج ١، ص ٢٠٦، ص ٢٠٧؛ وانظر: آغا بزرك- الذريعة، ج ٣، ص ٢٥٦.
(٢) انظر ابن خلكان- وفيات الأعيان، ج ٥، ص ١٧٩.
(٣) السبكي- طبقات الشافعية، ج ٥، ص ٣١٥.
(٤) انظر: ابن فندق- تاريخ بيهق، ص ٢٠ ومقدمة القزويني للكتاب، ص يدي يز؛ حاجي خليفة- كشف الظنون، ج ٢، ص ١٦٨٦؛ البغدادي- هدية العارفين، ج ٥، ص ٦٩٩؛ آغا بزرك- الذريعة، ج ١٤، ص ١٣٨؛ بارتولد- تركستان، ص ١٠٠؛ بارتولد- البيهقي (أبو الحسن)، دائرة المعارف الإسلامية، مج ٤، ص ٤٣١.
(٥) حاجي خليفة- كشف الظنون، مج ٢، ص ٢٠٥٢؛ بروكلمان- تاريخ الأدب العربي، ج ٦، ص ٣.
(٦) ياقوت- معجم الأدباء، ج ٤، ص ٥٩٢.
(٧) القرشي- الجواهر المضية، ج ٢، ص ٧٠٣ - ٧٠٤.
(٨) حاجي خليفة- كشف الظنون، مج ٢، ص ٢٠٥٣؛ البغدادي- هدية العارفين، مج ٦، ص ٤٨٧.

كما شرحه علي بن مصلح السمعاني الكرماني «١»، وآخر مجهول «٢».

و لعل آخر من اهتم به وتصدى لشرحه أحمد بن علي بن عمر المنيني (ت ١١٧٢ ه) الذي صنف في شرحه (الفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي)، وذلك بطلب من مفتى الدولة العثمانية آنذاك «٣»، وقد اكتسب المنيني بسبب شرحه لل (يميني) شهرة كبيرة في عاصمة الدولة العثمانية «٤». وكان هذه الشرح «مقبولا عند الخواص والعوام» «٥». وهذا الشرح بدوره اكتسب شهرة فعني به أحد النساخ وهو حسن بن أحمد الشافعي الدمشقي المعروف بالمغربل (ت بعد ١١٥٠ ه) «٦».

كما كان (اليميني) مثار اهتمام للإيرانيين، فنقله إلى الفارسية أبو الشرف نجيب الدين ناصح بن ظفر الجرباذقاني «٧»، سنة ١٢٠٥ م بعد حذف بعض فصوله، وترجم ترجمة أخرى كانت الأساس لنقله إلى اللغة التركية. وظهرت لل (يميني) ترجمة إنجليزية في لندن عام ١٨٥٨ م بقلم Reynolds J. ٨ نقلا عن الترجمة الفارسية.

و على الرغم من أسلوب (اليميني) الأدبي العسير، إلا أن المؤلف قدم مادة تاريخية شديدة الأهمية، تكاد تكون المادة الأولية لكثير من المؤرخين في حديثهم عن محمود الغزنوي وعصره، فهو يمثل المصدر الرئيس لابن الأثير، وخاصة حينما صرح بذلك

---

(١) بروكلمان- تاريخ الأدب العربي، ج ٦، ص ٠٣.
(٢) بروكلمان- تاريخ الأدب العربي، ج ٦، ص ٠٤.
(٣) المرادي- سلك الدرر، ج ٢، ص ١٣٥، ص ١٤٥.
(٤) المرادي- سلك الدرر، ج ٢، ص ١٣٦.
(٥) حاجي خليفة- كشف الظنون، مج ٢، ص ٢٠٥٣.
(٦) المرادي- سلك الدرر، ج ٢، ص ٢٠.
(٧) حاجي خليفة- كشف الظنون، مج ٢، ص ٢٠٥٣؛ البغدادي- هدية العارفين، مج ٦، ص ٤٨٧؛ وانظر:
جرفادقاني- ترجمة تاريخ يميني، مقدمة المحقق.
(٨) انظر: بارتولد- تركستان، ص ٨٤؛ بروكلمان- تاريخ الأدب العربي، ج ٦، ص ٤؛ مصطفى- التاريخ العربي، ج ٢، ص ٣٨٥.
كما إن صديقي أكرم حبيب الله من معهد البيروني للاستشراق في طشقند يقوم الآن بترجمته إلى اللغة الأوزبكية.

خلال حديثه عن علاقة السلطان محمود بخلف بن أحمد أمير سجستان، وذلك في أحداث سنة ٣٩٣ ه «١».
كما كان من المصادر المهمة للجوزجاني (ت بعد ٦٥٨ ه) صاحب (طبقات ناصري) «٢». وكانت نسخة من (اليميني) بين يدي ابن خلكان، فنقل عنه في أكثر من موضع، صرح في أحدها بقوله: «رأيت في كتاب (اليميني) للعتبي ... » «٣». كذلك نقل الذهبي (ت ٧٤٨ ه) مادة عن العتبي عند حديثه عن السلطان محمود الغزنوي، وخلف ابن أحمد أمير سجستان «٤». ويكاد أن يكون ما أخذه ميرخوند (ت ٩٠٣ ه) عن العتبي متطابقا تماما معه. بل إنه يصرّح بذلك مرتين على الأقل «٥». ويتضح ذلك عند مقارنة مادتهما عن: عزل أبي العباس تاش من حكومة خراسان «٦»، وسيرة شمس المعالي قابوس ابن وشمكير «٧»، وفتح بهاطية وملتان «٨»، وفتح مهرة وقنّوج «٩».
و كان كتاب (اليميني) أحد المصادر المهمة التي مكنت محقق (ديوان أبي الفتح البستي) من إيجاد بعض النصوص المفقودة حيث حفظها العتبي «١٠». بل إن ترجمة حياة أبي الفتح البستي لم يحفظها إلا العتبي، وكل من جاء بعده لا يعدو أن يكون مكررا لما

---

(١) ابن الأثير- الكامل، ج ٨، ص ٢٢.
(٢) انظر على سبيل المثال: ج ١، ص ٢١٨؛ وانظر: تعليقات المحقق، ج ٢، ص ٢٧٤.
(٣) ابن خلكان- وفيات الأعيان، ج ٥، ص ١١٠؛ وانظر: ج ١، ص ٤١٥.
(٤) الذهبي- سير، ج ١٣، ص ٣١٤، ص ٦٥.
(٥) ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٤٨، ص ٥٩٤.
(٦) ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٦٦.
(٧) ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٨١ - ٥٨٢.
(٨) ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٩٠ - ٥٩٢.
(٩) ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٩٩.
(١٠) انظر: الخولي- أبو الفتح البستي (حياته وشعره)، ملحق الديوان، ص ٣٣٥، ص ٣٤٤، ص ٣٥٣، ص ٣٥٤، ص ٣٥٦، ص ٣٥٨، ص ٣٥٩، ص ٣٦٤، ص ٣٧٠، ص ٣٧١.

جاء به العتبي «١».
و وجد جامع (ديوان أبي منصور الثعالبي) عند العتبي تسعة نصوص شكلت مساهمة مهمة في جمع وتدوين وتوثيق (ديوان الثعالبي) «٢». كما كان (اليميني) أحد المصادر التي اعتمد عليها ياقوت (ت ٦٢٦ ه) في تصنيفه (معجم البلدان)، حيث استفاد منه في مادة (قصدار) «٣».
و في سبيل إخراج (اليميني) بصورة مرضية جمعت أربع نسخ خطية منه هذا بيانها:

١ - نسخة محفوظة في مكتبة شستربتي برقم ٤٢٦٠. وهي عبارة عن ٢٤٢ ورقة، في كل وجه منها ١٥ سطرا، وخطها نسخي. لكن الخط يختلف من ورقة ٢٩. وهي منسوخة من قبل ناسخ يدعى أبو العلاء بن منصور بن أبي العلاء بن محمود بن منوچهر المصي (؟). انتهى من نسخها يوم الجمعة ٨ شوال سنة ٦٧٦ ٥. وقد اعتبرتها الأصل.
٢ - نسخة محفوظة في Staatsbibliothek في برلين، برقم ٩٨/ ١٦٣. وهي عبارة عن ٢٢٠ ورقة، في كل وجه منها ١٩ سطرا. خطها نسخي جميل، لكنها كثيرة الأخطاء. مكتوبة في شهر ربيع الأول سنة ١١٥٩ ٥، لكنها مجهولة الناسخ، تملكها شخص يدعى خالد آغا ابن أحمد آغا ابن مصطفى آغا عبد الجليل زاده سنة ١١٦٥ ٥، وقد رمزت لها: ب.
٣ - نسخة محفوظة في مكتبة البودليان- أكسفورد (مجموعة بوكوك) برقم ٣٧٢. وهي عبارة عن ١٨٩ ورقة، في كل وجه منها ٢٧ سطرا. خطها مقروء بصعوبة. نسخها ناسخ مجهول وانتهى يوم السبت ١٤ جمادى الأولى ١٠٤٢ ٥. ورمزت لها: د.

____
(١) الخولي- أبو الفتح البستي، ص ٣٣.
(٢) انظر: ديوان الثعالبي، ص ٣٣، ص ٤١، ص ٤٦، ص ٦٤، ص ٨١، ص ١١٤، ص ١١٦، ص ١٣٤.
(٣) ياقوت- معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٥٣.

لكن الملفت للنظر في هذه النسخة أن صفحة الغلاف حملت اسم العتبي الأخباري والراوية بدلا من أبي النصر صاحب الكتاب. فقد جاء في صفحة العنوان: «كتاب تاريخ اليميني من تأليف أبي نصر محمد بن عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عتبة بن أبي سفيان القرشي الأموي البصري المعروف بالعتبي». وفات الناسخ أن العتبي هذا توفي عام ٢٢٨ ه «١». كما إن صفحة الغلاف في هذه النسخة تحمل كثيرا من أبيات الشعر، ربما كتبها المتملكون.
٤ - نسخة محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس برقم ١٨٩٤. وهي عبارة عن ٣٢٣ ورقة، في كل وجه منها ١٧ سطرا. خطها نسخي مشكول، لكن اعتورها كثير من الخرم، وتخلل النسخة كثير من الأوراق الفارغة. نسخها مجهول وانتهى في منتصف جمادى الآخرة سنة ٦١٧ ٥. ورمزت لها: ر.
كما استأنست بشرح اليميني للمنيني، المطبوع في المطبعة الوهبية بالقاهرة سنة ١٢٨٦ ٥. والترجمة الفارسية للجرپاذقاني.
و قد رأيت أن أجعل نسخة شستربتي هي الأصل لأنها أقرب النسخ عهدا بعصر المؤلف وأوضحها خطا، وأقلها أخطاء. لكن النسخ الأربع تكمل بعضها بعضا حيث سقطت كلمة من هذه، وسقطت عبارة من هذه، بل وسقطت صفحات من تلك ...
فبذلت أقصى جهدي في مقارنتها والوصول إلى الأصح، فقد قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: إذا نسخ النساخ الكتاب ثلاث مرات تحوّل بالفارسية، يعني يكثر سقطه.
لكنني اجتهدت ما استطعت، فأخرجت نصا ارتضيته. وما أضفته من النسخ وضعته بين عضادتين بهذا الشكل [] إذا كان المضاف أكثر من كلمة. أما إذا كان كلمة واحدة فلم أحصرها وأشرت برقم فوقها مباشرة.
و غني عن القول إن أساس عمل المحقق إيصال نص دقيق للقارى ء خال من العيوب والمبهمات. وهكذا، حاولت أن أجلي غموض كل ما رأيته غامضا، ففسرت

____
(١) عنه، انظر: السمعاني- الأنساب، ج ٤، ص ١٤٩.

المفردات والألفاظ الغريبة، وشرحت المصطلحات غير المعروفة، وعرّفت بالأعلام والبلدان غير المتداولة، موثقا ذلك من المظان الأولية، محاولا- قدر الإمكان- الابتعاد عن التطويل وتضخيم الحواشي. أما ما رأيته معروفا أو مفهوما من السياق، فقد تركته لفطنة القارئ.
و رأيت أن أترك رواية العتبي للشعر كما هي دون التدخل لتوحيدها مع مصدر الأبيات، خاصة إذا لم يكن بين الروايتين فرق يذكر، ونوهت بين قوسين إلى جانب المصدر إلى وجود اختلاف في بعض المفردات. فليس هدفي تحقيق الشعر، وقد تركت ذلك لدارسي الأدب يقولون فيه ما يرون أنه الفصل.
ثم وجدت أن النص سيخرج قليل الفائدة إن ظهر بدون فهارس تيسّر على الباحث الوصول إلى مبتغاه، فعمدت إلى وضع عدد منها

سيرى القارى ء قدر الجهد المبذول بها.
و بعد، فهذا ما يسره الله سبحانه وتعالى لي، ولا أقصد به إلا رضاه عز وجل، وخدمة تراث الأمة العربية والإسلامية، والله حسبي، هو نعم المولى ونعم النصير.
إحسان ذنون عبد اللطيف الثامري

١٠١ نماذج من المخطوط

نماذج من المخطوط
نموذج من نسخة شستربتي (الأصل)
نموذج من نسخة برلين (ب)
نموذج من نسخة البودليان (د)
نموذج من نسخة المكتبة الوطنية/ باريس (ر)

٢ [مقدمة المؤلف:]

[مقدمة المؤلف:]
بسم الله الرّحمن الرّحيم
الحمد لله الظاهر بآياته، الباطن بذاته، القريب برحمته، البعيد بعزّته، الكريم بآلائه، العظيم بكبريائه. القادر فلا يمانع، والقاهر فلا ينازع، والعزيز فلا يضام، والمنيع فلا يرام، والمليك الذي له الأقضية والأحكام. الذي تفرّد بالبقاء، وتوحّد بالعزّ والسّناء، واستأثر بأحاسن الأسماء، ودلّ على قدرته بخلق الأرض والسماء. كان ولا مكان ولا زمان، ولا بنيان ولا ملك ولا إنسان، فأوجد المعدوم إبداعا، وأنشأ «١» ما لم يكن إنشاء واختراعا، جلّ و «٢» تعالى فيما خلق عن احتذاء صورة، واستدعاء مشورة «٣»، واقتفاء رسم ومثال، وافتقار إلى نظر «٤» قياس واستدلال، ففي كل ما أبدع وصنع، وفطر وقدّر، دليل على أنه [٢ أ] الواحد بلا شريك ووزير، والقادر بلا ظهير ونصير، والعالم بلا تبصير وتذكير، والحكيم بلا رؤية وتفكير، والحي الذي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شي ء قدير.
رفع السماء عبرة للنظّار، وعلّة للظلم والأنوار، وسببا للغيوث والأمطار، وحياة للمحول «٥» والقفار، ومعاشا للوحوش والأطيار. ووضع الأرض مهادا للأبدان، وقرارا للحيوان، وفراشا للجنوب والمضاجع، وبساطا للمكاسب والمنافع، وذلولا لطلّاب الرزق وأرباب البضائع. وأشخص الجبال أوتادا راسية، وأعلاما بادية، وعيونا جارية، وأرحاما لأجنّة الأعلاق حاوية. وجعل البحار مغائض لفضول الأنهار، ومغائر «٦» لسيول الأمطار، ومراكب لرفاق التجّار، ومضارب لمصالح الأمصار، ومناجح الأوطار. تحوي من الدرّ والمرجان نباتا، وتنبع من الملح الأجاج عذبا فراتا، وتقذف للآكلين لحما طريا، وتحمل

____
(١) وردت في ب: أحدث.
(٢) الواو إضافة من ب.
(٣) وردت في ب: منشوره.
(٤) وردت في ب: نظير.
(٥) جمع محل بمعنى جدب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٦١٧ (محل).
(٦) وردت في ب: مغايض.

للّابسين جواهر «١» وحليا.
واستخلف على عمارة عالمه «٢» من انتخبهم من خلقه، وآثرهم بإلهامه، ودبّرهم بأوامره وأحكامه. وكان أعلم بهم من ملائكته حيث قالوا: أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ [٢ ب] وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ «٣».

وأقام عليهم مهيمنا من لدنه يهديهم الرشاد، ويحذرهم الفساد، ويرجيهم الثواب، وينذرهم العقاب. ولم يقتصر على ما أقامه به من الحجّة، وأوضحه من المحجّة، حتى انبعث الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، بالمعجزات الباهرة، والدّلالات الزاهرة، والبيّنات المتظاهرة، داعين إلى توحيده، ونادبين «٤» لتسبيحه وتمجيده، فأزاح بهم العلّة، وأزال الشبهة، وأفاد سكون النفس، ونفى خلاج «٥» الشكوك واللبس. ولم يزل يستخلف «٦» من يشاء من خليقته موسومين بسنن الأنبياء، ومثل من قام بعدهم على مناهجهم من الولاة والأمراء، حتى انتهت نوبة الخلق إلى زمن النبي المصطفى، الأمين المجتبى، الأبطحي المرتضى، محمد صلى الله عليه وعلى آله، فأرسله بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً «٧»، وَ داعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراجاً مُنِيراً «٨»، وجعل أمته به أفضل الأمم، وكلمتهم أعدل الكلم، وملّتهم أوسط الملل، وقبلتهم أسدّ القبل، وسنّتهم أقوم السنن، وكتابهم أشرف الكتب.

ووعدهم أن يكونوا يوم العدل، والقضاء الفصل، شهداء على من يظهر الجحود، وينكر الواحد [٣ أ] المعبود. قال تعالى وهو أصدق القائلين، وأحكم الحاكمين: وَ كَذلِكَ

(١) وردت في الأصل: جواهرا.
(٢) إضافة من ب.
(٣) سورة البقرة، الآية ٣٠.
(٤) وردت في الأصل: نادين، والتصحيح من ب.
(٥) الخلاج: الاضطراب. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٢٥٨ (خلج).
(٦) وردت في ب: يستحدث.
(٧) سورة البقرة، الآية ١١٩.
(٨) سورة الأحزاب، الآية ٤٦.

جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً «١»، فنسخت بشريعته الشرائع، وبصنيعته الصنائع، وبدليله الأدلّة، وببدره الأقمار والأهلّة، وانتشرت نبوءته مسداة بالخلاص، ملحّمة بالإخلاص، معلّمة بالتمام، مطرّزة بالدوام، على تعاقب الليالي والأيام، لم يفرط فيها من شى ء يقتضي تاما، ويستدعي رؤبة ولحاما «٢»، قال الله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً «٣» فأطلق على الدين لفظ الكمال، لاستقامته على غاية الاعتدال، وانتفائه عن عوارض النقص والاختلال، إلى أن قبضه الله جلّ ذكره إليه مشكور السعي والأثر، ممدوح النصر والظفر، مرضي السمع والبصر، محمود العيان والخبر، فاستخلف في أمته الثقلين: كتاب الله وعترته «٤» اللذين يحميان الأقدام أن تزلّ، والأحلام أن تضلّ، والقلوب أن تمرض، والشكوك أن تعترض، فمن تمسك بهما، فقد أمن من العثار، وربح اليسار، ومن صدف «٥» عنهما فقد أساء الاختيار، وركب الخسار، وارتدف الإدبار [٣ ب] أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ «٦»، فصلى الله عليه وعلى آله ما انبلج عن الليل الصباح «٧»، واقترن العزّ بأطراف الرماح، ونادى المنادي بحيّ على الفلاح، صلاة تكافى ء حسن بلائه، وتضاهي سابق غنائه، وتقضي فرض طاعته، وتقتضي فرض شفاعته، وسلم تسليما. وبعد:

(١) سورة البقرة، الآية ١٤٣.
(٢) وردت في ب: رؤية وإلحاما، وهو خطأ. حيث إن الرؤبة هي القطعة التي يرأب بها الإناء، أي يصلح صدعه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٣٩٨ (رأب). أما اللّحام فهو ما يلحم به الصدع والشق. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٥٣٨ (لحم).
(٣) سورة المائدة، الآية ٣.
(٤) انظر: الترمذي- السنن، ج ٥، ص ٦٦٢؛ ابن خزيمة- الصحيح، ج ٤، ص ٦٢؛ الحاكم النيسابوري- المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١١٨؛ ابن كثير- التفسير، ج ٤، ص ١١٤.
(٥) صدف: أعرض. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ١٨٧ (صدف).
(٦) سورة البقرة، الآية ١٦.

(٧) وردت في الأصل: الليل عن الصباح، والتصحيح من ب، حيث إن الانبلاج للضوء والشروق، وليس لليل. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٢١٥ (بلج).

فإن الملك والدين توأمان. فالدين أسّ، والملك حارس، وما لا حارس له فضائع، وما لا أس له فهدوم. والسلطان ظل الله تعالى في أرضه «١»، وخليفته على خلقه، وأمينه على رعاية حقه. به تتم السياسة، وعليه تستقيم الخاصة والعامة، وبهيبته ترتفع الحوادث والفتن، وبإيالته «٢» تنحسم المخاوف والمحن. ولولاه لا نحلّ النظام، وتساوى الخاص والعام، وشمل الهرج والمرج، وعمّ الاضطراب والهيج، واشرأبّت النفوس إلى ما في طبائعها «٣» من التّباغي والتّنابز «٤»، والتّفاضل والتّمايز «٥»، حتى يشغلهم ذلك عما يصلحهم معاشا ومعادا، ويقيم أودهم يوما وغدا، وإلى هذا المعنى يلتفت قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ما يزع «٦» السلطان، أكثر مما يزع القرآن»، إذ كان أكثر الناس [٤ أ] يرون ظاهر السياسات فيردعهم خوف المعاقبة، وحذر «٧» المؤاخذة عن تنكّب الجدد «٨»، والعدول عن السّمت «٩» والمقتصد. ومن لنا بمن يستقرى ء آي كتاب الله تعالى بفكره، ويتدبرها بعقله، ويجعل لنفسه منها زماما «١٠» يهديه إلى الأصلح، ويثنيه عن الأقبح، فيكون مؤدب نفسه ومقوّم ذاته، ورائض أخلاقه وعاداته. ومعنى حديث عمر رضي الله عنه منتزع من قوله تعالى: لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا

(١) انظر: القضاعي- مسند الشهاب، ج ١، ص ٢٠١؛ البيهقي- شعب الإيمان، ج ٦، ص ١٧؛ الهيثمي- مجمع الزوائد، ج ٥، ص ١٩٦.

(٢) أي بسياسته. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٣٤ (أول).

(٣) وردت في الأصل: واشرأبّت النفوس الزمان في طابعها، والتصحيح من ب.

(٤) وردت في ب: التباين.

(٥) وردت في ب، وفي د: التماين وهو الكذب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٤٢٥ (مين).

(٦) أي يكفّ. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٣٩٠ (وزع)، وقد أورد ابن منظور هذا النص: «من يزع السلطان أكثر ممن يزع القرآن». وينسب هذا القول إلى عثمان بن عفان. انظر: الصفدي- الشعور بالعور، ص ١٢١.

(٧) وردت في ب: حذار.

(٨) الطريق المستقيم. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ١٠٨ (جدد).

(٩) الطريق. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٤٦ (سمت).

(١٠) الزمام: مقود الناقة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٢٧٢ (زمم).

يَفْقَهُونَ «١»، فموضوع السيف للعامة، ومجموع القرآن للخاصة، وإن كان الجميع في معانيه مشتركا، وبأوامره ونواهيه مرتبطا ومشتبكا، غير أن العامي يرى السيف فيرتدع، والخاصي يرى الحق فيتّبع، وشتّان ما بين مدبّر ومسخّر بغيره، ومؤدّب ومهذّب بنور ربه.

وقد كان يختلج في صدري معنى قوله تعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَ الْمِيزانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَ رُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ «٢»، لجمعه بين الكتاب والميزان والحديد على تنافر ظاهرها من المناسبة، وبعدها قبل الرؤية [٤ ب] والاستنباط عن جواز المشاكلة والمجانسة، وسألت عنه عدة من أعيان العلماء المعروفين «٣» بالتفسير، والمشهورين من بينهم بالتذكير، فلم أحصل منهم على جواب يزيح العلّة، ويشفي الصدر وينقع الغلّة «٤»، حتى أعملت التفكر، وأنعمت «٥» التدبر، فوجدت الكتاب قانون الشريعة «٦»، ودستور الأحكام الدينية، يبين سبل المراشد، ويفصّل جمل الفرائض، ويرتهن مصالح الأبدان والنفوس، ويتضمن جوامع الأحكام والحدود، وقد حظر فيه التعادي والتظالم، ورفض التباغي «٧» والتخاصم، وأمر بالتناصف والتعادل، في اقتسام «٨» الأرزاق المخرجة لهم بين رجع السماء وصدع الأرض، ليكون ما يصل منها إلى أهل الخطاب، بحسب الاستحقاق بالتكسّب، دون التغلّب والتوثّب، واحتاجوا في استدامة حياتهم بأقواتهم مع النّصفة المندوب إليها إلى استعمال آلة للعدل يقع بها التعامل، ويعمّ معها التساوي والتعادل، فألهمهم الله اتخاذ الآلة التي هي الميزان، فيما يأخذونه ويعطونه لئلا يتظالموا

(١) سورة الحشر، الآية ١٣.
(٢) سورة الحديد، الآية ٢٥.
(٣) إضافة من ب.
(٤) شدة العطش. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٤٩٩ (غلل).
(٥) أنعم فيه: بالغ. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٥٨٦ (نعم).
(٦) وردت في الأصل: الشرعية.
(٧) وردت في الأصل: الباغي، والتصحيح من ب.
(٨) وردت في ب: أقسام.

بمخالفته «١» فيتهالكوا به، إذ لم يكن ينتظم لهم عيش مع سوغ «٢» ظلم البعض منهم للبعض «٣».

ويدل على هذا المعنى قوله جلّ ذكره: وَ السَّماءَ رَفَعَها وَ وَضَعَ الْمِيزانَ [٥ أ]. أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزانِ. وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لا تُخْسِرُوا الْمِيزانَ «٤»، وذلك أنه تعالى جعل «٥» السماء علة للأرزاق والأقوات، من أنواع الحبوب والنبات، فكان ما يخرج منها من أغذية العباد ومرافق حياتهم، مضطرا إلى أن يكون اقتسامه بينهم على الإنصاف، دون الجزاف «٦»، ولم يكن يتم ذلك إلا بهذه الآية المذكورة، فنبّه «٧» الله على موضع «٨» الفائدة فيه، والعائدة به، بتكرير ذكره ومعانيه «٩»، فكان ما تقدّم ذكره معنى الكتّاب والميزان. ثم إنه من المعلوم أن الكتّاب الجامع للأوامر الإلهية، والآلة الموضوعة للتعامل بالسويّة، إنما يحفظ العام على اتباعهما، ويضطر العالم إلى التزام أحكامهما بالسيف الذي هو حجة الله تعالى على من جحد وعند، ونزع عن صفقة الجماعة اليد، وهو بارق سطوته، وشهاب نقمته، وجذوة عقابه، وعذبة عذابه «١٠»، فهذا السيف هو الحديد، الذي وصفه الله بالبأس الشديد، فجمع بالقول الوجيز معاني كثيرة الشعوب «١١»، متدانية

(١) ورد هنا في ب: فيها.
(٢) وردت في الأصل: سووغ، والتصحيح من ب. وسوغ تعني جواز. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٤٣٦ (سوغ).
(٣) إضافة من ب.
(٤) سورة الرحمن، الآيات ٧ - ٩.
(٥) وردت في الأصل: جل، والتصحيح من ب.
(٦) الجزاف معرب گزاف، وهو الحدس والتخمين في البيع والشراء. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٢٧ (جزف)؛ أدّي شير- معجم الألفاظ، ص ٤١.
(٧) مطموسة في الأصل، والإضافة من ب.
(٨) وردت في ب: مواقع.
(٩) إضافة من ب.
(١٠) عذبة كل شي ء طرفه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٥٨٥ (عذب).
(١١) الشّعب ما تفرق من الشي ء. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٤٩٨ (شعب).

الجنوب، محكمة المطالع، مقوّمة المبادى ء «١» والمقاطع «٢»، فظهر «٣» بهذا التأويل معنى الآية، وبان أن السلطان خليفة الله في أرضه على خلقه، [٥ ب] وأمينه على رعاية حقه، بما قلده من سيفه، ومكّن له في أرضه، وأحق الولاة بأن يكون شريفا نبيها، وعند الله تعالى كريما وجيها، من كانت عنايته بنصرة الدين، وحماية بيضة الإسلام والمسلمين، أوفر وأوفى، ومجاهدته لأعداء الله المارقين عن شرائعه، الماردين دون حدوده وفرائضه، بنفسه وماله، ورهطه ورجاله أشرح للصدور وأشفى.

وقد علم أبناء البدو والحضر، وأنشاء المدر والوبر، من حيث مدّ الصبح جناحيه إلى أن ضمهما «٤» للوقوع في أفق الغرب، أن راية الإسلام لم تظلّ على سلطان أحسن دينا، وأصدق يقينا، وأوسع علما، وأوقع حلما، وأسدّ سيرة، وأخلص سريرة، وأتم وفاء، وأعم

سخاء، وأوفر حياء، وأغنى غناء، وأعظم قدرا، وأنفم ذكرا، وأمدّ باعا، وأشدّ امتناعا، وأجلّ جلالة، وأكمل عدّة وآلة، وأرفع ملكا وسلطانا، وأطوع أنصارا وأعوانا، وأروع سيفا وسنانا، وأحمى للإسلام وذويه، وأنفى للشرك ومنتحليه، وأعدى للباطل ومن يليه، اكتسابا ووراثة وطباعا واستفادة، من الأمير السيد الملك المؤيد يمين الدولة وأمين الملة، أبي القاسم محمود «٥» بن ناصر الدين «٦» [٦ أ] أبي منصور سبكتكين «٧» ملك الشرق بجنبيه،

(١) جمع مبدأ، وهو بداية كل شي ء. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٢٦ (بدأ).

(٢) مقاطع الأودية: مآخيرها. الفيروزآبادي- القاموس المحيط، مج ٣، ص ٧٣ (قطع).

(٣) وردت في الأصل: وظهر، والتصحيح من ب.

(٤) وردت في النسخ: ضمها، والأصح ما أثبتناه.

(٥) توفي بغزنة سنة ٤٢١ ه. عنه، انظر: الذهبي- سير، ج ١٣، ص ٣١٢.

(٦) لقّب من دار الخلافة معين الدولة، ثم لقّب بعد ذلك ناصر الدين والدولة. البيروني- الآثار الباقية، ص ١٣٤.
ولقّب من الحكومة السامانية ناصر الدولة. انظر: ص ١١٣ من هذا الكتاب.

(٧) توفي في الطريق بين بلخ وغزنة سنة ٣٨٧ ه. عنه، انظر: الكرديزي- زين الأخبار، ص ٢٧٥؛ الحسيني- نزهة الخواطر، مج ١، ص ٦٠.

والصدر من العالم ويديه، لانتظام الإقليم الرابع «١» وما «٢» يليه من ثالث الأقاليم «٣» وخامسها «٤» في حوزة ملكه، وحصول ممالكها الفسيحة، وولاياتها العريضة، في قبضة ملكه، ومصير أمرائها، وذوي الألقاب الملوكية من عظمائها، تحت حمايته وجبايته، واستدرائهم «٥» من آفات الزمان بظل ولايته ورعايته، وإذعان ملوك الأرض على «٦» بعدهم لعزته، وارتياعهم من فائض هيبته، واحتراسهم على تقاذف الديار، وتحاجز الأنجاد والأغوار «٧»، من فاجى ء ركضته، واستخفاء «٨» الهند والروم تحت جيوبها عند ذكره، واقشعرارهم لهب الرياح من أرضه.

وقد كان- أدام الله دولته- منذ لفظه المهد، وجفاه الرضاع، وانحلّت من «٩» لسانه عقدة الكلام، واستغنى عن الإشارة بالإفهام، مشغول اللسان بالذكر والقرآن، مشغوف النفس بالسيف والسنان، ممدود الهمّة إلى معالي الأمور، معقود الأمنية بسياسة الجمهور. لعبه مع الأتراب جدّ، وجدّه مستكدّ «١٠»، يألم لما لا يعلم حتى يقتله خبرا، ويحزن لما يحزن حتى يدمّثه قسرا وقهرا.

(١) قسّم الجغرافيون الأوائل العالم المعمور إلى سبعة أقاليم عرضية بعدد الكواكب السبعة. ويمتد الإقليم الرابع من جزائر السعادات في المحيط الأطلسي إلى بلاد المغول. سهراب- عجائب الأقاليم السبعة، ص ٢٣ وما بعدها؛ ابن سعيد- الجغرافيا، ص ١٣٧ وما بعدها. وعليه، فمن غير الممكن أن يملك السلطان محمود هذا الإقليم، فالمقصود إذن بعض هذا الإقليم، وهو بلاد خراسان وما فتحه من بلاد الهند.

(٢) وردت في النسخ: بما. والأصح ما أثبتناه.

(٣) يقع جنوب الإقليم الرابع، والمقصود هنا، أراضي الهند الواقعة ضمن هذا الإقليم.

(٤) يقع شمال الإقليم الرابع، والمقصود هنا، أراضي بلاد ماوراء النهر الواقعة ضمن هذا الإقليم.

(٥) أي استتارهم. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٧٤ (درأ).

(٦) إضافة من ب.

(٧) وردت في الأصل: الاتحاد والأعوار بدون نقط، والتصحيح من ب.

(٨) وردت في ب: استجفاء. والمقصود تخفّي الهند والروم بالجيوب أي الثياب عند سماعهم ذكره، خوفا منه.

(٩) وردت في النسخ: عن. والأصح ما أثبتناه. قال تعالى: وَ احْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي سورة طه، الآية ٢٧.

(١٠) من الكدّ: الشدة في العمل وطلب الرزق. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٣٧٧ (كدد).

وكان الأمير الماضي «١» - أنار الله برهانه- يرى الدنيا بعينه «٢» [٦ ب] ويسمع بأذنه، وينطق بلسانه، ويستحلي مذاق العيش به،

ويستطيب روح الهواء بقربه، ويستفتح مغالق الأمور بيمنه، ويستحمد عواقب الخطوب باسمه. ولم يزل بين سحره ونحره، إلى أن استنزلته رؤية البلوغ، وبصيرة الإدراك عن حجره «٣».

ولم ينفك يتدرج بين ألطافه وكراماته، وولاياته وإقطاعاته، من رتبة إلى أخرى أعلى منها مكانا وأرفع شأنا، إلى أن ولي قيادة الجيوش والعساكر بخراسان، وهي الرتبة التي طالما تناحر [عليها كباش] «٤» الرجال، وقروم الأبطال، فلم يحظ بها إلا العدد اليسير الذين «٥» سار ذكرهم في الآفاق، وتسامع بهم رجالات خراسان والعراق، سناء وقدرا، ودهاء ونكرا، ومهابة وحشمة، ونباهة ونعمة. هذا على طراءة «٦» سنّه، ونضارة غصنه، وعنفوان أمره، وريعان شبابه وعمره «٧»، [كما قال الكميت] «٨»:

قاد الجيوش لخمس عشرة حجة ... ولداته إذ «٩» ذاك في أشغال

____

(١) يقصد الأمير سبكتكين.

(٢) أي بعين ابنه محمود، وكذلك الأفعال اللاحقة، وهي كناية عن شدة حبه له وتعلّقه به.

(٣) أي بلغ مبلغ الرجال.

(٤) إضافة من ب.

(٥) وردت في الأصل الذي، والتصحيح من ب.

(٦) طرؤ الشي ء طراءة وطراء فهو طري ء، وهو خلاف الذّاوي. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ١١٤ (طرأ).
أي على صغر سنه.

(٧) ورد بعدها في الأصل: كلمة (نظم). وهذا للدلالة على أن ما سيأتي هو من الشعر. وذلك لأن الناسخ لم يكتبه كما يكتب الشعر، ولم يترك مسافات كي يفهم أنه شعر. وهكذا كلما مرت أبيات من الشعر، قدّم لها بكلمة (نظم) أو (شعر). لم أر فائدة من ذكرها، فحذفتها. خاصة وإنني كتبت الشعر بصورة واضحة لا تخفى على القارى ء. ولن أنوّه لحذفها كلما مرّت.

(٨) إضافة من ب. والكميت بن زيد بن خنيس الأسدي، اشتهر بقصائده (الهاشميات) في مدح رسول الله صلّى الله عليه وسلم وآل البيت رضي الله عنهم. (ت ١٢٦ ه). عنه، انظر: سلوم- شعر الكميت بن زيد الأسدي، ج ١، المقدمة؛ حاج حسين- الكميت (حياته وشعره).

(٩) وردت في مجموع شعره: عن.

قعدت بهم همّاتهم وسمت به ... همم الملوك وسورة الأبطال «١»

وهلمّ جرّا إلى أن ملك خراسان بأسرها وزاولستان «٢» عن آخرها، [٧ أ] وبلاد نيم روز «٣» بحذافيرها، وجبال الغور «٤» على حصانتها، ودوّخ السند فاستباحها، وغزا الملتان «٥» فاجتاحها، وتوغّل الهند عودا على بدء «٦»، فنكأ جراحها، وأذلّ لقاحها، وجاس مغانيها

____

(١) هذان البيتان من قصيدة في مدح مخلد بن يزيد بن المهلب، مطلعها:
هلّا سألت معالم الأطلال ... والرسم بعد تقادم الأحوال
سلوم- شعر الكميت، ج ٢، ص ٥٢ - ٥٣.

(٢) وتسمى زابلستان أو زابل. وهي عبارة عن مرتفعات رستاق قندهار بامتداد أعالي نهر هيلمند (هندمند). وتقع جنوبي بلخ وطخارستان. وقصبتها غزنة. انظر: al Hudud -ﷺP lam, ١١٢٠, ٢٤٦ .؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ٣، ص ١٢٥؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٤٢؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٣٧٢، ص ٣٧٣.

(٣) نيم روز هو إقليم سجستان أو سيستان. انظر: تاريخ سيستان، ص ٩؛ البيروني- تحقيق ما للهند من مقولة، ص ١٤٠.
وقد قسّم أبو زيد البلخي المشرق الإسلامي إلى: خراسان، سجستان، بلاد ما وراء النهر، في حين إن المقدسي جعل سجستان مع خراسان. وسجستان: الأراضي السهلية الواقعة حول بحيرة زره، وفي شرقها، ويدخل فيها دلتا نهر هيلمند (هندمند). وقصبة سجستان زرنج. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٣٨؛ al Hudud -ﷺP lam, ١١٠٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٢٦٠، ص ٢٩٧؛

تاريخ سيستان، ص ١٠؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ٣، ص ١٩٠؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٤٢؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٣٧٢.
(٤) جبال بين غزنة وباميان، وهي منبع نهر هيلمند (هندمند)، وغيره من الأنهار المهمة. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٤٢، ص ٢٧٢؛ al Hudud -ﷺP lam, ١١٠٠, ١٩٩, ٣٣٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٠٦، ص ٣٢٩؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٥٢، ص ١٥٤، ص ٢١٧، ص ٢٢٠؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٣٧٧، ص ٣٧٩، ص ٤٥٨.
(٥) إحدى مدن الهند الواقعة على نهر مهران (الأندس)، وهي الآن في الأراضي الباكستانية. انظر: ابن رستة- الأعلاق النفيسة، ص ١٣٥؛ الاصطخري- مسالك الممالك، ص ١٧٣، ص ١٧٤؛ al Hudud -ﷺP lam, ٨٩٠ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٤٨٠؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ٢٥٩؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٣٦٩.
(٦) يقصد أنه أكمل فتوحه السابقة.

ورباعها، وافتتح صياصيها «١» وقلاعها. وأقام عن «٢» بيوت الأصنام، مساجد الإسلام، وعن مشاهد البهتان، معاهد التوحيد والإيمان، فصارت الأبطال تهدّد في بطالاتها «٣» بإقدامه، وتفزع بإقبال ألويته وأعلامه، فظل «٤» أندپالهم «٥» وچيبالهم «٦»، وكماتهم وأبطالهم، كما قال أشجع «٧» السّلمي «٨»:

وعلى عدوك يا ابن عمّ محمد ... رصدان «٩» ضوء الصّبح والإظلام

---

(١) الصياصي هي الحصون، وكل شي ء امتنع به وتحصّن به. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٥٢، (صيص).
(٢) أي بدل.
(٣) البطالة والبطولة: الشجاعة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٥٦ (بطل).
(٤) وردت في الأصل: وظل، والتصحيح من ب.
(٥) قال الشيخ المنيني: من أعلام سادتهم وملوكهم. شرح اليميني، ج ١، ص ٣٩. لكن الذي يبدو لي أنه اسم لملك الهند، وأنه ابن چيبال الذي سيرد اسمه لا حقا، ذكره البيروني: انندبال في تسلسل ملوك البراهمة. تحقيق ما للهند من مقولة، ص ٣١٩. وقد يرد اسمه: أندبال، آنندبال، أندبال. انظر: الكرديزي- زين الأخبار، ص ٢٨٦ - ٢٨٧؛ ابن الأثير- الكامل، ج ٨، ص ٢٠، ص ٤٨؛ ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٩٠؛ الهروي- طبقات أكبري، ج ١، ص ٢٦؛ إقبال- تاريخ إيران، ص ١٧٨.
(٦) ضبطه الشيخ المنيني بجيم غليظة، بعدها ياء ساكنة، ثم باء بعدها ألف ثم لام، وقال: هو للهند من ألقاب رؤسائهم، كالقيل للعرب، والبطريق للروم، ومثله الأندبال في لغتهم. شرح اليميني، ج ١، ص ٧٤، لكن الذي يبدو أنه اسم وليس لقبا لملوكهم، فيقول الهروي: «راجه جيبال الذي كان في ذلك الوقت راي الهندوستان».
وراجه لقب لملوك الهند، وراي يعني ملك. الهروي- طبقات أكبري، ج ١، ص ٢٤؛ وذكره البيروني ضمن ملوك البراهمة. تحقيق ما للهند من مقولة، ص ٣١٨؛ وقال عنه الكرديزي: (ملك الهند)، زين الأخبار، ص ٢٨٥؛ وكذلك ابن الأثير- الكامل، ج ٨، ص ٢٠ الذي أرخ وفاته بسنة ٣٩٢ هـ. وانظر: جوزجاني- طبقات ناصري، ج ١، ص ٢٢٧، ص ٢٢٩؛ ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٨٧؛ إقبال- تاريخ إيران، ص ١٧١.
(٧) وردت في الأصل، وفي ب: الأشجع، والأصح ما أثبتناه.
(٨) أبو الوليد أشجع بن عمرو السّلمي، أحد شعراء الخلفاء العباسيين، توفي آخر خلافة المأمون أو بعدها بقليل. انظر: الحسون- أشجع السلمي، ص ٥٠.
(٩) وردت في ب: ضوءان. والرصد: الترقّب. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ١٧٧ (رصد).

فاذا تنبّه رعته وإذا هدا «١» ... سلّت عليه سيوفك الأحلام «٢»

وحاز الله له من البسطة في الحلم والعلم، والهيبة بالاسم والجسم، والظفر بأحابيش «٣» الأعداء في وقائع يعز صبر النفوس على أمثالها، وتكاد الأرض تمور من أهوالها، ما لم يسمع بمثله حيز لأحد من الملوك إلا عن أساطير الأولين، أريد بها [٧ ب] التطويل والتهويل،

والتعجيب والتغريب «٤»، دون الحقيقة التي يشهد بها العيان، ويقوم عليها البيان والبرهان، فلو نشرت صحائف الدول الإسلامية، وأيام الملة الحنيفية، لكانت دولته غرة تلك الدول، ومساعيه فيها طراز تلك الحلل، إذ لم يقتن أحد من سلف الملوك من غرر «٥» المآثر، وزهر المناقب والمفاخر، ما اقتناه هو بنفسه، وأبيه، وآثاره ومساعيه.

ولما حاز الله له كرائم الخصال، ووفّاه طبع المكيال، في معاني الكمال: سياسة أزرت بأردشير «٦» في «٧» زمانه، والمنصور «٨» في سلطانه، وهيبة خفتت لها جنادب «٩» الليالي النائمة، وخمدت عليها عيون الأراقم «١٠» العارمة، وعدلا «١١» ضم بين الضدّين حتى النار إلى

____

(١) وردت في مجموع شعره: غفا.

(٢) من قصيدة في مدح الخليفة هارون الرشيد، أولها:

قصر عليه تحية وسلام ... نثرت عليه جمالها الأيام

الحسون- أشجع السلمي، ص ٢٥٣.

(٣) ناس متجمعون ليسوا من قبيلة واحدة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٢٧٩. (حبش).

(٤) وردت في ب: التعجب والتقريب.

(٥) وردت في ب: غرّ، وبالوجهين يستقيم المعنى.

(٦) هو أردشير بن بابك من ملوك الفرس الساسانيين، (ت ٢٤١ م). عنه، انظر: المسعودي- مروج الذهب، ج ١، ص ٢٥١؛ المقدسي- البدء والتاريخ، ج ٣، ص ١٥٦؛ الكرديزي- زين الأخبار، ص ٣٣؛ پيرنيا- تاريخ إيران، ص ٢٢٢؛ كريستنسن- إيران، ص ٧٤؛ وأخباره منتشرة في: ابن قتيبة- عيون الأخبار.

(٧) إضافة من ب.

(٨) يقصد أبا جعفر المنصور الخليفة العباسي (ت ١٥٨ ه).

(٩) جمع جندب وهو نوع من الجراد يصرّ ويقفز ويطير. المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٤٠.

(١٠) وردت في الأصل: عيون له أراقم، والتصحيح من ب. والأراقم جمع أرقم من ضروب الحيات الخبيثة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٢٤٩. (رقم).

(١١) وردت في الأصل: عذرا، والتصحيح من ب.

الماء، وألّف بين الذئاب الطّلس والشاء «١»، فكفيت الأنياب «٢» شبا الأطراف «٣»، والقرون صلابة الأجواف. وكانت أيامه مشغولة بمرّ «٤» السياسة، عن ثمر الدراسة، وبفرض السيادة، عن نفل الاستفادة «٥».

لطف الله له بأولاد كالنجوم الزواهر، بل الليوث الخوادر، [٨ أ] بل السيوف البواتر، بل العقبان الكواسر، من لم ترمق الألحاظ أشخاصا توازيهم فخامة وجلالا، ووسامة وجمالا، وسعادة وإقبالا، وسماحة وإفضالا، وعلوما وآدابا، ولفظا وكتّابا، وحفظا وحسابا، وأخلاقا مرّة وعذابا «٦». [نعم «٧»، وصرامة ومضاء، وشجاعة وإباء، وسيادة وعلاء، ونجابة ورئاسة، وجلالة ونفاسة، وإيالة وسياسة، وأسامة وحراسة، وفروسية وفراسة] «٨»، فجمع الله له تمام السعادة، وقصر عليه أدوات السيادة.

وقيّض الشيخ الجليل شمس الكفاة أبا القاسم أحمد بن الحسن «٩» لوزارته، وتدبير أمور مملكته، من ذخره الله لزمان صادف فترة من أحرار الرجال، وأبناء الفعال، فلم يطبع مثله على غراره، ولم يضبع «١٠» شرواه «١١» في مضماره، سجاحة «١٢» شيم، ورجاحة

____

(١) وردت في الأصل: الشاة، والتصحيح من ب.

(٢) وردت في الأصل: الأسار، والتصحيح من ب.

(٣) وردت في الأصل: الاطرف، والتصحيح من ب.

(٤) وردت في الأصل: بمس، والتصحيح من ب.

(٥) انظر: البيروني- تحقيق ما للهند من مقولة، ص ١٩ - ٢٠.

(٦) وردت في الأصل: عذبا، والتصحيح من ب.
(٧) حرف تصديق كقولك بلى. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٥٨٩ (نعم).
(٨) إضافة من ب.
(٩) ورد اسمه في ب: أحمد بن الحسين. وهو خطأ. الوزير الميمندي (ت ٤٢٤ ه). عنه، انظر: عوفي- لباب الألباب، ص ٦٢؛ كرماني- نسائم الأسحار، ص ٤٠؛ خواندمير- دستور الوزراء، ص ٢٣٦، كما إن أخباره منتشرة في (تاريخ البيهقي).
(١٠) وردت في الأصل: يضيع، وفي ب: يصنع. والأصح ما أثبتناه، حيث إن يضبع تعني: يجري. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٢١٦ (ضبع).
(١١) أي مثله. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٤٢٨ (شري).
(١٢) السهولة واللين. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٤٧٤ (سجح).

كرم، وسماحة كف، وفصاحة قلم، وهمّة «١» ترى الدنيا هباءة «٢» بين أخواتها الثائرة، بل نقطة موهومة من نقط الدائرة. وغدت «٣» سدّته ميقاتا للفضل وأهليه، وسوقا للأدب ومنتحليه، تجلب إليها بضاعات الفضائل بين منظوم ومنثور، ومختوم ومنشور.
وقد صنّف طبقات الأدباء والكتّاب تصانيف في ذكر أيامهم، وتصاريف أحوال الزمان بهم، بحسب قوتهم في البيان، [٨ ب] وسهمتهم من بلاغة الخاطر والبنان، حتى أن أبا إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي «٤» عمل كتابه المعروف ب (التاجي في أخبار الديلم) «٥»، موشّى بحبر ألفاظه الساحرة، ومغشى بحلل معانيه الزاهرة، فحلّ عقد البيان بما قيّده، وبيّض وجه البلاغة بما سوّده، فإن «٦» تكن دولة «٧» تقتضي إثبات محاسنها بالتخليد، وتقييد مآثرها بالتأبيد، فهذه هي التي تقتضي الأدباء أن يخلّدوا بتقرير معاليها «٨» كلامهم، ويحلّوا بتحرير مساعيها أقلامهم، ولو أدركها الماضون من أرباب التصانيف لودّوا لو كانت ألفاظهم عن غيرها معزولة، وإلى ذكر محاسنها منقولة، ولحدّثتهم أنفسهم بأن يعتذروا اعتذار أبي نواس «٩» بقوله:
إذا نحن أثنينا عليك بصالح ... فأنت كما نثني وفوق الذي نثني

(١) وردت في الأصل: صمة، والتصحيح من ب.
(٢) الهباء المنبثّ الذي تراه في البيت من ضوء الشمس شبيها بالغبار. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٣٥١ (هبا).
(٣) وردت في الأصل: غرت، والتصحيح من ب.
(٤) إبراهيم بن هلال بن زهرون الحرّاني، الكاتب، (ت ٣٨٤ ه). عنه، انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٨٧؛ ياقوت- معجم الأدباء، ج ١، ص ١٨١.
(٥) مفقود، والموجود منه قطعة تحمل اسم (المنتزع من كتاب التاجي) نشرها محمد حسين الزبيدي.
(٦) وردت في الأصل: ولم، والإضافة من ب.
(٧) إضافة من ب.
(٨) وردت في الأصل: معانيها، والإضافة من ب. والمقصود بها دولة الغزنويين.
(٩) أبو علي الحسن بن هانىء الشاعر المشهور. (مختلف على سنة وفاته بين ١٩٥ - ١٩٨ ه). عنه، انظر: الخطيب البغدادي- تاريخ بغداد، ج ٧، ص ٤٤٩؛ الأنباري- نزهة الألباء، ص ٧٤؛ ابن خلكان- وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٩٥.

وإن جرت الألفاظ يوما بمدحة ... لغيرك إنسانا فأنت الذي نعني «١»
وقد كنت أقدّر أن بعض صنائع هذه الدولة ممن له حظ في الصناعة، وتوجّه في طرق البراعة «٢»، يرتاح لتقييد أخبارها، وجمع كتاب في تصاريف أحوالها وأطوارها، من لدن قام الأمير الماضي- أنار الله برهانه- أميرا، إلى أن أجلى أبا علي محمد بن محمد ابن إبراهيم [٩ أ] بن سيمجور «٣» عن خراسان كسيرا، وحصله من بعد في يده أسيرا، وولي أمورها سياسة وتدبيرا، وما قدّر «٤» له في أثناء ذلك كله من إغاثة الأمير الرضا أبي القاسم نوح بن منصور «٥» ونصرته، واستجابة ما لطف إليه من دعوته، والمدافعة عن بيته «٦» وخطّته، واستبقاء ما فضل عن ذئاب «٧» الترك من ولايته، وكفّهم بترغيبه وترهيبه عن إزالة حشمته، واستباحة ما سلم عليه «٨» من نعمته،

محافظة على حقوق سلفه الأولى طالما صنعوا الصنائع، وأودعوا الودائع، وبثوا العوارف والرغائب، وأنفقوا الأموال حتى كنزوا المحامد، وعرفوا للحرمات [أقدارها، وحفظوا] «٩» على البيوتات أستارها، وقضوا لنفوس المنقطعين [إليهم أو طارها] «١٠»، إلى أن ورث السلطان المؤيد يمين الدولة وأمين الملّة مكانه.

---

(١) أبو نواس- الديوان، ص ٦٤٧.

(٢) وردت في الأصل: البلاغة، والإضافة من ب. فهو ينسجم مع السجع الدارج.

(٣) الأمير المظفر، أحد قادة الجيوش السامانية (ت ٣٨٧ ه). عنه، انظر: السمعاني- الأنساب، ج ٣، ص ٣٦٣؛ ابن الأثير- الكامل، ج ٧، ص ٤٧١.

(٤) وردت في ب: تقدّر، وبالوجهين يستقيم المعنى.

(٥) هو الأمير السابع من أمراء الدولة السامانية (٣٦٥ - ٣٨٧ ه). عنه، انظر: الكرديزي- زين الأخبار، ص ٢٦٤؛ جوزجاني- طبقات ناصري، ج ١، ص ٢١٢؛ ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٦٤.

(٦) وردت في ب: نيّته.

(٧) وردت في ب: ذؤبان، وبالوجهين يستقيم المعنى.

(٨) وردت في الأصل: عليهم، والتصحيح من ب.

(٩) مطموسة في الأصل، والإضافة من ب.

(١٠) مطموسة في الأصل، والإضافة من ب.

نخلفه في ترتيب الأمور «١»، وتدبير الجمهور، وتألّف الإخوة والأقارب، واستمالة القلوب ببذل الرغائب، إلى أن استقل به سرير الملك مطاعا، وتناهضت ولاة الأطراف إلى بيعته سراعا، فوجدتهم قد عوّلوا في معانيها على ما سار في أكناف الحضرة من أشعار الفارسية [٩ ب] لازدحام شعرائها على بابه الرفيع، بقصائدهم التي قد غبروا «٢» بها في ديباجة الروذكي «٣»، وصنعة الخسروي «٤» والدقيقي «٥». ولعمري أنها كافية شافية، ومن وراء «٦» الإشباع والإقناع آتية، ولكنها دواجن «٧» خراسان، لا «٨» تعرف عن ديارها ارتحالا، ولا تألف غير أقطارها مجالا، فاقتضاني حكم ما أسلفته في هذا البيت الرفيع من خدمة، وتعرفته أيام الأمير الماضي قدّس الله روحه من بركة اصطناع ونعمة، [ثم ما رسمه إليّ الأمير أبو أحمد محمد بن يمين الدولة وأمين الملة] «٩» أن أمتّع أهل العراق بكتاب في هذا الباب، عربي اللسان، كتّابي «١٠» البيان، يتخذونه سميرا على السهر، وأنيسا في المقام

---

(١) فراغ في الأصل، والإضافة من ب.

(٢) غبر: بقي. ابن منظور- لسان العرب، ج ٥، ص ٣ (غبر)، والمقصود بقي ذكر هؤلاء الشعراء بقصائدهم.

(٣) أبو عبد الله جعفر بن محمد بن حكيم بن عبد الرحمن بن آدم، الشاعر الأعمى من قرية روذك بسمرقند. يعد أول الشعراء بالفارسية الحديثة (ت ٣٢٩ ه). عنه، انظر: السمعاني- الأنساب، ج ٣، ص ١٠٣؛ عوفي- لباب الألباب، ص ٢٤٥؛ دولتشاه- تذكرة الشعراء، ص ٣٦؛ نفيسي- محيط زندگي.

(٤) أبو بكر محمد بن علي الخسروي السرخسي الحكيم، أحد أهم شعراء الفارسية الحديثة (ت في حدود ٣٨٣ ه).

عنه، انظر: الباخرزي- دمية القصر، ج ٢، ص ٣٨٠؛ عوفي- لباب الألباب، ص ٢٥٦؛ صفا- تاريخ أدبيات، ج ١، ص ٤٣٣.

(٥) أبو منصور محمد بن أحمد الدقيقي الطوسي، هو الذي بدأ بكتابة الشاهنامه (ت ٣٦٥ ه). عنه، انظر: عوفي- لباب الألباب، ص ٢٥٠؛ صفا- تاريخ أدبيات، ج ١، ص ٤٠٨.

(٦) وردت في الأصل: قراء، والتصحيح من ب.

(٧) دجن بالمكان: أقام به وألفه، وبه سميت دواجن البيوت. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ١٤٨ (دجن).

(٨) إضافة من ب.

(٩) إضافة من ب.

(١٠) نسبة إلى الكتّاب.

٣ ذكر أيام الأمير الماضي أبي منصور سبكتكين وأحواله

والسفر «١»، ويعرفون به «٢» عجائب آيات الله تعالى في تبديل الأبدال، وتقليب الأمور من حال إلى حال، مبتدئا بذكر الأمير الماضي، أكرم الله مآبه، من حيث نشأت نبعته، وتفرعت دوحته، إلى أن استعان به الأمير أبو القاسم نوح بن منصور- برّد الله مضجعه- في «٣» تلافي «٤» دولته، والانتقام له من أبي علي بن سيمجور، حين نزع يده من طاعته، واستجره بحفي مسألته، عن دار إقامته، لكفاية مادهاه من أمره وأمر من طابقهم من الترك على جفوته، وأطمعهم برسائله ووسائله في تورّد «٥» مملكته، وما جرى على يده [١٠ أ] من الفتوح المأثورة، والمقامات المشهورة، ومتبعا ذلك بلواحق من وقائع السلطان الأجلّ «٦»، يمين الدولة وأمين الملّة في الهند والترك والخلج «٧»، وما أتيح له فيها من النصر والفلج، وما يتصل بها من أخباره، وأخبار ولاة الأطراف في جواره، والله ولي المعونة على درك المنشود، وإصابة الغرض المقصود.

ذكر أيام الأمير الماضي أبي منصور سبكتكين وأحواله

قد كان ذلك الأمير قدّس الله روحه في جبلته أبيّ النفس، حمي الأنف، جرى ء القلب، قوي البطش، كريم الخيم «٨»، رضي التدبير، كبير الهمّة، كثير الحكمة. يتبيّن ذلك كله في خصاله وخلاله، ومتصرّفات عزائمه «٩» وأحواله.

---

(١) وردت في الأصل: الصقر، والتصحيح من ب.

(٢) إضافة من ب.

(٣) وردت في الأصل: و، والتصحيح من ب.

(٤) أي تدارك. ابن منظور- لسان العرب، ج ١٥، ص ٢٥٢ (لفا).

(٥) وردت في الأصل: تعدّد، والتصحيح من ب.

(٦) إضافة من ب.

(٧) فرع من قبيلة الغز التركية. تعيش بين الهند وسجستان، وخاصة في استاخ وسكوند، وحوالي غزنة، وفي بلخ وطخارستان وبست وجوزجانان. عنهم، انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٤٥؛ al Hudud -ﷺP lam, ١١١٠ ؛ قابوس- قابوس نامه، ص ٣١٤؛ بارتولد- تاريخ الترك، ص ١١٧؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٣٨٤؛ فامبري- تاريخ بخارى، ص ٤٨.

(٨) الخيم: الشيمة والطبيعة والخلق والسّجية. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ١٩٤ (خيم).

(٩) وردت في الأصل: عزماته. والتصحيح من ب.

وحكى لي أبو الحسين جعفر بن محمد الخازن أنه كان ورد بخارى «١» أيام الأمير السّديد منصور بن نوح «٢» في جملة أبي إسحاق بن ألبتكين «٣»، صاحب جيوش خراسان، وهو إذ ذاك حاجبه الكبير، ووجهه الغرير، وعليه مدار أموره، وبيده «٤» مناظم شؤونه. وعرفه أركان تلك الدولة «٥» بشهامته وغنائه، وصرامته ومضائه. وتوسموا فيه الارتفاع إلى اليفاع، بهمّته [١٠ ب] وذكائه. فحين صرف أبو إسحاق إلى غزنة «٦» واليا عليها، وسادّا مسدّ أبيه بها، انصرف هو بانصرافه، على جملته في زعامة رجاله، ومراعاة ما وراء بابه. فلم يلبث أبو إسحاق بعد معاودته إياها أن قضى نحبه، وودع عمره. ولم يبق من قرابته وبطانته، من يصلح لمحله ومكانته، واضطر العدد الدّهم «٧» من مواليه وموالي أبيه إلى من يتولى زعامتهم، ويتكفّل بحسن الإيالة خاصتهم وعامتهم، فلم ينفكوا

---

(١) وردت في الأصل: بخارا، والأصح ما أثبتناه. كانت بخارى في القرنين الثالث والرابع الهجريين قاعدة بلاد ما وراء النهر، وعاصمة الدولة السامانية. عنها، انظر: الثامري- الجغرافيا التاريخية لمدينة بخارى.

(٢) هو الأمير السادس من أمراء الدولة السامانية (٣٥٠ - ٣٦٥ ه). عنه، انظر: الكرديزي- زين الأخبار، ص ٢٥٨؛ جوزجاني- طبقات ناصري، ج ١، ص ٢١١؛ ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٦٢.

(٣) وردت في الأصل: الب تكين. لكن المصادر درجت على كتابته كما أثبتناه. وهي مركبة من (الب) بمعنى البطل، و (تكين) بمعنى المسمى. ونجد لفظ (تكين) ملحقا بكثير من الأسماء التركية. مثل: أنوشتكين، قراتكين، ينالتكين، توفي ألبتكين سنة ٣٥٢ ه. عنه، انظر: نظام الملك- سياست نامه، ص ١٤٥؛ خليلي- سلطنت غزنويان، ص ١؛
Nazim- The lfie and the times of sultan Mahmud of Ghazna, P. ٢٤.
(٤) وردت في ب: بيديه.
(٥) أي الدولة السامانية.
(٦) وتسمى غزنين أيضا. من مدن سجستان. انظر: al Hudud -ﷺlam P, ١١١٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٢٩٦، ص ٣٠٣؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٤٦؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٣٨٧.
(٧) الدّهم: العدد الكثير. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٢١١ (دهم).

مختلفين في الاختيار، وساخطين غبّ «١» الاختبار، إلى أن جمعت «٢» كلمتهم على تأميره، واتفقت آراؤهم على الرضا بتدبيره، والإذعان لحكم «٣» تقديمه وتقديره «٤». فماسحوه «٥» بأيمانهم «٦» طائعين، وحالفوه بأيمانهم «٧» مبايعين، فولي أمورهم برأي صليب، وحزم عجيب، واهتمام سديد، وقيام بمصالحهم حميد.

ولم يزل يركض بهم على أطراف الهند غازيا، مجاهدا أعداء الله الكفرة بها ومفتتحا قلاعها، ومستخلصا ديارها ورباعها، ومحكما سيوفه في أهلها، مؤمّنا من أسلم وشهد، وقاتلا من أشرك وجحد. وجرت بينه وبين عساكر الهند حين عيوا بأمره، وتضافروا على [١١ أ] مدافعته، واستكفاف عاديته، حروب لبس فيها جلد النمر «٨»، وأرّث نارها تأريث المتذمر، وعضّ في معاناتها على جذم التصبّر، وجافى «٩» الجنب عن الضجعة، وأقنع النفس بالطوى والمخمصة، وأفضى تحته مركب الحميّة، وحثّ أصحابه ورفقاءه على لذة الأمنية أو راحة المنيّة، كأنما عناه «١٠» عمرو بن الإطنابة الأنصاري «١١» بقوله:

أبت لي عفتي وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح

---

(١) غبّ الأمر ومغبته: عاقبته وآخره. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٦٣٤ (غيب).
(٢) وردت في ب: اجتمعت، وبالوجهين يصح المعنى.
(٣) وردت في الأصل، وفي ب: بحكم، والأصح ما أثبتناه. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ١٧٢ (ذعن).
(٤) وردت في ب: تأخيره.
(٥) بايعوه. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٥٩٣ (مسح).
(٦) جمع يمين بمعنى اليد.
(٧) جمع يمين بمعنى القسم.
(٨) انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٢٣٥ (نمر).
(٩) وردت في الأصل: جاء في، والتصحيح من ب.
(١٠) وردت في الأصل: عيناه، والتصحيح من ب.
(١١) هو عمرو بن عامر بن زيد مناة الكعبي الخزرجي، شاعر جاهلي نسب إلى أمه (الإطنابة بنت شهاب). عنه، انظر: الأصفهاني- الأغاني، ج ١١، ص ٨٥؛ الزركلي- الأعلام، ج ٥، ص ٨٠.

وإجشامي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البطل المشيح «١»

وقولي كلما جشأت «٢» وجاشت «٣» ... مكانك تحمدي أو تستريحي «٤»

وحكى لي رحمه الله «٥» في غمار ما كان يذكره من مواقفه ومقاماته، وآثاره في العدوّ ونكاياته: إني واقعتهم في بعض وقائعهم بهؤلاء الرفقاء، ونحن في العدد اليسير، وهم في الجم الغفير، وطالت بنا وبهم ممارسة الحروب حتى أقوى «٦» الناس من الزاد، وعجزوا «٧» عن الامتيار «٨» والاستمداد. ولم يكن أمامنا إلا السيوف القواضب، ووراءنا إلا المهامه «٩» والسّباسب «١٠»، فصرخوا إليّ بما دهاهم، وسألوني حيلة الثبات على ما عراهم، فعرّفتهم أني كنت استصحبت لخاصّتي [١١ ب] على سبيل الاستظهار «١١» صدرا

من السّويق «١٢»، وهو الآن قسمة بيني وبينكم عدلا سواء، بالغا ما بلغ بقدر «١٣» الكفاية، إلى أن يمنّ الله بالفرج، وكشف هذا الضيق والحرج. فكنت «١٤» أجدح لهم أياما عدّة، لكل منهم

---

(١) المشيح: المجدّ. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٥٠١ (شيح)، وقد وردت عنده الأبيات. كما أوردها: ابن قتيبة- عيون الأخبار، ج ١، ص ١٢٦؛ ابن خلكان- وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٢٤١.

(٢) جشأت نفسي: اضطربت. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٢٦٩ (جأش).

(٣) جاشت: غثت وارتاعت وخافت. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٢٧٧ (جيش).

(٤) وردت في الأصل: تستريح، والتصحيح من ب.

(٥) يقصد الأمير سبكتكين.

(٦) أقوى الرجل: نفد طعامه وفني زاده. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٢١١ (قوا).

(٧) وردت في الأصل: عجزا، والتصحيح من ب، ود.

(٨) وردت في الأصل: الامتياز، والتصحيح من ب، ود. والامتياز: الحصول على الميرة.

(٩) المهامه جمع مهمه: المفازة البعيدة، والفلاة المقفرة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٥٤٢ (مهه).

(١٠) السّبسب: القفر، والمفازة، والأرض الجدبة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٦٠ (سبسب).

(١١) الاستظهار: الاستعانة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٥٢٥ (ظهر).

(١٢) السويق: طعام يعد من الحنطة والشعير. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ١٧٠ (سوق).

(١٣) وردت في ب: من قدر.

(١٤) وردت في الأصل: وكيت، والتصحيح من ب.

أولا، ولنفسي من بعدهم آخرا قعبا «١» صغيرا، فنجتزى ء «٢» به طول النهار والليل، ونحن على ذلك بين معالجة المكروه، ومكابدة المحذور، وملاقاة السيوف والسهام، بحرّ الوجوه والصدور، إلى أن وهب الله النصر وأهب الظفر، وأحاق «٣» سوء العذاب بمن كفر، فولّوا الأدبار بين قتيل مزمّل، وجريح مرمّل «٤»، وعقير مرهق، وأسير بالقدّ «٥» موثق.

وسمعته يذكر ما كان من حسن تدبيره وتقديره عند إفضاء الأمر إليه، واقتصار الإمارة عليه، ورزاحة «٦» حاله عن التوسّع في الإنفاق، والتخوّف «٧» في البذل والإطلاق، وأنه كان كأحد رفقائه في الحال والمال. واحتاج مع ذلك إلى أن يأخذ لمؤونة الزعامة عليهم من نفقاته الراتبة «٨»، فكان «٩» يدّخر منها ما يفي بضيافتهم في الأسبوع دفعة أو دفعتين.

ولم يزل على هذه الجملة إلى أن اتّسعت حاله، فزادهم بحسب الزيادة، [١٢ أ] إلى أن استكمل أسباب السيادة، فكان كما قيل:

نفس عصام سوّدت عصاما ... وعلّمته الكرّ والإقداما «١٠»

ولم يلبث أن اتّسعت رقعة ولايته، وعظم حجم جريدته «١١»، وعمرت أرض خزانته، وأشفقت النفوس من هيبته، وتعلّقت الأطماع بمعونته «١٢».

---

(١) القعب: القدح. ابن منظور، لسان العرب، مج ١، ص ٦٨٣ (قعب).

(٢) وردت في الأصل: فنجتزأ.

(٣) وردت في الأصل: أخاف، والتصحيح من ب.

(٤) أي ملطّخ بالدم أو مرمّل بالتراب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٢٩٤ (رمل).

(٥) القدّ: سير من جلد غير مدبوغ. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٣٤٤ (قدد).

(٦) رزح فلان: ضعف وذهب ما في يده. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٤٤٨ (رزح).

(٧) وردت في ب: التخرّق، وبالوجهين يستقيم المعنى.

(٨) أي الدارّة الثابتة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٤١٠ (رتب).

(٩) وردت في الأصل: وكان، والتصحيح من ب.
(١٠) ورد بعد هذا في ب: شطر واحد (و صيّرته ملكا هماما).
(١١) الجريدة: الفرقة من الخيالة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ١١٨ (جرد).
(١٢) وردت في الأصل: بمعاونته، والتصحيح من ب.

وكان من أجدى «١» فتوحه ناحية بست «٢»، وسبب ذلك أن پايتوز «٣» كان قد ملكها على طغان- أحد الأمراء كان بها- غصبا، وأجلاه عنها حربا «٤» ونهبا، فلجأ هو إلى الأمير الماضي مستظهرا به، ومستنفرا إياه عليه، بمال يضمنه، وولد يرهنه، وطاعة يبذلها، وخدمة بالنفس والمال عند الحاجة يلتزمها. فلبّى نداءه، وحقق بفضله رجاءه، وناهض خصمه بمعظم جيوشه، حتى أناخ بباب بست. وبرز پايتوز «٥» إلى معسكره، فتناوشا القتال كأشدّ ما يكون، نفحا «٦» بالصفاح، ومشقا «٧» بالرماح، وإثخانا بالجراح.

فلما اضطرب الفريقان، والتقت حلقتا البطان «٨»، حمل الأمير الماضى من قلب عسكره حملة كشفتهم عن مقامهم، وأغصت شوارع البلد بزحامهم «٩». ودارك عليهم الحملات من كل أوب «١٠»، حتى جلوا عنها مفلولين، وتفرقوا في متون «١١» الهضاب «١٢»، وبطون [١٢ ب] الأودية «١٣» والشعاب مخذولين، واستقر طغان بها شاكرا إحسانه، وموجبا

____
(١) وردت في الأصل، وفي د: إحدى، وفي ب: آحد. والأصح ما أثبتناه.
(٢) مدينة كبيرة في إقليم سجستان، تقع على ضفاف نهر هيلمند (هندمند). عنها، انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٤٢ - ٢٤٣؛ al Hudud -ﷺP lam, ١١٠٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٢٩٧، ص ٣٠٤؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٣٧٧، ص ٣٨٣.
(٣) وردت باتيور عند: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٣٤٦، ووردت بايتوز في: الهروي- طبقات أكبري، ج ١، ص ٢٤؛ وانظر: البيهقي- تاريخ، ص ٢١٨، ص ٤٨٠.
(٤) وردت في الأصل: هربا، والتصحيح من ب.
(٥) وردت في الأصل: باي توز. وفي ب قال: برز أخو بايتوز.
(٦) النّفح: الضرب والرمي. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٦٢٢ (نفح).
(٧) المشق: الطعن الخفيف السريع. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٣٤٥ (مشق).
(٨) البطان: حزام الرّحل، وهو للبعير كالحزام للدابة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٥٦ (بطن).
(٩) وردت في ب: بهم.
(١٠) طريق ووجه وناحية. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٢٢٠ (أوب).
(١١) وردت في ب: ظهور، وبالوجهين يستقيم النص.
(١٢) كلمة غير مقروءة في الأصل، والإضافة من ب.
(١٣) وردت في الأصل: يطوي، والإضافة من ب.

تحقيق ما أوجب عليه ضمانه، وبذل به رهنه ولسانه، وهو يتميل «١» في ذلك سرا بين وعد وإخلاف، ويترجح بين وفاق وخلاف، حتى إذا حان حين الأداء، طالبه الأمير «٢» بالوفاء، وأغلظ عليه في الاقتضاء، لما رآه من فرط الإباء والالتواء، وهما «٣» على صحراء غاصّة بغلمانهما وأتباعهما «٤»، فحدّثته عجرفية الطبع بالمنع، ولم يرض بالقول، حتى انتضى سيفه وضرب يد الأمير ضربة أوسعت جرحها، فلما تبيّن غدره، ضرب بيده إلى سيفه، وهي تشخب «٥» دما، فضرب منكبه «٦» ضربة انتصفت له منه «٧»، وطلبه بأخرى، فحجزه عنها اختلاط الفريقين، وأهاب الأمير إلى رفقائه، وغلمان داره بطرد الغواة وحطمهم، وتبييض تلك النواحي من سوادهم، [و تحمير تلك التربة من دماء أجسادهم] «٨»، فلم يبلغ النهار إلا وبست له صافية، وأطرافها عن ذوي الخلاف خالية، وبشعار دولته حالية، وامتدّ پايتوز وطغان، إلى نواحي كرمان «٩» وسجستان، ولم يحلم أحد منهما بأن يلتفت وراءه، فضلا عن أن يتمنى لقاءه.

وكان من جملة ما [١٣ أ] استفاده ذلك الأمير، من صفايا ذلك الفتح أبو الفتح علي بن محمد البستي «١٠» الكاتب صاحب التجنيس

رحمه الله، فإنه كان كاتبا لبايتوز،

(١) التمييل بين شيئين كالترجيح بينهما. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٦٣٧ (ميل).
(٢) أي الأمير سبكتكين.
(٣) أي الأمير سبكتكين وطغان.
(٤) ساقطة في ب.
(٥) أي تسيل. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٤٨٥ (شخب).
(٦) وردت في ب: منكبيه.
(٧) وردت في الأصل: منها، والتصحيح من ب.
(٨) ساقطة في ب.
(٩) إقليم على ساحل الخليج العربي محصور بين مكران والمفازة الكبرى وفارس. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ١٥٨؛ al Hudud -ﷺP lam, ١٢٣٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٤٥٩؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٣٣٧.
(١٠) الشاعر والأديب المولع بالتجنيس. (ت ٤٠٠ أو ٤٠١ ه). عنه، انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٣٤٥؛ الخولي- أبو الفتح البستي (حياته وشعره).

فلما استمرت به الكشفة، أعيته صحبته، فتخلّف عنه، ودلّ الأمير عليه، فاستحضره ومنّاه، واعتمده لما كان قبل معتمدا له، إذ كان محتاجا إلى مثله في آلته وكفايته، ومعرفته وهدايته وحنكته ودرايته.

وحدثني أبو الفتح رحمه الله، قال: لمّا استخدمني الأمير الماضي، وأحلّني محل الثقة الأمين عنده في مهمات شأنه، وأسرار ديوانه، وكان بايتوز بعد حيا، وحسّادي يلوون ألسنتهم بالقدح فيّ، والجرح لموضع الثقة بي ليّا «١»، أشفقت لقرب العهد بالاختيار، من أن يعلق «٢» بقلبه شي ء من تلك الأقوال، ويقرطس «٣» غرض القبول بعض تلك النبال، فحضرته ذات يوم، وقلت له: إن همة مثلي من أرباب هذه الصناعة لا ترتقي إلى أكثر مما رآني الأمير أهلا له من اختصاصه واستخلاصه، وتقريبه واختياره وترتيبه لمهمات أسراره، غير أن حداثة عهدي بخدمة من كنت به موسوما، واهتمام الأمير ببعض ما بقي من شغله يقتضيانني أن استأذنه في الاعتزال [١٣ ب] إلى بعض أطراف مملكته ريثما يستقر «٤» له هذا الأمر في نصابه، فيكون ما آتيه «٥» من هذه الخدمة أسلم من التهمة، وأقرب إلى السّداد، وأبعد من كيد الحسّاد، فارتاح لما سمعه، وأوقعه من الأحماد «٦» موقعه، فأشار عليّ بناحية الرّخّج «٧»، وحكّمني في أرضها [أتبوأ منها] «٨» حيث أشاء، إلى أن يأتيني الاستدعاء.

(١) مفعول مطلق للفعل الذي سبقه (يلوون).
(٢) وردت في الأصل، وفي ب: تعلق، وبها لا يستقيم النص.
(٣) القرطاس: أديم ينصب للنضال، فإذا أصابه الرّامي، قيل: قرطس. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ١٧٢ (قرطس).
(٤) وردت في الأصل: ريث فاستقر، والتصحيح من ب.
(٥) وردت في الأصل: إليه، والتصحيح من ب.
(٦) من الحمد. وأحمده: استبان أنه مستحق للحمد، فيقال: رجل حمد، ومنزل حمد. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ١٥٦ (حمد).
(٧) وترد أيضا: رخذ ورخّذ: رستاق يتألف مما حول قندهار من بلاد. وهو في شرق بست بامتداد ضفاف نهري: ترنك وأركنداب. قصبته بنجواي (پنج واي). انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٤٤؛- al Hudud ﷺP lam, ١١١٠ ,١٢١, ٣٤٦ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٠٥؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٣٧٧، ص ٣٨٣، ص ٣٨٥.
(٨) إضافة من ب.

فتوجّهت نحوها فارغ البال، رافغ «١» العيش والحال، سليم اللسان والقلم، بعيد القدم عن مخاضات التّهم «٢».

قال: وكنت أدلجت «٣» ذات ليلة، وذلك في فصل الربيع أؤم «٤» منزلا «٥» أمامي، فلما أصبحت، نزلت فصلّيت وسبّحت ودعوت وقمت للركوب، ففتح ضياء الشروق طرفي على قرية ذات يمنة «٦» محفوفة بالخضر، مغمومة بالنّور والزّهر، وأمامها أرض كأنها مفروشة ببساط من الزبرجد منجّد بالدّر والمرجان، مرصّع بالعقيق والعقيان «٧»، يتسبسب بينها «٨» أنهار كبطون الحيّات، في صفاء ماء الحياة «٩». وقد فغمني «١٠» من نسيم هوائها عرف المسك السحيق، والعنبر الفتيق، فاستطبت المكان، وتصوّرت منه الجنان، وفزعت إلى كتاب أدب كنت استصحبته وحملته مع نفسي لأخذ الفأل، على المقام والارتحال، ففتحت أول [١٤ أ] سطر من الصفحة عن بيت شعر وهو:
وإذا انتهيت إلى السلا ... مة في مداك فلا تجاوز
فقلت: هذا والله الوحي الناطق، والفأل الصادق. وتقدمت بعطف ضبنتي «١١» إليها،

____
(١) وردت في الأصل، وفي ب: رافع. والأصح ما أثبتناه حيث إن رافغ تعني سعة العيش والخصب والسعة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٤٣٠ (رفغ).
(٢) ساقطة في ب.
(٣) وردت في ب: اربحت.
(٤) وردت في ب: لؤم.
(٥) وردت في الأصل: منورا، والتصحيح من ب.
(٦) خلاف اليسرة، أي ذات ناحية جهة اليمين. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٤٥٩ (يمن).
(٧) الذهب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٢٨٨ (عقن).
(٨) وردت في ب: بها.
(٩) وردت في الأصل: الحيوة.
(١٠) فغمة الطيب: رائحته، وفغمني: سدّ خياشيمي. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٤٥٦ (فغم).
(١١) الضّبنة: ما تحت يدك من مال وعيال تهتم به، ومن تلزمك نفقته. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٢٥٣ (ضبن). ويقصد أنه أمر بإرسال عياله وما معه إليها.

وغنيت «١» ستة أشهر بها في أنعم عيش وأرخاه، وأهنأ شرب وأمراه «٢». إلى أن أتاني كتاب الأمير في استدعائي إلى حضرته بتبجيل وتأميل، وترتيب وترحيب «٣»، فنهضت إليها «٤»، وحظيت بما حظيت به منها إلى يومي هذا «٥».
وكان اختياره ذلك أحد ما استدلّ به ذلك الأمير على رأيه ورزانته، ودرّجه به إلى محلته ومكانته، وصار من بعد ينظم بأقلامه منثور الآثار عن حسامه، وينسج بعباراته وشائع «٦» فتوحه ومقاماته، وهلمّ جرّا إلى زمان السلطان «٧» يمين الدولة وأمين الملة. فقد كتب له عدّة فتوح إلى أن زحزحه القضاء عن خدمته، ونبذه إلى ديار الترك من غير قصده وإرادته، فمات بها غريبا، ولم يجد من مساعدة الزمان نصيبا.
ولما استتب للأمير تلك النواحي، واستقرت على شعار دعوته الأقاصي والأداني، وصفت له أشرابها، ودرّت عليه أحلابها، استخلف عليها من اختاره [١٤ ب] من ثقاته وخواصه.
وكانت بلاد قصدار «٨» قد وقعت من وراء بيضته «٩». ومرد عليه واليها، لحصانة أطرافها ونواحيها، وخشونة مصاعدها ومهاويها، وظنّ «١٠» أن بعد الشقّة،

____
(١) غني القوم في ديارهم إذا طال مقامهم فيها. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ١٣٩ (غنا).
(٢) وردت في الأصل: أمره، والتصحيح من ب.
(٣) وردت: (ترحيل) عند: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٣٤٧.
(٤) أي إلى حضرته.
(٥) انتهى كلام أبي الفتح البستي.

(٦) جمع وشيعة، وهي كبّة الغزل. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٣٩٤ (وشع).
(٧) وردت في الأصل: السلاطين، والتصحيح من ب.
(٨) وترد أيضا: قزدار. قصبة ناحية طوران من إقليم مكران. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ١٧١؛ al Hudud -ﷺlam P, ١٢٣٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٤٧٦؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ٢٥٩؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٣٦٨، ص ٣٧٠.
(٩) بيضة الدار: وسطها. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ١٢٧ (بيض). وقال: من وراء، لأنها لم تكن تحت نفوذه.
(١٠) وردت في ب: فظنّ. وهي عائدة على والي قصدار.

وحزونة «١» المضرب، وضيق المدخل، ووعورة التغلغل، مانعته من الدّمور «٢» عليه، وقاطعته دون الوصول إليه، فلم يرعه إلا صيحة الغارة، وإحداق الخيول به كالخط في الاستدارة، وقد طوى الأمير إليه تلك الطرق القاصية، والقلل «٣» العاصية «٤» المتناصية «٥»، في ركضة لم ينل فيها جنبه قرارا، ولا عينه غرارا، ولا خيله جماما إلّا لماما «٦» فهجم عليه في ربعه بنفسه وصحبه، فأخذه كما قيل:

فأخذته أخذ المقصّب شاته ... عجلان يشويها لقوم نزّل

وكان صباحه كما قيل:

إذا خرس الفحل وسط الجحور ... وصاح الكلاب وعقّ الولد

ثم رأى أن يمنّ عليه، ويرجع إليه ما كان بيديه، فأطلقه تطوّلا وإنعاما، وأعاده إلى مكانه إحسانا وامتنانا، وواقفه على مال يعجّله، وآخر في كل سنة يحمله. فعمرت باسمه تلك المنابر «٧»، واشترك في العلم بحاله الوارد والصادر، والغائب والحاضر.

ولم يزل [١٥ أ] بعد ذلك، يدارك الركض على أطراف الهند غازيا ومجاهدا، حتى

(١) الحزونة: الخشونة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ١١٣ (حزن).
(٢) دمر عليهم دمورا: دخل عليهم بدون إذن. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٢٩١ (دمر).
(٣) جمع قلّة وهي أعلى الجبل. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٥٦٥ (قلل).
(٤) الممتنعة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٦٧ (عصا).
(٥) يقال: هذه الفلاة تناصي أرض كذا وتواصيها، أي تتصل بها. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٣٢٧ (نصا).
(٦) ساقطة في الأصل، والإضافة من ب.
(٧) تعبير عن المدن والبلدات الكبيرة. والمقصود به هنا إقامة صلاة الجمعة، فلم تكن الإدارة السامانية تسمح- وحسب رأي فقهاء الحنفية- بإقامة الجمعة إلا في المدن الكبيرة. يقول المقدسي: وهنا قرى كبار لا يعوزها من رسوم المدن وآلاتها إلا الجامع، لأن الأمير بخارى، والمقدم عند السلطان والمتمثل رأيه أصحاب أبي حنيفة.
وعندنا لا جمعة ولا تشريف إلا في مصر جامع يقام فيه الحدود. وكم تعب أهل بيكند حتى وضعوا المنبر.
المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٢٨٢، وانظر: ص ٣١٧؛ الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٦٣، ص ٢٦٤.

افتتح قلاعا كانت مرتفعة في جبالها، مطمعة بأموالها، ممتنعة برجالها. وحصّلها كلها في يده، ونظم خزائنها في سلك ملكه.

ولم يزل يتوغّل تلك الحدود، حتى افتتح قلاعا «١» لم يسكنها قبل إلّا كافر، ولم يطأها [في الإسلام] «٢» خفّ ولا حافر «٣».

ولمّا علم جيبال الهند ما دهاه ممن يطوي مسافة ملكه، ويقبض من أطراف ولايته، ويلصق الهون والخسار بمن يحامي عن حوزته، أخذه المقيم المقعد، وملكه المزعج المكمد، ورأى الأرض قد ضاقت عليه بما رحبت، فثار بنفسه وعشيرته، وأعيان جيوشه وتكاكرته «٤»، وما خفّ من ثقال فيلته، يريد الانتقام منه بوطء عرصة الإسلام، واستباحة حلته الحرام، يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ «٥».

وسار كما هو حتى جاوز لمغان «٦»، دانيا من ولاية الأمير دنوّ الواثق بطوله، السّاكن إلى قوّته وحوله، وقد باض الشيطان «٧» في رأسه وفرّخ، وشوى السوداء «٨» في دماغه وطبّخ «٩»،

____
(١) وردت في ب: بلادا.
(٢) إضافة من ب.
(٣) وردت في الأصل: خاقر، والتصحيح من ب.
(٤) قال الشيخ المنيني: جمع تكر وهو كبير القوّاد باللغة الهندية. وقد ذكر هذا اللفظ البلاذري وقدامة بن جعفر في حديثهما عن القتال بين محمد بن القاسم الثقفي فاتح السند، والأمير داهر. البلاذري- فتوح البلدان، ص ٤٨١؛ قدامة- الخراج، ص ٤١٨؛ وانظر: الحسيني- نزهة الخواطر، مج ١، ص ٣٥.
(٥) سورة الصف، الآية ٨. ووردت كلمة (الكافرون) خطأ (المشركون).
(٦) وترد أيضا: لا مغان. من قرى غزنة. انظر: المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٢٩٧؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ٥، ص ٨.
(٧) وردت في الأصل: المستطاب. والتعبير كناية عن فساد رأيه.
(٨) السوداء: داء يصيب الإنسان والحيوان. انظر: مجمع اللغة العربية- المعجم الوسيط، ج ١، ص ٤٦١.
(٩) صيغة مبالغة من طبخ.

فهو يظن الظنون، ويعدّ في حساب الحسبان «١» ما لا يكون.

ولما سمع الأمير [١٥ ب] بتورّده وتغلّبه، استعدّ لمناهضته، وجمع أولياءه على محاجزته، واستجاش «٢» من مطّوّعة الإسلام من وجب استجاشتهم لمناصبته، وكفّ بأسه ومعرّته «٣». وبرز من غزنة متوجها نحوه، وقاصدا قصده بنيّة في الجهاد قويّة، وحميّة للإسلام أبيّة. وواقفه بين الناحيتين في رجال كقطع اللّيل، أو دفع السّيل، ومعه السلطان يمين الدولة وأمين الملة كالليث الخادر، والعقاب الكاسر، والموت الكاشر، [لا يؤم صعبا إلا ذلّله] «٤»، ولا يروم عقدا إلا حلّه، ولا يزحم منكبا إلا حطّمه، ولا يصاول قرنا «٥» إلا أباح دمه. ونشبت الحرب بينهم أياما ولاء «٦»، وأديرت عليهم كؤوس «٧» الطعن والضرب ملاء «٨»، حتى سكر الفريقان، من سورة الطّعان.

وبقرب تلك المعارك، مما يلي الكفار عقبة «٩» تعرف بعقبة غوزك «١٠»، ينخفض عنها طرف العقاب، ويعسكر دونها جيش السحاب، ذات مهاو ومشارف، ومثان ومعاطف، وفي بعض أوهادها شريعة ماء كالشريعة الحنيفية في الطهارة، لا تقبل قذرا، ولا تحمل غثاء ولا غثرا، فإن ألقي شي ء من القاذورات [١٦ أ] فيها، اكفهرّت له السماء، واختلفت

____
(١) وردت في الأصل: حساب. وهو الظن. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٣١٥ (حسب).
(٢) أي جمع جيشا. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٢٧٨ (جيش).
(٣) معرّة الجيش: أن ينزلوا بقوم، فيأكلون من زروعهم بغير علم، وقيل: الغرم. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٥٥٦ (عرر).
(٤) إضافة من ب.
(٥) القرن: الكف ء، والنظير في الشجاعة والحرب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٣٣٧ (قرن).
(٦) متتابعة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٤١٢ (ولي).
(٧) وردت في الأصل: كاوس، والتصحيح من ب.
(٨) صفة للكؤوس، جمع مملوء. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ١٥٨ (ملأ).
(٩) العقبة: طريق وعر في الجبل، وقيل: الجبل الطويل الممتد الذي يعرض للطريق. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٦٢١ (عقب).
(١٠) من أسماء الترك، كملك الصغد وقت الفتح الإسلامي. ابن أعثم- الفتوح، ج ٧، ص ٢٤٤.

النكباء «١»، وأظلمت الشواهق والأعماق، وغصّت بالزّمهرير الآفاق، حتى يرى الموت الأحمر عيانا، والعذاب الأكبر حقيقة وبيانا. فعندها أمر الأمير بإلقاها ضربا من النجاسات تعمدا، فقامت القيامة على الكفرة الفجرة، وتوالت عليهم الصواعق والقوارع، وأحاطت بهم الرياح الزّعازع، ومدّت السماء عليهم سرادق البرد والخصر «٢»، وأثارت عليهم زعازع الإعصار والقتر، حتى عميت عليهم المذاهب والمهارب، وانسدّت دونهم المساري والمسارب، فاستسلموا لفرط الهول والوهل، وشهدوا بأن قد شاهدوا الموت قبل حلول الأجل.

وأرسل چيبال يطلب الصلح، ويستكفّ الحرب على مال يؤديه، وحكم للأمير في فيلته ومملكته يمضيه، فهمّ الأمير بإجابته إلى ملتمسه إشفاقا على أوليائه، أو لصواب عنّ له في رأيه، فنهر السلطان يمين الدولة وأمين الملة أولئك الرسل نهرا، وأبى أن يكون فيصل الحرب إلّا عنوة وقهرا، حميّة للإسلام والمسلمين، وثقة بالله ربّ العالمين، فانصرفوا بما عرفوا من صورة الحال، وضيق المجال. [١٦ ب] فاضطر «٣» چيبال ما أعياه من الحيلة في أمره إلى إعادتهم في طلب المكافأة خاشعا، والتماس الموادعة طائعا ضارعا.

وكانت زبدة كلامه أنكم قد عرفتم حميّة الهند، واستهانتهم بالموت إذا طرقهم طارق محذور، وحزبهم حازب مكروه، فإن يكن امتناعكم عن الصلح طمعا في الغنيمة والفيء والفيلة والسبي، فما هو إلّا صرّيّ «٤» عزم نمتطيه في استهلاك الأموال، وسمل الأفيال، وعرض الغلمان على النيران، ومشي الرجال بعضهم إلى بعض بأطراف الحراب، وظبات السيوف. ثم شأنكم وما يبقى من جماد ورماد، وموات ورفات.

---

(١) الريح الناكبة. ابن منظور- لسان العرب، ج ١، ص ٧٧١ (نكب).

(٢) البرد. ابن منظور- لسان العرب، ج ٤، ص ٢٤٣ (خصر).

(٣) وردت في ب: فاضطرب.

(٤) بوزن جنّيّ. صرّيّ العزم أي ثابت العزم. ابن منظور- لسان العرب، ج ١٤، ص ٤٦٠ (صري).

فلما سمع الأمير ذلك من كلامه، وأحسّ مصدوقة ما همّ به عند يأسه من مرامه، رأى حظ الدين وأوليائه في موادعته، واستنزاله عن ماله وعدّته، أرجح من تخليته، وما اختاره من التقاطع بالسيوف، والتهافت في الوقود، فواقفه «١» الأمير السيّد يمين الدولة وأمين الملّة على كفّ يد الإرهاق عنه على ألف ألف درهم شاهيّة، وخمسين رأسا من الفيلة ضمنها نقدا، وعلى عدة «٢» قلاع، وبلاد في سرّة مملكته، كان اشترطها [١٧ أ] عليه أن «٣» يسلّمها إلى من يتسلّمها من جهته، بعد أن يبعث إليه برهائن «٤» من عشيرته وأعزّته، على الوفاء بما يضمنه، والإنجاز لما «٥» يعده. وقبض المال والفيلة نقدا، وواقفه على البلاد المذكورة وعدا.

وأرسل معه بمسألته وحاجته دليلين يعدلان به عن التّعسّف «٦»، ويقفان به على القصد في المنصرف. وبعث معه بعدة من ثقاته لتسلّم الأماكن المشروطة منه، فلمّا أوغل به المسير، ورأى أنه قد خفّ عنه الطلب، واسترخى به اللّبب «٧»، حدّثه خبث الضمير بالإخلاف، وأركسه عجز الرأي في استئناف الخلاف، واعتقل من كان في صحبته بدلا عمّن رهنهم من عشيرته. وقدّر الأمير أن الذي بلغه من أمره إرجاف «٨» يردفه خلاف وباطل، ليس له حاصل، إلى أن تناصرت به الأنباء، فبرح الخفاء، وانكشف الغطاء، وعلم

---

(١) وردت في الأصل: فوافقه، وفي ب: فواقف، والأصح ما أثبتناه. واقفه مواقفة: وقف معه في حرب أو خصومة. ابن منظور- لسان العرب، ج ٩، ص ٣٦٠ (وقف).

(٢) وردت في ب: عزة.

(٣) إضافة من ب.

(٤) وردت في الأصل: رهائن، والإضافة من ب.

(٥) وردت في الأصل: بما، والتصحيح من ب.

(٦) وردت في ب: المعتسف. وبالوجهين يستقيم المعنى، حيث إنهما من التعسيف: السير على غير علم أو أثر. ابن منظور- لسان العرب، ج ٩، ص ٢٤٥ (عسف).

(٧) وردت في الأصل: اللبث، والتصحيح من ب. وهو البال. يقال: فلان رخي اللبب أي في بال رخي. ابن منظور- لسان العرب، ج ١، ص ٧٣٣ (لبب).

(٨) أخبار سيئة كاذبة يكون معها اضطراب في الناس. ابن منظور- لسان العرب، ج ٩، ص ١١٣ (رجف).

أن الله تعالى قد طبع على قلبه، وحال بينه وبين رشده، ليحيق به وبال أمره، ويحقّ عليه مآل كفره، وشحذ عزيمته لغزو بلاده، وتخليصها عن خبث خبثه وفساده «١»، ونهض في الكماة من غلمانه، والحماة من رفقائه وأعوانه، متوكلا على الله وحده، ومتنجّزا «٢» في النصر وعده. [١٧ ب] وسار حتى اقتحم بهم ديار الهند، فلم يبرز له بارز من أعوان چيبال وجيوشه إلّا أوسعهم طحنا «٣»، واستلحمهم ضربا وطعنا.

وقصد لمغان «٤» وهي كورة بحصانة الأطراف، وغزارة الإخلاف «٥» مشهورة، فافتتحها عنوة واقتدارا، وأضرم بعضها على الكفّار نارا، وهدم بيوت الأصنام، وأقام فيها شعار الإسلام، ومضى عنها قدما يفتتح البلاد، ويقتل الأنجاس والأوغاد، حتى أذلّ المشركين، وشفى صدور قوم مؤمنين.

ولمّا أرمى على الغاية في النكاية، وأربى على قدر الإمكان في الإثخان، وبردت يده وأيدي أوليائه بما يغمر العدّ والحدّ من كرائم الأموال وغنائم تلك البلاد، عطف الأعنّة وراءه، كريم الظفر، [حميد الأثر] «٦»، ميمون الورد والصدر.

وتطايرت كتبه إلى الآفاق بذكر ما فتح الله للإسلام على يده، فاشترك الناس خاصة وعامة في الارتياح له، والانشراح لموقعه، والشكر لله على ما أتاحه فيه من صنعه.

ولما رأى جيبال ما قد دهاه، جزاء عما نقضه من عهده، ونكثه من مرائر «٧» عقده،

(١) وردت في ب: إلحاده.

(٢) أي طالبا من الله تعالى إنجاز وعده.

(٣) وردت في الأصل: طحبا، والتصحيح من ب.

(٤) وردت في الأصل: لمعان، والتصحيح من ب.

(٥) الأثمار، ابن منظور- لسان العرب، ج ٩، ص ٨٦ (خلف).

(٦) إضافة من ب.

(٧) وردت في الأصل: مراير بدون نقط، وفي ب: مراير. وهي حبال طويلة مفتولة جيدا. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ١٦٩ (مرر).

ورأى جنوده «١» ووجوه رجاله جزر السيوف [١٨ أ] القواطع، وطعم النسور والخوامع «٢»، سقط في يده، وفتّ في عضده، ونالت منه الندامة، وقامت عليه القيامة. وبقي زمانا مبهوتا على حاله «٣»، لا يعرف الرأي في ظهر إدباره، أو في وجه إقباله. ثم حركته الأنفة لاستئناف المناجزة طلبا للثأر وطمعا في الانتصار، ففكرّ ودبّر، ثم أقبل وأدبر «٤»، ثم عزم وقرّر، ونادى فحشر، وثار في مائة ألف أو يزيدون، وبلغ الأمير خبره، فقابل إقباله بالاستقبال، وحرّض المؤمنين على القتال، وسار بقلب منشرح، وأمل منفسح، حتى إذا دنت «٥» الخطى بين الفريقين، فرع «٦» الأمير ثنية مشرفة على سواد الكفرة، فإذا النمل محشورا «٧»، والجراد مبثوثا منشورا «٨»، فراعه «٩» منهم ما يروع الذئاب من سوائم الغنم، والليوث الجياع من هوامي «١٠» النعم. وحثّ أولياء الله على الكفرة القلف «١١»، فأجابوه سراعا بقلوب محشوّة بالدين، مملوءة من صدق اليقين، وتقدّم إليهم بأن يتناوبوا الحملات بينهم في كل حملة خمسمائة غلام بالدبابيس الحاطمة، والقراتكينيات «١٢» الهاشمة، حتى

(١) ساقطة في ب.

(٢) الضباع، وقيل: الذئاب. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٧٩ (خمع).

(٣) وردت في الأصل: على حاله مبهوتا، والتصحيح من ب.

(٤) ساقطة في ب.

(٥) وردت في ب: تدانت.

(٦) فرع الجبل أي صعد الجبل. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٢٤٦ (فرع).

(٧) وردت في النسخ: منشورا، والتصحيح من د.

(٨) ساقطة في الأصل، ووردت في ب: محشورا.

(٩) أي أخافه وأفزعه. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ١٣٥ (روع).

(١٠) لعله مأخوذ من: هامت الناقة تهيم إذا ذهبت على وجهها للرعي. والهيم: الإبل الظماء. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٦٢٦، ص ٦٢٧ (هيم).

(١١) جمع أقلف وهو الرجل الذي لم يختن. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٢٩٠ (قلف).

(١٢) وردت في الأصل: قرابكياب بدون نقط، وفي ب: القراتكييات والأصح ما أثبتناه. حيث إن قراتكين اسم شائع بين الترك كأمير اسفيجاب في عهد الأمير نصر بن أحمد الساماني. انظر: بارتولد- تركستان، ص ٢٩١، ص ٣٥٦. وقد تكون القراتكينيات نوعا من الأسلحة منسوبة لأمير يدعى قراتكين.

إذا أبلوا عذرهم «١» في الجهاد، خلفهم من أضرابهم من ينوب منابهم رضّا «٢» [١٨ ب] وهضّا «٣»، وطعنا وطحنا، ففعلوا ما أمرهم، واحتذوا ما رسمهم. فلم تزل هذه حالهم حتى استغاث الملاعين من حرّ الوطيس، ووقع الدّبابيس، وهموا بأن يجعلوها حملة واحدة «٤» تزحزح الأقدام، وتقتلع الجيش اللّهام «٥»، فعندها [حمي الوطيس، واختلط المرؤس بالرئيس] «٦»، وتداعت الصفوف، وعزلت العوامل إلّا السّيوف، واختلفت الضربات، فمن واحدة تقطّ الهام، وأخرى تقدّ الأجسام.

وثارت عجاجة غبراء سترت العيون عن الأشباح، فلم تعرف الصّفاح من الرماح، ولا الرجال من الأفيال، ولا الأبرار من الفجّار، ثم انجلت عن هزيمة الأنجاس الأرجاس، وإسلامهم «٧» عدتّهم وعتادهم، وأسلحتهم وأزوادهم، وفيلتهم وكراعهم، وقد غصّت البيداء بجيف قتلاهم بين جريح بحدّ الحسام، وطريح من هول ذلك المقام، سنة الله في الذين خلوا من قبل وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا «٨».

ولوت الهنود «٩» بعد ذلك أذنابها على رؤوسها، ورضوا بأن «١٠» يسلموا من حرّ الطلب في أقاصي ديارهم، ويتركوا في شعارهم، بمنابت «١١» أشعارهم. وصفت تلك

---

(١) أي قاتلوا قتالا لا حجة لأحد عليهم بعده. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٥٤٥ (عذر).
(٢) دقا وكسرا. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ١٥٤ (رضض).
(٣) الهضّ: كسر بين الهد والرض. وقيل: الكسر عامة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٢٤٧ (هضض).
(٤) ساقطة من ب.
(٥) وردت في ب: الهام. واللّهام: الجيش الكثير، كأنه يلتهم كل شي ء. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٥٥٤ (لهم).
(٦) إضافة من ب.
(٧) أي تسليمهم عدتهم.
(٨) سورة الأحزاب، الآية ٦٢؛ سورة الفتح، الآية ٢٣.
(٩) وردت في ب: الهند.
(١٠) وردت في الأصل: أن، والإضافة من ب.
(١١) وردت في الأصل: لمنابت، والإضافة من ب.

٤ ذكر الأسباب التي أطمعت الترك في ولاية الأمير أبي القاسم نوح بن منصور وتوسط مملكته، وإجلائه عن بيته وخطّته

النواحي لذلك الأمير، ودرّت عليه إخلاف الأموال، وانحلّت له عقد الجبايات، وحصل له من وجوه الغنائم وغيرها [١٩ أ] مائتا رأس من الفيلة الحربية. وكثف سواد جيوشه، ودانت له الأفغانيّة «١»، والخلج، فمتى شاء، استثار منهم الآلاف في خدمته، وامتهن «٢» الأرواح والنفوس في نصرته، والقيام بفرض طاعته.

وعند ذلك أوجب إغاثة الأمير أبي القاسم نوح بن منصور والي خراسان، وإعانته على جيوش الترك الذين أجلوه عن دار ملكه بخارى، وزحزحوه عن وطنه بها، حتى فرّق دهماءهم، واضطرهم إلى الانهزام وراءهم، كرما لم ينشط له غيره من أولياء تلك الدولة، وأنشاء «٣» تلك النعمة، لا جرم أن الله عزّ وجلّ حاز له جماله وذكره، وقصر عليه سناءه وقدره، وجعل كدحه سببا لا نسياق الملك إلى ولده، وتوطئة لبقاء العزّ في عقبه، وذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ «٤».

ذكر الأسباب التي أطمعت الترك في ولاية الأمير أبي القاسم نوح بن منصور وتوسط مملكته، وإجلائه عن بيته وخطّته
قد كان انتقل الملك إليه سنة خمس وستين وثلثمائة، واجتمع أولياؤه وحشمه على بيعته، بعد أموال عظيمة أطلقت، وعشرينيات «٥» فرّقت، حتى تبدّد شمل الأموال التي كان

---

(١) عنهم، انظر: البيروني- تحقيق ما للهند من مقولة، ص ١٤٧؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٣٨٩، ص ٤٠٣.
(٢) وردت في ب: امتهان.
(٣) لعله مأخوذ من: نشأ: ربا وشبّ، أي من نشأ وتربى في كنف تلك الدولة. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ١٧٠ (نشأ).
(٤) سورة الجمعة، الآية ٤.
(٥) قال الخوارزمي: أصناف الأرزاق في ديوان الجيش في خراسان ثلاثة: أحدها، حساب العشرينية، وهي أربعة أطماع في السنة. الخوارزمي- مفاتيح العلوم، ص ٩٠؛ وانظر: نظام الملك- سياست نامه، ص ١٣٩. وقال مترجما (تاريخ البيهقي): بيستكاني أي مرتبات الجند التي تدفع لهم أربع مرات في السنة، وتعرف الكلمة في العربية بالعشرينية ولعلها نقد يزن عشرين مثقالا. البيهقي- تاريخ، ص ٨٠٠؛ بيست: عشرين. الميداني- السامي، ص ٣٠٥. بيستم: العدد عشرون الترتيبي. التونجي- المعجم الذهبي، ص ١٢٩.

وزراء السّامانية من قبل [١٩ ب] يكدحون لها، ويدأبون لجمعها، كأبي الفضل البلعمي «١»، وأبي جعفر العتبي «٢»، ومن كان ينتصب منصبهما في الوزارة، وتدبير أمور المملكة.
وكان أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور «٣» إذ ذاك صاحب الجيش بنيسابور، فتلطّف له في الرضا به، وعقد البيعة له على صغر سنّه وحداثته. وضوعفت له الصلات المطلقة لأمثاله من أركان الدولة حتى لانت عريكته، وتمّت بيعته، وفوّضت الوزارة إلى أبي الحسين «٤» العتبي [رحمه الله] «٥»، فقام «٦» على ميعة شبابه بالأمر قيام الحدب «٧» الشفيق، وكفله بمناصحته كفالة المؤيد بالنصر والتوفيق، حتى استقامت بحسن تدبيره الأمور، وانشرحت الصدور، وانسدّت الثغور، واستطارت هيبة تلك الدولة شرقا وغربا، وبعدا وقربا.
وكان الأمير عضد الدولة وتاج الملّة «٨» على جلالة قدره، ونباهة ذكره، ومناعة جانبه، وخشونة حدّه، يتوخى رضاه فيما يحتكم عليه من المطالب التي تختصّ بولايته.

---

(١) وردت في الأصل: البلغمي. وهو محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن، (ت ٣٢٩ ه). عنه، انظر: السمعاني- الأنساب، ج ١، ص ٣٩١؛ كرماني- نسائم الأسحار، ص ٣٥؛ الذهبي- سير، ج ١١، ص ٦٥٩؛ الصفدي- الوافي، ج ٤، ص ٥؛ السبكي- طبقات الشافعية، ج ٣، ص ١٨٨؛ خواندمير- دستور الوزراء، ص ٢١٢.
(٢) استوزره أول مرة عبد الملك بن نوح بن نصر. انظر: كرماني- نسائم الأسحار، ص ٣٥؛ خواندمير- دستور الوزراء، ص ٢١٤.
(٣) الملقب بناصر الدولة. نيشابوري- تاريخ نيشابور، ص ١٧٧؛ السمعاني- الأنساب، ج ٣، ص ٣٦٣؛ ابن الأثير- الكامل، ج ٧، ص ٣٠٠، ص ٣٩٧؛ خواندمير- دستور الوزراء، ص ٢١٤.
(٤) وردت في ب: الحسن، وهو خطأ. عنه، انظر: كرماني- نسائم الأسحار، ص ٣٦؛ خواندمير- دستور الوزراء، ص ٢١٤.
(٥) ساقطة في ب.
(٦) وردت في الأصل وقام، والتصحيح من ب.
(٧) العطوف. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٣٠١.
(٨) أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه. (ت ٣٧٢ ه). انظر: ابن الجوزي- المنتظم، ج ١٤، ص ٢٨٩؛ ابن الأثير- الكامل، ج ٧، ص ٤٠٤.

وربما أخذته العزة باللّجاج «١»، فيذكر «٢» ما وراءه من الأدواء المعضلة، والأمور المستفحلة، فتسمح قرونه، ويذلّ صعبه وحرونه «٣».
وحدّثني أحمد الخوارزمي، وكان من جملة خاصّته، مندوبا لحمل رسوم كل عام [٢٠ أ] إلى بيت الله الحرام ومجاوريه، وسكان مدينة

الرسول صلى الله عليه وسلم، وتفريقها فيهم ووضعها مواضعها منهم، قال: دخلت عليه «٤» ذات يوم منحدري من خراسان، فسألني على رسمه عن حال ذلك الشيخ «٥» في سلامته واستقامة الأمور في ضمن كفايته «٦»، ثم قال: هات ما استدعاه، واعرض عليّ ما بدا له وتوخّاه، فعرضت تذكرة كان سلّمها إليّ بتفصيل ما رسم لي حمله من ديار العراق، ومن «٧» جملتها ألف ثوب مستعملة «٨» مطرّزة «٩» الأطراف «١٠»، باسم الأمير السيد الملك المؤيد، المنصور ولي النعم أبي القاسم نوح بن منصور، مولى أمير المؤمنين، وخمسمائة مطرّزة باسم الشيخ السيد أبي الحسين عبد الله «١١» بن أحمد، ومثلها معلّمة باسم الحاجب الجليل أبي العباس تاش «١٢». فلما تأمل «١٣»

---

(١) لجّ في الأمر: تمادى عليه، والملاجّة: التمادي في الخصومة. ابن منظور- لسان العرب، ج ٢، ص ٣٥٣، ص ٣٥٤ (لجج).
(٢) وردت في الأصل: تذكر، والتصحيح من ب.
(٣) حرنت الدابة: صعب قيادها. ابن منظور- لسان العرب، ج ١٣، ص ١١٠، ص ١١١ (حرن).
(٤) ساقطة في ب.
(٥) أي أبا الحسين العتبي.
(٦) وردت في ب: كفالته.
(٧) وردت في ب: وفي.
(٨) أي طلب عملها، وليست بمعنى ملبوسة. انظر: ابن منظور- لسان العرب، ج ١١، ص ٤٧٥ (عمل).
(٩) ورد بعدها حرف واو زائد فحذفناه.
(١٠) وردت في ب: الأطراز، وبالوجهين يستقيم المعنى.
(١١) وردت في ب: عبيد الله، والمقصود به الوزير أبو الحسين العتبي. انظر: ياقوت- معجم الأدباء، ج ١، ص ٥٩٧.
(١٢) الملقب بحسام الدولة. (ت ٣٧٧ أو ٣٧٩ ه). عنه، انظر: النرشخي- تاريخ بخارى، ص ١٣٤، ص ١٤٤، ص ١٤٥؛ بارتولد- تركستان، ص ٣٥٦، ص ٣٨٥، ص ٣٨٦، ص ٣٨٧، ص ٤٠٩.
(١٣) أي عضد الدولة.

النسخة، دخلته نخوة الملك، وملكته حميّة العزّ، وطار به الغضب كل مطار، فألقى إليّ في الجواب، أن ابن العتبي لو اغتنم سلامة ما يليه، وتفرّد بالتدبير فيه، لكان أولى به، وأعود عليه وعلى صاحبه، ممّا يسومني بهذا الاحتكام وأمثاله، غير أني أجعل سواحل جيحون «١» قبل عودك من وجهك [٢٠ ب] مرابط للجحافل، ومراكز للقنا «٢» والقنابل «٣»، فقمت من مكاني متخاذل القوى تخوّفا من سطوته وبأسه «٤»، وأخذت أجرّ رجلي على الأرض تهيبا وارتياعا إلى أن أركبت على الرسم وانصرفت إلى المناخ.

فلما أزف ارتحال الحجيج، أتاني رسوله، فبادرت إليه، وأحسنت خدمة المجلس بين يديه، فزادني على المعهود بشرا خصيبا، وبرا وترحيبا، وقال: قد أمرنا في معنى تلك التذكرة بما استدعاه ذلك الشيخ كراهة لاستيحاشه، وخلافا على خلاف وفاقه، فتنجز العمل به ليوافق عودك فراغ الصنّاع منه، وحصول المراد به.

قال «٥»: فاستعملت ذلك كله من الطرز المذكورة، وحملتها في صحبتي إلى بخارى مشفوعة «٦» بسائر ما رسم لي تحصيله وتنجزه.

---

(١) ويسمى نهر بلخ (أموداريا، أوكسس). وهو الحد الفاصل بين خراسان وبلاد ما وراء النهر. ينبع من بحيرة في التبت الصغرى، ومن الپامير، ويصب في بحيرة خوارزم (بحر آرال). عنه، انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ١٠٠؛ الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٨٧، ص ٢٩٦؛ al Hudud -ﷺP lam, ٧١٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٢٨٤؛ الخوارزمي- مفاتيح العلوم، ص ١٣٧؛ البيروني- الآثار الباقية، ص ٢٦١؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٥٦، ص ٢٠٩، ص ٢١٣، ص ٢١٤، ص ٢١٧، ص ٢١٩، ص ٢٢٨، ص ٢٣٩، ص ٢٤٢؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٧٦.
(٢) إضافة من ب.
(٣) جمع قنبلة وقنبل: طائفة من الناس، ومن الخيل، ما بين ثلاثين إلى أربعين. ابن منظور- لسان العرب، ج ١١، ص ٥٦٩ (قنبل).

(٤) ورد في ب بدل هذه الجملة: متخاذل القوى من جوابه، متهافت الأركان خوفا من عتابه.
(٥) أي أحمد الخوارزمي.
(٦) ورد بعد هذا في ب: بالنجاح.

وقد أكثر الشعراء من أهل العصر في وصف محاسن الشيخ أبي الحسين العتبي رحمه الله، ولا سيما أبو طالب المأموني «١» فإنه سيّر في مدحه قصائد غير معدودة، منها قوله من قصيدة يمدحه بها، وهي:

هذي عزائم عتبي تفرّق ما ... بين الجماجم والأعناق إن عتبا

ذو همة مل ء عين الدهر إن برزت ... من صدره لم تسعها «٢» الأرض مضطربا [٢١ أ]

إذا انتضى للندى أو للردى «٣» قلما ... أجرى به سحبا أو جحفلا لجبا

يشجي الصعيد صعادا والنديّ ندى ... إذا تهلّل للمعروف أو قطبا

وقوله فيه من أخرى:

كتائب منصوريّة «٤» ملكيّة ... أبى السيف فيها أن يرى الغمد مضجعا

يؤيدها عتبي عزم مؤيد ... بحزم «٥» يخلي خلفه البيض ظلّعا «٦»

إذا أمر الشيخ الجليل سيوفها «٧» ... هوت سجّدا للدارعين وركّعا

يعود بها وجه الخلافة أبيضا «٨» ... بأبيض من أبناء عتبة أروعا

____

(١) أبو طالب عبد السلام بن الحسن (أو الحسين) المأموني (ت ٣٨٣ ه‍). من أحفاد الخليفة العباسي المأمون. عنه وعن شعره، انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، الباب الثالث، العبيدي- أبو طالب المأموني.
(٢) وردت في الأصل: يسعها، وفي ب: يسعه. والأصح ما أثبتناه.
(٣) وردت في الأصل: للردى أو للندى، والتصحيح من ب، حيث إنه يناسب حسن التقسيم في الشطر الثاني من البيت.
(٤) نسبة للأمير منصور والد الأمير نوح.
(٥) وردت في الأصل: بجزم، والتصحيح من ب.
(٦) الظّلع: العرج. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٢٤٣ (ظلع). فهو حينما جعل السيوف (البيض) ظلّعا، كأنه أراد بها: مثلومة أو معوجّة.
(٧) وردت في ب: سيوفه. والأرجح أنه قصد سيوف الكتائب.
(٨) (أبيض) ممنوع من الصرف، لكنه صرفها للضرورة.

ومن ذلك قول اللّحّام «١» فيه:

وأعتب الدهر إذ «٢» عاتبته بفتى ... من آل عتبة نفّاع وضرّار

كأنما جاره في كلّ نائبة ... جار الأراقم في أيام ذي قار

يجري المكارم في لاء وفي نعم ... فالناس في جنّة منه وفي نار «٣»

ومن ذلك قول أبي الحسين العلوي الرضي «٤»:

كأنما الدهر تاج وهو درّته ... والملك والملك كفّ وهو خاتمه

والبرّ والبحر والأعلام أجمعها ... والخلق والفلك الدوّار خادمه

وقلّد أبو العباس تاش الحجبة الكبيرة، فولي أمور الباب «٥» [٢١ ب] وزعامة الحجّاب، والسفارة بين أولياء السلطان وحشمه في تنجز حاجاتهم، واستطلاق أطماعهم وعشرينيّاتهم، واستزادة مراتبهم وولاياتهم، حتى تحقّقت النفوس بمحبته، وتعلّقت الأهواء بزعامته.
وفتح أبو الحسين «٦» عليه أبواب الفوائد والإصابات «٧» حتى كثر وفره، وظهر أمره، واشتدّ بالاستظهار ظهره.
وكان أبو العباس من جملة فتيان أبي جعفر العتبي .. ملك يمينه، أهداه إلى الأمير

---

(١) وردت في الأصل: اللجام، والأصح ما أثبتناه. أبو الحسن علي بن الحسن الحرّاني. انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ١١٦.
(٢) وردت في الأصل: إذا، والتصحيح من ب.
(٣) ورد في الأصل: البيتان الأخيران، أحدهما محل الآخر، والتصحيح من يتيمة الدهر، ج ٤، ص ١١٨. وهذه الأبيات الثلاثة لها بيت رابع يسبقها، هو:
الشيخ أكبر من قولي وإكثاري ... لكن أحلّي بذكر الشيخ أشعاري
(٤) علي بن الحسين الحسني الهمذاني. صهر الصاحب بن عبّاد. الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٤٧٤.
(٥) أي باب الأمير، والمقصود الحجابة.
(٦) أي الوزير العتبي.
(٧) أي العطايا والهبات.

السّديد «١» أبي صالح «٢» إيثارا له بخدمته على نفسه، لكيسه وذكائه، ورضيّ شمائله وأنحائه «٣». فاستتم أبو الحسين العتبي الصنيعة عنده بالرفع منه، والتنويه به، والإشالة «٤» بضبعه «٥» وباعه «٦»، وتدريجه إلى المحلّ الذي توسّمه فيه لقوّته «٧» واضطلاعه. وجرت أمور ذلك الباب، بتعاضدهما على النصائح، وترافدهما على ارتهان المصالح، على أحسن الوجوه هيئة وجمالا، وهيبة وجلالا، ونفاذا للأوامر يمينا وشمالا.

واستخص أبا الحسين فائق الخاصة «٨» لطول خدمته «٩» للأمير السّديد، وحظوته عنده، واختصاصه برعايته، واشتراكه في وصايته، فكان شريكهما في التدبير، وصيانة هيبة السرير. وأقرّ أمر الجيش بخراسان «١٠» على أبي الحسن «١١» محمد بن [٢٢ أ] إبراهيم بن سيمجور، فتفرّد كل منهم بحماية الملك سدّا للثغور، وسياسة للجمهور، وحصدا لنواجم الشّرور «١٢»، إلى أن بدت أكمامها تنفتّق، وجيوبها تتخرّق. وكان من ذلك أمر سجستان،

---

(١) وردت في ب: السيد، والأصح ما أثبتناه، حيث إنه لقب الأمير أبي صالح منصور بن نوح (٣٥٠ - ٣٦٥ ه).
انظر: الكرديزي- زين الأخبار، ص ٢٥٨؛ جوزجاني- طبقات ناصري، ج ١، ص ٢١١.
(٢) إضافة من ب.
(٣) جمع نحو: القصد والطريق. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٣٠٩ (نحا).
(٤) أي الرفع. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٣٧٤ (شول).
(٥) الضّبع: العضد. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٢١٦ (ضبع).
(٦) وردت في الأصل: بلعه، والتصحيح من ب.
(٧) وردت في ب: في قوته.
(٨) وردت في الأصل: فايقا، والإضافة من ب، وهو عميد الدولة أبو الحسين فائق بن عبد الله الأندلسي الرومي الخاصة (ت ٣٨٩ ه). سمي بالخاصة لاختصاصه بالأمير السديد منصور بن نوح. السمعاني- الأنساب، ج ٢، ص ٣٠٩؛ وانظر: نيشابوري- تاريخ نيسابور، ص ١٧٣.
(٩) وردت بعد هذه الكلمة في ب: كانت، وهي زائدة.
(١٠) إضافة من ب.
(١١) وردت في الأصل: الحسين، والتصحيح من ب.
(١٢) وردت في ب: الشدور.

وسببه أن خلف بن أحمد «١»، كان [قد] استنصر «٢» الأمير السّديد، على طاهر بن الحسين، قريبه وخليفته على أعمالها، بعد انكفائه من حج بيت الله الحرام، وذلك في شهور سنة أربع وخمسين وثلثمائة لتمكنه كان من الولاية، واستظهاره بالمال والعدّة، واستمالته قلوب الأجناد، والرّعايا من أهل تلك الخطّة. فأحسن نصرته ومعونته «٣»، وكفاه كلفته ومؤونته، وأمدّه بمن استمدّه «٤» من كماة الجيوش،

لردّه إلى بيته، وتقرير مملكته في يده، فانحاز طاهر حين أحسّ بالمدد وكثرة العدد، إلى أسفزار «٥» حتى قرّ خلف قراره، ووضع عنه آصاره، وصرف عن ظهر الاستغناء أعوانه وأنصاره، ثم كرّ عليه كرّة أجلته عن داره، وطرحته إلى باذغيس «٦» فيمن نادى بشعاره. فعاود «٧» حضرة الأمير السّديد مستصرخا إياه، وضارعا إلى غوثه فيما دهاه، فأحسن لقياه، وأكرم مثواه، وأعاد تقويته وإنجاده، وكثّف بالخيول سواده، وردّه بهم إلى [٢٢ ب] سجستان، فوافق «٨» وصوله إليها مضي طاهر لسبيله، وانتصاب ابنه الحسين منصبه، ووراثته في الخلاف مذهبه، فحاصره خلف مناصبا له الحرب غاديا ورائحا،

(١) أمير سجستان (ت ٣٩٩ ه). عنه، انظر: تاريخ سيستان، ص ١٨١ وما بعدها؛ ابن الأثير- الكامل، ص ٧، ص ٢٨٨ وما بعدها، ص ٤٥١؛ الذهبي- سير، ج ١٣، ص ٦٥

(٢) وردت في الأصل: يستنصر.

(٣) وردت في الأصل: معاونته، والتصحيح من ب.

(٤) وردت في ب: استمدهم.

(٥) وتسمى أيضا سبزوار هراة (تمييزا لها عن سبزوار نيسابور): إحدى كور هراة. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٦٤؛ al Hudud -ﷺP lam, ١٠٤٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٢٩٥، ص ٢٩٨؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٥٢، ص ١٧٨؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٥٤.

(٦) كورة من ربع هراة بخراسان. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٦٨، ص ٢٨٥؛ al Hudud -ﷺP lam, ١٠٤٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٢٩٥، ٢٩٨؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٥٥، ص ٤٥٦.

(٧) أي خلف بن أحمد.

(٨) وردت في الأصل: ووافق، والإضافة من ب.

[و مماصعا ومكاوحا] «١» حتى كثر القتلى بين الفريقين، وطالت يد الانتصاف على أصحاب الحسين، فعندها كتب إلى بخارى متنصّلا عن سمة الخلاف، ومتلطّفا للاستفادة «٢» والاستعطاف، ومظهرا الطاعة في وفادة الحضرة، ومباشرة تراب الخدمة، حتى صادف إرخاء من ضيق الخناق، وفكاكا من شدّة الإرهاق، فأحسن ذلك الأمير إجابته، وقابل بالقبول «٣» إنابته، وسهّل إلى ورود الحضرة سبيله، وحقّق بالإحسان والإفضال تأميله.

واستقرّت أمور سجستان على خلف بن أحمد، فطالت عليها «٤» أيامه، وطارت فيها أوامره وأحكامه، وانبسطت بالعزّ يده وباعه، وتموّجت بذخائر الأموال رباعه وقلاعه.

وانقطعت عن بخارى موادّ خدمته وطاعته، وإعفائه «٥» بمال مواقفته، ومقابلة حق الاصطناع بواجبه. وانضاف إلى ذلك استهانته بالأوامر الصادرة إليه في حثه على رشده، ودعائه إلى ما يجمع صلاح يومه وغده، فجرّد عند ذلك الحسين بن طاهر [٢٣ أ] لمناهضته في جمرات «٦» خراسان ومشاهير رجالها، ومساعير أبطالها. فحصره في قلعة أرك «٧»، ودارك عليه الحرب زمانا طويلا، فلم يغن فتيلا «٨»، ولم يجد إلى الافتتاح سبيلا.

وجعل أبو الحسين العتبي يزيده عددا على عدد، وصفدا على صفد.

(١) إضافة من ب، المماصعة: المجالدة والمضاربة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٣٣٧ (مصع).

والمكاوحة: المقاتلة والخصومة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٥٧٥ (كوح).

(٢) وردت في ب: للاستقالة، وبالوجهين يستقيم المعنى.

(٣) وردت في الأصل: بالعيون، والتصحيح من ب.

(٤) وردت في الأصل: فيه، والتصحيح من ب.

(٥) إعطائه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٧٥ (عفا).

(٦) الجمرة: ألف فارس. وكل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يحالفون أحدا، ولا ينضمون إلى أحد. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ١٤٥ (جمر).

(٧) عنها، انظر: تاريخ سيستان، ص ٥، وقد ذكرها (أراك). أرك: قصر أو قلعة صغيرة مبنية وسط قلعة كبيرة معدة لسكن الملك أو حاكم المنطقة. التونجي- المعجم الذهبي، ص ٦١.
(٨) الفتيل: ما يفتل بين الإصبعين من الوسخ، وشق النواة. تضرب مثلا للشى ء التافه الحقير. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٥١٤ (فتل).
وكان من جملة القوّاد بها «١» كيتاش، وبكّاش، وإخوة الحسن بن مالك وأضرابهم من أنياب تلك الدولة ووجوه أنشائها، ورجوم سمائها. فطال هناك ثواؤهم، وقصر عن المراد غناؤهم «٢»، لمناعة الحصار «٣»، وحصانة سوره، وشدّة أغلاقه وسدوده. وأعيا الخندق المحيط به على الفارس أن يعبره ركضا، وعلى الراجل أن يقطعه خوضا، ولإرصاد خلف إياهم بفنون الحيل التي يقلّ استثباتها بالظن والحسبان، إيهاما للبيات، واطّلاعا على مأمون الجهات، وقذفا بجرب الأفاعي عن أفواه المجانيق والعّرادات «٤»، حتى يضطروا بذلك إلى الارتحال، والتنقّل في المضارب والمحال.
وبقوا هناك قرابة سبع سنين على هذه الجملة، حتى فنيت الرجال، ونزفت «٥» الأموال، وذهبت الحرائب «٦»، وعطبت المطايا والركائب. وكانت هذه من أوائل الوهن على تلك الدولة «٧». ومن هناك وهي «٨» العقد، وانبثق السّكر «٩»، وتزايد الفتق، [٢٣ ب] واتّسع الخرق. ولكلّ أمر أمد، ولكل أمّة أجل، ولكل ولاية نهاية، يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ «١٠».
وتذاكر أركان تلك الدولة «١١» فيما بين هذه الحال، لزوم صاحب الجيش

---

(١) أي بجمرات خراسان.
(٢) وردت في الأصل: غناءهم، والتصحيح من ب.
(٣) المقصود به الحصن أو القلعة. انظر: لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٣٥٧، ص ٣٧٦.
(٤) جمع عرّادة، وهي شبه المنجنيق، لكنها أصغر. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٢٨٨ (عرد)؛ وانظر: الرصافي- الآلة والأداة، ص ٢١٥.
(٥) وردت في ب: ترفت.
(٦) جمع حريبة، وهي المال الذي يسلب، وحريبة الرجل: ماله الذي يعيش به، والمسلوب منه. ولا يسمى بذلك إلا بعد ما يسلبه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٣٠٣ - ٣٠٤ (حرب).
(٧) وردت في الأصل: الوهلة، والتصحيح من ب.
(٨) أي ضعف. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٤١٧ (و هي).
(٩) السّكر: السد. انظر: لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٣٨٤؛ إبراهيم- ريف بغداد، ص ٢٨٣، ص ٢٩١.
(١٠) سورة الرعد، الآية ٣٩.
(١١) أي الدولة السامانية.

أبي الحسن «١» مكانه من نيسابور، كلا على صاحبه، لا يناهض خصما، [و لا يجبر وصما] «٢» ولا يفتح سدّا، ولا يحسن «٣» ردا، ولا يغمس في مصالح الدولة يدا. وتناضلوا بينهم ما كان الأمير السّديد يصطنعه «٤» عليه «٥» لالتزازه بالمكان، وجموده «٦» عن نصرة السلطان، وزيّنوا «٧» آراءهم على صرفه، والاستبدال به.
وكتب إليه في الصرف، وقلّد أبو العباس تاش ما كان يليه من الأمر، فلما ورد الرسول عليه، وأدّى ما تحمله على رؤوس الأشهاد إليه، أبت عليه الحميّة خطة الهوان، ولقّنته الأنفة كلمة العصيان، وطارت نعرة «٨» الخلاف في رأسه، فادّعى الأمر لنفسه، اتكالا على فرط قوته وبأسه، واعتزازا بأولاده وأعضاده، واستظهارا بجيوشه وأجناده. ثم بيّت التدبير، وخمّر الرأي والتفكير، فلم يرض بأن تتناقل الألسنة ذكر استعصائه، على شيخوخته في الدولة «٩»، وتناهي مدته في الخدمة، وتصوّر ما يتبع الخلاف من ركوب المصاعب التي [٢٤ أ] تسلب النفوس جمامها «١٠»، والعيون منامها، والأموال المذخورة نظامها، إلى ما فيه من التعرّض لمكروه النوائب، والتحكّك بمحذور العواقب. فرأى أن قبول الضّيم على السلامة من لواحق الآفات، أقرب إلى الصواب، وأبعد من المعاب.

ودعا الرسول فاستقاله عثرة ما قاله، وعرض صدق الطاعة، مشفوعا بفرط الخشوع والضراعة. وقال: إنما أنا نبعة غرسها السلطان بيده، وسقاها بماء كرمه، فله المشيئة في

____

(١) يقصد ابن سيمجور.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) وردت في الأصل: انحس، والتصحيح من ب.

(٤) وردت في الأصل: يضطغنه، والتصحيح من ب.

(٥) إضافة من ب.

(٦) وردت في ب: نموده، وبالوجهين يستقيم المعنى.

(٧) وردت في ب: بثواء.

(٨) وردت في ب: نغرة.

(٩) أي طول خدمته للدولة.

(١٠) أي راحتها. ابن منظور- لسان العرب، ج ١٢، ص ١٠٥ (جمم).

استبقائها للإثمار، أو اقتلاعها وإلقائها على النار.

وصرفه على جملة الطاعة، ولين المقادة، والبدار، إلى حيث يجلي إليه من ديار المملكة. وتلطّف لتسكين من كان يفتل في ذروته «١» من أهل بيته وأوليائه، بتسويله وإغوائه، فعل من استشف ببصيرته أستار المعائب «٢»، وأنفق عمره في تجارات التجارب.

ونهض إلى قهستان «٣» منتظرا ما يستأنف به «٤» أمره، ويقرّر عليه تدبيره، إلى أن رمى به في نحر خلف بن أحمد لإعضال دائه، وتجمير العساكر طول أيامها لفنائه «٥»، فبادر إلى سجستان، وبينه وبين خلف مودّة «٦»، وأسباب [على الأيام] «٧» مؤكّدة، فافتتح الرأي عليه بالنزول [٢٤ ب] للحسين بن طاهر عن متحصنه، والانتقال إلى غيره من معاقله، [ليصل بحبله، وينخرط هو ومن تحت رايته، في سلك خيله ورجله] «٨»، ليتسبب هو ومن كان من قبل محدقا به من أولياء تلك الدولة إلى الانصراف عن جنابه بعلّة الافتتاح، وظاهر النجاح، فاذا خلا وجهه له، ثنى العنان إليه منتصفا منه، وممضيا حكمه فيه. فقبل مشورته، وفارق أرك إلى حصار الطاق «٩»، حتى دخلها أبو الحسن بن سيمجور، وصلى الجمعة

____

(١) يقال: مازال فلان يفتل من فلان في الذروة أي يدور من وراء خديعته. ابن منظور- لسان العرب، ج ١١، ص ٥١٤ (فتل).

(٢) وردت في ب: العواقب.

(٣) ويسمى أيضا قوهستان: من أعمال خراسان، يقع بين سجستان، والمفازة الكبرى. قصبته قاين. انظر:

الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٥٤، ص ٢٧٣؛ al Hudud -ﷺP lam, ١٠٣٠ .؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٠١، ص ٣٢١؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٤٧؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٣٩٢، ص ٤٠٢.

(٤) وردت في الأصل: له، والتصحيح من ب.

(٥) وردت في ب: بفنائه.

(٦) وردت في ب: مودّة مؤيدة.

(٧) ساقطة من ب.

(٨) إضافة من ب.

(٩) قلعة حصينة في بلدة الطاق التابعة لسجستان. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٤٧؛ al Hudud -ﷺP lam, ١١٠٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٠٦؛ الكرديزي- زين الأخبار، ص ٢٨٥؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٤٦؛ إقبال- تاريخ إيران، ص ١٧٣؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٣٨٢، ص ٤١٤.

٥ ذكر حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب وانتقال السّالارية «2» إليه

بها مقيما رسم الخطبة للأمير الرضا، وطالعه بذكر ما فتح الله على يده، وسنّاه «١» من رتاج ذلك الأمر بجدّه وجهده، ورتّب الحسين بها أميرا، وقرّر أعمالها عليه تقريرا، وانصرف هو وراءه. وسنورد ما جرى من أمره من بعد في موضع مثله.

ذكر حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب وانتقال السّالارية «٢» إليه

ثم سيّر أبو العباس تاش من بخارى إلى نيسابور، على قيادة الجيوش وزعامة العساكر، وتدبير القاصي والداني من أمور الممالك، ووصل جناحه بفائق الخاصة، ونصر بن طز الشرابي «٣»، وبني مالك على نخامة أخطارهم، وجلالة أقدارهم. وسيّر تحت رايته أعيان الأولياء والحشم بعد أن أزيحت علته فيما سأل «٤» واقترح من الأموال والأسلحة والعتاد «٥» والعدّة، [٢٥ أ] فوردها سنة إحدى وسبعين وثلثمائة في آلة راعت الأبصار، وهيئة أعجبت النظّار، وهيبة «٦» شحنت الجوانب والأقطار، [و حكت الرمل والنمل والأمطار. واستقر على سرير سالاريته] «٧»، ودبر الأمور بصرامته، ونظم المنثور بفرط حزامته، وتألّف الجمهور برفق سياسته وزعامته «٨».

ووافق تلك الأيام انقطاع شمس المعالي قابوس بن وشمكير «٩»، ونخر الدولة

---

(١) فتحه وسهّله. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٤٠٤ (سنا).

(٢) قيادة الجيش. انظر: البيهقي- تاريخ، ص ٧٠٨، ص ٨٠٢؛ التونجي- المعجم الذهبي، ص ٣٢٧، ص ٣٣٢.

(٣) عنه، انظر: الكرديزي- زين الأخبار، ص ٢٥٣؛ الثعالبي- آداب الملوك، ص ٤٧.

(٤) وردت في ب: شاء. والمقصود بالعبارة: أجيب طلبه.

(٥) ورد بعد هذا حرف ذال زائد، لحذفناه.

(٦) وردت في ب: جيوش.

(٧) ساقطة من ب.

(٨) وردت في الأصل: فزعا منه، والتصحيح من ب.

(٩) وردت في الأصل: وشمكين، وهو أمير طبرستان والجبل وجرجان من الزياريين (ت ٤٠٣ ه). عنه، انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٦٧؛ ابن الجوزي- المنتظم، ج ١٥، ص ٩٥؛ ياقوت- معجم الأدباء، ج ٤، ص ٥٦٩؛ ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٨١.

أبي الحسين علي بن بويه «١» إلى نيسابور عن حرب جرت «٢» بين مؤيد الدولة بويه «٣»، وبينهما. وسببها «٤» أن عضد الدولة أبا شجاع «٥» كان قصد نخر الدولة وهو أخوه لإجلائه عن ولايته التي كان أبوه ركن الدولة «٦» أوصى بها له، وعقد الوثيقة على كل منهما به على الجملة التي أشار إليها أبو إسحاق الصابي في كتابه المعروف ب (التاجي). ودبّر ودسّ إلى أهل عسكره من استمالهم عنه، وأغراهم به، فلما ناهضه وهو إذ ذاك بهمذان «٧»، وتدانت الخطى بينهما، خفّ معظم جيوشه إلى عضد الدولة مستأمنين، وولّوه أعقاب الغدر هاربين. فلما آنس خذلانهم إياه، وكفرانهم نعماه، وبالأمس ما قد رأى ابن عمه

---

(١) أول من ظهر من الديلم (ت ٣٣٨ ه). عنه، انظر: مسكويه- تجارب الأمم، ج ٥، ص ٣٨٦؛ المنتظم، ج ١٤، ص ٧٧؛ جوزجاني- طبقات ناصري، ج ١، ص ٢٢٠؛ ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٦٢٠.

(٢) وردت في الأصل: حر حر؟؟؟، بدون نقط، والتصحيح من ب.

(٣) أبو منصور بويه بن ركن الدولة بن بويه (٣٣٠ - ٣٧٣ ه). عنه، انظر: مسكويه- تجارب الأمم، ج ٦، ص ٤٦٥؛ ابن الجوزي- المنتظم، ج ١٤، ص ٢٤٣، ص ٣٠١ - ٣٠٣؛ ابن الأثير- الكامل، ج ٧، ص ١٦٨، ص ٢٥٢، ص ٣٩٣، ص ٤٠٩؛ جوزجاني- طبقات ناصري، ج ١، ص ٢٢١؛ ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٦٢، ص ٥٦٤، ص ٥٦٥، ص ٥٦٧، ص ٦١٤، ص ٦١٩.

(٤) وردت في الأصل: سبها، والتصحيح من ب.

(٥) أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة بن بويه (ت ٣٧٢ ه). عنه، انظر: مسكويه- تجارب الأمم، ج ٦، ص ٣٥٤، ص ٣٨٥، ص ٣٨٩، ص ٤٠٦، ص ٤١٠، ص ٤١٢، ص ٤٥٣، ص ٤٦٤؛ ابن الجوزي- المنتظم، ج ١٤، ص ٢٤٣، ص ٢٤٧، ص ٢٨١، ص ٢٩٠ - ٢٩٧؛ ابن الأثير- الكامل، ج ٧، ص ٤٠٤ - ٤٠٦؛ جوزجاني- طبقات ناصري، ج ١، ص ٢٢١؛ ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٦١٧ - ٦١٩.

(٦) أبو علي الحسن بن بويه (ت ٣٦٦ ه)، والد كل من: عضد الدولة، ونخر الدولة، ومؤيد الدولة. عنه، انظر: مسكويه- تجارب الأمم، ج ٦، ص ١٣٩، ص ١٩١، ص ١٩٣؛ ابن الجوزي- المنتظم، ج ١٤، ص ٤٢، ص ٥٤، ص ٢٤٣، ص ٢٤٩؛ ابن الأثير- الكامل، ج ٧، ص ١٤٧، ص ١٤٨، ص ١٦٧، ص ٢١٩، ص ٢٢٥، ص ٢٤٦، ص ٢٧٤، ص ٣٦٤؛ ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٦١٤.

(٧) مدينة في وسط إقليم الجبال. انظر: المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٨٦؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ٥، ص ٤١٠؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ٧١؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٢٢٩.

بختيار «١» كيف قطع رحمه، وأريق دمه، خالفهم إلى طريق الدّيلم «٢» هائما على وجهه، [٢٥ ب] وناجيا بحشاشة «٣» نفسه، ومتقيا بركوب شعابها «٤» المضطربة، وآجامها الأشبة «٥»، محاذرة من مسّ الطلب، وركض الأكراد والعرب. وتوغل تلك البلاد طاويا مسافتها إلى جرجان «٦»، حتى ألمّ بشمس المعالي قابوس بن وشمكير لاجئا إليه، ومستأمنا إياه، فأمّنه وآواه، ومهّد له ذراه، وأعطاه فوق ما تمناه، وأشركه فيما ملكت يداه، حتى جعل الملك- وهو العلق «٧» الذي طالما ضنت النفوس بابتذاله- وقاية له دون من همّ باغتياله، وسعى في استفساد حاله.

وبيان ذلك أن عضد الدولة ومؤيدها أرسلا إليه رسولا «٨» يستردّانه على شرط أموال تحمل إليه، وولايات عريضة تضاف إلى ما في يديه، وعلى مواثيق تستأنف في التعاقد على الصفاء والتعاون في حالتي السّرّاء والضّرّاء.

---

(١) عز الدولة أبو منصور بختيار بن معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه (ت ٣٦٧ ه). عنه، انظر: مسكويه- تجارب الأمم، ج ٦، ص ١٩٦، ص ٣٥٨، ص ٣٦٩، ص ٣٧٤، ص ٣٨١، ص ٣٨٥، ص ٣٨٧، ص ٤٠٥، ص ٤١٤، ص ٤٢٣، ص ٤٢٦، ص ٤٢٩؛ ابن الجوزي- المنتظم، ج ١٤، ص ١٨٢، ص ٢٥٢، ص ٢٥٦؛ ابن الأثير- الكامل، ج ٧، ص ٢٩٩، ص ٣٠٤، ص ٣٣٩ - ٣٤٣، ص ٣٤٦ - ٣٤٨، ص ٣٥٢، ص ٣٥٤، ص ٣٧٨؛ جوزجاني- طبقات ناصري، ج ١، ص ٢٢١، ص ٢٢٢؛ ميرخوند- روضة الصفا، ج ٣، ص ٥١٠ - ٥١٢، ج ٤، ص ٦١٤ - ٦١٨، ص ٦٢٢.

(٢) يقصد بالديلم خمس كور هي: قومس، وجرجان، وطبرستان، والديلمان، والخزر. سميت بذلك لأنها موطن الديلم. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٠٤؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٥٣؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٢٠٧.

(٣) وردت في الأصل: بحساسة، والتصحيح من ب.

(٤) أي شعاب جبالها.

(٥) الغيضة الملتفة الشجر. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٢١٤ (أشب).

(٦) هو الإقليم الواقع جنوب شرق بحر قزوين. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢١٢؛ al Hudud -ﷺP lam, ١٣٠. ؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ٢، ص ١١٩؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٥٩؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤١٧.

(٧) النفيس من كل شيء. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٢٦٨ (علق).

(٨) وردت في ب: رسولا إليه.

فرجع إليهما أن الرجاء رحم، والوفاء كرم، وأن للأمان عنده حرمة لا يرى إخفارها «١» في دين المروّة، وشرط الحفاظ والفتوّة، وعساه لو همّ به أو كاد أن تأتي عليه بيض المواضي، وزرق الأسنة والعوالي، فأحفظهما «٢» هذا الجواب وحرّضهما على مكاوحته، وانتزاع مملكته من يده.

وكتب أبو شجاع إلى أخيه مؤيد الدولة بمناهضته بعد أن أمده بما فوق الحاجة من بهم «٣» الرجال، ونفائس [٢٦ أ] الأموال، فبرز من الرّي «٤» متوجها نحو جرجان، في جيوش الديلم والترك والعرب، وسار إلى استراباذ «٥» متغلبا على كل ما يرده من بلاد طبرستان

«٦»، إلى أن أناخ بها.

وكان شمس المعالي قابوس بادره إليها، وجمع عسكره بها، فلما تلاقيا تناوشا الحرب من لدن طلوع الشمس إلى الزوال، حتى احمرّ بساط الأرض من دماء الأبطال، ثم اتجهت على عسكر الجيل «٧» كشفة أعياهم ضبطها لزوال الأقدام عن المقام، فتفرّقت

____

(١) وردت في الأصل: إحمارها، وفي ب: اخفارها، والأصح ما أثبتناه، وهو انتهاك الذمة ونقض العهد. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٢٥٣ (خفر).

(٢) أي أغضبهما. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٤٤٢ (حفظ).

(٣) جمع بهمة، وهو الفارس الشجاع. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٥٨.

(٤) مدينة تقع في الطرف الشمالي الشرقي من إقليم الجبال، وتسمى المحمدية، قرب طهران الحالية. انظر: al Hudud -ﷺP lam,

١٣٢٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٩٠؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ٣، ص ١١٦؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ٥٢ - ٥٦؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٢٤٩، ص ٢٥٢.

(٥) بلدة من أعمال طبرستان، بين سارية وجرجان. ضبطها السمعاني بكسر الألف، وضبطها ياقوت بفتحها. انظر:
al- Hudud ﷺlam, P. ١٣٤

؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٥٨؛ السمعاني- الأنساب، ج ١، ص ١٣٠؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ١، ص ١٧٤؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤١٩.

(٦) وتسمى (مازندران) أيضا. هو الإقليم الواقع جنوب بحر قزوين، بين جرجان وجيلان. وقصبته مدينة آمل. انظر:

الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢١١؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٥٣، ص ٣٥٤، ص ٣٥٩؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٠٩.

(٧) يقصد جيش قابوس بن وشمكير. والجيل: أهل إقليم جيلان الواقع جنوب بحر قزوين انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٠٥؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٥٥؛ الصابي- المنتزع، ص ٣٨؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٠٢؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٢٠٦.

جموعهم في خمر «١» الغياض والآجام. وعطف شمس المعالي إلى بعض قلاعه المشحونة بذخائر أمواله، واستظهر عنها «٢» بالأهبة للغربة، وسار نحو نيسابور. فلما وردها لحق به فخر الدولة من طريق أستوا «٣» فالتقيا «٤» هنالك، واجتمع إليهما من فرّقته الكشفة في الطرق المختلفة من طبقات الرجال. وكتب إلى الأمير أبي القاسم نوح بن منصور والي خراسان بحالهما في قصد دولته، وتأميل الانتعاش بعونه ونصرته، وافتكاك ما غصبا عليه من الولايات بعزّ دعوته. فورد عليهما من الجواب الضّامن للإيجاب، ما شرح صدورهما «٥»، وشدّ بالنّجح «٦» القريب ظهورهما. وكتب إلى أبي العباس تاش بإجلال محلهما، وإكبار قدرهما، وإكرام جوارهما، وتقديم الاحتشاد لردّهما [٢٦ ب] إلى ديارهما. ففعل ما رسم، وتلقى بالامتثال ما حتم. وعطفت إليه أعنّة الخيول من كل وجه، حتى استظهر بنخب الرجال، وعزم على الارتحال، ونهض من نيسابور قاصدا قصد جرجان إذ «٧» كان مؤيد الدولة بويه «٨» بها لينتزع ولاية الأمير شمس المعالي أولا من يده، ثم يتفرغ من التدبير فيه إلى غيره.

وعنّ له أن يسرّح فائقا على سمت قومس «٩» والري ليقطع الإمداد والمواد عنه،

____

(١) الخمر: ما واراك من الشجر والجبال ونحوها. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٢٥٦ (خمر).

(٢) أي منصرفا عنها.

(٣) إحدى نواحي نيسابور، متصلة بحدود نسا. انظر: المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٠٠؛ السمعاني- الأنساب، ج ١، ص ١٣٤؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ١، ص ١٧٥؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٥٠؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٣٥.

(٤) وردت في الأصل: فالتقتا، والتصحيح من ب.

(٥) كقوله تعالى: فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما سورة التحريم، الآية ٤. فلم يقل: قلباكما. وهكذا في: (ظهورهما) التي سترد بعدها.

(٦) الظفر. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٦١١ (نجح).

(٧) وردت في الأصل: ان، والتصحيح من ب.
(٨) وردت في الأصل: بوان، والتصحيح من ب.
(٩) إقليم صغير بين طبرستان في الشمال، والمفازة الكبرى في الجنوب، قصبته دامغان. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢١٠؛ al Hudud -ﷺP lam, ١٣٥٠ ؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ٤، ص ٤١٤؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٦١؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٠٤.

ويلبس أخبار تلك الديار عليه، فيزيده شغل النفس «١» بتوجه الجيوش إليه من وجهين، وإحداقهم به من جانبين، فنهض على السمت المذكور، ثم بدا له فيما دبّر ورأى أن التّحزّب للاستظهار على الوجه الواحد أصوب، ومن الحزم والاحتياط أقرب، فاسترده من وجهه إلى آزاذوار «٢» فاجتمعا على التضافر، واتفقت آراؤهم «٣» على التساير.

وسار حسام الدولة تاش في تلك العساكر إلى باب جرجان وفيهم شمس المعالي، ونخر الدولة حتى أناخوا بظاهرها. وتحصن مؤيد الدولة بويه بها، واحتجز بخندق قعّره، ومخترق غوّره، وفروج للبلد حصّنها، ودروب بحفظة الرجال شحنها.

ومادّهم «٤» الحرب حتى غبر شهران كيوم واحد [٢٧ أ] في مداومة الكفاح، وملازمة السلاح. وضاق الطعام في ربض جرجان، حتى أعيا الديلم قوتهم الذي يحفظ على الثبات قوّتهم، فكانوا يرزأون من نخالة الشعير المعجونة بالطين، وعهدي بهم يدرجون كتبهم إلى أهاليهم بالري أشباه الفراخ «٥»، يظهرون «٦» فيها شكوى الحال والهزال، فكانت كأقراص المداد في السواد.

وزحف الفريقان بعضهم إلى بعض، وكان نخر الدولة على الميسرة مقابلا لعلي بن كامه «٧» صاحب جيش مؤيد الدولة، فأظهر الغناء «٨» وأحسن البلاء، وحمل عليه

____
(١) وردت في ب: قلب.
(٢) وردت في ب: ازدوار، والأصح ما أثبتناه. وهي بليدة في أول كورة جوين من جهة أعمال نيسابور. ياقوت- معجم البلدان، ج ١، ص ٥٣.
(٣) وردت في الأصل: اراءهم، والتصحيح من ب.
(٤) أي ماطلهم. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٤١٢ (ميد). والمقصود مؤيد الدولة.
(٥) وردت في ب: الفراريج يظهرن، قال الشيخ المنيني: المقصود أنهم كانوا يرفقون رسائلهم إلى أهلهم أرغفة تشبه الأرغفة التي يصنعها أهل جرجان للفراريج، والمعمولة من النخالة وعصارة السمسم، وهي في غاية السواد، تعطى للفراريج لتسمينها. وورد خبر المجاعة عند: ابن الأثير- الكامل، ج ٧، ص ٣٩٨؛ ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٦٥ دون الإشارة إلى الكتب المرسلة.
(٦) إضافة من ر.
(٧) عنه، انظر: ابن الأثير- الكامل، ج ٧، ص ٢٣١، ص ٢٣٤، ص ٢٦٣، ص ٤١٩.
(٨) وردت في الأصل: الغنا. والغناء: النفع. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ١٣٦ (غنا).

حملة زحزحته عن مقامه كليما، وطرحته إلى استراباذ هزيما. ولو أعين بمدد في الحال، لفسح له ضيق المجال، وجعلها آخرة القتال. لكن القوم نافسوه فخذلوه، لا جرم أن كوكبة من كتائب الديلم، عطفت على من تشاغل بالنهب والإغارة من أوباش الخراسانية «١»، فطبقوا عليهم حبالة «٢» الأسر والحيف «٣»، ثم عرضوا عن آخرهم على السيف.

وورد بعد ذلك على أبي العباس تاش أبو سعيد الشبيبي «٤» في رجال من أجلاد «٥» جنود خوارزم «٦»، وقّاد الضّرام، وأبناء الشهامة والسّهام «٧». واقترح «٨» الحرب بهم، فلم يضعوا نبالهم إلا في منافس الأشداق، ومواضع الثغر والأحداق، وأفشوا العور «٩» والقتل في الديلم ثم تحاجزوا «١٠» يومهم ذلك. ولم يزل يقوم «١١» الحرب [٢٧ ب] بينهم على ساقها «١٢»

____
(١) وردت بالأصل: الخراسان، والتصحيح من ب.
(٢) المصيدة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ١٣٦ (حبل).
(٣) ساقطة من ب.

(٤) أبو سعيد أحمد بن شبيب الشبيبي، يسمى صاحب الجيشين، وشيخ الدولتين، لأنه خدم السامانيين والبويهيين، يعد من الفرسان الشعراء. عنه، انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٢٧٧.
(٥) إضافة من ب.
(٦) إقليم يقع جنوب بحيرة خوارزم (بحر آرال). يشقه نهر جيحون نصفين، ما دون النهر وقصبته: كركانج وسماها العرب الجرجانية، وهي اليوم أور كنج، وما وراء النهر وقصبته: كاث، وهي قصبة الإقليم. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٩٩؛ Hudud al- ﷺP lam, ١٢١٠ ؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٩٥؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ٢٥٨؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٨٩.
(٧) وردت هذه الجملة في ب مختلفة اللفظ، متشابهة المعنى.
(٨) وردت في ب: فاقتدح، وبالوجهين يتم المعنى.
(٩) وردت في الأصل كلمة غير مقروءة، كأنها (العمى)، والإضافة من ب.
(١٠) ورد بعد هذا في الأصل: (ثم تحاربوا لرميهم)، وفي ب: (ثم تجارحوا يومهم ذلك)، وبالوجهين لا يستقيم النص. وسقطت هذه العبارة من ر.
(١١) وردت في ب: ولم تزل تقوم. والحرب تؤنث وتذكر. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ (حرب).
(١٢) كناية عن ضراوة الحرب.

ظاهرة وغبّا «١»، فينتصف البعض فيها من البعض.
وكان أبو الفضل الهروي المنجّم أشار على مؤيد الدولة بمصابرتهم إلى أن يبلغ المرّيخ درجة الهبوط، فيجعلها واحدة عليهم منجحا أو مخفقا، فأسرّ ذلك في نفسه، واستعدّ لوقته. فلما كان يوم الأربعاء من شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وثلثمائة ثار بنفسه وعسكره وعساكر أخيه على اختلاف أجناسهم. وكان أهل خراسان يظنون «٢» أن حربهم تلك عارض ينقشع، [و] عن قريب على الرسم في مثله يندفع، فلما رأوها غماما ركاما «٣»، وشاهدوها غراما ولزاما، أقبلوا عليها مضطرين، فإذا الأمر إدّ «٤»، والخطب جدّ، والحد حديد، والبأس شديد.
وبرز «٥» الديلم من وراء الخنادق إلى العراء محرجين من جهد البلاء، وضنك البؤس واللأواء «٦»، فاستعرت وقدة الحرب، ودارت رحى الطعن والضرب، وتحدث الناس بأن مؤيد الدولة قد خبّب «٧» فائقا وأضرابه بمال حمله إليهم سرا، وأطمعهم في أمثاله حيلة ومكرا، وواطأهم على التساهل في الحرب لليوم المرقوب، والأجل المضروب.
فلما حمل عسكر الديلم «٨» من تعبئتهم «٩»، ولّوا أولئك أدبارهم نفورا. وثبت [٢٨ أ] حسام الدولة «١٠» تاش، ونخر الدولة في القلب يتضاربان بالسيوف والقراتكينيّات، ويردّان

---

(١) الغبّ: ورد يوم، وظمأ آخر. ومن كلام العرب. لأضربنك غب الحمار، وظاهرة الفرس. فغب الحمار أن يرعى يوما ويشرب يوما، وظاهرة الفرس أن تشرب كل يوم نصف النهار. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٦٣٥ (غبب).
(٢) وردت في ب: يضنون.
(٣) وردت في الأصل: زكاما، والتصحيح من ب.
(٤) الأمر العظيم، والداهية، والشدّة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٧١ (أدد).
(٥) وردت في الأصل: بدر، والتصحيح من ب.
(٦) الشدّة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٢٦٧ (لوي).
(٧) خدع. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٣٤٢ (خبب).
(٨) وردت في ب: الدولة.
(٩) وردت في ب: ميمنتهم.
(١٠) ساقطة من ب.

الحملات المتداركة «١» بصدق النية «٢» في «٣» الثبات، إلى أن ألقت ذكاء «٤» يمينها في كافر، وقد انهزمت الجيوش وتفرقت تلك

الجموع، فخذّره نخر الدولة فضل المقام لتكاثر الأقبال «٥» من كل وجه عليه، وتوجه الأطماع من كل أوب إليه. فانقلب إذ ذاك يريد المعسكر، فساخت «٦» قوائم الفيل الذي كان حصن القلب في بعض تلك المخاضات، وأعجله حرّ الأمر عن التوقف لإزعاجه «٧» وإخراجه، فتركه على حاله، ونجا برأسه وترك المعسكر شاغرا بما فيه من الأموال المعدّدة، والأسلحة المنضّدة، والغلمان الحصارية، والغلات المجموعة. ومضى على حاله إلى أن عاود نيسابور، فدخلها ليلا، وكتب إلى بخارى بخبر الوقعة «٨»، وما حدث من الرجعة. فعاد الجواب بتقوية الآمال، وتمنية الرجال، وتهيئة الأمداد والأموال. وطيّر الصاحب «٩» كتبه في الأطراف بذكر الفتح على ما تنطق «١٠» به رسائله.

وأنشدني البجلي «١١» الشاعر لنفسه في مؤيد الدولة من قصيدة قوله:

ما هال غيرك في هيجاء ملحمة ... مذكورة آل سامان وسامانا

____

(١) وردت في ب: المتداركات.

(٢) وردت في ب: النيات.

(٣) وردت في الأصل: لا، والتصحيح من ب.

(٤) اسم الشمس، مشتق من ذكت النار تذكو. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٢٨٧ (ذكا). وكافر كناية عن الليل. والمقصود إن الشمس أخذت في الغروب.

(٥) وردت في الأصل بدون نقط، والتصحيح من ب.

(٦) غاصت. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٢٧ (سوخ).

(٧) وردت في الأصل: ازعاجه، والإضافة من ب.

(٨) وردت في الأصل: الواقعة، والتصحيح من ب.

(٩) أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد بن العباس الطالقاني، يلقب بالصاحب لأنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد. تولى الوزارة لعدد من الأمراء البويهيين، (ت ٣٨٥ ه). عنه، انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ص ٢٢٥؛ ابن خلكان- وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٢٨؛ القوبائي- الإرشاد في أحوال الصاحب الكافي إسماعيل بن عباد.

(١٠) وردت في الأصل: ينطق، والتصحيح من ب.

(١١) أبو نصر عبد الله بن محمد البجلي الاسترابادي. الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٥٥.

فاكتب لمن ببخارى أمنة فلقد ... غادرته عند نوم الناس يقظانا [٢٨ ب]

والبجلي هذا، مطبوع الشعر، مسبوك النقد، سديد «١» البديهة، شديد العارضة، انقطع «٢» إلى الأمير شمس المعالي بجرجان في آخر أيامه، ففرض له في جملة حاشيته إلى أن قضى نحبه. فمن شعره فيه من قصيدة «٣»:

لله شمسان تذكير لخيرهما ... وللمؤنثة النقصان ملتزم

أزرى بتلك سنا من غير معرفة ... فيها وزيّن هذا العلم «٤» والكرم

يا أيها الملك الميمون طائره ... وخير من في الورى «٥» يمشي به قدم

لو كنت من قبل ترعانا وتكنفنا «٦» ... لما تهدّى إلينا الشيب والهرم

ووصف أبو الحسن «٧» الجوهري «٨» رحمه الله الفيل المقبوض عليه في الحمأ اللازب «٩»، بقصيدة «١٠»، وهي:

قل للوزير وقد تبدّى ... يستعرض الكرم المعدّا

____

(١) وردت في الأصل: شديد، والتصحيح من ب.

(٢) وردت في الأصل، وفي ب: فانقطع، فحذفنا الفاء.

(٣) وردت عند: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٥٥.

(٤) وردت عند الثعالبي: المجد.

(٥) وردت في الأصل: القرى، والتصحيح من ب، والثعالبي.
(٦) وردت عند الثعالبي: تحرسنا.
(٧) وردت في ب: الحسين، وهو خطأ.
(٨) أبو الحسن علي بن أحمد الجوهري، أحد شعراء جرجان. عنه، انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٢٩.
(٩) أي الطين الأسود اللاصق. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٧٣٨ (لزب). وورد بعدها في ب: (و ذلك أن الفيل ساحت يداه في بعض المخاضات). لم نضفه لأن فيه تكرارا.
(١٠) حينما غنم البويهيون هذا الفيل، أمر الصاحب بن عباد شعراءه أن يصفوه في قصيدة على وزن وقافية قصيدة عمرو ابن معدي كرب:
أعددت للحدثان سا ... بغة وعدّاء علندى
وقد أورد هذه القصيدة: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٧١.

أفنيت أسباب العلى ... حتى أبت أن تستجدّا
لو مسّ راحتك السحا ... ب لأمطرت كرما ومجدا
لم ترض بالخيل التي ... شدّت إلى العلياء شدّا
وصرائم الرأي التي ... كانت على الأعداء جندا
حتى دعوت إلى الهدى «١» ... من لا يلام إذا تعدّى
متقمّصا «٢» تيه العلو ... ج وفطنة أعيت معدّا
متعسفا طرق العوالي ... حيث لا يستاف «٣» قصدا «٤» [٢٩ أ]
فيلا «٥» كرضوى حين يلبس ... من رقاق الغيم بردا
مثل الغمامة ملّئت ... أكنافها برقا ورعدا
رأس كقلة شاهق ... كسيت من الخيلاء جلدا
فتراه من فرط الدلا ... ل مصعّرا للناس خدّا
يزهى بخرطوم كمثل ... الصولجان يردّ ردّا
متمدد «٦» كالأفعوان ... تمدّه الرّمضاء مدّا
أو كمّ راقصة تشير ... به إلى الندمان وجدا
أو كالمصلّب شدّ ... جنباه إلى جذعين شدّا «٧»
وكأنه بوق يحرّكه ... لينفخ فيه جدّا
يسطو بساريتي لجين ... يحطمان الصخر هدّا

____
(١) وردت عند الثعالبي: العدى.
(٢) وردت عند الثعالبي: متقصيا.
(٣) وردت في الأصل: يستاق، والتصحيح من ب، ور.
(٤) هذا البيت لم يرد عند الثعالبي.
(٥) من هنا، بدأ الخط يتغير في الأصل، فصار مشكولا مقروءا بصعوبة.
(٦) وردت عند الثعالبي: متمرد.
(٧) هذا البيت لم يرد عند الثعالبي.

أذناه مروحتان أسندتا ... إلى الفودين عقدا
عيناه غائرتان ضيّقتا ... لجمع الضوء عمدا «١»

فكّ كفوّهة «٢» الخليج ... يلوك طول الدهر حقدا
تلقاه من بعد فتحسبه ... غماما قد تبدّى
متنا كبنيان الخورنق ... ما يلاقي الدهر كدّا
ردفا كدكّة عنبر ... متمايل الأوراك نهدا [٢٩ ب]
ذنبا كمثل السوط يضر ... ب حوله ساقا وزندا
يحظو على أمثال أعمد ... ة الخباء إذا تصدّى
أو مثل أميال «٣» نضدن ... من الصخور الصمّ نضدا
متورّدا «٤» حوض المنية ... حيث لا يشتاق وردا
متملّكا فكأنه ... متطلّب ما لا يؤدى «٥»
متلفّعا بالكبريا ... ء كأنه ملك مفّدى
أدنى إلى الشي ء البعيد ... يراد من وهم وأهدى
أذكى من الإنسان حتى ... لو رأى خللا لسدّا
لو أنه ذو لهجة ... وفّى كتّاب الله سردا
عقّته أرض الهند حتى ... حلّ من زهو هرندا «٦»

____

(١) أورد الثعالبي بعد هذا البيت:

قاسوه باسطر لاب يج ... مع ثقبه ما لن يحدّا

(٢) وردت في ب: كفوحة. وهذا البيت لم يرد عند الثعالبي.

(٣) جمع ميل، وهو منار يبنى على طرق السفر كي يهتدي به المسافرون. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٦٣٩ (ميل).

(٤) وردت عند الثعالبي: متورد.

(٥) هذا البيت لم يرد عند الثعالبي.

(٦) هرند: سيفسره العتبي بعد القصيدة.

قل للوزير عبدت حتى ... قد أتاك الفيل عبدا
سبحان من جمع المحا ... سن عنده قربا وبعدا
لو مسّ أعطاف النجوم ... جرين في التربيع سعدا
أو سار في أفق السماء ... لأنبتت زهرا ووردا
يا أيها الملك الذي ... أجدى وعلّم كيف يجدى «١»
ما بال عبدك لا يرى ... لتأخر التشريف حدّا [٣٠ أ]
برد الزمان وليته ... مما يلاقي مات بردا
قد صدّ عني تلكم الآ ... لاء حاشى أن تصدّا

وهرند نهر جرجان الذي جرت تلك الحروب على سواحله، وهو يتلوّى في أرض جرجان تلوّي الحيّات، كثير الأوبات «٢» والعطفات «٣»، ومنابع عيونه جبال دينار زارية «٤»، تنصب «٥» العين منها إلى العين حتى تملأ النهر وتدهده الصخر.

نعم، وواصل أبو الحسين العتبي كتبه إلى ولاة الأطراف بخراسان «٦» في استنهاضهم واستنفارهم لينحدر بهم إلى مرو «٧»، ويجتمع معهم بها، ثم يقبل بهم وبمن يستجيشه من رجالات خراسان على رفو ذلك الخرق، ورتق ذلك الفتق، ومحو سمة

____

(١) هذا البيت وما يليه لم ترد عند الثعالبي.

(٢) ورد في ب: الأوراد.

(٣) انظر: al Hudud -ﷺlam P, ٧٧٠ .

(٤) ذكر الاصطخري (دينارزاري): قرية في الطريق من جرجان إلى نيسابور. الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢١٧؛ وكذلك المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٧٢. وقال عنها الإدريسي: مدينة صغيرة عامرة. نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٦٨٩ - ٦٩٠. وانظر: al Hudud -ﷺlam P, ٦٤٠ P, ٢٠٠٠ .
(٥) وردت في الأصل: ينصب، والتصحيح من ب.
(٦) وردت بعدها: (على رفو ذلك)، وهي زائدة كما سيتبين، نحذ فناها.
(٧) هنالك مروان: مرو الشاهجان وهي الكبرى، ومرو الروذ وهي الصغرى، وباسمها يسمى أحد أرباع خراسان.
انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٥٨؛ al Hudud -ﷺlam P, ١٠٥٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٢٩٩؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٥٦؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٣٩.

العجز، واستعادة رونق الملك. وأقبل يستعدّ للأمر بجدّه وجهده، ويواصل الكتب بجميل «١» وعده.
وخلع الرضا «٢» عليه خلعة جمع له بها بين تدبير الأقلام والقواضب، وأضاف له إلى بزّة الكتّاب زي أرباب الكتائب، فكانت خلعة خالعة لروحه، قاطعة لعمره، خاتمة لأمره «٣». وذلك لأن أبا الحسن بن سيمجور كان يشكو «٤» إلى فائق ما دهاه، من قصده إياه، حين عزله عما كان يليه، وكاده في نفسه وذويه. ولم ينفك يرصده بالغوائل، ويطلبه بوجوه الأوتار «٥» والطوائل «٦»، إلى أن أشار فائق عليه بطائفة من [٣٠ ب] الغلمان السديديّة «٧» الذين كانوا رؤوس «٨» أضرابهم في السّفه والشّغب، والتحكم في المطالب بفرط القوة والغلب، ودسّ إليهم من أغراهم به «٩» بسفاتج «١٠» ينجزها إليهم، حتى تآمروا «١١» بينهم على قتله، وتجمعوا على الفتك به مغتنمين خلوّ بخارى عمّن يحتمي له أو يحامي عليه.
وأحس أبو الحسين بما دبّر من الأمر، وأشفق على نفسه مما استطار من شر الشرّ، فشكا إلى الأمير الرضا صورة الحال، وما أرصد به من الاغتيال، فبعث إليه بعدّة من القوّاد لمرافقته إلى الدار، إجارة له مما كان يخشاه، وصيانة لروحه عما تحاماه، فتسامع طائفة

____
(١) وردت في ب: بجميد.
(٢) أي الأمير نوح بن منصور الساماني.
(٣) لجسامة المسؤولية.
(٤) وردت في الأصل، وفي ب: يشكوا.
(٥) جمع وتر وهو الثأر أو الظلم في أخذ الثأر. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٢٧٤ (وتر).
(٦) جمع طائلة وهي العداوة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٤١٤ (طول).
(٧) نسبة للأمير السديد منصور بن نوح الساماني.
(٨) وردت في الأصل: رؤس.
(٩) أي بالوزير أبي الحسين العتبي.
(١٠) إيصال مالي. انظر: الدوري- تاريخ العراق، ص ١٩٥.
(١١) وردت في الأصل، وفي ب: توامروا.

من المشتركين في التدبير عليه بخبره، فطاروا بأجنحة الركض على أثره، ووضعوا فيه السيوف والدبابيس حتى أثخنوه ضربا وحطما، ورضّا وقصما «١»، وأشفق من كان في مسايرته على أنفسهم، نخذلوه وأهملوه، فكان مثله كما قيل:
كليه وجرّيه ضباع «٢» وأبشري ... بلحم امرى ء لم يشهد اليوم ناصره
وترك في الشارع صريعا، يمجّ دما نجيعا، وعندهم أنه [٣١ أ] قتيل، وأن ليس للحياة إليه سبيل، ونقل كما هو إلى باغ «٣» قريب من مصرعه ليراعى ما يحدث من الرأي في غده.
فلما غشيه موج الظلام، وهبّ عليه رخاء السّحر أنّ أنّة سمعها الباغبان «٤» فبادر إليه، فإذا به رمق قلق، ونفس مختنق، فسعى إلى دار السلطان مخبرا بثبات حسّه، واضطرابه على نفسه، حتى أمر به فنقل إلى القهندز «٥». وألزم الأطباء المثابرة عليه طمعا في انتعاشه، فاستصعب داؤه على الدواء، وقضى الله على عمره بالانقضاء، فمضى لسبيله عظيم القدر والخطر، كريم الورد والصدر، عديم المثل، في

سعة الرحب، فقيد النظير في الفضل الغزير، لم يرو «٦» في كتب الأولين أن أحدا من الوزراء اتسعت همته لمشاطرته على مروءته، ومنازعته فضل أفضاله وفتوته، سماحة كالغيث يقذف بالوبل، أو الريح تعصف بالرمل، وسياسة خفتت لها جنادب الليل، وغصّت بها مشاعب السيل.

---

(١) وردت في الأصل، وفي ب: قضما، والتصحيح من ر.
(٢) وردت في ب: جعار، وبالوجهين يستقيم المعنى.
(٣) كلمة فارسية تعني: بستان، روضة، حديقة. التونجي- المعجم الذهبي، ص ٩٨.
(٤) كلمة فارسية تعني: البستاني، حارس الحديقة. التونجي- المعجم الذهبي، ص ٩٨.
(٥) تعريب (كهندز) وهو القلعة، ولا تطلق إلا على القلعة القديمة التي تكون وسط المدينة. وقلما تخلو مدينة من مدن المشرق الإسلامي من وجود القهندز الذي يشكل مقر الأمير، ومنه يدير المدينة. انظر: ياقوت- معجم البلدان، ج ٤، ص ٤١٩.
(٦) وردت في النسخ: يروا، والأصح ما أثبتناه.

وأنشدني أبو جعفر البّحاثي «١» لنفسه فيه مرثية:

لهفي عليك أبا الحسين [٣١ ب] ... عينا رمتك بكل عين
جرّعتني غصص الجوى ... وأريتني يوم الحسين «٢»

ولبعضهم فيه وقد زار قبره في جماعة من أصدقائه:

مرّ على قبرك إخوانكا ... وكلهم قد هاله شانكا
فلم يزيدوك على قولهم ... عزّ على العلياء فقدانكا

وقد كان حسام الدولة وشمس المعالي وفخر الدولة بنيسابور على انتظار معونته، واستفاضة ما أسفر لهم من عدّته، فحدّثني أبو نصر العتبي خالي رحمة الله عليه، وكان على البريد بنيسابور، قال: دعاني أبو العباس تاش آخر نهار يوم، فلما وصلت إليه وجدت الثلاثة «٣» يتناضلون بينهم الآراء في معاودة الحرب، واستئناف معالجة الخطب، فخلطوني بأنفسهم فيما تداولوه، وسألوني أن أنهي إلى ذلك الشيخ «٤» صدق انتظارهم لمعونته، واستعدادهم للبدار إلى أمره. وأقبل عليّ شمس المعالي من بينهم، فقال:

اكتب إلى ذلك الصدر بأن الحروب [٣٢ أ] لم تزل بين الرجال سجالا، وأنها «٥» تستصعب مرة وتصحب أخرى، والحازم من يستفتح بالجدّ باب الظفر، فالنّجح يتلف بين العجز والضجر، واضرب له أبيات المتنبي «٦» مثلا:

إذا ما كنت في أمر مروم ... فلا تقنع بما دون النجوم «٧»

---

(١) وردت في ب: الحافي. أبو جعفر محمد بن الحسين بن سليمان الزوزني النيسابوري البحاثي. الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٥١١.
(٢) إشارة إلى استشهاد الحسين بن علي بن أبي طالب في كربلاء.
(٣) وردت في الأصل: الثلثه.
(٤) يقصد الوزير أبا الحسين العتبي.
(٥) وردت في الأصل: فإنها، والتصحيح من ب.
(٦) وردت في ديوانه، ج ٤، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ بترتيب مختلف، واختلاف في بعض الكلمات.
(٧) ورد في الأصل بعد البيت الأول، والتصحيح من: ب، والديوان.

يرى الجبناء أن العجز حزم ... وتلك طبيعة الوغد اللئيم
فطعم الموت في أمر حقير ... كطعم الموت في أمر عظيم

قال: فاستدللت يومئذ بقوله على فضله.

وورد عليهم بعقب ذلك نعي أبي الحسين، فأوسعهم «١» وجوما، ونثر عليهم من التدبير ما كان منظوما. وورد على أبي العباس تاش

كتّاب السلطان في استعادته إلى الباب لتدارك ما اختلّ، وتلافي ما انحلّ واعتلّ، فاغتنم البدار، وسار حتى ورد بخارى، فرتّب الأمور، ونظم المنثور، وتتبّع الجناة على أبي الحسين العتبي «٢»، فطبقهم بالقتل والتدمير، وعمهم بالنفي والتسيير.

واستوزر أبو الحسن «٣» المزني «٤» فبعل «٥» بالتدبير، ووجل «٦» في التقديم والتأخير، لتهافت الأعمال، واستبداد آخرين عليه بالإيراد والإصدار. [٣٢ ب]

وقد كان أبو الحسن بن سيمجور انكفأ عن سجستان إلى خراسان من غير أمر صدر إليه استشرافا لنجوم الفتن وانتقاض الأعمال بها، بتراجع العسكر عن باب جرجان، وتشوفا «٧» لنفاق سوقه فيما بينها. فكتب أبو الحسن «٨» إليه مقبحا عليه فعله، وناعيا إليه عقله، وسامه «٩» أن يعدل إلى قهستان متدرّعا «١٠»، وعن ملابسة الأعمال متورعا، وأن يسلّم

____

(١) وردت في ب: فاوضعهم.

(٢) ورد بعدها: المزني، وهو سهو من الناسخ كما سيتبين، فحذفناها.

(٣) ورد في الأصل: أبو الحسين.

(٤) محمد بن أحمد المزني، الوزير الأديب، كان صاحب ديوان الاستيفاء قبل استيزاره. عنه، انظر: ياقوت- معجم الأدباء، ج ٥، ص ٩١؛ كرماني- نسائم الأسحار، ص ٣٧؛ خواندمير- دستور الوزراء، ص ٢١٥؛ ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٦٦.

(٥) بعل بعلا: فرق ودهش من الرّوع. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٥٩ (بعل).

(٦) خاف وفزع. ابن منظور- لسان العرب، ج ١١، ص ٧٢٢ (وجل).

(٧) تطلعا. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ١٨٥ (شوف).

(٨) وردت في الأصل: الحسين، والتصحيح من ب. والمقصود به: أبو الحسن المزني الوزير.

(٩) أي كلفه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٣١١ (سوم).

(١٠) لابسا الدرّاعة، وهي من ملابس العلماء والكتّاب. والمقصود ترك العمل العسكري. انظر: الثامري- التاريخ الحضاري لمدينة بخارى، ص ٢٢٥.

أبناء الدولة «١» [الذين هم] «٢» في جملته وتحت رايته، إلى ابنه أبي علي، على أن يعاود سجستان فيكفي أمرها، ويلمّ شعثها، ويرأب صدعها. وجعل باذغيس وكنج رستاق «٣» برسمه، على أن يزاد في توليته وحبائه «٤»، متى عرف في الطاعة صدق نيته وغنائه.

ولما استقر أبو العباس تاش ببخارى، اغتنم أبو علي خلوّ خراسان عنه وعن المناضلين دونه، فراسل فائقا يريده على مخالفته، والجهار بمنابذته، وترك الرضا بزعامته، فوجده سمح القياد إلى المراد، طوع الزمام إلى العناد. واجتمعا بنيسابور على توكيد العقود، وإمرار المواثيق والعهود.

وبدأ أبو علي بمصادرة عمال أبي العباس تاش [٣٣ أ] بنيسابور، ومطالبتهم بما كان تحت أيديهم من أمواله، وارتفاعات أعماله، ثم نهض إلى مرو سدّا دون الولايات، وحجابا دون الأموال والارتفاعات، حتى اضطر حسام الدولة «٥» إلى مناهضتهما، وكفاية ما أهمّ من أمرهما، [و مداواة ما استفحل من شرّهما] «٦»، واستفتح الخزائن عن ذخائر الأموال، ونفائس الأسلحة والأثقال. وبرز من بخارى إلى آمل الشط «٧»، فخيم على طرف الرمل، وتردّد السفراء فيما بين الفريقين على حفظ نظام الألفة، واستبقاء جمال الدولة،

____

(١) يقصد الجند لأنهم رجال الدولة.

(٢) إضافة من ب.

(٣) ناحية كبيرة من باذغيس بينها وبين مرو الروذ. قصبتها ببن، ومن مدنها المهمة، بغشور. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٦٩؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٢٩٨، ص ٣٠٨؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٨٢؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٥٥.

(٤) الحباء: العطاء بدون منّة ولا جزاء. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ١٦٢ (حبا).

(٥) وردت في ب: أبو العباس تاش، وهو نفسه.

(٦) إضافة من ب.

(٧) وتسمى آمل زمّ، وآمل جيحون، وآمل المفازة، وآمو، وأمويه، تقع على نهر جيحون، مقابل بلدة فرير البخارية وهي إحدى معابر نهر جيحون. وهي غير آمل قصبة طبرستان. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٨١؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٢٩٢؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ١، ص ٥٨؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ٢١٣؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٤٥.

وإخماد جمرات الفتنة. فوقع الاتفاق على أن تكون نيسابور «١» لتاش، وبلخ «٢» لفائق، وهراة «٣» لأبي علي، وتفرق كل منهم على رئاس «٤» عمله.

وللخوارزمي «٥» في أبي علي عند حصوله «٦» بهراة:

تهنّأ بالأمير هراة إذ قد علا ... عن أن يهنّأ عن هراها

وكيف تهنّأ الدنيا جميعا ... بناحية من الدنيا احتواها

وانحدر أبو العباس تاش إلى مرو، وقد كان قبل فصوله «٧» من بخارى توصل إلى عزل المزني عن الوزارة بأبي محمد عبد الرحمن الفارسي «٨» المتولي كان لأمور كذخذائيته «٩» لما تبيّنه من ميله إلى [٣٣ ب] أبي علي وفائق، وادّهانه في أمرهما. فلما

____

(١) وبالفارسية نيشابور، وهي أبرشهر، وتسمى ايرانشهر أيضا. اسم يطلق على أحد أرباع خراسان وهو الربع الغربي، وعلى مدينته أيضا. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٥٤؛ al Hudud -ﷺP lam, ١٠٢٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٢٩٩؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٤٧؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٢٤.

(٢) الربع الشرقي من أرباع خراسان. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٧٥؛ al Hudud -ﷺP lam, ١٠٧٠ P, ١٠٨٠ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٠١؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ١، ص ٤٧٩؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٥٥؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٦٢.

(٣) الربع الجنوبي من أرباع خراسان. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٦٣؛ al Hudud -ﷺP lam, ١٠٣٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٢٩٨؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٩٦؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٥١؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٤٩.

(٤) وردت في ب: راس. وجاء في لسان العرب: أنت على رئاس أمرك أي أوله، والعامة تقول: على رأس أمرك. ج ٦، ص ٩٣.

(٥) أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي (ت ٣٨٣ ه). أحد كبار أدباء القرن الرابع الهجري. عنه وعن أدبه، انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٢٢٣ - ٢٢٧؛ مبارك- النثر الفني، ج ٢، ص ٣١٦.

(٦) وردت في ب: وقد حصل.

(٧) أي خروجه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٥٢٢ (فصل).

(٨) عنه، انظر: خواندمير- دستور الوزراء، ص ٢١٦.

(٩) يظهر من النص ومن خلال تاريخ البيهقي أن كذخدا (و ترد كتخدا أيضا) هو الشخص الموكل بالشؤون الخاصة لسيده، وله مكانة كبيرة لديه. انظر: البيهقي- تاريخ، ص ٤١٥. وجاء في المعجم الذهبي أن كدخدا: حاكم، مختار حي أو قرية، عمدة. التونجي- المعجم الذهبي، ص ٤٦٠.

استقر هو بمرو، صرف عبد الرحمن بعبد الله بن عزير «١» وهو المعروف بتعنت آل عتبة ومشاحنتهم، [و] نصب العداوة لهم ولصنائعهم، وحرق الأرّم «٢» كيادا عليهم. فبدأ بصرف أبي العباس تاش عن قيادة الجيوش، ونقلها إلى أبي الحسن بن سيمجور مضادة لأبي الحسين العتبي في تدبيره، وتداركا بزعمه لما وهى من أصل تقديره «٣» وتقريره، وأمر بالكتاب عن السلطان إليه في نقل العمل عنه، وتعويضه كورتي: نسا وأبيورد «٤» منه، والإيعاز إليه بالامتداد إليهما. والاقتناع بهما، وحذف عنه خطاب الزعامة، واقتصر على ما كان موسوما به من الحجابة.

فلما وصل الكتاب إليه، أحسّ بأمارة الشر، ودلالة الختل والختر «٥»، وعلم أن ذلك فاتحة الخطب عليه، والتشفي منه، والوضع من قدره، والثلم في جاهه ومحلّه، فاستحضر

____

(١) ورد في النسخ، وفي المصادر التي ذكرته: عزيز. لكن الأصح هو عزير حيث ذكر أبو منصور المهلبي اسمه مقرونا بالعزير الذي وردت قصته في القرآن الكريم في سورة البقرة، الآية ٢٥٩، كما إن القصيدة رائية القافية، وذلك حينما مدحه بقوله:

أرى الله البرية كلّ خير ... وجنّبهم بفضل كلّ ضير

وردّ حياتهم ببني عزير ... كما ردّ الحياة على عزير

الثعالبي- تتمة اليتيمة، ص ٢٩١.

كما إن أبا منصور البوشنجي ذكره في قصيدة رائية أيضا، حيث يقول:

إلى أن رمانا بالغفاري بعدهم ... وعاندنا في عبده وعزيره

ص ١٦٤ من هذا الكتاب؛ الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ١٨٢.

وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عزير. عنه، انظر: ابن الأثير- الكامل، ج ٧، ص ٤١٠؛ كرماني- نسائم الأسحار، ص ٣٧؛ خواندمير- دستور الوزراء، ص ٢١٦.

(٢) الأرّم: الأضراس. يقال: فلان يحرق عليك الأرّم إذا تغيّظ فحك أضراسه بعضهم ببعض. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ١٤ (أرم).

(٣) إضافة من ب.

(٤) كورتان متقاربتان تذكرهما المصادر دائما مقرونتين ببعض. ولا تتفق المصادر على نسبتهما إلى نيسابور أو مرو الشاهجان. انظر: al Hudud -ﷺP lam, ١٠٣٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٢١؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ١، ص ٨٦، ج ٥، ص ٢٨١؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٥٧، ص ٢١٢؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٣٥، ص ٤٣٦؛ رضي الله عنarthold ,ﷺn Historical geography of Iran ,P ٩٠٠ .

(٥) الختل: الخداع. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ١٩٩ (ختل). والختر: الغدر والخديعة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٢٢٩ (ختر).

وجوه القوّاد، وأعيان الحشم والأجناد، وعرض عليهم الكتاب، وعرّفهم دأبه وديدنه في طاعة سلطانه ومناصحته، و [٣٤ أ] الإخلاص لدولته، والذّب عن حوزته، والشكر لما وسعه قديما وحديثا من نعمته، وإقباله مدة مصاحبتهم إياه عليهم بحسن رعايته، ورفق زعامته، وإيالته نيابة عنهم في تنجّز أوطارهم «١»، وتزيين مساعيهم وآثارهم، ومواساة لهم بما اتّسعت له يده من خاص ماله، وحاضر ملكه، وأنه يومه ذلك في نفسه ومهجته مقصود، وعن باب مالكه وولي نعمته مردود. وأنه «٢» لا منع من جهته لأحد منهم عن رأيه واختياره في معاودة بخارى أو اللحاق بأي جانب شاء، فليختر كل منهم ما أحب غير منازع في قصده، ولا مدافع عن وجهه. فاستمهلوه ريثما يعلمون من ورائهم من أهل العسكر صورة الحال، ويعرفون ما عندهم من الرأي في المقام أو «٣» الارتحال.

وتجمعوا بعد ذلك دفعات متباعدين «٤» في الاختيار مرة، ومتقاربين أخرى، إلى أن اتفقت كلمتهم على موافقته، وترك مفارقته، والإذعان لرئاسته، ومرافقته على ما يلقاهم الزمان به [٣٤ ب] من سلم وحرب، وذلول وصعب، وسهل وحزن «٥»، وسرور وحزن، [و خوف وأمن] «٦». وكاتبوا إلى بخارى سائلين رد الزعامة عليه رعاية لحق خدمتهم، وتحكيما للكرم في تحقيق مسألتهم، واستبقاء لوجوههم بماء طاعتهم، فأبى ابن عزير أن يقع لهم نجاح، أو يستمر بين أولياء الدولة صلاح، وكتب إليهم يمنيهم الزور، ويريهم الغرور، سرابا بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً «٧». وسامهم «٨»

---

(١) جمع وطر وهو الحاجة الشديدة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٢٨٥ (وطر).

(٢) إضافة من ب.

(٣) وردت في الأصل: و.

(٤) ورد بعدها في الأصل: (من مساعدين)، وهو سهو من الناسخ، فحذفناه.

(٥) الحزن عكس السهل. فهو ما غلظ من الأرض. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ١١٢ (حزن).

(٦) إضافة من ب.

(٧) سورة النور، الآية ٣٩.
(٨) من السّوم: سرعة المرّ مع قصد الصوب في السير. ويحتمل أن تكون من المساومة: المجاذبة بين البائع والمشتري. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٣١٠ - ٣١١ (سوم).

٦ ذكر انقلاب فخر الدولة إلى ولايته وما جرى بعد ذلك بينه وبين حسام الدولة أبي العباس تاش من المكاتبة والتعاون إلى آخر عمره «2»

معاودة الحضرة تطميعا لهم، وتنفيقا للنفاق عليهم، فلما عرفوا صورة الجواب، ازدادوا بصيرة في طاعة أبي العباس تاش، ونفاذا في خدمته، وتصرفا بتصاريفه، وبخوعا «١» له في وجوه تكاليفه.

ذكر انقلاب فخر الدولة إلى ولايته وما جرى بعد ذلك بينه وبين حسام الدولة أبي العباس تاش من المكاتبة والتعاون إلى آخر عمره «٢»

اتفق بعد معاودة أبي العباس تاش إلى بخارى أن قضى مؤيد الدولة نحبه، ولقي ربه. وقبل انقضاء الحرب التي كانت بينهما، ما «٣» دهاه الخبر بموت عضد الدولة أخيه، [٣٥ أ] فتماسك عن إظهار المصاب أناة بالخطب الذي كان أمامه حتى يكفيه بحفيظته المرّة، ويقضيه بعزيمته المستمرة «٤». وتشاور أولياء تلك الدولة فيمن ينتصب منصبه، ويسدّ في الرئاسة مسدّه، فأشار الصاحب إسماعيل بن عبّاد إلى فخر الدولة إذ لم يكن في ذلك البيت أحق منه بالإمارة، وأتم استقلالا بأعباء الرئاسة والسياسة سنا وكفاية منه، فطيّروا البريد إليه في البدار إلى ما أورثه الله تعالى من عقيلة الملك، وذخيرة الملك، عفوا «٥» لا منّة لأحد عليه، ولا حقّ لإنسان يختم لسانه بشكره «٦». واستخلفوا أخاه أبا العباس خسرو فيروز «٧» بن ركن الدولة على ضم المنتشر، وتقويم المتأوّد «٨» إلى أن يلحق بهم،

---

(١) بخع له بخوعا: أقرّ به وخضع له. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٥ (بخع).
(٢) وردت في ب: إلى آخر أمره وانتهاء عمره.
(٣) ما المصدرية. والمقصود: أن دهاه ...
(٤) يعني أنه كتم نبأ وفاته على الجند، حتى تستقر الأمور وكان ذلك عام ٣٧٢ هـ. انظر: ابن الجوزي- المنتظم، ج ١٤، ص ٢٨٩.
(٥) العفو: فضل المال، وكذلك ما أتى بغير مسألة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٧٥ (عفا).
(٦) وردت في الأصل: بالشكر، والإضافة من ب. والمقصود به: لا فضل لأحد على فخر الدولة فيشكره. انظر: ابن الجوزي- المنتظم، ج ١٤، ص ٣٠٠ - ٣٠١؛ ابن الأثير- الكامل، ج ٧، ص ٤٠٩.
(٧) توفي سنة ٣٧٧ هـ. عنه، انظر: أبو شجاع- ذيل تجارب الأمم، ص ٩٣، ص ٩٤؛ ابن الأثير- الكامل، ج ٧، ص ٤٠٩ - ٤١١.
(٨) المعوج. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٧٥ (أود).

فيتولى تدبير ما يليه، ويتولى عنه تحرير ما ينشئه برأيه ويمليه.

وبادر فخر الدولة من نيسابور إلى جرجان تطاير البرق بين جناحي الأفق، فاستقبله العسكر خاضعين طائعين، وعلى صدق الممالأة والموالاة مبايعين. وتبوأ مقعده من سرير الملك وارثا ما أوصى له به أبوه «١»، وسائر ما كان يدبره أخوه «٢»، كذلك يؤتي الله الملك من يشاء وينزع الملك «٣» ممن يشاء «٤» وهو الفعّال لما يريد. ولقد أحسن أبو بكر الخوارزمي حيث [٣٥ ب] يقول في قصيدة يرثي فيها مؤيد الدولة ويعزّي ويهنىء فخر الدولة «٥»:

رزئت أخا لو خيّر المجد في أخ ... من الناس طرا «٦» ما عداه ولا استثنى
وقد جاءت الدنيا إليك كما ترى ... طفيلية قد جاوبت قبل أن تدعى
طبت «٧» بك عشقا وهي معشوقة الورى ... فقد أصبحت قيسا وعهدي بها ليلى
ولما رأت خطّابها فركتهم «٨» ... ولم ترض إلا زوجها الأول الأولى
ولم تتساهل في الكفىء ولم تقل ... رضيت إذا ما لم تكن إبل معزى

على أنها كانت جفتك تدللا «٩» ... فخليتها حتى أتت تطلب الرجعى

---

(١) وذلك سنة ٣٦٦ ه. انظر: ابن الجوزي- المنتظم، ج ١٤، ص ٢٤٩؛ ابن الأثير- الكامل، ج ٧، ص ٣٦٤.
(٢) مؤيد الدولة.
(٣) وردت في ب: وينزعه.
(٤) مقتبس من قوله تعالى: قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ. سورة آل عمران، الآية ٢٦.
(٥) ذكرها الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٢٦٠.
(٦) وردت عند الثعالبي: طهرا.
(٧) وردت عند الثعالبي: صبت.
(٨) وردت عند الثعالبي: تركنهم.
(٩) وردت في ب: تزيلا.

وأنشدت لأبي الفرج بن ميسرة أبياتا من قصيدة [يرثي بها عضد الدولة:] «١»

ولو قبل الفداء لكان يفدى ... وإن جلّ المصاب عن «٢» التفادي

ولكن المنون لها عيون ... تكدّ لحاظها في الانتقاد

فقل للدهر أنت أصبت فالبس ... برغمك دوننا ثوبي حداد

إذا قدّمت خاتمة الرزايا ... فقد عرّضت سوقك للكساد

وكتب فخر الدولة إلى أبي العباس تاش بذكر ما أصاره الله إليه، وأعلقه بيديه، وأن ذلك كله موقوف على أحكام مشاركته، و [٣٦ أ] مصروف إلى أقسام إرادته، وأنه لم يرتح لاستجابة أيامه النافرة، وأعتاب دولته العاتبة المغايرة، ارتياحه لما تمكن به «٣» من معاضدته على مصالح أحواله، ومرافدته على مناجح آماله، شكرا لما كان مهّده من مقامه قبله، وقدّمه من جهده في إيثار الخير به، وارتياد النّجح له. فأجابه عنه مهنئا بما أتاحه الله له من كريم صنعه، وزفّه إليه من هديّ ملكه، وشاكرا له ما أوجبه ورآه، وشاكيا إليه ما رهقه ودهاه. فكتب إليه بأنه سهيمه «٤» فيما يليه، وقسيمه على ما يحويه، وأن أمره ممتثل في كل ما يرومه وينتحيه «٥»، فليبن أمره على ما يلتفت «٦» عليه اقتراحه منتظرا لما تقتضيه «٧»، شركة المفاوضة من التسمح بالملك والمال، وتسريب الرجال في أعقاب الرجال.

وكان قد أنهض أبا سعيد الشبيبي وهو الملقب بشيخ الدولتين إلى ما قبل فخر الدولة رسولا، فصرفه «٨» في العاجل بقدر من المال، وزهاء ألف فارس من سرعان «٩»

---

(١) ساقطة في ب. وقد أورد الثعالبي هذه الأبيات، وذكر أنها في رثاء الصاحب بن عباد. الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٣٢٩.
(٢) وردت عند الثعالبي: على.
(٣) وردت في ب: منه به.
(٤) شريكه.
(٥) يقصده. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٣١٠ (نحا).
(٦) وردت في ب: يقف، وبالوجهين يستقيم المعنى.
(٧) وردت في النسخ: يقتضيه، والأصح ما أثبتناه.
(٨) أي إن فخر الدولة صرف أبا سعيد.
(٩) سرعان الناس: أوائلهم. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ١٥٢ (سرع).

العرب والأتراك، فورد نيسابور، وانضم إليه أبو محمد عبد الله بن [٣٦ ب] عبد الرزاق مواليا لأبي العباس تاش على أبي الحسن بن سيمجور، فاجتمعا على التعاضد، واتفقا على التكاتف والترافد.

وانحدر تاش إلى نيسابور فسبقه إليها أبو الحسن، وانحاز المقيمون بها انتظارا «١» لوصوله، في سواد خيوله. ولحق بهم فصارت الأيدي واحدة، والقلوب على الإخلاص متعاقدة. وقصد باب نيسابور من جانبها الغربي، فخيّم بظاهرها «٢»، وناوش أبا الحسن الحرب أياما

عدّة، وهو متحصن بالبلد ودروبه، ومحتجر «٣» بضيق مداخله وسدوده.

ولحق بأبي العباس تاش زهاء ألفي رجل من خلّص الديلم ونخب الأتراك، يقودهم أبو العباس فيروزان بن الحسن في كبار القواد ممن يعذمون «٤» على الزّبر، ويدخلون ولو خرت «٥» الإبر. فلما أحسّ أبو الحسن بن سيمجور بإناختهم، وعلم قوّتهم على حرب المضيق، وإعجازهم بأطراف الزانات «٦» والمزاريق «٧»، اتخذ الليل جملا، وترك البلد هملا «٨»، وسار يريد قهستان، ساترا عورة الانهزام بلباس الظلام.

وسمع عسكر أبي العباس بإجفالهم «٩»، فشدّوا على آثارهم وأثقالهم، وأصابوا [٣٧ أ] منهم غنائم موفورة، وأنفالا غير محصورة. ودخل أبو العباس تاش نيسابور،

____

(١) وردت في ب: انتضارا.

(٢) وردت في ب: بظاهره، وبالوجهين يستقيم المعنى.

(٣) وردت في ب: محتجز، وبالوجهين يستقيم المعنى. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ١٦٧، ص ١٧١ (حجر)، مج ٥، ص ٣٣١ (حجز).

(٤) وردت في ب: يقدحون، وبهامشها يعدمون. ويعذم: يعض. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٣٩٤ (عذم).

(٥) الخرت: الثقب. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٢٩ (خرت).

(٦) الزانة: الرمح القصير. الميداني- السامي في الأسامي، ص ٢٣٨؛ الفيروزآبادي- القاموس المحيط، مج ٤، ص ٢٣٢ (الزؤان).

(٧) المزراق: الرمح القصير. الميداني- السامي في الأسامي، ص ٢٣٨؛ الرصافي- الآلة والأداة، ص ٣٥٤.

(٨) أي تركها بدون راع. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٧١٠ (همل).

(٩) أجفل القوم: هربوا مسرعين. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ١١٤ (جفل).

وجاوزها إلى المعسكر بظاهرها مما يلي الجانب الشرقي حميد الظفر، رضي «١» السعي «٢» والأثر. وأنشدني أبو منصور الثعالبي لنفسه في تلك الوقعة:

قل للذي أنا في هواه خاشي ... صاد الفؤاد بصدغه الجمّاش

صدغ يرى عند الرياح كأنه ... قلب ابن سيمجور أحس بتاش

وله فيه:

إن الشتاء مضى بقبح فاشي ... وأتى الربيع لنا بحسن رياش

ومضى ابن سيمجور بقبح فعاله ... وانتاش أبناء الكرام بتاش

ولزم تاش مناخه ذلك يواصل الكتب إلى بخارى في الاستمالة والاستقالة، والضمان لآنف الطاعة، وعرض النفس والملك بلسان الضراعة، فلجّت بابن عزير صلابته في عداوة آل عتبة دون مغايظته ومعاداته ومعاندته، وطفق ينفق على الأمير الرضا ووالدته التي كانت كافلة بالملك، أن تاش معتصم بالديلم، وقاصد قصد الإجحاف بالدولة، وأنه متى [٣٧ ب] أرخي من عنانه فيما يستدعيه، وجب التعزّي عنها والتكبير عليها، حتى ظنّا أن الأمر كما زعم، فوكلا التدبير إليه، وجعلا زمام «٣» الخير والشرّ بيديه. وقد كنت أروي لصديق لي في تلك الأيام بيتين لابن المعتز «٤» سمعتهما في الشباب، وهما:

شيئان لو بكت الدماء عليهما ... عيناي حتى تؤذنا بذهاب

لم تبلغا المعشار من حقيهما ... فقد الشباب وفرقة الأحباب «٥»

فقال: إن الأليق بحكم الوقت والحال بيتان في وزنهما وصياغتهما للحسين بن علي

____

(١) وردت في ب: مرضى.

(٢) ساقطة في ب.

(٣) وردت في ب: رباط.

(٤) عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد، ولي الخلافة يوما وليلة، (ت ٢٩٦ ه). عنه، انظر: الأصفهاني-

الأغاني، ج ١٠، ص ٢١٧.
(٥) ابن المعتز- الديوان، ص ١٠٨.
المرووذي «١» وهما:
شيئان «٢» يعجز ذو الرياضة عنهما ... رأي النساء وإمرة الصبيان
أما النساء فميلهن إلى الهوى ... وأخو الصّبا يجري بغير عنان «٣»
قلت: فأنصف لعمري فيما وصف وحكم حكما يشهد به العيان، ويسجّل بصحته الامتحان، وأبى الله أن تكون «٤» ظئر «٥» في شفقة الأم، وخال بمنزلة العم، وعسيف «٦» بمثابة الصاحب، ووزير بمحل الملك الغالب، المستبد برأيه الصائب، وفكره الثاقب.
وأهمل أبو العباس تاش ما أهمه من أمر أبي الحسن بن سيمجور، وقصده مداراة [٣٨ أ] لولاة التدبير ببخارى واستمالة لهم، واستيناء واستذراء «٧» بهم، وإمساكا للوحشة من الازدياد، وصيانة للقرح من الإمداد، وهم فيما بينهم «٨» يهتبلون فرصة الرخاء، ويغتنمون فسحة الإمهال والإمهاء «٩»»، ويقبلون على مواصلة الاحتشاد والاستعداد، ومداومة الاستمداد والاستنجاد.
وكتب أبو الحسن بن سيمجور إلى أبي الفوارس بن عضد الدولة بفارس «١٠»»، فأمدّه بألفي فارس من نخب الأعراب، وانضم إليه فائق في خواص غلمانه وسائر من

____
(١) أحد قادة الجيش الساماني. الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٩٦.
(٢) وردت عند الثعالبي: ثنتان.
(٣) الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٩٧.
(٤) وردت في الأصل، وفي ب: يكون. والتصحيح من د.
(٥) الظئر: الحاضنة والمرضعة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٥١٤ (ظأر).
(٦) العسيف: الأجير. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٢٤٦ (عسف).
(٧) الاستذراء: الاستظلال والالتجاء. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٢٨٤ (ذرا).
(٨) وردت في ب: (بينها) أي فيما بين تلك الحال.
(٩) يقال في المثل: أمهى في الأمر حبلا طويلا، أي أرخاه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٢٩٨ (مها).
(١٠) هو الإقليم الواقع بين كرمان شرقا، وخوزستان وأصبهان غربا، والمفازة شمالا، والخليج العربي جنوبا. عنه، انظر:
الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٩٦؛ al Hudud -P lamﷺ, ١٢٦٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٤٢٠؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١١٢؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٢٨٣.

استجاشهم من أطراف خراسان، وكرّوا بأجمعهم على أبي العباس تاش في خيول غصّ بها عرض الجبوب «١»»، وضاق عن ضمها أضلاع الشمال والجنوب، [و فيالق تحاكي رمال الفيافي، وتضاهي نجوم السماء أهبة وعددا، وتشابه قطرات البحار الزواخر مددا. ترجف الجبال الشوامخ تحت أقدامهم، وتكسع الأساود السود عند جراءتهم على الموت الذريع وإقدامهم] «٢»». فلما قاربوا نيسابور، خالفوا معسكره إلى البلد لا متلاكه عليه، ومساورته الحرب عن ظهر منعة واقتدار، وحال نجدة واستظهار، فعارضهم أبو العباس تاش في مسيرهم بعبد الله بن عبد الرزاق وأبي سعيد الشبيبي وخواص غلمانه، وناوشهم الحرب من حيث متع «٣» النهار إلى أن صارت كعين الأحول. وظلت حملاته تحطمهم حطما، وتوسع أركانهم هدّا وهدما. وكانت المجاعة ما بين سرخس «٤» إلى [٣٨ ب] مقامهم ذاك قد بلغت مبلغا أحرج صدورهم، وأقنع بالإجفال جمهورهم، إيثارا لفسحة المضطرب، والخلاص من ضيق المعترك.
وحمل أبو العباس تاش آخر النهار حملة قدّرها خاتمة القتال، وآخرة النزال، فتلقاها أبو الحسن وأبو علي ابنه بشكائم قوية، وعزائم في الثبات صريّة. وردّوا مطلقات الأعنّة، بمشرعات الأسنّة، ووردوا مشرعات الزحوف بمرهفات السيوف. فلما انقلب «٥» إلى مقامه وقد تفرّق في تلك الحملة عنه سواد حماته، وحفظة راياته، شدّوا الحملة عليه دفعة واحدة، فاضطروه إلى الانهزام، وإسلام المقام.
وتداركت الحملات على عسكر الديلم من جانب فائق حتى تزعزعت صفوفهم،
____

(١) وجه الأرض. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٢٥٠ (جبب).
(٢) ساقطة في ب.
(٣) ارتفع. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٣٣٠ (متع).
(٤) من مدن خراسان، تقع على الضفة الشرقية لنهر المشهد. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٥٤؛ al Hudud -lamﷺ P, ١٠٤٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣١٢؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٥٨؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٣٧.
(٥) أبو العباس تاش.

٧ ذكر انتقال أبي العباس تاش إلى جرجان ومقام أبي الحسن بن سيمجور بنيسابور على قيادة الجيوش

واضطربت جموعهم، فتداعوا الأمان من قرع السيوف «١» خلا من أنجته «٢» صهوات الخيول، فجمعوا في بيت الأسار، على حال الذل والصغار، ثم حملوا إلى بخارى على الأجمال في الجواليق «٣» آية ونكالا، وتشفيا ممن ساقهم إلى خراسان أرسالا. فاستقبلهم المخانيث بالدفوف والمغازل، بدلا عن السيوف والعوامل «٤»، وأمر بهم إلى محابس [٣٩ أ] القهندز إلى أن اقتسمتهم الأيام بين ممات ونجاة.

ذكر انتقال أبي العباس تاش إلى جرجان ومقام أبي الحسن بن سيمجور بنيسابور على قيادة الجيوش

وانحدر أبو العباس تاش إلى جرجان «٥»، ففصل عنها فخر الدولة متوجها نحو الرّي، وأخلاها له ولأهل عسكره، وترك دار الإمارة محفوفة بالفرش الفاخرة، والخزائن العامرة، والأهب «٦» الوافرة، حتى المطابخ بما فيها من الآلات الصفرية، والأواني الذهبية والفضية. وتقدّم «٧» بأن تسلم إليه خزانة كان قد أعدّها للحمل إليه قبل الكشفة مشتملة على خمسين ألف دينار، وألفي ألف درهم، وخمسمائة تخت «٨» من ألوان الثياب، إلى غيرها من عتاق الأفراس، وجياد المراكب والدواب، وأعداد الأسلحة والوقايات، من تجافيف «٩»

(١) وردت في ب: السيف.
(٢) وردت في ب: انجتهم.
(٣) جمع جوالق وهو عدل كبير من الصوف أو الشعر، معرب كواله بالفارسية. ويجمع على جوالقات أيضا. الرصافي- الآلة والأداة، ص ٧٥؛ التونجي- المعجم الذهبي، ص ٥١٤.
(٤) جمع عامل وهو الرمح. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٤٧٧ (عمل).
(٥) ورد بعدها في الأصل: (و مقام أبي الحسن بن سيمجور بنيسابور). وهي مكررة من العنوان.
(٦) جمع أهبة وهي العدّة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٢١٧ (أهب).
(٧) أي أمر، والمقصود فخر الدولة.
(٨) وعاء تصان فيه الثياب، فارسي معرب. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ١٨ (تخت).
(٩) ما يوضع على الخيل والفيلة من حديد وغيره يقيها الطعن. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٣٠ (جفف)؛ وانظر: الجواليقي- المعرب، ص ٩١.

ومغافر «١» ودروع وجواشن «٢» وترسة «٣» وزانات، أكثرها مغشي الظهور والنصب «٤» بحلي الفضة والذهب. وسوّغ له دخل جرجان ودهستان «٥»، وآبسكون «٦» [٣٩ ب] واستراباذ إلا قدرا كان مصروفا إلى عمارة القلاع، وأرزاق مستحفظيها من الخواص، فأمر أبو العباس تاش بتفرقة تلك المبارّ والأموال فيمن صحبه من القواد، وطبقات الأجناد، حتى جبر كسرهم، وقوّى أسرهم «٧»، وواصل لهم الإقامات والأطماع حتى ارتاشت أحوالهم، وخصبت رحالهم، فصاروا بجرجان أحسن منهم بخراسان حالا، وأرغد عيشة وأنعم بالا.

وجعل فخر الدولة يتابع الحمول إليه من طبرستان زيادة في تأثيل «٨» حاله، واستبقاء لنظم جنوده ورجاله، فعل من لا ينفس على

أخيه، بنفائس ما يحويه، ولا يضن «٩» على صديقه، بجليل ملكه ودقيقه. وقد كان الصاحب «١٠» يستسرف «١١» ما يوجبه له من

____

(١) جمع مغفر وهو حلقات من الحديد تلبس تحت الخوذة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٢٦ (غفر).

(٢) جمع جوشن وهو درع من الحديد. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٨٨ (جشن).

(٣) جمع ترس وهو صفيحة من الجلد أو الخشب أو الحديد يحملها المحارب ليتقي الضربات. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٣٢ (ترس)؛ الجنابي- تنظيمات الجيش الأموي، ص ١٥٥.

(٤) جمع نصاب وهو المقبض لبعض أنواع من السلاح كالسيوف والخناجر. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٧٦١ (نصب).

(٥) من رساتيق جرجان، إلى الشمال منها. وهي أحد الثغور المهمة. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢١٤؛ al Hudud -ﷺlam P, ١٣٣٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٥٨؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٥٩، ص ١٦٠؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٢٠.

(٦) ميناء جرجان على بحر قزوين، وسوق كبير لتجارة الحرير. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢١٤؛ al Hudud -ﷺlam P, ١٣٤٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٥٨؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤١٩.

(٧) الأسر: الخلق، قال تعالى: نَحْنُ خَلَقْناهُمْ وَ شَدَدْنا أَسْرَهُمْ سورة الإنسان، الآية ٧٦. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ١٩ (أسر).

(٨) تكثير. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٩ (أثل).

(٩) وردت في ب: يظن.

(١٠) أي الصاحب بن عباد.

(١١) أي يراه إسرافا.

الإحسان والمواساة، ومواصلة الصلات والكرامات، ومن قبل ما نصح «١» له في استعراض خراسان برجاله، مخالفة لسلفه فيما اختاروه من مسالمتها، واغتنام السلامة منها، فقال له ذات يوم: إن حقوق أبي العباس عليّ حقوق لو نزلت معها عن جميع ما أفاء الله عليّ من ثمرات هذا [٤٠ أ] الملك حتى أحلّ له عروة هذا القميص، لوجدتني في أدنى درجات المكافأة، وأيسر مراتب المبرّات «٢». وأشار إلى واحدة تكفيه أمارة على ما أوجبه له أيام مقامه قبله اشفاقا على مهجته، وحرصا على محبته، وذبّا عنه في حال غربته، وهي إن أخويه عضد الدولة ومؤيدها أرسلا إليه يستردّانه «٣» على أموال عظيمة تحمل إلى خراسان في كل سنة للسلطان أولا، وله ثانيا، مشفوعة بمجلوبات العراق، من وشي الثياب، وفره العتاق. وأغليا في الاستيام والتطميع، حتى لم يبق للردّ مجال، ولا للسان العذر مقال. وأتاني خبر الرسالة فاستظلمت ضوء النهار، واستخشنت جانب القرار، وقمت من الحياة على شفا جرف هار، إذ لم يكن في الهرب مطمع، ولا في قوس الرجاء منزع.

وبت بليلة أنقد «٤»، أرى الشرّ كأن قد «٥»، إلى أن أصبحت وقواي متخاذلة، وأركاني متهافتة، خوف الإذن بالداء العياء، والداهية الدهياء، فأتاني حاجبه بعد فراغه من الإذن، داعيا وآدبا «٦». فلم أدر أداع هو أم ناع؟ وآدب هو أم نادب؟ وطالع ضيافة أم طارق آفة؟ وخمنّت في القري كناية عن المحذور، وتورية دون القدر المقدور. فركبت إليه،

____

(١) وردت في الأصل: يصح، والتصحيح من ب.

(٢) وردت في ب: المواجب والمجازاة.

(٣) أي يستردان نخر الدولة إليهما.

(٤) أنقد: بات ساهرا. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٤٢٧ (نقد).

(٥) أي: كأن قد وقع.

(٦) وردت في الأصل: اذنا، والتصحيح من ب. والآدب: الداعي للطعام. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٢٠٦ (أدب).

وسير عناني أحصف [٤٠ ب] مرة «١» من بناني عليه «٢»، إلى أن حصلت في مجلسه، فصادفت من حسن القيام وقوة الالتزام، وفرط الإكرام والإعظام، وفضل البر والإيناس، ونصرة الرجاء على اليأس، ما لم أكن عهدته فيما مضى من مجالسه ومآنسه. ومازال يرقيني ببشره «٣»، ويسحرني بلطفه وبرّه، إلى أن «٤» ثابت نفسي إليّ، وانحلّت عقدة الخوف عليّ، وتطاير الهمّ عني شعاعا، وذهب سوء الظن جفاء. ثم ناولني الرقاع الواردة عليه، فنشرتها عن أنياب الأراقم، وأقداح العلاقم «٥»، وحمات «٦» العقارب، على الرسم المعتاد من كيد الأقارب. ثم أقبل عليّ، فقال: كنت على أن أكتم «٧» الأمير صورة ما ورد، صيانة لقلبه عن نوازع الظنون والأوهام، لكني فكرت في حكم الحال «٨» التي تجمعني وإياه، فرأيت اطلاعه طلع ما كتب، والإفضاء إليه بحقيقة ما طلب، أملك لكونه، وأوقع لطائره، وأنفى لخلاج الشك عن خاطره. وأقسم بجميع ما يغلظ به أيمان البيعة، أنه لا يعدل خراج العراق بأسره، على نفاسة قدره، بشعرة من بدنه «٩»، ولا بزئبر «١٠» من بزّته، وأن [٤١ أ] جميع ما أملكه من صامت وناطق، وقاعد وقائم، حتى فصّ هذا الخاتم، وزرّ هذا القرطق «١١»، وقاية لمهجته، ووقف على مصلحته، ومعدّ لدرء الحوادث عن ساحته،

---

(١) القوة والشدة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ١٦٨ (مرر).

(٢) المقصود: ركبت إليه، ولجام فرسي أقوى من أصابعي، فلا تقوى على الإمساك به، من الاضطراب والخوف.

(٣) وردت في ب: بنشره. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٦٢ (بشر).

(٤) إضافة من ب.

(٥) جمع علقم، وهو شجر الحنظل المعروف بمرارته. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٤٢٢ (علقم).

(٦) جمع حمة: إبرة العقرب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٢٠١ (حما).

(٧) أي كنت عازما على أن أكتم.

(٨) وردت في الأصل: الحالة، والتصحيح من ب. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ١٩٠ (حول).

(٩) أي من بدن فخر الدولة.

(١٠) الزّئبر: ما يعلو الثوب الجديد من زغب. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٣١٤ (زأبر).

(١١) القرطق بفتح الطاء وضمها: القباء. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٣٢٣ (قرطق).

ومبتذل في الانتقام له، ممن نافسه في ملكه، ونازعه حق إرثه، حتى يأذن الله تعالى «١» في ردّه إلي بيته قرير العين، منشرح الصدر، صاعد النجم، ماضي الحكم على الخصم.

أ يستحق من يسمح بمثل هذه الأكرومة «٢» طوعا وطبعا لا عن رغبة في رغيبة، ولا ميل إلى نيل، ولا تطلّع إلى وجه مطمع، أن يتغافل عن معونته وإرفاده، ويتجاهل دون ما يجذب إليه زمام مراده؟! لا ورب الكعبة، وحق ركن الدولة. لا يعرف «٣» الناس نسيان هذا الحق العظيم «٤»، وقد استسهلت طريق المكافآت، وأصبت عون الله على حسن المجازاة، على أن الفضل له بسبقي «٥» إلى البرّ وإن جهدت في المقابلة، وشددت إلى الغاية في المساجلة.

فتعجب الحاضرون من هذا الكلام، والكرم الذي عز سماع مثله في سالف الأيام.

واحتشد الصاحب من بعد لمصالح «٦» أبي العباس تاش مناصحة لصاحبه، وكفالة عنه [٤١ ب] بما يقضي الحق عليه، ويقيد شرف الوفاء له. وبقي أبو العباس تاش بجرجان ثلاث «٧» سنين نابي الجنب عن القرار، جافي الجفن دون الغرار، شوقا إلى خدمة سلطانه، وحرصا على عرفان حق اصطناعه وإحسانه، وإشفاقا من تأويل حسّاده في انتباذه عن خراسان إنكاره حق الولاء، ونزعه عن رقبته طوق الطاعة والوفاء. وجلّ همّه معاودة بخارى لا ستئناف الخدمة، والسلامة من المذمة.

وأرسل أبا سعيد الشبيبي إلى فخر الدولة في الاستعانة على معاودة خراسان، فجهّز له أسفار بن كردويه، وعدّة من أعيان القواد في زهاء ألفي رجل من خلّص الديلم، وكتب إلى نصر بن الحسن بن فيروزان وهو بقومس بصلة جناحهم، والزعامة عليهم في

---

(١) إضافة من ب.

(٢) من الكرم، كالأعجوبة من العجب.

(٣) وردت في ب: أعرف.
(٤) كناية عن عدم نسيان ذلك الحق.
(٥) وردت في ب: بسبقه إياي، وبالوجهين يستقيم المعنى.
(٦) وردت في ب: المصالح.
(٧) وردت في الأصل: ثلث.

إيرادهم وإصدارهم، والصدر في ذلك كله عن رأي حسام الدولة ومثاله، والتصرف بتصاريفه في حالتي حلّه وترحاله، وتارتي سلمه وقتاله. وحمل في صحبته من المال لإقامات عسكره ضعف ما كان خلفه عليه عند فصوله من جرجان. فسار أبو سعيد إلى قومس، فانتدب نصر لقراه وقري القواد في صحبته، [٤٢ أ] كما قرى تميم ضيفها وجارها ابن الحضرمي «١» حذو النعل بالنعل «٢». وذلك أنه أمر به في صحن داره فأخذته «٣» السيوف يمنة ويسرة، حتى برد «٤». وعمد إلى آخرين فحبسهم في سرب «٥» وأوقد الفحم عليهم وسدّ منافذ السّرب دونهم، حتى اختنقوا بين حرّ المحبس وعدم المتنفس. وافتات «٦» بتلك الأموال المحمولة والدواب المقودة راضيا بسمة الغدر، وقاضيا على نفسه بالخزي مدى الدهر. وانفلّ الباقون نحو الري لا يلوي واحد منهم على آخر إلى أن وردوها، فقرروا الصورة، وقرأوا الصحيفة المنشورة، فورد من ذلك على فخر الدولة ما أطار واقعه، وهاج وادعه. وعلى حسام الدولة أبي العباس تاش ما أقلقه فأكمده، وأضعف عن كل شي ء قلبه ويده.

وكتب إليه فخر الدولة بذكر ما رآه من تجهيز الجيوش إليه، ويستحدره «٧» إلى استراباذ، ليصير المقصود «٨» محصورا بين العسكرين، ومضغوطا من كلا الجانبين، إلى أن

____

(١) المقصود به عبد الله بن عمرو بن الحضرمي الذي أرسله معاوية بن أبي سفيان إلى البصرة سنة ٣٨ هـ ليؤلب أهلها على الإمام علي بن أبي طالب، فنزل في بني تميم، لكنه قتل- حرقا- عندهم. انظر الخبر في: الطبري- تاريخ، ج ٥، ص ١١٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٣، ص ٢٣٢.
(٢) أي حذا نصر بن الحسن بن فيروزان في قراه قري تميم كما يحذو الإسكاف النعل بالنعل أي يقيسه عليه ويجعلهما متساويين.
(٣) وردت في ب: حتى أخذته.
(٤) أي مات. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٨٥ (برد).
(٥) السّرب: حفير أو بيت تحت الأرض. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٤٦٦ (سرب).
(٦) افتات: سبق إلى الشي ء دون غيره. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٦٩ (فوت).
(٧) أي يطلب منه الانحدار، وقد وردت في ب: يستحذره.
(٨) أي نصر بن فيروزان.

يأذن الله فيه بالبوار، أو الانتباذ إلى غيرها من الديار. فانحدر أبو العباس تاش إلى استراباذ، وخيّم بهزارجان «١»، فأخذ نصرا ما قدم وحدث، [٤٢ ب] وما مرّ وخبث.

ورأى الحين «٢» قد فغر فاه، والسيوف تطلب وجهه وقفاه، فلاذ بالاستسلام، وفزع إلى الضراعة والاسترحام. وطفق يكتب في الاعتذار إلى الجانبين بأنه كالعارك «٣» حياء مما ارتكبه، ونجلا من عوار «٤» ما اكتسبه. وتحمّل بشفاعة حسام الدولة في الاستصفاح عنه، واستقالة ما تخبّط فيه بسوء الاختيار، حتى كتب في بابه بما نفّس من خناقه. وتكرّم فخر الدولة بقبول إنابته، رعاية لحق شيبته وقرابته. وعاد أبو العباس تاش إلى جرجان على أن يستأنف تدبير خراسان.

وكان فخر الدولة قد استوحش من ابن أخيه بهاء الدولة «٥» لأحوال أخلّ فيها بحقه، وترخّص معها في المفروض من إجلال قدره ومحله، فناهضه في معظم جيوشه، مزاحما له في أعمال خوزستان «٦» ومعه «٧» بدر بن حسنويه «٨» في جنود الأكراد، أولي البسالة والجلاد. وسار حتى غلب على كورها مدلا «٩» بالقوّة السابغة، والنجدة الوافرة.

____

(١) وردت في ب: بنهر ارخان.
(٢) الهلاك. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ١٣٦ (حين).

(٣) من العراك وهو الحيض. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٤٦٧ (عرك).
(٤) العوار بضم العين أو فتحها: العيب. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٦١٦ (عور).
(٥) ابن عضد الدولة (ت ٤٠٣ ه). انظر: ابن الأثير- الكامل، ج ٨، ص ٧٧.
(٦) الإقليم الواقع شمال شرق الخليج العربي، وهو محصور بين فارس والجبال والعراق. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٨٨؛ al Hudud -ﷺP lam, ٣٨٠٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٤٠٢؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٠٩؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٢٦٧.
(٧) أي مع نخر الدولة.
(٨) أبو النجم بدر بن حسنويه بن الحسين الكردي، ناصر الدولة. والي الجبل لعضد الدولة البويهي، (ت ٤٠٥ ه).
انظر: ابن الجوزي- المنتظم، ج ١٥، ص ١٠٤؛ ابن الأثير- الكامل، ج ٨، ص ٨٢؛ ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٨١، ص ٦٢٣.
(٩) المدل بالشجاعة: الجرى ء. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٢٤٨ (دلل).

وأنهض «١» أبا العباس فيروزان بن الحسن نحو البصرة لا ستصفائها «٢» واستضافتها إلى أخواتها. فلما عبر [٤٣ أ] نهر موسى «٣»، استجاش المقيمون بها من عسكر بهاء الدولة أهل البصرة عليهم، فعمد منهم خلق عظيم إلى المسالك بينه وبينهم، فبثقوا سكور الأهواز «٤» عليها حتى عميت الطرق، وأعوز المجال والمخترق. وبقي هو «٥» ومن معه في مخاضات ووحول سدت عليهم وجوه الاختيار، وطمست دونهم معالم الإقبال والإدبار.

ووافقهم إقبال خيول «٦» من الموصل على عوادل «٧» الطرق، لمظاهرة «٨» المقيمين بالبصرة «٩»، فلما أخذتهم أبصار أصحاب أبي العباس فيروزان، ورأوا فيهم شوكة ووفورا، ولّوا على أدبارهم نفورا.

وكان بدر «١٠» قريبا منهم، فلما رأى الكشفة جاء ممانعا، وثبت بنفسه مدافعا. فأعياه سدّ ما اختلّ، وعقد ما انحلّ، وردّ من أخلّ «١١»، فاستمرت الهزيمة بهم إلى نخر الدولة وهو بسوق الأهواز، وشكوا إليه ضيق الحال، وتجمعوا على رسمهم للمطالبة بالمال، فغاظه ما ظهر في الأول من عجزهم وخورهم، وما انتشر في الثاني من سوء فعلهم

---

(١) أي أرسل، والمقصود نخر الدولة.
(٢) أي استخلاصها من يد بهاء الدولة.
(٣) في الجانب الغربي من شط العرب. فيضي- البصرة العظمى، ص ٦٦.
(٤) قصبة إقليم خوزستان، اختصار للاسم الأصلي (سوق الأهواز). انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٨٨؛ al Hudud -ﷺP lam, ٣٨١٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٤٠٦؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١١٠؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٢٦٧.
(٥) أبو العباس فيروزان.
(٦) يوجد بهامشها: جنود من خيول.
(٧) الطرق الفرعية الصغيرة المائلة عن الطريق الرئيس. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٤٣٤ (عدل).
(٨) لمعاونة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٥٢٥ (ظهر).
(٩) من جنود بهاء الدولة.
(١٠) أي ابن حسنويه.
(١١) أي من هرب وفرّ. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٢١٣ (خلل).

وأثرهم، فانكفأ بهم راجعا إلى همذان على ظاهر هدنة، وقع التغاضي عليه ومنها إلى الري، وذلك في شهور سنة سبع وسبعين وثلثمائة.

وحدث وباء بأرض [٤٣ ب] جرجان خارج عن الحدّ في هذه السنة، فهلك من أصحاب أبي العباس تاش و «١» وجوه قواده، وأعيان رجاله، والمذكورين من عمّاله وكتّابه، وسائر حاشيته وغلمانه خلق عظيم. وعرضت له بأخرة «٢» علة صعبة ختمتهم به، فمضى لسبيله رحمه الله.

وقد كان أصحابه أوغروا قلوب أهل جرجان برسوم ذميمة أبدعوها، ومعاملات قبيحة اخترعوها، وأجعال «٣» عنيفة أوقعوها. فلما فشا خبر وفاته، صاروا يدا واحدة على أصحابه، فكبسوهم في الدور والحجر، وطلبوهم تحت كل حجر ومدر، وجعلوا القتل جفلى «٤»، فانتظم الكبير والصغير، والشريف والمشروف في سلك القتل والتنكيل، والإبادة والتمثيل. وشغل وجوه أهل عسكره دهاء المصيبة عن الفراغ لقمعهم ووقمهم «٥»، وإخماد جمرتهم، واستكفاف معرّتهم. واقتضتهم صورة الحال البروز إلى ضاحي «٦» البلد، لضبط الأمر، وضم النشر، وإتقان التدبير، في اختيار من يصلح للتأمير؛ فبرزوا إليه. واتفقت كلمتهم على أبي أحمد ابن أخت له، فقدّموه وطالبوه بمال البيعة، فأطلق لهم ما وجد في خزانة الماضي، [٤٤ أ] مضافا إلى ما أمكن تمحّله «٧» واحتياله عشرينية واحدة، حتى هدأت فورتهم، وسكنت سورتهم.

وتوالى النفير من البلد بمد أهله أيديهم إلى عورات النساء الخراسانية بغيا وكيادا،

____

(١) إضافة من ب.

(٢) أي أخيرا. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ١٤ (أخر).

(٣) جمع جعل: الرشوة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ١١١ (جعل).

(٤) أي عامّا. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ١١٤ (جفل).

(٥) الوقم: كسر الرجل وتذليله. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٦٤٢ (وقم).

(٦) أي ظاهر البلد، وجمعها ضواحي.

(٧) تمحّل: احتال، وربما من المحل: السعي. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٦١٨، ص ٦١٩ (محل).

فحرّكتهم الحمية للانتقام من أولئك الرعاع والأغتام «١»، وركبوا على سمت بكراباذ «٢» لمجاهدتهم. وثار أولئك الأشقياء «٣» إليهم متهافتين في الدمار، تهافت الفراش في النار، فلم ينشبوا أن حمل أهل العسكر عليهم حملة واحدة كشفتهم عن رؤوس بلا غلاصم «٤»، وأيد بلا معاصم، ونفوس بلا عواصم. وفرشوا أرض ذلك الفضاء، بجثث القتلى متشحطين في الدماء. وضربت الدور والحوانيت بالنفّاطات «٥»، وبسطت عليهم الأيدي بالغارات. فجرى عليهم ما لم يجر بعد يزيد بن المهلب «٦» مثله نكاية رادعة، وعقوبة وازعة قامعة «٧».

وعندها أرسل مشايخ جرجان وصلحاؤها يطلبون الأمان، ويناشدون الله والإيمان.

فكفوا عن القتال، وانكفئوا إلى الرحال، فسكن نابض تلك الفتنة، ووقع طائر الهيج واللوثة. واختلف العسكر في الاختيار، فمال القواد وكبار [٤٤ ب] الغلمان الخاصة إلى خراسان، واستحب الدارية «٨» الانقطاع إلى فخر الدولة والاختصاص بخدمته. فكتب الصاحب إليهم أجمعين بالتوقف ريثما يلحق بهم الأستاذ أبو علي فيطلق لهم أموالهم، ويحقق في الولايات وزيادة الإقامات آمالهم. فحفزهم حب خراسان عن التوقف،

____

(١) جمع أغتم وهو الرجل الأعجمي الذي لا يفصح شيئا. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٤٣٣ (غتم).

(٢) تنقسم جرجان إلى قسمين: شهرستان (القصبة)، وبكراباذ. يفصلهما نهر هرند. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢١٢؛ al Hudud -ﷺP lam, ١٣٣٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٥٨؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٨١؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤١٩.

(٣) أهل البلد.

(٤) جمع غلصمة وهي رأس الحلقوم. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٤٤١ (غلصم).

(٥) أدوات تعمل من النحاس يرمى فيها بالنفط والنار. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٤١٦ (نفط).

(٦) أبو خالد يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي (ت ١٠٢ ه). عنه، انظر: ابن خلكان- وفيات الأعيان، ج ٦، ص ٢٧٨ - ٣٠٩.

(٧) إشارة إلى ما فعله يزيد بن المهلب في فتحه لجرجان سنة ٩٨ ه من إمعان في القتل. انظر: الطبري- تاريخ، ج ٦، ص ٥٤٣؛ ابن أعثم- الفتوح، ج ٧، ص ٢٩٣؛ مسكويه- تجارب الأمم، ج ٢، ص ٣٦٢.

(٨) أي الغلمان الدارية.

٨ ذكر أبي الحسن بن سيمجور في قيادة الجيوش إلى أن قضى نحبه، وانتقال الأمر إلى ابنه أبي علي، واستقامة ولايته وقراره بنيسابور، وانحدار أبي العباس تاش إلى جرجان مخليا أمور خراسان

وأعجلهم طول العهد بالأوطان دون التثبت. فساروا على سمت الروغد «١» معاودين إلى نيسابور للاتصال بأبي علي بن سيمجور وهو إذ ذاك صاحب الجيش مكان أبيه، وأقام الباقون من الدارية إلى أن وردها الأستاذ «٢» أبو علي، فاستعرضهم وأثبت أساميهم، وأطلق أموالهم، وسيّرهم إلى الري، فأمر فخر الدولة بنقلهم إلى الدار، وتوجيههم على الرسم في أمثالهم بمزيد الإكرام والإيثار، رعاية منه لحق أبي العباس من جانب، واستظهارا بهم من آخر.

وكانت جرجان تموج بالغاغة، وذوي العيث والخرابة ممن قتلوا أهل خراسان، ومثّلوا بهم. فوضع الأستاذ أبو علي الأرصاد لهم، وبثّ العيون عليهم، فقتل ممن حمل [٤٥ أ] منهم يوما واحدا جريدة واحدة زيادة على ثلاثة آلاف رجل صلبا وصبرا، وغيلة ومكرا؛ فتمت بذلك سياسته، واستفاضت هيبته، واستقامت أموره. وصفت جرجان في أيامه ممن ينعق في فساد، أو يحلم بغير استقامة وسداد.

ذكر أبي الحسن بن سيمجور في قيادة الجيوش إلى أن قضى نحبه، وانتقال الأمر إلى ابنه أبي علي، واستقامة ولايته وقراره بنيسابور، وانحدار أبي العباس تاش إلى جرجان مخليا أمور خراسان

وانصرف عسكر أبي الفوارس بن عضد الدولة إلى كرمان، وعاد فائق إلى بلخ، واستقر أبو علي بهراة. وكان ابن عزير يستحث أبا الحسن «٣» على قصد جرجان، ويؤنبه على التقاعد عنها، وهو يستمر على المعلوم من عادته في استشعار الحلم، واستحباب السلامة والسلم، إشفاقا من عثرة قدم تفضي «٤» إلى ندم، كالتي عرضت لأبي العباس تاش بجرجان من الكشفة التي جلبت على الدولة من الوصمة ما سار في البلاد خبره إلى أن

---

(١) إحدى مدن طبرستان. انظر: مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٥٩، ص ١٦٠؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤١٦.

(٢) إضافة من ب.

(٣) وردت في الأصل: الحسين.

(٤) وردت في الأصل: يقضي.

أقيم أبو علي محمد بن عيسى الدامغاني «١» للوزارة، وذلك في جمادى الآخرة [٤٥ ب] من سنة سبع وسبعين وثلثمائة. ونفي ابن عزير إلى خوارزم، فجهد أبو علي في تسديد الأعمال، وحفظها على الاعتدال، فأعياه ما أراد لانسداد الولايات، وتراجع الارتفاعات، واستشراء الحشم، وضراوة الأتراك، وتسحّبهم «٢» على الوزراء، واحتكامهم في المطالب خلعا للجام المراقبة، وأمنا من مر السياسة وصدق المؤاخذة. فصرف بأبي نصر بن أبي زيد «٣»، وهو الشهم الذي يصيب المحزّ في أقواله، ويطبق المفصل في أفعاله، ويبذّ الكفاة بغنائه ومضائه، وصواب تدبيره وآرائه.

ثم بدا لهم في أمر أبي علي، فردّ ثانيا إلى مكانه، من صدر ديوانه. واتفقت لأبي الحسن بن سيمجور بين هذه الأحوال نهضة إلى خرّمك «٤»، بعض منتزهاته بواحدة من حظاياه، نخانته نفسه خلال الرفث إليها، وخرّ إلى الأرض عن صدرها ميتا. وأخفي خبر وفاته، إلى أن ردّ إلى داره، واستعد لإظهاره.

وورث أبو علي رئاسة بيته وإخوته وجيشه، فسد الثلمة «٥» الحادثة بأبيه برفق سياسته، وحسن رعايته، وحفي إيالته وولايته. وحسنت طاعة أبي القاسم أخيه، وسائر إخوته له، وعمّ رضاهم [٤٦ أ] به.

وبلغ أبا علي أن هراة سميت لفائق، فقصدها أبو علي وكتب إليه يعاتبه على ما استجازه من الخطبة على خطبته. ثم اتفقا على أن تكون هراة لفائق، ونيسابور مع قيادة الجيوش لأبي علي. ورتب كل واحد منهما أصحابه بناحية عمله، وحملت الخلع من

---

(١) الوزير الأديب. عنه، انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ١٦٣؛ خواندمير- دستور الوزراء، ص ٢١٦.

(٢) تسحّب حقه: اغتصبه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٤٦١.

(٣) كان صاحب ديوان الإنشاء والرسائل لمدة طويلة أيام الدولة السامانية. عنه، انظر: كرماني- نسائم الأسحار، ص ٣٨؛ خواندمير- دستور الوزراء، ص ٢١٧؛ ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٧٤.

(٤) وردت عند الكرديزي: بستان خرمك، وعرّفها المحقق بأنها قرية على أبواب نيسابور. زين الأخبار، ص ٢٧٠.

(٥) وردت في الأصل: الثملة، والتصحيح من ب.

بخارى على الرسم لولاية «١» الجيوش، وأبو علي يظن أنه هو المقصود بها، والمحبّو بالكرامة فيها، حتى إذا بلغ الرسول منتصف الطريق، عدل إلى فائق بما صحبه، فعلم أنه مكر مكروه، وغدر أسرّوه، وأنه هو المقصود بالسوء والمراد بالمحذور. فلما علم أن فائقا شخص عن هراة، نهض أبو علي من نيسابور كالسهم المرسل والشهاب المرصد، حتى انقضّ عليه فيما بين هراة وبوشنج «٢» فعل من اتخذ الجد خدنا «٣» وصاحبا، ونكب عن ذكر العواقب جانبا. وعلم أنه متى استمرت به تلك الحيلة، ونفذت فيه تلك المكيدة، وعرف جبنه وخوره، لم ترتفع «٤» له ولا لأهل بيته راية، ولم تعرف لانتقاض الأمور عليهم، وانسياب المحذور إليهم من كل وجه [٤٦ ب] غاية.

فصدق قتاله آخذا بفرط الجد والتشمير، ودقّ عسكره دقّ المضبب أستاه «٥» المسامير، فولّوا به منهزمين إلى مرو الروذ، [و أردفهم أبو علي بعدة من قواده للتشريد به «٦» في مهربه، فوافقوه بقنطرة مرو الروذ] «٧»، مستعدا للمدافعة، ومحتشدا للمنازعة «٨». فقارعهم حتى أسر عدة منهم، وحملهم إلى بخارى.

وسار أبو علي إلى مرو خاطبا عمل أبيه، ومدلا بسابق حرماته ومساعيه «٩»، ومتكثرا بإخوته وذويه، فحقق الرضا سؤله، وجرد إليه فيما استدعاه رسوله. وقرر قيادة الجيوش

---

(١) وردت في ب: لولاة.

(٢) وتسمى أيضا: فوشنج. من مدن هراة. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٦٤؛ al Hudud -P lamﷺ, ١٠٤٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٠٧؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٧٧؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٥٣.

(٣) الخدن: الصديق. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ١٣٨ (خدن).

(٤) وردت في الأصل، وفي ب: يرتفع.

(٥) جمع سته واست: العجز. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٤٩٥ (سته).

(٦) أي بفائق.

(٧) إضافة من ب.

(٨) ورد بهامشها في الأصل، وكذلك في ب: للممانعة.

(٩) أي واثقا بحرمات أبيه عند السلطان وخدمته له. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٢٤٧ (دلل).

عليه، وناط مصالحهم بيديه، وجمع له بين ولاية نيسابور وهراة وقهستان، ولقبه بعماد الدولة. فانكفأ إلى نيسابور وقد نال ما أراد، فهذّب الأعمال، ورتّب الأحوال والرجال.

وأخذ أمره يزداد نورا وبهاء، ويتضاعف قوة واستعلاء، إلى أن تلقب بأمير الأمراء المؤيد من السماء. وامتدحه أبو بكر الخوارزمي بقصيدة أولها:

إن الألى خلف الخدور ... هم في الضمائر والصدور [٤٧ أ]

وقع الغبار عليهم ... فغدا يتيه على العبير

لما مشين على الثرى ... تاه المعار على المعير

وأعرتهم نظري فما ... ردّ المعار على المعير «١»

فغدوت في حال الأسي ... ر ورحت في حال الحسير

وكذاك من عشق النجو ... م ورام صيدا للبدور

يا سائلي ما في البرا ... قع والهوادج والستور

فيها الرضاع من المن ... ية والفطام من السرور

وسألت من زوج المنا ... بر حين يخطب والسرير

فهو الأمير ابن الأمير ... ابن الأمير ابن الأمير

المشتري المدح القلي ... ل بماله الجم الغفير

من سيفه كسر الجبير ... وسيبه جبر الكسير

والناظم المعنى الطوي ... ل بلفظه النزر القصير

يرمي أعاديه بسه ... م من سعادته طرير

حتى لو افترشوا الحري ... ر لشاكهم مسّ الحرير

ويؤنث البهم الذكور ... بتلكم البيض الذكور

---

(١) هذا البيت ساقط في ب.

وسهامه نوب الخطو ... ب وقوسه عقب الدهور [٤٧ ب]

ورماحه حشو العدى ... وعداته حشو القبور

استغفر الرحمن بل ... حشو الخوامع والنسور

ويصوم صارمه فيف ... طر بالجماجم والنحور

وإذا أتاه سائلا ... رب الشويهة والبعير

أبصرته بفنائه ... رب الخورنق والسدير

أمحمد بن محمد ... هذي الثماد من البحور

لو كانت الدنيا تدو ... ر على الحقائق في الأمور

ما صيغ تاج محمد ... إلّا من القمر المنير

وأتاه البديع أبو الفضل الهمذاني وهو بمرو فمدحه بالقصيدة التي أولها «١»:

عليّ أن لا أريح العيس والقتبا ... وألبس البيد والظلماء واليلبا

وأترك الخود معسولا مقبّلها ... وأهجر الكأس تغذو شربها طربا

حسبي الفلا مجلسا والبوم مطربة ... والسير يسكرني من مسّه تعبا «٢»

وطفلة كقضيب البان منعطفا ... إذا مشت وهلال الشهر منتقبا

تظل تنثر من أجفانها حببا «٣» ... دوني وتنظم من أسنانها حببا [٤٨ أ]

قالت وقد علقت ذيلي تودعني ... والوجد يخنقها بالدمع منسكبا

لا درّ درّ المعالي لا يزال لها ... برق يشوقك لا هونا ولا كثبا

---

(١) وردت في ديوانه، ص ٣٢، كما أورد بعض أبياتها: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٣٣٥.

(٢) وردت في ب: نصبا.

(٣) وردت عند الثعالبي: دررا.

يا مشرعا للمنى «١» عذبا موارده ... بيناه مبتسم الأرجاء إذ نضبا

أطلعت «٢» لي قمرا سعدا منازله ... حتى إذا قلت يجلو ظلمتي غربا

كنت الشبيبة أبهى ما دجت درجت ... وكنت كالورد أذكى ما أتى ذهبا

أستودع الله عينا تنتحي دفعا ... حتى تؤوب وقلبا يرتمي لهبا

وظاعنا أخذت منه النوى وطرا ... من قبل يقضي الهوى من حكمه أربا «٣»

غضّي عليك «٤» قناع الصبر إنّ لنا ... إليك أوبة مشتاق ومنقلبا

أبي المقام بدار الذل لي «٥» كرم ... وهمة تصل التوخيد والخببا «٦»

وعزمة لا تزال الدهر ضاربة «٧» ... دون الأمير وفوق المشتري طنبا «٨»

يا سيد الأمراء افخر فما ملك ... إلا تمناك مولى واشتهاك أبا

إذا دعتك المعالي عرف هامتها ... لم ترض كسرى ولا من قبله ذنبا

أين الذين أعدوا المال من ملك ... يرى الذخيرة ما أعطى وما وهبا

ما الليث «٩» محتطما والسيل مرتطما ... والبحر ملتطما والليل مقتربا

____

(١) وردت في ب: للعلا. وفي ديوانه: للندى.

(٢) وردت في الأصل: طلعت، والتصحيح من الديوان.

(٣) ورد هذا الشطر في ديوانه: من قبل أن أخذت منه المنى أربا.

(٤) وردت في ديوانه: فقلت ردي.

(٥) وردت عند الثعالبي: بي.

(٦) الوخد: ضرب من سير الإبل وهو سعة الخطو في المشي. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٤٥٣ (وخد). والخبب: ضرب من العدو. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٣٤١ (خبب).

(٧) وردت في الأصل: صارمة. والتصحيح من ب، والديوان، والثعالبي.

(٨) الطّنب: الحبل. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٥٦٠ (طنب).

(٩) وردت في ديوانه: ما السيف.

أمضى شبا «١» منك أدهى منك صاعقة ... أجدى يمينا وأدنى منك مطّلبا [٤٨ ب]

وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا ... لو كان طلق المحيّا يمطر الذهبا

والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت ... والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

يا من يراه ملوك الأرض فوقهم ... كما يرون على أبراجها الشهبا

لا تكذبنّ فخير القول أصدقه ... ولا تهابنّ في أمثالها العربا

فما السموأل «٢» عهدا والخليل «٣» قرى ... ولا ابن سعدى «٤» ندى والشنفرى «٥» غلبا

من الأمير بمعشار إذا اقتسموا ... مآثر المجد فيما أسلفوا نهبا

ولا ابن حجر «٦» ولا ذبيان «٧» يعشرني ... والمازني «٨» ولا القيسي «٩» منتدبا

هذا لركبته هذا لرهبته ... هذا لرغبته هذا إذا طربا «١٠»

____

(١) طرف السيف وحدّه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٤٢٠ (شبا).

(٢) السموأل بن عادياء المشهور بوفائه. عنه، انظر: ابن قتيبة- الشعر والشعراء، ص ٤٢ - ٤٣.

(٣) خليل الرحمن النبي إبراهيم عليه السّلام، وهذا إشارة إلى ما ورد في الآية ٥١ من سورة الحجر، والآية ٢٤ من سورة الذاريات.

(٤) أوس بن حارثة بن لأم الطائي، أحد أجواد العرب. عنه، انظر: الثعالبي- ثمار القلوب، ص ١١٧ - ١١٩.

(٥) عمرو بن مالك الأزدي. من فتّاك العرب وعدّائيهم. وهو صاحب لامية العرب. عنه، انظر: الأصفهاني- الأغاني، ج ٢١، ص ١٢٨.

(٦) هو امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندي. عنه، انظر: ابن قتيبة- الشعر والشعراء، ص ٣٦.

(٧) هو زياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبياني. عنه، انظر: ابن قتيبة- الشعر والشعراء، ص ٦١.

(٨) هو زهير بن أبي سلمى. عنه، انظر: ابن قتيبة- الشعر والشعراء، ص ٥١.

(٩) هو ميمون بن قيس المعروف بالأعشى. عنه، انظر: ابن قتيبة- الشعر والشعراء، ص ١١٤.

(١٠) إشارة إلى ما ذكره ابن قتيبة عن أشعر الناس، قال: امرؤ القيس إذا ركب، والنابغة إذا رهب، وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب. ابن قتيبة- عيون الأخبار، ج ٢، ص ١٨٥.

نعم، واستولى «١» على بلاد خراسان وارتفاعاتها «٢»، فجبيت له عن آخرها. وكتب الرضا إليه يستنزله عن بعضها لأطماع حشمه، وعوارض نوبه، فاعتلّ عليه باستغراق أعطيات جيوشه ارتفاعات خراسان، وحاجته إلى زيادة يتحمّلها لتتمة أطماعهم في السنة، وهو في ذلك يخلط طاعة بجفاء، ويسرّ حسوا في ارتغاء «٣».

ونصب «٤» أبا علي النسفي لصحابة الديوان، وبسط يده في المصادرة والاستخراج حتى كنس خراسان فلم يبق [٤٩ أ] بها ذو درّ إلا أدمى خلفه «٥»، وألصق بظهره بطنه. ثم طالبه بأداء ما رفع عليه، وأمر بدق يديه على رجليه، إلى أن أعفي ببعض المال، ومات بأخرة على شرّ حال.

وصار يكاتب الملك الملقب بشهاب الدولة وظهير الدعوة هارون بن أيلك بغراخان «٦»، وهو ببلاد الترك سرا على أن يتشاطر خراسان وما وراء النهر متى ملك على الرضا بخارى، فكان مثله كما قيل:

بمحمد سلّوا سيوف محمد ... رضخوا بها هامات آل محمد

وهو في ذلك كله يقيم رسم الخطبة وشعار الدعوة استعمالا بزعمه للتقيّة أو تحمدا إلى الرعيّة.

وقد كان طائفة من دهاقين ما وراء النهر قد أملّتهم أيام تلك الدولة «٧»، فقرمت «٨»

---

(١) أي أبا علي.

(٢) وردت في الأصل: ارتفاعهاتها.

(٣) يسرّ حسوا في ارتغاء: مثل يضرب لمن يظهر أمرا، وهو يريد غيره. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٣٣٠ (رغا).

(٤) أي أبا علي.

(٥) الضّرع. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٩٢ (خلف).

(٦) أمير القرخانيين الذي اجتاح بخارى سنة ٣٨٢ هـ. عنه، انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٢٢٠؛ جوزجاني- طبقات ناصري، ج ١، ص ٢١٤؛ مستوفي- تاريخ كزيدة، ص ١٤٥؛ بارتولد- تركستان، ص ٣٩٣.

(٧) أي الدولة السامانية.

(٨) اشتهت واشتاقت. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٤٧٣ (قرم)

٩ ذكر فائق وما انتهى إليه أمره بعد الواقعة المذكورة

نفوسهم إلى الاستجداد «١»، والإحماض «٢» به عن خلّة الألفة والاعتياد، فواصلوا بغراخان بكتبهم في تورد ذلك الحريم شاحذين «٣» عزمه في المضاء والتصميم، فصار يتطرف تلك الحدود شيئا فشيئا كالبازي يحل نصاح أجفانه على التدريج تأنيسا له من الوحشة، وتسكينا من الروعة، وتضرية على القنص، إلى أن ورد إسبيجاب «٤»، فأنهض من بخارى [٤٩ ب] إينج «٥» الحاجب في طلبه، وردّه على عقبه، فالتقيا على حرب أشابت الذوائب، وأنارت الكواكب، ثم انجلت عن أسر إينج الحاجب في الكبار من القواد والكثير من الأفراد. واستحكم لذلك طمعه في تورّد سائر البلاد، [و الإغارة على الطريق والتلاد] «٦».

ذكر فائق وما انتهى إليه أمره بعد الواقعة المذكورة

وأقام فائق بناحية مرو الروذ على رمّ الرثّ، وجبر الكسر، وأسو ما فشا في عسكره من كلوم الحرب. فلما التحم أمره، وانضم نشره، سار يريد بخارى من غير استئمار «٧» واستطلاع رأي، فارتاب الرضا به. فلما قاربها، برز إلى فضاء السهلة ببابه، ورماه بإينج وبكتوزون الحاجبين، وسائر مواليه وموالي أبيه [و ذلك في يوم الأحد لإحدى «٨» عشرة

---

(١) أي دولة جديدة.

Shamela.org

(٢) أثر عن العرب قولهم: الخلّة خبز الإبل، والحمض لحمها أو فاكهتها أو خبيصها. وإنما تحوّل إلى الحمض إذا ملّت الخلّة. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ١٣٨ (حمض)، مج ١١، ص ٢١٢ (خلل).
(٣) وردت في ب: شاخدين.
(٤) وترد أيضا إسفيجاب. اسم للناحية وللقصبة. إلى الشمال من الشاش يمين نهر سيحون. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٣٣٣؛ al Hudud -ﷺP lam, ١١٨٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٢٦٢؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٥٢٧.
(٥) ورد في ب: ايج، وورد انج في: د، الكرديزي- زين التواريخ، ص ٢٧٠؛ ابن الأثير- الكامل، ج ٧، ص ٤٦٣؛ ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٦٩. وورد عند المستوفي: آنج. تاريخ گزيدة، ص ١٤٥.
(٦) ساقطة في ب.
(٧) أي من غير أمر.
(٨) وردت في الأصل: أحد. وبهامشها لثلث عشرة.

ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ثمانين وثلثمائة] «١». فلما رهقه الكفاح، وعضّه السلاح، أجفل إجفال الظلّيم «٢». واقتسمت الهزيمة أصحابه بين القتل والتنكيل، والأسر والتذليل، ووافى الشط منهزمه فوجد السفن مغيبة، فركب الخطر، واحتال حتى عبر، وسار إلى بلخ على أن ينتاش منها [٥٠ أ] ويرتاش «٣»، وأقام بها أياما ثم عبر إلى ترمذ «٤»، وواصل بغراخان بكتبه يبعثه على الانحدار «٥»، ويحثّه على البدار «٦».

وخوطب من بخارى والي الجوزجان «٧» أبو الحارث محمد «٨» الفريغوني بقصده وحصده، فجمع بوشا «٩» عظيما، وساق من أرض الجوزجان بريما «١٠»، [طارئا ومقيما] «١١».

فانتدب لهم أحد غلمانه وكان يعرف بأرسلان آخر سالار في زهاء خمسمائة من الترك والعرب، فانقضّوا عليهم انقضاص الصقور على بغاث الطيور، فمزقوهم بددا، وجعلوهم طرائق قددا، وفرشوا الفضاء بجثث القتلى، وغنموا مالا لا يعدّ ولا يحصى، وعادوا إلى بلخ ظاهرين «١٢».

____
(١) ساقطة في ب. وهذا الخبر ورد في أحداث سنة ٣٨٣ ه عند ابن الأثير- الكامل، ج ٧، ص ٤٦٢.
(٢) الظليم ذكر النعامة، والإجفال ركضه.
(٣) ارتاش فلان: حسنت حاله. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٣٠٩ (ريش).
(٤) هناك اختلاف في كيفية ضبطها. انظر: السمعاني- الأنساب، ج ١، ص ٤٥٩. وهي أهم مدن ناحية الصّغانيان.
عنها، انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٩٨؛ al Hudud -ﷺP lam, ١١٤٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٢٨٣؛ ص ٢٩١؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٨٤.
(٥) إلى بخارى.
(٦) وردت في ب: البدال.
(٧) وترد أيضا جوزجانان. الناحية الغربية من ربع بلخ، وهو أحد أرباع خراسان. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٧٠؛ al Hudud -ﷺP lam, ١٠٥٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٢٩٨؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٥٥، ص ١٧٩؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٦٥.
(٨) ورد في النسخ: أحمد بن محمد، والأصح ما أثبتناه، فهو أبو الحارث محمد بن فريغون والد أبي نصر أحمد بن محمد الذي سيأتي ذكره في ص ٣٠٣ من هذا الكتاب. انظر: ابن الأثير- الكامل، ج ٨، ص ٦٦. تجدر الإشارة إلى عدم صحة ما ذكره زامباور في معجم الأنساب، ص ٣١١.
(٩) وجمعها أوباش: الجماعة الكثيرة المختلفة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٢٦٩ (بوش).
(١٠) البريم: كل شيئين اختلطا واجتمعا، كضوء الشمس مع بقية سواد الليل، أو الحبل المفتول من لونين، ومنه قيل للجيش بريم، لألوان شعار القبائل فيه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٤٤ (برم).
(١١) إضافة من ب.

(١٢) أي غالبين، وقد وردت في ب: طائرين.
وقد كان طاهر بن الفضل ملك الصّغانيان «١» على أبي المظفر محمد بن أحمد، وهو واحد خراسان جلالة قدر، ونباهة ذكر، ومتانة رأي وحجر، ورصانة نظم ونثر، فانقطع أبو المظفر إلى جانب فائق صارخا فزعا، فأحسن إصراخه، وأمدّه بمن يردّه وراءه، فاغتنم طاهر بن الفضل خفة أصحاب فائق ببلخ، فلفت لفتة إليها طامعا «٢» في الاستيلاء عليها. فزحف المقيمون بها لمدافعته، ونهدوا «٣» لمناجزته، وتناوشوا القتال، وصدقوا المصاع «٤» والصيال. وثقف بعض العرب مكان طاهر بن الفضل فقصد قصده [٥٠ ب] بطعنة في منكبه، أذرته «٥» عن مركبه، وبادره «٦» فاحتزّ رأسه عن مركّبه «٧». وثار الصياح بقتله؛ فولّى أصحابه على الإدبار هاربين بين سمع الأرض وبصرها، وهائمين أثناء حجرها ومدرها.
ولما جرى في أمر إينج الحاجب ما جرى، ونقل إلى بلاد الترك في جملة «٨» الأسرى، انتفضت مرائر الأعمال بما وراء النهر، ووهت قواها، وتداعت قواعدها وبناها.
فأشفق الأمير الرضا وأركان دولته من أن يتفاقم الأمر، ويتراكم الشر، ويعضل حادث الداء، وينضب باقي الماء. فخوطب فائق في الاستمالة، وقوبلت عثرته بالإقالة، واستنهض إلى بخارى للاستظهار به على سدّ الخلل، وتعديل الميل. وسرب عنها بعد حسن القبول

---

(١) وترد أيضا چغانيان. ناحية تقع شمال نهر جيحون، إلى الغرب من نهر الوخش (و خشاب) وهو الرافد الكبير الأيمن لجيحون. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٩٨؛ al Hudud -ﷺP lam, ١١٤٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٢٦٨، ٢٨٣؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٨٣.
(٢) وردت في الأصل: طعاما، والتصحيح من ب.
(٣) نهضوا. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٤٢٩ (نهد).
(٤) القتال بالسيف. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٣٣٧ (مصع).
(٥) أسقطته. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٢٨٢ (ذرا). وقد وردت في ب: ازرته.
(٦) وردت في ب: وبادر إليه.
(٧) أي جسده الذي ركّب فيه رأسه.
(٨) وردت في ب: زمرة.

١٠ ذكر ورود بغراخان بخارى، وهجرة الرضا عنها، وانصرافه ثانيا إليها بعد فصول بغراخان عنها

والإقبال، وإزاحة العلة بالأموال إلى سمرقند «١»، فلم يرعه إلا خبر بغراخان وهو الملقب بشهاب الدولة وظهير الدعوة، وقد استعار إليه قوادم الطير ركضا، لم ينل فيه جماما ولا غمضا، فولّى فائق من سمرقند من «٢» بين يديه هزيما «٣»، ولم يلو على تعرف الحال مقيما، وجعل من كان معه من أصحاب السلطان عرضة للسيوف، وفريسة لأنياب الحتوف.
وتوافقت الشهادات على أن انهزامه كان عن مواطأة منه لبغراخان، على آل سامان، فعل من لا وفاء [٥١ أ] يزعه، ولا حياء يردعه، ولا نعمة تحفّه، ولا حرمة تكفّه.
وسار كما هو حتى أقعى «٤» بعقوة «٥» بخارى، فراع السلطان بالداهية الدهياء، والخطة النكراء، والقضاء المبرم من السماء، حتى اضطر إلى مفارقة الدار، واللياذ بذمة الاستتار.
ذكر ورود بغراخان بخارى، وهجرة الرضا عنها، وانصرافه ثانيا إليها بعد فصول بغراخان عنها
ودخل بغراخان بخارى، فاستقبله فائق مختصا به، ومنخرطا في سلكه، ومكثرا لسواده، وملقيا إليه لين قياده، كأنهما كانا على ميعاد، وتلاقيا على سابق صحبة واتحاد.
ولما استقرت الدارية «٦» قرارها، استأذنه فائق في النهوض إلى بلخ لا ستضافتها إلى ولايته، وإثارة أموالها لخزانته، فأذن له فيه وسار إلى ترمذ، وبعث بعثا إلى بلخ، فاحتاط عليها، ونصب بها من يجبي الأموال ويدبّر الأعمال.

واهتبل الرضا فرصة البروز من مستتره في بزة النكرة حتى عبر النهر إلى آمل

---

(١) تشكل هي وبخارى قصبتي إقليم الصغد. عنها، انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٣١٦؛ al Hudud -Plamﷺ, ١١٣٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٢٦٦؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٥٠٦.

(٢) ساقطة في ب.

(٣) وردت في ب: هاربا هزيما.

(٤) وردت في الأصل: أفعى، والتصحيح من ب، وتعني الجلوس كالكلب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ١٩٢ (قعا).

(٥) ساحة الدار وما حولها. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٧٩ (عقا).

(٦) وردت في ب: الدار به.

الشط «١»، وقد كان هاجر إليها أمامه عدة من خواصه وحجّابه وغلمان داره عائرين «٢» حائرين «٣»، فاعتدوا بمقدمه عيدا، وظنوا أنهم أنشئوا «٤» خلقا جديدا. وتلاحق بهم [من ندّ من] «٥» أبناء الهجرة من بخارى، فتموا عدة وعديدا.

واعتمد الأمير الرضا أبا علي [٥١ ب] البلعمي «٦» للوزارة، وضبط أطراف ذلك القدر من الإمارة، فعجز عن التدبير لضيق الحال والمجال، وانسداد وجوه الأموال، وتزايد عدد المهاجرين من الرجال. وقد كان نفي عبد الله بن عزير إلى خوارزم بعد صرفه عن الوزارة، فأمر الرضا بالكتاب إليه في استحضاره لاستئناف الاعتماد عليه فيما كان يليه، واستكفائه المهم منه وفيه، فبادر إليه مغتنما خدمته في تلك الحال، متوصلا إلى ترضيّه بوجوه الاحتيال.

وقد كان الرضا من لدن نجوم الشر واستطارة شرره بأعالي ما وراء النهر من جهة الترك يكاتب أبا علي محمد بن محمد بن سيمجور، وهو الملقب بعماد الدولة، والمعتمد لحياطة «٧» الحوزة، وحراسة البيضة، في الاستنفار والاستمداد، ويتلطف له في التجشم للجهاد، وتطهير تلك البلاد من ذوي البغي والعناد، بعد أن سامحه بأموال خراسان، وأغضى له عن ارتفاعاتها ترضيّا له، واحتمالا منه، واستبقاء للصنيعة عنده، وطمعا في الانتفاع بشأنه، والاستظهار بمكانه، فيعده الاستعداد للنهوض، والاحتشاد للبروز، حتى استغرقت مواعيده شهورا عدة، ثم نهض من نيسابور إلى سرخس ومنها إلى

---

(١) (الشط) ساقطة من ب.

(٢) مترددين. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٦٢٣ (عير).

(٣) إضافة من ب.

(٤) وردت في ب: انشؤا.

(٥) ساقطة في ب.

(٦) أبو علي محمد بن محمد البلعمي الذي ترجم تاريخ الطبري للفارسية. عنه، انظر: خواندمير- دستور الوزراء، ص ٢١٧.

(٧) وردت في الأصل بحياطة، والتصحيح من ب.

مرو في مثلها من المدة و «١» يتربص في [٥٢ أ] أثناء ذلك زحفة القوم وتغلبهم، فيشاطرهم الملك على حاجز النهر، فيكون له ما دونه، ولهم ما وراءه «٢».

وكان [قد] اتصل به «٣» وبخدمته طائفة يزينون له هذا الرأي، ويحلّونه في عينه، ويجلونه في معرض التصويب عليه تقربا إليه، ويوحون إليه أنها دولة قد تمت أيامها، وحان أن ينوح عليها أصداؤها وهامها، لا ستمرار العثرات عن الأطراف بها، وانثيال «٤» الفتوق من كل الوجوه عليها، وأن المعني بنصرتها مخذول بخذلانها، ومحكوم عليه بالإدبار لإدبار زمانها، ووهي قواعدها وأركانها.

فلما استقر ذلك السلطان «٥» بآمل الشط، كتب إليه بأن الخفاء قد برح «٦»، والبلاء قد برّح «٧»، وأنه آن له أن يستأثر بعز الأحدوثة في مظاهرته وموالاته «٨»، والاقتداء بسلفه الذين هم صنائع دولته، ودولة آبائه في طاعته ونصرة دعوته، وكف الأذى عن وجهه، وردّه إلى دار قراره، ومعشش أوليائه وأنصاره، فقد قطع طمعه إلا منه، واستشعر اليأس إلا من لدنه.

وقبل هجوم بغراخان على بخارى واصله «٩» بكتبه في الاستصراخ والاستغاثة، ومجاوزة التلطف إلى التضرع في الاستنفار والاستجاشة، فمن تلك الكتب فصل حفظته من إنشاء أبي علي الدامغاني [٥٢ ب] وهو:

«إنما تحتاج الدولة إلى عمادها إذا قصدها من يزعزع راسيات أوتادها، فالله الله «١٠» في هذه الدولة، فقد جاءتك مستغيثة إياك، لائذة بك».

---

(١) إضافة من ب.
(٢) وردت في الأصل: ما وراؤه، وفي ب: ما ورآه.
(٣) أي بأبي علي.
(٤) انصباب التراب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٦٤٥ (ثل).
(٥) يقصد الأمير الرضا.
(٦) زال. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٤٠٩ (برح).
(٧) اشتد. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٤١١ (برح).
(٨) ساقطة في ب.
(٩) وردت في الأصل، وفي ب: ما واصله.
(١٠) إضافة من د.

فكان تأثيره فيه «١» تأثير الرّخاء «٢» في الصخرة الصماء، لا خدش ولا حكّ، ولا شقّ ولا شكّ، وفرش خلال ذلك فراش «٣» الدالة «٤»، والاقتراح يستزيد الرضا بإكرامه «٥» في المخاطبة على ما كان يخاطب به أبوه وغيره من أصحاب الجيوش به. ثم لم يرض بذلك حتى اقترح الجمع له بين التلقيب والتكنية على العنوان، منسوب الولاء إلى أمير المؤمنين وإنما ولاؤه لآل سامان. وقابل الرضا جميع ذلك بالإيجاب، ووفّاه بما اشتهاه من شريف الخطاب.

وقد كان يقترح ذات يوم على لسان خادم للرضا ورد عليه رسولا يعرف بأرسطاطاليس أيام مقامه بآمل الشط، زيادة على المبذول له تجرى مجرى الشطط والمحال. فقال «٦» أيها الأمير: إن ذلك السلطان اليوم، بحيث لو اقترحت عليه مخاطبتك بالتأمير لفعل، ولكن وراء اليوم غد، فاختر لنفسك ما هو أجمل بك، وأزكى في الأحدوثة عنك «٧». فكادت «٨» عند ذلك العيون أن تصوب «٩»، والقلوب أن تذوب. واستمرت القسوة به فلم يزد على وعد [٥٣ أ] مطال «١٠»، وتسويف ومطال «١١»، لا جرم أن الله تعالى كفى الرضا شغل مادهاه، ونصره وآواه، وأعاده إلى خطته ومثواه، وختم بالخير عقباه، وأسلم الغادر لما اكتسبت يداه، وما الله بظلام للعبيد.

---

(١) أي تأثير هذا الفصل أو الكتاب في أبي علي.
(٢) الريح اللينة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٣١٥ (رخا).
(٣) ورد بهامشها، وفي ب: بساط.
(٤) وردت في ب: الدولة. والدالّة: المرأة في تدللها على زوجها. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٢٤٧ (دلل).
(٥) وردت في ب: ترتيبه.
(٦) أي الخادم.
(٧) وردت في ب: عندك.
(٨) وردت في الأصل: وكادت، والتصحيح من ب.
(٩) من الصّوب: نزول المطر. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٥٣٤ (صوب).
(١٠) من الإطالة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٦٢٤ (مطل).
(١١) تسويف. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٦٢٤ (مطل).

١١ ذكر انصراف الرضا إلى بخارى بعد جلاء بغراخان عنها

ذكر انصراف الرضا إلى بخارى بعد جلاء بغراخان عنها

واتفق أن مست بغراخان علة استوبل «١» لها المقام ببخارى، فانزعج عنها عائدا وراءه، معاودا هواءه. وعمد أهل بخارى إلى نفاضات «٢» عسكره فطحروهم «٣» طحرا، ودحروهم دون حواليها دحرا. وبادر الأتراك الغزّية على أثره شلا «٤» وطردا، وعركا وطحنا، ولم ينفك يمضي على الإجام والانهزام، على ما به من ألم السقام، حتى ذاق كأس الحمام. وحين أحس الرضا بإجفاله على حاله، ابتدر العبور إلى بخارى فيمن تتامّ «٥» إليه من حاشيته ورجاله، فتباشر الناس بما أتاح الله من عوده إلى دار ملكه، وقرارة «٦» عزّه تباشر الصيّام بهلال الفطر، وذوي المحول والإعدام باستهلال القطر، وصفت له بخارى وسمرقند وما صاقبهما من ولايته وسائر مملكته.

ولما رأى أبو علي ما استقام له من الأمر، [و انضم إليه من النشر] «٧»، وسقط من ناجم الشر، وخمد من نائرة «٨» الفتنة التي قدّرها صماء لا تسمع، ودهياء لا تنقطع، [٥٣ ب] وانضاف إلى ذلك أن بغراخان لما ألقى عصا القرار ببخارى، كاتبه على الرسم الذي كان ولاة خراسان يكاتبون أصحاب جيوشهم بها غير واف له بالشريطة التي كانا تعاقدا عليها، وتراضيا بها من النزول على رتبة التماثل، واقتسام جانبي الملك على حكم

---

(١) استوبل الأرض: لم توافقه في بدنه، وإن كان محبا لها. أو استوخمها، أو لم يستمرى ء بها الطعام. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٧٢٠ (وبل).

(٢) ما سقط من الشى ء إذا نفض. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٢٤٠ (نفض) فكأنه أراد ضعفاء الرجال والخيل.

(٣) رموهم: ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٤٩٦ (طحر).

(٤) الشلّ: الطرد. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٣٦٢ (شلل).

(٥) جاء في الحديث: (تتامّت إليه قريش) أي أجابته وجاءته متوافرة متتابعة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٦٧ (تمم).

(٦) وردت في ب: قرار.

(٧) ساقطة في ب.

(٨) نارت نائرة في الناس: هاجت هائجة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ١٨٨ (نار).

التناصف والتعادل، سقط في يده، وفتّ في عضده، وذهب عليه أمره، وأظلم عليه رأيه، لإسفار «١» الاختبار عن خلاف تقديره، وانكشاف العواقب عن ضد ما أجاله من قداح تدبيره، فاستشار نصحاءه فيما دهاه، واستقدح آراءهم فيما عراه، فأشاروا عليه بمعاودة التقرّب، واستئناف التلطف، واحتيال ما يزيل عارض الوحشة، ويمحو سمة المعصية، ويسدّ خلل التقصير في الطاعة. فأعدّ من صنوف الأموال والهدايا مارام ترضيّه به «٢» قلبه عليه.

وسنح لفائق بعد إحساسه بعود الرضا إلى قرارة ملكه أن ينهد إلى بابه متغلبا عليه، ومتحكما على رسمه فيه. وقد كان دهن الرضا من جهته ما «٣» دهاه من جانب أبي علي تصامما عن «٤» ندائه، وتقاعدا عن فنائه، وتعامسا «٥» عن «٦» فرض طاعته وولائه، فضرب الرضا وجهه بوجوه حجابه، ورجال [٥٤ أ] بابه، وناوشهم الحرب بغلمانه، وكافة أعوانه، حتى استلحمت العدد الجمّ من الفريقين، وفرشت الفضاء بالقتلى من الجانبين، ثم انفلّ عنهم هزيما، وحثّ مركب النجاء «٧» حرصا على النجاة إلى الشط طريدا «٨» هشيما. فعبر إلى بعض الأطراف، وتلاحق به من أخطأتهم ظبات «٩» السيوف، وحلق الإسار «١٠» من

---

(١) أسفر الصبح: انكشف وأضاء. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٣٧٠ (سفر).

(٢) أي ترضّي الأمير الرضا.

(٣) وردت في ب: مثل ما، وبالوجهين يتم المعنى.

(٤) وردت في الأصل: على، والتصحيح من ب.

(٥) تغافلا. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ١٤٧ (عمس). وقد وردت في ب: تعاميا.

(٦) وردت في النسخ: في، والأصح ما أثبتناه. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ١٤٧ (عمس).

(٧) وردت في الأصل: النجا، والنجاء: السرعة في السير. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٣٠٥ (نجا).

(٨) ساقطة في ب.

(٩) وردت في الأصل: طباب، والتصحيح من ب.
(١٠) وردت في الأصل: الاشار، والتصحيح من ب.

أصحابه، فانحدر بهم إلى أبي «١» علي منفتلا «٢» في حبله، ومنخرطا في سلكه، ولائذا بذمته، ومستذريا «٣» بظل طاعته. فوافق أبو علي منه منيته التي كان يخطبها على الدهر باقتراحه، ويعدها على الحادثات أحدّ سلاحه، واستقبله بأهل عسكره على أتم إجلال وإعظام، وأعم إكبار وإكرام، وأحسن ترتيب وترحيب، وبشر ريق «٤»، وبرّ خصيب. وتنسم بمكانه روح الغنى عن الرضا، فصرف إليه ما كان أعده له من الهدايا مفصحا بالجفاء والخلاف، ومصرّحا بالتمرد والانحراف. وتحالفا على الصفاء والوفاء، والتظاهر على الأعداء، ونهضا إلى نيسابور للاستعداد وتخمير الرأي في حسم الفساد.

ولما يئس الرضا من صلاحهما له، دبّر في الاستعداء «٥» عليهما، والانتصاف منهما، بمن يشتد بأسه، ويجدّ في اللقاء مراسه، فوقف به التدبير على الأمير أبي منصور سبكتكين لما توسمه فيه من أمارة الخير [٥٤ ب] باعتكافه على غزو الهند احتسابا لثواب الله، وادخارا لكريم القربة إلى الله، فأرسل إليه أبا نصر الفارسي النائب عنه ببابه، وكتب على يده يذكر ما أعياه من الداء بمكان موليه أبي علي وفائق، وخطبهما على دولته، وقصدهما إياه في نفسه ومملكته، واستئثارهما عليه بارتفاعات «٦» حوزته، غير راجعين إلى حشمة، ولا راعيين لحق نعمة، ولا متمسكين من الحياء بعصمة. وإن الذي دهمه من أمورهما «٧» قد سدّ عليه وجه الخلاص، وطريق الانتصاف إلا من جهته، وما يرجوه من معونته. وألطف القول في استدعائه وتطميعه في جمال ما يتكلفه من نصرة أوليائه، بفرط

____
(١) وردت في الأصل: أبو.
(٢) وردت في الأصل: متقللا، والتصحيح من ب.
(٣) ملتجئا. ابن منظور- لسان العرب، ج ١، ص ٨١ (ذرأ).
(٤) ريق كل شي ء: أفضله وأوله. ابن منظور- لسان العرب، ج ١٠، ص ١٣٦ (ريق).
(٥) وردت في ب: الاستعداد.
(٦) وردت في ب: بجميع ارتفاعات.
(٧) وردت في ب: أمرهما.

قوّته وغنائه «١»، فصادف وصول الكتاب والرسول نفسا منه مرتاحة لإجابته، منشرحة لطاعته، تواقة إلى مقام الجمال بارتهان رضاه وموافقته.

وبادر بالعبور إلى ما وراء النهر للقاء الرضا ومشاهدته، واستماع المقصود من رأيه وإشارته. ونهض الرضا إلى ناحية كشّ «٢» نخيم «٣» بها على موعده، ووصل إليه الأمير سبكتكين فالتقيا هناك على أحسن ما سمع به في مثله من تسوية المواكب، وتعبئة الخيول والكتائب. وقد كان الأمير سبكتكين يستعفي «٤» لشيبته عن متنزّل الخدمة، وملتزم الأرض [٥٥ أ] على رسم الطاعة، فأعفي عنه اكتفاء بصدق العناية والرعاية منه حتى إذا اختلطت الخيول وامتدّت الصفوف وأصابت عيناه صحيفة «٥» وجه الرضا، أزعجته روعة الملك، وأبهة العز للنزول، والتبرع بما كان يستعفي منه قبل الوصول، فتلقاه الرضا بأتم الإكرام والإعظام، ورعاية الحق والذمام، وجرى مشهد لم يسمع بمثله في الفخامة، وتباشر الخاصة والعامة. وأمر الرضا بإقامة ما وجب إقامته من صنوف الأنزال «٦»، واتباع ذلك بما يصلح اتباعه من طبقات الرجال، وسأله بعد ذلك أن يفرغ له نفسه، ويصرف إلى قصد أبي علي وفائق «٧» وكفاية شرهما غروه «٨»، فضمن له حسن الطاعة، وبذل الوسع والاستطاعة.

____
(١) وردت في الأصل: عنايه، والتصحيح من ب.
(٢) وتسمى الآن (شهر سبز). تقع على نهر كشكداريا الموازي لنهر الصغد. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٣٢٤؛ al Hudud -ﷺP lam, ١١٣٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٢٨٢؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ٢٦١؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٥١٢.
(٣) وردت في الأصل: مخيم، والتصحيح من ب.

(٤) وردت في الأصل: يسعفى، والتصحيح من ب.
(٥) وردت في ب: صفيحة.
(٦) أنزال القوم: أرزاقهم، وما هيء للضيف إذا نزل عليهم. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٦٥٨ (نزل).
(٧) وردت بعد هذه الكلمة في الأصل جملة: (من طبقات الرجال وسأله بعد ذلك أن يفرغ له نفسه، ويصرف إلى قصد أبي علي وفائق)، وهي مكررة فحذفناها.
(٨) شدة الغضب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ١٢٣ (غرا).

واستأذنه في الانكفاء إلى وطنه ريثما يجمع متفرّق الأهبة، وينظم «١» منتثر العدة، ثم يواجه الخطب بجد جديد، [و حدّ حديد] «٢»، وبأس شديد، ورجال يموجون في بحار من حديد. فأذن له وصرفه، وأمر له من الخلع الفاخرة، والأحبية «٣» الباهرة، بما ضاهى «٤» جلالة قدره، وأكّد «٥» الثقة بصادق وعده.

ورجع كل منهما إلى مكانه، وأقبل على استصلاح شأنه، ومحادثة [٥٥ ب] سيفه وسنانه. وورد على أبي علي من ذلك ما أبهم [عليه وجه التدبير، وسدّ] «٦» عليه باب التقديم والتأخير. وجعل الرأي شورى بين أصحابه، فيما كشر له الأمر عن نابه. فكانت زبدة مخضهم مكاتبة نخر الدولة، ومعاقدته ومعاهدته، وتأثيل حال في جانبه، ترجّي ليوم العثار، ونائبات الليل والنهار. فأرسل إليه أبا جعفر بن ذي القرنين بما أعرض من تحف خراسان، وأفرد الصاحب «٧» بمثل ذلك، طمعا في حصول الغرض المقصود، من الإنجاد «٨» على يده، وبحسن سفارته ووساطته.

وحدثني أبو جعفر أنه دخل على الصاحب فعرض عليه ما كان صحبه، ثم قال له مخاطبا عن صاحبه: مثلنا في حمل هذا التافه الطفيف «٩» إلى الصاحب الجليل مثل من يستبضع التمر إلى هجر. فقال الصاحب: قد ينقل التمر من مدينة الرسول إلى هجر لا لحاجة إليه، ولكن للتبرك به.

____

(١) وردت في الأصل: معظم، والتصحيح من ب.
(٢) إضافة من ب.
(٣) جمع حباء: العطاء. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ١٦٢ (حبا).
(٤) وردت في الأصل: يضاهي، والتصحيح من ب.
(٥) وردت في الأصل: أكيد، والتصحيح من ب.
(٦) إضافة من ب.
(٧) أي الصاحب بن عباد.
(٨) وردت في النسخ: الاتحاد. والأصح ما أثبتناه. الإنجاد: الإعانة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٤١٨ (نجد).
(٩) وردت في ب: اللطيف.

وسعى «١» الصاحب في تمهيد الحال، وتوكيد أسباب الوصال، حتى تمت الألفة، واشتبكت العصمة، ودرت المكاتبة، واستحكمت الصداقة.

وقد كان مأمون بن محمد «٢» صاحب الجرجانية «٣»، وأبو عبد الله خوارزمشاه «٤»، قد أحسنا التقرب إلى الرضا أيام انحيازه إلى آمل بما ساعدهما الوقت عليه من مال ورجال. فعرف ذلك لهما، وأحب أن يجزيهما عما خدماه به، [٥٦ أ] وقدماه من قدم الطاعة له، فجعل نسا «٥» برسم مأمون بن محمد، وأبيورد برسم خوارزمشاه، وعقد لكل «٦» منهما على عمله [عقدا. فأنهض كلّ واحد منهما من يقوم بضبط عمله] «٧»، وتدبير ما أصفي له. فأفرج أبو علي لمأمون «٨» بن محمد عن نسا بحكم حال في المودّة بينهما قديمة، وأسباب في الاتحاد أكيدة «٩». ودفع أبا عبد الله خوارزمشاه عن أبيورد اعتلالا بأنها ولاية أخيه أبي إبراهيم، وأنه لا يسعه النزول عنها إلا بعوض له منها. وأمر بطرد أصحابه عنها، وشلهم دونها. فأسرّ ذلك خوارزمشاه في نفسه، إلى أن تمكن من الفرصة في أمره، فاستشفى منه على ما سنشرحه عند الانتهاء إلى ذكره.

وطلعت خلال ذلك رايات الأمير سبكتكين من غزنة على ما كان سبق من

____

(١) وردت في الأصل: ويسعى، والتصحيح من ب.
(٢) انظر: بارتولد- تركستان، ص ٢٥٣، ص ٤٠٠، ص ٤٠٧؛
رضي الله عنarthold- ﷺn Historical Geography: of Iran, P. ٩٠
(٣) انظر: ص ٥٥ من هذا الكتاب، هامش (٦).
(٤) وردت في الأصل: خوارزم شاه، وما أثبتناه هو الرسم الدراج في المصادر. وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٨٥ ه). عنه وعن مأمون بن محمد، انظر: ابن الأثير- الكامل، ج ٧، ص ٤٧١؛ زامباور- معجم الأنساب والأسرات، ص ٣١٦؛ لين بول- الدول الإسلامية، ق ١، ص ٣٧٨.
(٥) أطلالها الآن بقرب مدينة عشق آباد عاصمة جمهورية تركمانستان. عنها، انظر: al Hudud -ﷺlam P, ١٠٣٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٢٠؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٣٥؛
رضي الله عنarthold- ﷺn Historical Geography of Iran, P. ٩٠
(٦) وردت في الأصل: بكل، والتصحيح من ب.
(٧) إضافة من ب.
(٨) وردت في الأصل: للمامون، وفي ب: مامون. والتصحيح من د.
(٩) وردت في النسخ: وكيدة.

وعده، وقد جمع واحتشد، واستمد واستنجد، وقام في الاحتياط والاستظهار، وقعد وساق أمامه الفيول التي ملكها على ملوك الهند في غزواته ومقاماته. وعبر الرضا إلى الجوزجان، والتقى مع الأمير أبي الحارث الفريغوني واليها، وأقام إلى أن وصل إليه الأمير سبكتكين، ولحق به الشار «١» ومن جرى مجراه من زعماء البلاد، في طبقات الأجناد، فاجتمع «٢» أجناد شرقت بهم الممالك والمذاهب، وأجدبت عليهم المراتع والمشارب. فنهض أبو علي [٥٦ ب] وفائق من نيسابور إلى هراة وبها إيلمنكو غلامه وصاحب جيشه، فخيّم بها مدافعا عنها، ومراميا دونها. وضوى «٣» إليه من كان مقيما من جهته بمرو الروذ وباذغيس وغيرهما أخذا بالحيطة واحتراسا من الغرة.
وسار الرضا مع الأمير سبكتكين حتى أناخ بناحية بغ «٥»، وأرسل عند ذلك أبو علي إلى الأمير سبكتكين يذكره الحال التي كانت بينه وبين أبيه من الموات ّ «٦» المهيدة «٧»، والحرمات الوكيدة «٨»، وما استمرا عليه بعده من سيرته في الاتحاد والوداد، والاشتراك والاشتباك. ويسأله أن يتوسط بينه وبين الرضا على ما يجلو حزازة «٩» قلبه، ويطفى ء حرارة غيظه، ويسترد شارد أناته، ويمسح جانب مرضاته، محتكما عليه بما يستصوبه في حسم الداء، وحقن الدماء، وتسكين الدهماء، وتأليف الأهواء. فأحسن الأمير سبكتكين الإصغاء إلى ما سأل، وشد النطاق لما التمس، ومال جهده إلى الاستصلاح، ووضع

____
(١) لقب ملوك غرشستان ويعني (ملك). وغرشستان- وترد أيضا غرجستان وغرج الشار- ولاية تقع بين هراة غربا، والغور شرقا، ومرو الروذ شمالا، وغزنة جنوبا. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٧١؛ البيروني- الآثار الباقية، ص ١٠١؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ٤، ص ١٩٣؛ زامباور- معجم الأنساب، ص ٣١١.
(٢) وردت في الأصل: واجتمعت، والتصحيح من ب.
(٣) انضم ولجأ. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٤٩٠ (ضوا).
(٥) وتسمى بغشور من مدن كنج رستاق من هراة. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٩٩؛ al Hudud -ﷺlam P, ١٠٤٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٠٨؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٥٥.
(٦) جمع ماتة وهي القرابة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٨٨ (متت).
(٧) المهيد: الزبد الخالص. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٤١١ (مهد). ويقصد العلاقة الخالصة.
(٨) الأكيدة: ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٤٦٦ (وكد).
(٩) الحزازة: وجع في القلب من الخوف. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٣٣٥ (حزز).

السلاح، على عادته من «١» كراهة الفتن، وإماتة الأحقاد والإحن، وسأل الرضا في مجالس عدة «٢» شفاها ورسالة أن يأخذ بأدب الله تعالى في العفو والغفران، وإقالة العثرة «٣» بفضل البر والإحسان، إيثارا للذي هو أقرب للتقوى «٤»، وأحمد في البدء والعقبى. ولم يزل به على اتصال نفرته، واشتعال [٥٧ أ] جمرته، حتى سمح بالإجابة، وأسجح بالعفو والإقالة، على أن يفتدي من أرش «٥» عصيانه بخمسة عشر ألف ألف درهم يؤديها في ثلاثة أنجم «٦» على رسم المواقفات.

وكتب الأمير سبكتكين يذكر ما استتم من الصلح على يده، وانتظم من عقد الصلاح بسعيه وكدّه. وتشاور أصحاب أبي علي ووجوه قواده، في اقتسام هذا المال بينهم معونة له على ما لزمه من الغرامة، واغتناما لما يربحون عليه من السلامة، فصادف ذلك صدة «٧» من شبّانهم، ونزقا من أحداثهم، وذهابا منهم بأنفسهم عن الإذعان للمكافّة، والرضا بالصلح الجامع لمصلحة «٨» الكافة.

وسار «٩» من ذؤبان الأكراد وسرعان الصعاليك طائفة إلى معسكر الأمير سبكتكين، فاختلسوا منه غلاما له كان يلي أمر فيلته، فقتلوه في عدة ممن أصابوا غرّتهم. وانضاف إلى ذلك أن رسول الأمير سبكتكين لما كرّ وراءه بجواب ما تحمله، وافق أبا الفضل الزيادي أحد أنياب «١٠» أبي علي موكلا ببعض تلك الثنايا والمخارم «١١» فقال له: هيهات إن

---

(١) وردت في ب: في.

(٢) وردت في الأصل: عدته، والتصحيح من ب.

(٣) وردت في الأصل: العبرة، والتصحيح من ب.

(٤) من قوله تعالى: وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوى سورة البقرة، الآية ٢٣٧.

(٥) الأرش: الخصومة والاختلاف. وقيل: الديّة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٢٦٣، ٢٦٤ (أرش).

(٦) أي على دفعات في أوقات معلومة متتابعة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٥٧٠ (نجم).

(٧) وردت في ب: حدة.

(٨) وردت في الأصل: بمصلحة، والتصحيح من ب.

(٩) وردت في الأصل: ثار، والتصحيح من ب.

(١٠) أي أحد كبار أعوانه. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٧٧٧ (نيب).

(١١) الطرق في الجبال وأفواه الفجاج. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ١٧١ (خرم).

سعيك لفي ضلال، وإن صاحبك لا «١» ينطق إلا في محال، ما نحن بأحلاس «٢» الصلح وأبنائه ما دامت هذه العيون حافظة سوادها، والعواتق حاملة «٣» نجادها، يعني به قول القائل:

[٥٧ ب]

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها ... مراغمة مادام للسيف قائم

فلما نمت هذه الأخبار إلى الأمير سبكتكين استشاط غضبا، وقضى من إدبار القوم عجبا. وعزم على المناجزة، واستخار الله تعالى في صدق المجاهدة والمجالدة «٤»، وأرسل إلى أبي علي أن خذ في إرهاف سيفك وسنانك، فقد جئتك بما لا يغنيك منه غير حد «٥» الحسام، وثبات المقام.

وزحف إلى الفضاء الرحب بفرونة «٦» يوم الأربعاء للنصف «٧» من شهر «٨» رمضان سنة أربع «٩» وثمانين وثلثمائة فرتب الخيول مقانب «١٠» ومناسر «١١»، وعبى الجيوش ميامن

---

(١) وردت في ب: ماء.

(٢) وردت في ب: بأخلاس. والمقصود بها: ملتزمون بالصلح. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٥٥ (حلس).

(٣) وردت في الأصل: حوامله، والتصحيح من ب.

(٤) ساقطة في ب.

(٥) وردت في الأصل: حدة.

(٦) وردت في الأصل: بفروره. وورد بهامشها في الأصل: على ثلث (هكذا) فراسخ من هراة. وورد بهامشها في د: اسم موضع قريب من هراة. لكنني لم أعثر على ذكر لها فيما اطلعت عليه من مصادر.
(٧) ساقطة في ب.
(٨) إضافة من ب.
(٩) وردت في الأصل: ثلاث، والتصحيح من ب. انظر: ابن الأثير- الكامل، ج ٧، ص ٤٦٦.
(١٠) جمع مقنب، وهو جماعة الخيل من ٣٠ - ٤٠، وقيل: ٣٠٠، وقيل: دون ١٠٠، وقيل: الجماعة من الخيل. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٦٩٠ (قنب).
(١١) جمع منسر ومنسر وهو جماعة الخيل ما بين ٣ - ١٠، وقيل: ما بين ٤٠ - ٥٠، وقيل: ما بين ٤٠ - ٦٠، وقيل: ما بين ١٠٠ - ٢٠٠. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٢٠٥ (نسر).

ومياسر، وشحن الصفوف بفيلته المجففة «١» كأنها شواهق أعلام، أو طوارق غمام.
ووقف الرضا به وبالأمير محمود ولده في القلب مشحونا بكماة الرجال، ومحفوظا بكفاة الأبطال:
من كل أروع ترتاع المنون له ... إذا تجرّد لا نكس ولا جحد
يكاد حين يلاقي القرن من حنق ... قبل السنان على حوبائه يرد «٢»
وسار نخيلت الأرض سائرة، والجبال هائرة «٣»، والنجوم منكدرة، والسماء منفطرة.
وثار من وقع السنابك نقع أوهم كسوف النهار الشامس، أو عود ظلام الليل الدامس.
وقد كان أبو علي رتب جيوشه أسوة الأمير سبكتكين، فجعل فائقا في الميمنة، وأخاه أبا القاسم بن سيمجور وإيلمنكو في الميسرة، وثبت في القلب مع حماته وذوي الوفاء [٥٨ أ] والحفيظة من ثقاته، فكانوا على الحقيقة جيش الطواويس من وميض الحديد، ولمعان «٤» الحمر والبيض «٥». وأشرقت عليهم الشمس فبرقت «٦» لها الأحداق «٧»، وتلألأت الآفاق، حتى إذا تدانت الخطى بين الفريقين بدأت الفائقية «٨» بالحملة على [ميسرة الرضا، فبددوا نظامهم، وزعزعوا عن المقام أقدامهم، وثنّى أبو القاسم بن سيمجور بمثلها على] «٩» من قابله فصنع «١٠» صنع الآخرين. وحمل دارا بن شمس المعالي قابوس بن

---

(١) أي المكسوة بالتجافيف.
(٢) ديوان أبي تمام، ص ١٩٢.
(٣) وردت في ب: مائرة. هائرة: ساقطة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٢٦٩ (هير). والتعبير مقتبس من الآيات الأولى من سورة التكوير.
(٤) وردت في الأصل: ملغان، والتصحيح من ب.
(٥) يقصد ألوان الرايات.
(٦) وردت في الأصل: فرقب، والتصحيح من ب.
(٧) وردت في ب: الأبصار والأحداق.
(٨) أتباع فائق.
(٩) إضافة من ب.
(١٠) وردت في الأصل: وضيع، والتصحيح من ب.

وشمكير من قلب أبي علي، فظنوه يسعى لشرف المقام، ورعاية حق الذّمام «١» والإنعام، حتى إذا بلغ بين الصفين وقى ظهره بترسه، وأقبل على موقف الأمير الرضا بوجهه، فاستأمن إليه، ووقف للقتال بين يديه. فانخذل أصحاب أبي علي لما أخفره من الذمة، وقطعه من العصمة إشفاقا من مواطأة أضرابه إياه على مثل صنيعه. وعندها حمل الأمير محمود «٢» على قلب أبي علي في سواد فدح بثقله «٣» كاهل الأرض، وسدّ بقسطله «٤» مناكب الأفق. فلم يلبث أحد من أصحاب أبي علي لكفاح، أو مدافعة بسلاح، بل انفضّوا عن موقفهم «٥» انفضاض العقد خانه النظام، وانسلّ منه الفرد والتّؤام، وجعلوها هزيمة انتكست بها الأعلام، وغصّت بجموعهم الأباطح

والآجام «6». وركب الأمير محمود أكتافهم بضربات تفلق هاماتهم «7» أنصافا، وتسقي النفوس سما زعافا، فلم يفته إلا سرعان تلك الجموع، [58 ب] ومن خفف عن ظهره ثقل الجواشن والدروع. وغنم أهل العسكر أموالا لو افتدي ببعضها على الصلح المعقود لبقيت الوجوه بمائها، ووضعت الحرب تلك الأوزار عن أبنائها.

وسار أبو علي بالفل من أشياعه إلى نيسابور، فأقبل بها على جبر «8» الكسير «9»، وريش «10» الحسير، استعدادا للانحياز عنها قبل رهق اللحاق، ومؤتنف «11» التلاق.

وخيّم الرضا والأميران سبكتكين ومحمود بظاهر هراة ريثما استجمت ركائبهم،

____

(1) ساقطة من ب.

(2) ابن سبكتكين.

(3) وردت في ب: فدح به وبثقله.

(4) القسطل: الغبار. ابن منظور- لسان العرب، مج 11، ص 556 (قسطل).

(5) وردت في ب: مواقفهم.

(6) وردت في ب: والأعلام.

(7) وردت في ب: الهام.

(8) وردت في الأصل: خيرا، والتصحيح من ب.

(9) وردت في ب: الكسرة.

(10) مصدر راش سهمه يريشه ريشا إذا ركب عليه الريش. ابن منظور- لسان العرب، مج 6، ص 309 (ريش).

(11) أخذ أول الشيء وابتداؤه. ابن منظور- لسان العرب، مج 9، ص 14 (أنف).

وتوفرت على الأولياء رغائبهم. ولقب الأمير الرضا الأمير سبكتكين بناصر الدولة، ووارث ملكه السلطان محمود بسيف الدولة، وقلّده قيادة الجيوش سادّا مكان أبي علي به. وسار إلى نيسابور في هيئة أشعرت النفوس مهابة، وملأت قلوب الأعادي كآبة، ورجال «1» كالقروم المصاعب، وأفيال كالآساد «2» الغوالب «3»، مخطومة بالأساود «4». وفي ذلك يقول أبو الفتح البستي:

بسيف الدولة اتسقت أمور ... رأيناها مبددة النظام

سما وحمى بني سام وحام ... فليس كمثله سام وحام «5»

وسنجري ذكره آنفا بسيف الدولة إلى أن أفاء الله الملك منه إلى مظنة الاستحقاق، وشهره بلقب اليمين في كور الآفاق.

ثم ارتحلوا [59 أ] على وجه نيسابور. ولما تسامع أبو علي بنبئهم «6»، فارقها منحدرا إلى جرجان على الوثيقة التي كان أخذها على فخر الدولة، في بذل المشاركة، وصدق المساهمة حتى ألمّ بها «7»، وكتب إليه بالحالة التي ألجأته «8» إلى قصد ولايته، والانقطاع إلى جانب مملكته. وأرسل أبا نصر الحاجب إليه في تقرير حاله، واستدعاء معونته بذاته وماله. واستناب «9» الصاحب في تنجّز ما كان يعده لنفسه على الأيام من بركة وصاله، ويعده لها من ثمرة وداده، فأمر بمال يقام مياومة لوكيله، وبألفي ألف درهم من ارتفاعات

____

(1) وردت في ب: رجالا، وكذلك أفيالا.

(2) وردت في ب: كالأسود.

(3) إضافة من ب.

(4) العظيم من الحيّات. ابن منظور- لسان العرب، مج 3، ص 226 (سود). وهنا شبهت خراطيم الفيلة بالحيات العظيمة.

(5) الخولي- أبو الفتح البستي، ص 305؛ الثعالبي- يتيمة الدهر، ج 4، ص 362.

(6) وردت في ب: بنبائهم.

(7) أي حتى نزل بجرجان.

(8) وردت في الأصل: الجايه، والتصحيح من ب.

(9) وردت في الأصل: أسباب، والتصحيح من ب.

جرجان لأهل عسكره. وأقام هو وفائق حتى انحسر عن غرة الربيع قناع الشتاء، [و انكشف عن الزمهرير آفاق السماء] «١».

وقد كان الرضا انحرف عند انحدار الأميرين سبكتكين وسيف الدولة إلى نيسابور بعبد الله بن عزير إلى طوس التحافا عليه «٢» مما صورّه له من إرصادهما إياه بالمكروه، على ما دعته النصيحة إليه من مناقشتهما في بعض الأموال والأعمال، فنهض الأمير سيف الدولة محمود على أثره إظهارا للبراءة، واستشعارا للطاعة، واستتماما للخدمة، وإزاحة لعارض الظنّة. وطار عبد الله بقوادم العقاب تحت خوافي [٥٩ ب] الليل إلى مرو على عوادل الطرق إشفاقا على نفسه من عادية التضريب، فعل المتهم المريب.

وتلقى الرضا مورد سيف الدولة بأتم إقبال وإشبال «٣»، وصرفه وراءه على أحسن حال «٤»، وأنعم بال. ثم ارتحل بعقبه إلى مرو لا حقا بوزيره، ثم «٥» منها إلى بخارى حتى استقر بها على سريره.

وقد كان الأمير سبكتكين وسيف الدولة حين وصلا إلى نيسابور فرشا مهاد العدل، ورفعا عماد الأمن، وتتبعا رسوما كانت جانفة «٦» من قبل. فنسخاها ببث الرأفة، وحسم المخالفة «٧»، وارتياد مصلحة الكافة. فانشرحت الصدور، واستقامت الأمور، وأمنت الطرق، واتصلت القوافل والرّفق «٨».

ثم سنح للأمير ناصر الدولة سبكتكين أن ينقلب إلى هراة لمطالعة ما كان

---

(١) ساقطة في ب.

(٢) أي تغطية له، من اللّحف. فاللحاف كل ما يلتحف به. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٣١٤ (لحف).

(٣) الإشبال: التعطف على الرجل. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٣٥٢ (شبل).

(٤) وردت في الأصل: حاله، والتصحيح من ب.

(٥) وردت في الأصل: وثم، والتصحيح من ب.

(٦) الجنف: الميل والجور. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٣٢ (جنف).

(٧) وردت في ب: المخافة، وبالوجهين يستقيم المعنى.

(٨) جمع رفقة: الجماعة المترافقون في السفر. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ١٢٠ (رفق).

برسمه، فسار وأقام سيف الدولة بنيسابور على «١» قيادة الجيوش وزعامة الجمهور.

وقد كان أبو علي طمح إلى زيادة من المال تحمل إليه [معونة له] «٢» على إقامات [الحشم من] «٣» أهل عسكره من الري، فكتب إليه أبو نصر الحاجب بأني قد عرضت الكتاب وقررت المراد. فكان من جواب فخر الدولة: إن مثل الملوك مثل الأنهار العظام تصطفق «٤» مياهها، وتزخر شعابها، فيرى الناس ملتقى عبابها، ومصطفق أمواجها، ويغفلون عن عدد الجداول التي تغترف منها، والسواقي التي تتشعب «٥» عنها. ولو أنّا [٦٠ أ] قدرنا على مؤن خراسان لا ستضفناها إلى ما نليه من سرّة الأرض وواسطة الأقاليم، لكنّا قد سمحنا بما تيسر، والعذر ظاهر فيما تعذر.

فاستوحش أبو علي من جوابه، واستشار فائقا ووجوه قواده في تدبير الأمر بصوابه، وإتيانه من بابه. فاختلفت آراؤهم بحسب اجتهادهم في المشورة، ورؤيتهم في استشفاف العواقب المستورة، فأشار بعضهم بلزوم جرجان واستخلاصها، وإقامة الخطبة للرضا بها، والكتاب إليه بالطاعة، وضمان الإتاوة، إذ كانت تلك ولاية قد أعيت صيد الملوك وصناديد القروم على خطبتهم لها ببهم العساكر، وطلابهم إياها بسمر الرماح وبيض البواتر، وأذالتهم «٦» عليها مصونات «٧» الرغائب، وتغريرهم فيها بكريمات النفوس والحرائب.

وقد حصلت له عفوا صفوا، وانفتحت عليه سهوا رهوا «٨»، وبيع العين بالضمار «٩» محال،

---

(١) وردت في الأصل: إلى، والتصحيح من ب.

(٢) إضافة من ب.

(٣) ساقطة في ب.

(٤) تضطرب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٢٠٢ (صفق).

(٥) وردت في ب: تنشعب، وبالوجهين يستقيم المعنى. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٤٩٨ (شعب).

(٦) أذال: أرسل. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٢٦١ (ذيل).

(٧) وردت في الأصل: مصوبات، والتصحيح من ب.
(٨) الرّهو: الساكن السهل. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٣٤١ (رها).
(٩) الضّمار من المال: الذي لا يرجى رجوعه، ومن الدّين: ما كان بلا أجل معلوم. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٤٩٢، ص ٤٩٣ (ضمر). وهو عكس العين: المال الحاضر. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٣٠٥ (عين).
وافاتة النقد بالشى ء النسي ء «١» ضلال «٢».

وأشار فائق بمناهدة الأمير سيف الدولة، ومناهضته لاعتراض الفرصة عليه بتفرق الجموع عنه، وإخلال «٣» أبيه به، ولمخالفة هواء جرجان طباع عسكرهم، ونكايته فيهم «٤»، قدر ما يتنكر لهم الفصل «٥»، ويحتدم عليهم «٦» الحر. فوافق هذا الرأي جمهور العسكر لحرصهم «٧» على الوطن، ونزاعهم إلى الأهل والسكن، فاتفقوا على هذا الرأي، وتطابقوا على الانكفاء.

واضطروا [٦٠ ب] أبا علي إلى مساعدتهم، واتباع إرادتهم. وعند ذلك ورد الخبر بمضي الصاحب إسماعيل بن عباد لسبيله، وكان معنيا بمصالح أبي علي وتحسين آثاره، والإشارة على فخر الدولة باغتنام جواره، ومعاونته على ثأره. فكّره إلى أبي علي نعيه فضل المقام، وأغراه بتعجيل الانتقال.

ولما استأثر الله بالصاحب أكثر شعراء العصر في مرثيته «٨» فمنها قول أبي محمد الخازن الأصفهاني «٩»:

يا كافي الملك ما وفيت حقك من ... مدح وإن طال تمجيد وتأبين

فت الصفات فما يرثيك من أحد ... إلا وتزيينه إياك تهجين

---

(١) وردت في ب: النسيي.
(٢) المقصود: إن تركم جرجان الحاصلة لكم، وانتقالكم عنها لا ستخلاص نيسابور المتوهم حصولها، من بيع العين بالضمار، وإفاتة النقد بالنسي ء، والأول محال، والثاني ضلال.
(٣) وردت في الأصل: انحلال، والتصحيح من ب.
(٤) وردت في الأصل: فيه، والتصحيح من ب.
(٥) فصل الشتاء الذي انقلب إلى الربيع.
(٦) وردت في الأصل: عليه، والتصحيح من ب.
(٧) وردت في الأصل: بحرصهم، والتصحيح من ب.
(٨) وردت في ب: من مراثيه، وبالوجهين يتم المعنى. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٣٠٩ (رثا).
(٩) ساقطة في ب.

هذي نواعي العلى مذمت نادبة ... من بعد ما ندبتك الخرّد العين «١»

تبكي عليك العطايا والصلات كما ... تبكي عليك الرعايا والسلاطين

قام السعاة وكان الخوف أقعدهم ... واستيقظوا بعد ما نام الملاعين

لا يعجب الناس منهم إن هم انتشروا ... مضى سليمان فانحل الشياطين «٢»

ومنها قول أبي سعيد «٣» الرستمي الأصفهاني:

أبعد ابن عباد يهشّ إلى العلى ... أخو أمل أو يستماح جواد

أبى الله إلا أن يموتا بموته ... فمالهما حتى المعاد معاد [٦١ أ]

ومنها قول أبي عيسى المنجم «٤»:

والله والله ما أفلحتم أبدا ... بعد الوزير ابن عباد بن عباس

إن كان منكم وزير فاقطعوا وزري ... أو كان منكم رئيس فاقطعوا رأسي

ومنها قول أبي العباس الضبي وقد اجتاز ببابه [بعد موته] «٥»:

أيها الباب لم علاك اكتئاب ... أين ذاك الحجاب والحجّاب
قل بلا رهبة وغير احتشام ... مات مولاي فاعتراني اكتئاب
مات من كان يفزع الدهر منه ... فهو الآن في التراب تراب
ومنها قول أبي الفتح البستي الكاتب:
مضى صاحب الدنيا فلم يبق بعده ... كريم يروي الأرض فيض غمامه
فقدناه لما تم واعتم بالعلى ... كذاك خسوف البدر عند تمامه

____
(١) وردت بعد هذا: كلمة (شعر) وهي مقحمة، لحذفناها.
(٢) أورد الثعالبي هذه القصيدة (مع بعض الاختلافات)، ونسبها إلى أبي القاسم بن أبي العلاء الأصبهاني. يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٣٢٩.
(٣) وردت في الأصل: سعد، والتصحيح من ب، والثعالبي الذي أورد البيتين (مع بعض الاختلافات). يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٣٣٠.
(٤) أورد الثعالبي البيتين (مع بعض الاختلافات)، وقال: لبعض بني المنجم. يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٣٣٦.
(٥) إضافة من ب. وقد أورد الثعالبي البيتين الأول والثالث فقط (مع بعض الاختلافات). يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٣٣٦.

ومنها قول أبي منصور الثعالبي:
ألا يا صاحب الدنيا ... وعين السؤدد اليمنى
أما استحيا أبو يحيى ... لقبض العالم الكبرى
لئن ختمت بك الدنيا ... فقد فتحت بك الأخرى
ورحل أبو علي من جرجان على سمت جوين «١» غرة شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين وثلثمائة. وتقدّمه فائق على طريق إسفرايين «٢» حتى إذا قارب حدود نيسابور، عدل [٦١ ب] إليه، واختلط به وسار مسير المستعدين للحرب، المجدين في الطعن والضرب.
وبلغ سيف الدولة خبرهما، فكتب إلى الأمير سبكتكين بإقبالهما. وبرز إلى ظاهر البلد، في خف من العدد، وخيّم به على انتظار المدد، فأعجلاه عن المراد، وناوشاه الحرب قبل وصول الأمداد. فأضرم عليهما نارها، وباشر بنفسه وخاصته أوارها، من حيث ترجل راد الضحى إلى أن ألقت ذكاء يمينها في كافر، فتعصفرت أرض الوغى بدماء القتلى، وأضجعت مناسم الفيول رجالا كانوا أركانا للصفوف، عند اشتجار الزحوف، واختلاط الأسنة والسيوف، وهم أصحاب أبي علي، بالانخذال جبنا عن النزال، ثم تداعوا مناص، طلبا للخلاص، فكانت «٣» حملة وافقها القدر.
وانحاز سيف الدولة بمعظم جيشه «٤» إلى مناخ أبيه الأمير سبكتكين في أمان من لباس الظلام، إرصادا للخصوم بيوم الكرور على الثأر، وإسلامهم لقدار «٥» الأقدار.
وتخلف عنه ما أعياه استصحابه من أثقال، وفيلة ثقال. وعجز عن خدمة ركابه «٦» طائفة من

____
(١) كورة تقع على طريق القوافل بين بسطام ونيسابور، وبين بيهق جنوبا، وجاجرم شمالا. قصبتها مدينة آزاذوار.
ياقوت- معجم البلدان، ج ٢، ص ١٩٢؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٣٣.
(٢) تقع شمال جوين. انظر: لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٣٣ - ٤٣٥.
(٣) وردت في الأصل: مكاتب، والتصحيح من ب.
(٤) وردت في ب: جيوشه.
(٥) قدار بن سالف ويسمى (أشقى ثمود) وهو الذي عقر ناقة النبي صالح. انظر: ابن الأثير- الكامل، ج ١، ص ٦٩.
واتخذ العرب من اسمه مثلا يضرب للشؤم. الميداني- مجمع الأمثال، ج ١، ص ٤٧٨.
(٦) وردت في ب: صحبته.

رجال الهنود، وسائر أفناء الجنود، فذكت عند ذلك شعلة لأبي علي أطمعت في استقلاله، وعوده إلى المعهود من حاله، لكن الله تعالى قضاها سببا لا حتناكه «١» واستئصاله.

وأشير عليه عند إلمامه [٦٢ أ] بنيسابور أن يتبع أثر الأميرين [ناصر الدين «٢»، وسيف الدولة] «٣»، معجلا لهما عن عدة الارتياش والانتعاش، وقوة الاستنجاد والاستمداد، فاتّزر بها فعل من كلّت بصيرته، وانحلت مريرته، وعمي عليه قصده، ونعي إليه جده. وأخذ يعتل بصفورة يده «٤»، وخلو خزانته، وإشفاقه من خذلان عسكره إياه إن دعاهم إلى البراح «٥»، وسامهم خطة الكفاح. وأخذ يكتب إلى بخارى معتذرا عن جنايته، ومتنصلا من بادرته، ومستقيلا عارض عثرته، ومستميحا قبول عذرته. وأرسل إلى الأمير سبكتكين رسالة الواهي جلده، المتناهي كمده، المتخاذل لسانه ويده، يحيل بالكشفة التي استمرت بالأمير سيف الدولة على فائق وسائر أهل عسكره، لإكراههم إياه على مفارقة جرجان، ومعاودة خراسان، وأنه لو «٦» وجد إلى مراده سبيلا، أو في ذرى اختياره وهواه مقيلا، لما التفت «٧» إلى «٨» خراسان ما عاش، تفاديا عن وحشته، وتحرزا عن كراهته، ويسأله أن يهب له ثأره، ويستوهب الرضا خطأه وعثاره، فلم تزده رسالته على التطميع في اغتياله، والتنبيه على انخذاله، والتضرية على اقتناصه، والإيمان من فوته وخلاصه.

---

(١) هلاكه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٤١٦ (حنك).
(٢) انظر: ص ٩ من هذا الكتاب، هامش (٦).
(٣) ساقطة في ب.
(٤) خلوها. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٤١٦ (صفر).
(٥) الأرض الواسعة الخالية من النبات والعمران، ويقصد أرض المعركة. ابن منظور- لسان العرب، ج ٢، ص ٤٠٩ (برح).
(٦) وردت في الأصل: لوجد، والتصحيح من ب.
(٧) وردت في الأصل: لفت، والتصحيح من ب.
(٨) إضافة من ب.

وبث الأمير سبكتكين كتبه إلى من تفرق «١» عنه في ديار مملكته، وأطراف [٦٢ ب] ولايته من قواده وأجناده في استنهاضهم إلى مخيمه، واستعجالهم إلى مضربه.

وأنهض الوزير أبا نصر بن أبي زيد إلى الأمير خلف بن أحمد والي سجستان يجشّمه «٢» اللحاق به. وكتب إلى والي الجوزجان أبي الحارث الفريغوني بمثله، فطالع حضرة الرضا باستعداده وانتظار «٣» ما يرد عليه من مثاله. وكتب إلى القواد بنواحي خراسان بالبدار إليه. وتتابعت الأمداد إليه «٤» من كل جانب عليه، فصار الأمير سبكتكين في جيوش لو راموا الجوّ لا ستنزلوا طيّارته، أو وردوا البحر لأبدوا قرارته. وسار للانتقام مسير الليل غابت كواكبه، والسيل ضاقت به مذاهبه.

وقد كان فائق عدل إلى طوس يكاتب الأمير سبكتكين مداهنا، ويطمعه في الانحياز إليه مهادنا، فتلقّى «٥» وجهه بمثاله «٦»، وكال عليه مثل مكياله. وتكفأ «٧» أميرك الطوسي- أحد الأمراء التاروذيّة «٨» - لأبي علي بين الطاعة والمناعة «٩»، والموافقة والمنافقة «١٠»، يقدم رجلا للورود، ويؤخر أخرى للقعود، فأرسل أبو علي أبا القاسم الفقيه

---

(١) وردت في الأصل: يعرف، والتصحيح من ب.
(٢) وردت في الأصل: أن يجشمه.
(٣) وردت في ب: وانتضار.
(٤) ساقطة في ب.
(٥) وردت في الأصل: ملقي، وفي ب: فيلتقى. والتصحيح من د.
(٦) أي بمثل كلامه.
(٧) وردت في الأصل: انكفأ. والتصحيح من ب، د. تكفأ: تقلّب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ١٤١ (كفأ).
(٨) ورد بهامشها في د: الأمراء التارودية منسوبة إلى تارود وهي سبع قرى بين جبلين من جبال طوس. وجاء في (تاريخ البيهقي): « ... معظمهم رجّالة، كان يقودهم تارودي، وهو من بقايا المدبرين من آل عبد الرزاق ... ». ولم يستطع محققو الكتاب قاسم غني، وعلي أكبر فياض، وسعيد نفيسي (و هم من كبار المحققين الإيرانيين) الاهتداء إلى ماهيتها، وكذلك مترجما الكتاب. انظر: البيهقي- تاريخ، ص ٤٥٣.

(٩) وردت في الأصل: المنازعة، والإضافة من ب.
(١٠) إضافة من ب.
إليهما للاستمالة، وتحذيرهما قدم الضلالة، فنهض إليهما وأخذ له الميثاق عليهما، وكتب إليه يستعجله اللحاق بهما، فسار أبو علي «١»، وتلقاه فائق وأميرك بناحية الطابران «٢»، فاتفقت كلمتهم على التظاهر [٦٣ أ] والتضافر. وخلصت نياتهم في التساعد والترافد، واختاروا معسكرا بقرب أندرخ «٣» فخيّموا به.
وقد كان أبو القاسم- أخو أبي علي- قد عتب عليه لعدوله بولاية هراة، وثمرات أعمالها عنه إلى إيلمنكو غلامه، وتقصيره به فيما كان يخطبه ويقترحه عليه من أمثالها، على وفائه له، وولائه إياه، [و التزامه حكم] «٤» المشاركة «٥» له في كل ما نابه وعراه، فتقاعس عنه عند نهضته من نيسابور اعتلالا عليه ببقية من أشغاله، حتى إذا تنفست مدة ارتحاله آيسه من وصوله ووصاله، أحوج ما كان يدعوه «٦» إلى عونه ونضاله، فزاد ذلك في انخذاله، وكسوف باله.
وحث الأمير سبكتكين تلك الخيول في قصد أبي علي حتى أناخ بطوس مقابلا لعسكره، [و ذلك لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين وثلثمائة] «٧»، فثار فتيان الخيول، وشبان الجنود، إلى التطارد والتجالد، فبقوا على ذلك سحابة يومهم. فلما قبض الليل مسافة أبصارهم، عادوا إلى مضاربهم.
وشاور أبو علي وجوه قواده في معاودة «٨» الحرب، فأشار عليه أميرك الطوسي،

(١) ورد في الأصل بعد هذه الكلمة: (بين الطاعة)، وهو سهو من الناسخ، فحذفناها.
(٢) كانت مدينة طوس تتألف من: الطابران، ونوقان. انظر: لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٣٠.
(٣) وردت في ب: اندرج. ولم أعثر على تعريف لها فيما بين يدي من مصادر جغرافية. لكن المنيني ضبطها بهذا الشكل، وقال: قرية بين جبلين من جبال طوس. شرح اليميني، ج ١، ص ٢١٠.
(٤) ساقطة في ب.
(٥) وردت في ب: مشاركة.
(٦) ساقطة في ب.
(٧) ساقطة في ب.
(٨) وردت في الأصل: معاداة، والتصحيح من ب.

وذوو «١» الحصافة منهم بتلجي «٢» شعب الجبل، والاستظهار على الأمير سبكتكين بمناعة أرجائه، وغزارة مائه، وسعة العلوفة من ورائه، [٦٣ ب] وممادته الحرب على إغراء الرجّالة الطوسية بأطراف عسكره مبيتين وخاربين «٣»، ومغيرين وعائثين، إلى أن يدركه الملل، ويلحقه الفشل، ويتفرق عنه الحشر، فعندها يناجزونه على بصيرة، و «٤» قوة مريرة، واستماحة خيرة. فشغب من سمع بهذا الرأي من أحداث العسكر، وقالوا: مالنا نطاول القوم، وندافع الوقت؟ لا يعرف الناس أنّا نميل عن المصاولة إلى المطاولة، وعن المساورة إلى المصابرة؟! فها نحن نساقيهم «٥» المنية، ونصبحهم منها كأسا رويّة «٦»، فانتفض عليهم التدبير، وصار المأمور هو الأمير، ووثب كلا العسكرين عند انفلاق الصبح إلى الاستعداد للقاء، والاحتشاد لحدة «٧» الهيجاء، وأقبلوا على تسوية الصفوف، مشحونة بالألوف، كآجام الليوث من ذبّل القنا والسيوف. وحصّن الأمير سبكتكين مواقف عسكره بنخب فيلته، فحكت تحت التجافيف أطوادا فارعة، وأمواجا متدافعة.
ودنا الفريقان بعضهم من بعض، فلم يرع ميسرة أبي علي إلا رهج «٨» ثار عليهم من وراء قرية قرضتهم ذات اليمين، فإذا هم بالأمير سيف الدولة في الطّمّ «٩» والرّمّ «١٠»، والليل المدلهم، فتزلزلت أقدامهم، وضلت «١١» أحلامهم وأفهامهم، ورأوا أن قلب أبي علي قد

(١) وردت في الأصل: ذو، والتصحيح من ب.
(٢) اتخاذه ملجأ.
(٣) الخارب: سارق الإبل خاصة، ثم نقل إلى غيرها. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٣٤٨ (خرب).

(٤) إضافة من ب.
(٥) وردت في الأصل: نستقيم، والتصحيح من ب.
(٦) وردت في الأصل: وريه، والتصحيح من ب.
(٧) وردت في الأصل: بحر، والتصحيح من ب.
(٨) الغبار. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٢٨٤ (رهج).
(٩) البحر أو الماء. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٣٧٠ (طمم).
(١٠) الثرى، وقيل: الماء. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٢٥٤ (رمم).
(١١) وردت في الأصل: ظلت، والتصحيح من ب.

[٦٤ أ] حمل على قلب الأمير سبكتكين، فساعدوهم على حملتهم تفاديا عن إيقاع الأمير سيف الدولة بهم «١» فمزقوا مصفه «٢»، ونفضوا عن الزحام موقفه، فوقف لهم الأمير سبكتكين فيمن احتف به، والتف عليه من خواص غلمانه، وردّ حملتهم في وجوههم، فارتدوا على أدبارهم. وقد أطل «٣» سيف الدولة عليهم من ورائهم، فبقوا محصورين بين العسكرين، وأخذتهم السيوف من كلا الجانبين. وثار قتام «٤» خلط البعض بالبعض، فلم يسمع غير وقع البيض على بيض المفارق، وحطم الدبابيس ما بين الطّلى «٥» والعواتق.
وظلت خراطيم الفيول تسلب الفرسان عن صهوات الخيول، وتلحق القاتل بالمقتول.
وبلغ سيف الدولة من الإيقاع بهم، والإيجاع فيهم، والانتقام منهم، وصب السيوف عليهم مبلغا «٦» لو سمع به رستم «٧» في زمانه، لزهته خدمة عنانه، وهذبته آداب سيفه وسنانه.
وفات بعض المحصورين «٨» ببقايا المهج تحت غواشي الرهج، وبرذايا «٩» الأرواح من بين مشتجر الرماح، فانجلت المعركة عن قتلى مضرجين «١٠» في الدماء، وجرحى مطرحين على العراء، وأسرى آيسين من الفداء. وركب سيف الدولة أكتاف الفلّ، فأسر منهم من قصر عن اقتحام شعاب الجبل، وعمي عليه وجوه تلك المغارات والمدخل.
وكان من [٦٤ ب] جملة المأسورين أبو علي بن بغرا الحاجب، وبكتكين

---

(١) إضافة من ب.
(٢) وردت في الأصل: صفوفه، والإضافة من ب وبالوجهين يستقيم المعنى، لكن (مصفه) أكثر انسجاما مع السجع.
(٣) وردت في ب: أظل.
(٤) غبار. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٤٦١ (قتم).
(٥) جمع طلية وهي صفحة العنق. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ١٥ (طلي).
(٦) ساقطة في ب.
(٧) القائد الفارسي المشهور الذي قاد الفرس في معاركهم خلال الفتح العربي. عنه، انظر: الثعالبي- تاريخ غرر السير، ص ٧٣٨؛ بيرنيا- تاريخ ايران، ص ٢٨٤.
(٨) وردت في ب: وفات المحصورون.
(٩) جمع رذيّ: الضعيف من كل شي ء. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٣٢٠ (رذي).
(١٠) وردت في ب: مظرجين.

الفرغاني، وأرسلان بك «١» وأبو علي «٢» بن نوشتكين، وأماسار بن سجان روز الجيلي، ولشكرستان بن أبي جعفر الديلمي «٣»، وهؤلاء أعيان عسكر أبي علي، ورتوت «٤» قواده، ووجوه أركانه وأعضاده. وسار أبو علي وفائق بين مهاوي تلك الجبال، ومصاعد «٥» تلك القلال إلى أن أناخا بقلعة كلات «٦» وهي التي تخفي الرياح بين نعافها «٧»، وتزل الأبصار دون روابيها وشعافها «٨»، فأضافهما بها أميرك الطوسي إلى أن ظهر لهما عدد من سبق ومن لحق، وجملة من اجتمع ممن تفرق. وكان أبو علي قد سرب الفيلة التي قبض عليها بباب نيسابور إلى كلات في جملة ضبنته «٩».

وكتب أبو علي بن بغرا الحاجب وسائر الأسرى يذكرون له أن الأمير سبكتكين استدعاهم ومنّاهم، ووصلهم وحباهم، ووعدهم الإفراج عنهم متى ردت تلك الفيلة إلى مرابط أمثالها من مناخه، وسألوه أن يفعل ذلك تنفيسا عنهم، وتخليصا لهم. فتقدم أبو علي إلى أميرك بردها، والإفراج عنها. ونهض هو وفائق على سمت أبيورد مصحرين عن تلك المضائق. فبعث أميرك تلك الفيول إلى الأمير سبكتكين، [٦٥ أ] وكتب إليه يريه أنه المتقرب بردها، المتفرد بالخدمة فيها، فاستعمر «١٠» بذلك رتبته، وأحبط على أبي علي

____

(١) وردت في ب: أرسلانك.

(٢) وردت في الأصل مكررة.

(٣) ذكرهم ميرخوند باستثناء أماسار. روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٧٤.

(٤) جمع رتّ: الرئيس من الرجال. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٣٤ (رتت).

(٥) وردت في الأصل: يتصاعد، والتصحيح من ب.

(٦) التي تعرف اليوم بكلات نادر. وهي في منتصف الطريق بين أبيورد ومهنه (ميهنة). انظر: مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٥١؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٣٦.

(٧) النّعف من الأرض: المكان المرتفع. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٣٣٧ (نعف).

(٨) جمع شعفة وهي رأس الجبل. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ١٧٧ (شعف).

(٩) حشمه، خاصته، بطانته. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٢٥٣ (ضبن).

(١٠) أي عمر.

قربته. وفي ذكر هذه الوقعة يقول أبو الفتح البستي الكاتب:

ألم تر ما أتاه أبو عليّ ... وكنت أراه ذا لبّ وكيس

عصى السلطان فابتدرت إليه ... رجال يقلعون أبا قبيس

وصيّر طوس معقله فأضحى ... عليه طوس أشأم من طويس «١»

وسار أبو علي وفائق إلى سواد «٢» أبيورد على أن يقصدا كورة نسا، فسنح لفائق أن يعدل إلى سرخس لرأي رآه، فخذل أبا علي على «٣» على المكان، وسار بمن معه من الغلمان. فلما سمع «٤» أبو علي بنبئه «٥»، أرسل إليه بأني غير مفارقك على أية حال تصرفت بنا من إجداب وإخصاب، وإحزان وإسهال، وأن ركوب هذا الطريق كان على ما سنح لنا بادي الرأي من الصواب. وإذ قد بدا لك في التدبير فإني تابع رأيك، وها أنا من ورائك، فوقف له إلى أن لحق به، وسار إلى سرخس، ومنها إلى مرو.

وحين تسامع الأمير سبكتكين بخبر عدولهما عن سمت أبيورد، نهض على أثرهما، واستخلف الأمير سيف الدولة على ما فوّض إليه من أعمال نيسابور، ضامنا عنه كفاية أمرهما، فقضيا أو طارهما بمرو، ثم اخترقا مفازة آمل الشط محتجزين بجدوبة المفازة، وصعوبة المسافة، وانسداد المسالك، وانسدام المناهل «٦». وألقيا بها عصا القرار.

وأرسل أبو علي أبا الحسين [٦٥ ب] محمد بن كثير «٧»، وفائق عبد الرحمن بن أحمد الفقيه «٨» وزيريهما إلى بخارى في استعتاب الرضا واسترضائه، واستفائته «٩» إلى

____

(١) أورد هذه الأبيات: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٣٧٣.

(٢) إضافة من ب.

(٣) إضافة من ب.

(٤) وردت في ب: احس.

(٥) وردت في النسخ: بنبائه.

(٦) أي الماء الذي يكاد يندفن. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٢٨٥ (سدم).

(٧) عنه، انظر: الثعالبي- تتمة اليتيمة، ج ٢، ص ٢١٩.

(٨) أي: وأرسل فائق عبد الرحمن الفقيه.
(٩) وردت في الأصل: استفايه، والتصحيح من ب.

رعاية حقوق مواليه وأوليائه. فأما أبو الحسين بن كثير فإنه صرف وراءه على وجه جميل، فكتب إلى أبي علي في تمنية وتأميل، ورسم له أن ينحرف إلى الجرجانية فيقيم بها إلى أن يستأنف تدبير أمره بواجبه. وأما عبد الرحمن بن أحمد فإنه أمر باعتقاله، ووضع في الحبس على رسم أمثاله، وندب من بخارى بعض المسوّدة «١» بكتاب إلى مأمون بن محمد والي الجرجانية ليتقدمه بتقرير حاله، وذكر ما أنشى ء من الرأي في بابه. فامتعض فائق بما قوبل به رسوله، وعمد أن يعبر «٢» النهر إلى ما وراءه ملتجئا إلى أيلك خان، ومستصرخا إياه، ومستعينا به على ما دهاه. وأشار على أبي علي بأن يساعده، ويجمع إليه يده وساعده، فإن الغرض المقصود في طرحه إلى الجرجانية تفريق ذات بينهما في المساعدة والمرافدة، والاجتماع على الحادثات باليد الواحدة، وأن الذي غمسا فيه أيديهما من الخلاف على تلك الدولة- اضطرارا كان أو اختيارا- لا يوجب الإغضاء عن تبعاته، والذهول عن نفثات أنيابه وحماته. فاختار أبو علي مباعدته على مساعدته، ومجانبته [٦٦ أ] على مقاربته، سرا لله تعالى فيما حكم به من صدع شمله، وقطع حبله، ووضع رحله:

وليس لرحل حطه الله رافع ... وليس لأمر شاءه الله دافع «٣»

وافترقا عن مناخهما. فأما فائق، فعبر النهر إلى ما وراءه عادلا إلى أيلك مستجيرا إياه، وواصلا عروته بعراه، فأنهض من بخارى على أثره بكتوزون الحاجب، فتصادما «٤» بحدود نسف، وولى كلّ منهما صاحبه ظهره، بعد أن أبلى في اللقاء عذره. فقبله أيلك أحسن قبول، وقراه أحسن «٥» مقول ومفعول، وضمن له الوفاء بأمله، ورده إلى ما استنزل عنه من عمله.

____
(١) ربما قصد الكتّاب الذين يسوّدون الكتب بأحبارهم.
(٢) وردت في ب: على العبور.
(٣) ورد عجز البيت في ب: ولا لأمور شاءها الله دافع.
(٤) وردت في الأصل: فتصادها، والتصحيح من ب.
(٥) وردت في ب: حسن.

وأما أبو علي، فأخطأ الطريق، وحرم التوفيق، فصار مثقلا بما اجترحه من العصيان، نجلا لما فاته من فرصة البرّ والإحسان، قد كلته يد القدر، ببرود الحيرة والسّدر «١»، وعمت عليه غياهب القضاء مذاهب الفضاء، فهو يخبط خبط عشواء، مستبسلا للمقدور، مستسلما لطوارق المحذور. أنشدني أبو حاتم الحنفي المذكّر في مثل حاله لبعضهم:

إذا أراد الله أمرا بامرى ء ... وكان ذا رأي وعقل وبصر
وحيلة يعملها في كل ما ... يأتي به مكروه أسباب القدر
أغراه بالجهل وأعمى عينه ... وسلّه من «٢» عقله سل الشعر
حتى إذا أنفذ فيه حكمه ... ردّ عليه «٣» عقله [٦٦ ب] ليعتبر

نعم، ومر أبو علي قدما على سمت الجرجانية إلى أن بلغ المسير به هزار اسف «٤»، وهي بلد «٥» يقابل بلد خوارزم من الجانب الغربي، فأرسل إليه خوارزمشاه من أقام له نزلا، وقدّم إليه عذرا، ووعده العبور إليه غدا لمشاهدته، وقضاء حق وفادته. وقد كمّن له زهاء ألفي رجل من أفناء «٦» عسكره في خمر الغياض والآجام لاغتياله جنح الظلام.

وقد حكى لي أبو علي الخشنامي أحد ثقات أبي علي، وقد كان قد نهض رسولا من جهته إلى أبي عبد الله خوارزمشاه أنه أنشده أبياتا لابن المعتز، ورسم له تبليغها

____
(١) شدة الحيرة، والدوار الذي يصيب راكب البحر. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٣٥٥ (سدر).
(٢) وردت في الأصل: عن، والتصحيح من ب.
(٣) وردت في ب: إليه.

(٤) وترد أيضا (هزار اسب). من مدن خوارزم. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٩٩؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٢٨٧؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٨٠، ص ٢١٣، ص ٢٥٨؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٩٤.
(٥) وردت في ب: قرية.
(٦) أخلاط. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ١٦٥ (فني).

أبا علي «١» على معنى النصيحة:

إذا فرصة أمكنت في العد ... وفلا تبد شغلك إلا بها
فإن لم تلج بابها مسرعا ... أتاك عدوك من بابها «٢»
وإياك من ندم بعدها ... وتأميل أخرى وأنى بها

قال: فرويتها له، وذلك قبل استيحاش أبي عبد الله منه، فقبلها منه بمنّة. ثم ذهل عنها كأن لم يقرعها «٣» قط سمعه، ولم يستودعها يوما من الدهر ذرعه «٤»». ولم يعلم أنها كانت رمزا «٥» من الأيام له بارتقاب النوائب، واتقاء العواقب. ولم يدر أن للأفعال والأعمال جزاء [٦٧ أ] يحيق بأربابها وحيا «٦» أو بطيئا، محسنا أو سيئا.

وغفل «٧» ليلته تلك من الاحتراس، واقتدى بغفلته سائر الناس، حتى إذا أثقل العيون كراها، ونفّه «٨» النجوم سراها، ضجت الآفاق بخفق الطبول، وغطغطة الخيول. وأحيط بالقصر الذي نزله أبو علي على قتاله، أو نيل المراد من استنزاله، فثار من حفّ حوله من غلمانه للدفاع، وتأريث جمرات المصاع، وخفّ بنفسه إلى زعيم القوم يسأله «٩» ما خطبك؟ ولماذا حربك؟ فقال له: إن «١٠» خوارزمشاه أمر بك فتقرب إليه برفق الإذعان،

(١) وردت في ب: إلى أبي علي.
(٢) هذان البيتان في ديوان ابن المعتز، ص ٤٢.
(٣) وردت في الأصل: يقرعا، وفي ب: يرعها.
(٤) الذّرع: الخلق أو الوسع والطاقة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٩٥ (ذرع).
(٥) وردت في ب: زمنا.
(٦) سريعا. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٣٨٢ (وحي).
(٧) وردت في ب: عقل.
(٨) أكلّ وأعيا. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٥٤٩ (نفه).
(٩) وردت في ب: يسئلك.
(١٠) إضافة من ب.

دون عنف الضراب والطعان، فهو للفتنة أطفى، وللإحنة أنفى «١»، ولباع الانتقام أقصر، ثم أنت بالرأي أبصر. فبادر أبو علي إلى النزول، فاستردفه الزعيم حتى عبر به النهر نحو صاحبه، وذلك قبل الفجر من ليلة السبت غرة شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة، فأمر به إلى بعض القصور معتقلا فيه، وشدّ الطلب على أصحابه وقواده فأسر منهم الأعيان والأركان، وأفلت إيلمنكو صاحب جيشه بمن اتبعه نحو الجرجانية. ونودي في الأفراد وخدم القواد: من أقام يومه بهزاراسف أبيح دمه، فتفرقوا أيدي سبأ في الأقطار «٢»، كشوارد الأمثال والأشعار، [٦٧ ب] واعتقل الباقون على صغار وخسار إلى أن أذن الله في خلاصهم بوالي الجرجانية مأمون بن محمد وذلك إنه «٣» لما سمع بنبأ أبي علي وما ارتكب منه خوارزمشاه اضطرب «٤» قلقا، واضطرم حنقا، وبات يرعى النجوم أرقا، إلى أن استتب له «٥» التدبير عليه «٦»، فرماه بعسكر جرار «٧»، يستخفون مثاقل الأعمال، ويخوضون مشارع الأهوال، وينفذون رواسي الجبال، ويستنزلون العصم «٨» من شعف القلال. وسار فيهم إيلمنكو في خواص أبي علي، رجال قد أوغرتهم الحفائظ والإحن، وأحرجتهم النوائب والمحن، فهم يسعون إلى النار، لنفي العار ودرك الأوتار، فعبروا إلى كاث «٩» مدينة خوارزمشاه، وأحاطوا بها إحاطة الأطواق بالأعناق، وناوشوه الحرب، من كل أوب ودرب، فظلت تلفح وجوه رجاله بجمراتها حتى أجلتهم عنها مدحورين،

وحصلتهم في

____

(١) وردت في ب: أطفى للفتنة، وأنفى للإحنة.

(٢) ذهبوا أيدي سبأ، أي متفرقين. من أمثال العرب في التفرق، وأصله من قصة سبأ والسيل العرم الذي خرّبها وفرق أهلها. انظر: الثعالبي- ثمار القلوب، ص ٣٣٧.

(٣) إضافة من ب.

(٤) وردت في ب: فاضطرب.

(٥) أي مأمون بن محمد.

(٦) أي خوارزمشاه.

(٧) وردت في الأصل: جران، والتصحيح من ب.

(٨) جمع أعصم وهو الوعل. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٤٠٥ (عصم).

(٩) انظر: ص ٥٥، هامش رقم (٦) من هذا الكتاب.

ربقة «١» الإسار مقهورين، ودمروا على خوارزمشاه في قرارة بيته، فأعطاهم بيديه «٢». ووصل إلى أبي علي فحمل ثقل قيده على كعبيه، وتبادلت حالاهما في رقعة من أديم النهار، فصار الأسير منهما أميرا، والأمير أسيرا، وَ كانَ ذلِكَ [٦٨ أ] عَلَى اللَّهِ يَسِيراً «٣». وتحمل أبو علي نحو الجرجانية في أحسن شعار، وحمل أبو عبد الله على قتب «٤» عار، بين خزي وعار، فاستقبلهما مأمون بن محمد، فقابل أبا علي بالإعظام والإجلال، وعومل أبو عبد الله من ضروب الإذلال، بما يجلّ عن المقال. وانسلخ مأمون بن محمد عن مجهوده في إكبار أبي علي وإجلاله، ومشاطرته صنوف أمواله، وأقام العطايا لعامة رجاله، حتى انتظمت أحوالهم «٥»، وأخل بهم اختلالهم. وقراه ذات يوم وكان قد اتخذ مجلسا كأنما عمل عليه صناع صنعاء تزيينا وتحسينا، وتنضيدا وتنجيدا، فأحفى «٦» عليه «٧» في الشرب «٨» إحفاء لطف ومسألة، إذ كان قد هجر الشراب وودّعه منذ زمان، فلما أخذت الكؤوس مأخذها منهما اقترح إحضار خوارزمشاه، فأحضر وهو «٩» يحجل في قيده، ولم يزد في جواب ما سئل عنه وعيّر به على الإطراق «١٠»، وسمر الأرض بالحداق «١١». وجملة أمره أنه أمر به فأذريت «١٢» هامته عن منكبيه، فتدحرجت إلى الأرض

____

(١) هي في الأصل عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ١١٣ (ربق).

(٢) لشذ وثاقهما.

(٣) سورة النساء، الآية ٣٠، الآية ١٦٩؛ سورة الأحزاب، الآية ١٩، الآية ٣٠.

(٤) وردت في ب: قبت. والقتب: رحل البعير. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٦٦٠ (قتب).

(٥) وردت في ب: حوالهم.

(٦) ألحّ عليه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ١٨٨ (حفا).

(٧) إضافة من ب.

(٨) وردت في ب: الشراب.

(٩) ساقطة في ب.

(١٠) السكوت. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٢١٩ (طرق).

(١١) جمع لحدقة العين: سوادها الأعظم. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٣٩ (حدق).

(١٢) أسقطت. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٢٨٣ (ذرا).

[ب] شيبته البيضاء، كذلك يفعل الله ما يشاء.

وصفت خوارزم لمأمون بن محمد، فرتب بها من أقام الخطبة برسمه، وجبى أموالها على حكمه. وتابع «١» كتبه إلى الرضا مستشفعا «٢» في أمر أبي علي، وسائلا تدبير أمره بما يؤنس وحشته، ويجبر خلّته. فخوطب [٦٨ ب] هو وأبو علي بالملتمس «٣»، بمثل صحيفة «٤» المتلمّس «٥»، رضا بما ينطوي على حقد دفين، وداء في الصدر دوي «٦».

وأمر أبو علي بالمسير إلى خدمة السرير، فلاحت له أماني قعد بها جدّه، وأصلد عليها زنده «٧»، فشخص نحو بخارى سائرا إلى دمه بقدمه، وقد أغفلت «٨» الأيام قلبه عن ذكر فعلاته وزلاته، ليلقى قدرا مقدورا، وِلِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولًا «٩».

ولما شارف بخارى، استقبله الوزير عبد الله بن عزير والقواد على طبقاتهم مهنئين بها «١٠» ومبرّكين. ومضى فيهم إلى السهلة، ونزل بها وأخذ يلثم الأرض إلى أن بلغ السّدة، ورفع له «١١» الحجاب، وسار أمامه الحجّاب، إلى أن وصل إلى الرضا، فاستوفى

____

(١) وردت في الأصل: نتابع، والتصحيح من ب.

(٢) وردت في الأصل: مشفعا، والتصحيح من ب.

(٣) وردت في ب: في الملتمس.

(٤) وردت في ب: في صحيفة.

(٥) المتلمس هو جرير بن عبد المسيح الشاعر الجاهلي، خال الشاعر طرفة بن العبد. كان ينادم عمرو بن هند ملك الحيرة، فكتب له صحيفة- لسبب ما- إلى عامله على البحرين بقتله. فلما عرف فحواها، ألقى بها وهرب.

انظر: ابن قتيبة- الشعر والشعراء، ص ٧٣.

(٦) شدة المرض. ابن منظور- لسان العرب، ج ١٤، ص ٢٧٩ (دوا).

(٧) يقال: صلد الزّند أي صوّت ولم يور. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٢٥٧ (صلد). والعبارة كناية عن عدم نفع الشفاعة.

(٨) وردت في الأصل: أغلقت، والتصحيح من ب.

(٩) سورة الأنفال، الآية ٤٢، الآية ٤٤.

(١٠) ساقطة في ب، ولعلها عائدة على زوال الجفوة.

(١١) إضافة من ب.

أدب الخدمة، ولبس ذلّ كفران النعمة، واستنزل «١» بعقبه إيلمنكو في كبار إخوته وقواده حتى إذا نودي بدابته للخروج من الدار، عدل بهم إلى بعض الحجر. وسلك هو والآخرون في القيود والأصفاد، وأطلق على الوقوف «٢» بالباب أيدي الأولياء والحشم فطبقوهم بالسلب والنهب، وسلخوهم بين كل مضيق ودرب. وختمت حال أبي علي بيومه، و «٣» ذلك يوم تطامن «٤» فيه صوره «٥»، واستقام صعره، وأنضج له ثمره، وأعيا [٦٩ أ] على ورده صدره. كذلك كفران النعمة لا يرضى إلا بسخط صاحبه، وإيساد «٦» الزمان عليه بأنيابه ونوائبه، و «٧» رحم الله من قال فلقد أحسن المقال:

إذا المرء لم يرض ما أمكنه ... ولم يأت من أمره أزينه

وأعجبه العجب فاعتاده «٨» ... وتاه به التيه فاستحسنه

فدعه فقد ساء تدبيره ... سيضحك يوما ويبكي سنة

وقد كان الأمير سبكتكين منيخا بمرو، فلما بلغه إيقاع خوارزمشاه بأبي علي، عدل إلى بلخ فغني بها على جملته في الطاعة، وارتياد مصلحة الكافة، إلى أن ورد أبو علي بخارى، وأوعز في بابه بما تقدم ذكره. وطلع أثناء ذلك كتاب الرضا عليه بما يهمّ به أيلك من الانحدار عن «٩» الأعالي، وحيازة ما في أيدي عماله من أعمال تلك

____

(١) وردت في ب: واشترك.

(٢) جمع واقف.

(٣) ساقطة في ب.

(٤) سكن. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٢٦٨ (طمن).

(٥) الصّور: الميل. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٤٧٤ (صور).

(٦) آسد الكلب بالصيد إيسادا: هيّجه وأغراه. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٧٢ (أسد).

(٧) إضافة من ب.

(٨) وردت في ب: فاقتاده.

(٩) وردت في الأصل: على، والتصحيح من ب.

النواحي، و «١» يسأله تجشم الخفوف «٢» في وجهه، والعبور لكفاية شغل أمره «٣»، متمما للصنيعة عنده في استحياء دولته «٤»، واستبقاء ملكه وحوزته. فاستشار في ذلك وجوه نصحائه ووزرائه، فترجحت الأجوبة بين تبعيد وتقريب، وتخطئة وتصويب. فأخذته العزة بالوفاء، وهزته [٦٩ ب] الحفيظة للنداء، فعدل عن مشورة النصحاء إلى صريمة «٥» العزم والرأي، وأقبل على الاستعداد والاحتشاد، وبثّ كتبه إلى ولاة الأطراف وزعماء البلاد بتعجيل الورود، وتقديم الوفود. وعجل هو إلى العبور قبل تلاحق الجمهور، ومضى إلى ما بين كش ونسف، نخيّم بقرية تدعى نيازي «٦» إلى أن وصل إليه ولاة الجوزجان والختّل والصغانيان وسائر أطراف خراسان. وورد عليه الأمير سيف الدولة من نيسابور في هيئة راقت «٧» العيون، وهيبة راعت القلوب، ورجال قد ربتهم الحروب في حجورها، وأرضعتهم التجارب من شطورها «٨»، فلم يسمع بمعسكر بما وراء النهر جمع من كبار الملوك وأعيان القروم وطبقات الجنود ما جمعه ذلك المناخ.

وبلغ أيلك عبورهم للقائه، فأرسل إلى الأمير سبكتكين عدة من شيوخ بابه، يذكر أنهما أخوان في ذات «٩» الله تعالى لا تفاقهما على نصرة الإسلام، واقتسامهما ديار الترك والهند بالغزو والانتقام، وأنهما بحكم مساعيهما في إظهار دين الله وإفلاج حجة الله أحق

____

(١) إضافة من ب.
(٢) سرعة السير. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٨١ (خفف).
(٣) وردت في ب: شغله.
(٤) أي بقائها. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٢١٣ (حيا).
(٥) وردت في ب: مشورة. والصريمة: العزيمة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٣٣٥ (صرم).
(٦) وردت في ب: ذاري.
(٧) وردت في الأصل: راقة، والتصحيح من ب.
(٨) ضروع الناقة والشاة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٤٠٧ (شطر).
(٩) ساقطة في ب.

بارتفاعات خراسان وما وراء النهر من مستحلس «١» بيته «٢» على مآرب نفسه، وشهوات بدنه، لا يشهد «٣» مقاما [٧٠ أ] محمودا، ولا يشهر حساما مغمودا، وأن اجتماعهما على حظيهما أعود عليهما من ركوب الخطر، واجتلاب الضرر، لحظ يخلص إلى غيرهما، وأنه لا يستحل في دينه أن يعدل بالسيف عن أعداء الله إلى وجهه، إلا إذا اضطره إليه ابتداء، وسامه الدفاع عن نفسه اعتداء، فليختر أيما «٤» الأمرين «٥» رآه لنفسه «٦» من وفاق «٧» وافتراق، وائتلاف واختلاف، فهو يسم «٨» بناره، ويحذو على غراره.

فرجع إليه أن اعتماد الرضا إياه [بمنعه عن الجري على ما يهواه] «٩» بتأميله حين خذله أبناء دولته، وكفره أنشاء نعمته، يذمم إليه الإغماض دون حيف يجري عليه، وملك يراد انتزاعه من يديه، وأن تغريره بجميع ما يحويه على استغراقه أيام العمر فيه، أحب إليه من سمة الخذلان «١٠»، واختيار الإساءة على الإحسان. فليقطع طمعه عن الرّتاع «١١»، حول تلك الرباع، أو فليأذن بحرب تحطم فيها متون الصفاح، وتتقصد «١٢» معها عوالي الرماح، وترخص عندها غوالي المهجات والأرواح. فلما علم أيلك جده، وذاق بلسان الاختبار ما

____

(١) ملازم. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٥٥ (حلس).
(٢) وردت في ب: لبيته.
(٣) وردت في الأصل: شهيد، والتصحيح من ب.
(٤) وردت في ب: أي.
(٥) وردت في ب: الأميرين.
(٦) إضافة من ب.
(٧) وردت في الأصل: فات، والتصحيح من ب.

(٨) وردت في ب: لسيم. يسمه وسما: يؤثر فيه بسمة وكيّ. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٦٣٥ (و سم).
(٩) ساقطة في ب.
(١٠) وردت في الأصل مكررة.
(١١) الأكل والشرب رغدا. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ١١٢ (رتع).
(١٢) تتكسّر. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٣٥٥ (قصد).

عنده، قرع للأمر ظنبوبه «١»، وشدّ للحرب حيزومه «٢»، ورمى أحياء الترك بقداح هي فيما بينهم علامات [٧٠ ب] الاستنفار، فثار إليه الطّم والرّم:

جيوش تضل البلق «٣» في حجراتها ... ترى الأكم فيها سجّدا للحوافر «٤»

وكتب الأمير سبكتكين إلى الأمير «٥» الرضا يستعجله اللحاق به، لتقدمهم هيبته في مناهضته الخصم وفلّ حدّه، وزحزحته عن صدر الملك إلى ما وراء حدّه. وأشفق ابن عزير على نفسه من حركته للهنات التي كانت ألجأته إلى الهرب، واللياذ به من حر الطلب، تنصّح للرضا بأن الأمير سبكتكين وعامة ولاة الأطراف عبروا «٦» النهر في أحسن عدة وعتاد، وأبلغ استظهار واحتشاد، وأن المحن التي استمرت بك قد نفضتك «٧» عن تحمل مثلك، ورحلت بزينة الملك عن رحلك، فقبيح بك أن تجاور من حاله أعلى من حالك، ورجّالته أتم استظهارا من فرسان رجالك، والرأي لك أن تستعفيه عن شهادتك بنفسك على أن تحشر إليه وجوه القواد، في جماهير الأجناد، من أطراف البلاد، وتحكّمه فيما يراه من مسالمة أو محاكمة، ومكالحة أو مصالحة، ليكون فيصل الأمر بيديه على الوجه الذي هو أخف عليه.

فكتب الرضا بذلك إليه، فعلم أن ذلك من تسويل [٧١ أ] ابن عزير وافتعاله،

____

(١) الظنبوب: حرف الساق. ويقال: قرع الرجل ظنبوب راحلته كناية عن جدّه في أمر ما. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٥٧٢، (ظنب).
(٢) وسط الصدر وما يضم عليه الحزام. وهو كناية عن التشمّر للأمر والاستعداد له. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ١٣٢ (حزم).
(٣) وردت في الأصل: الأكم. والبلق: الخيل البيض، وقيل: السود. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٢٥ (بلق).
(٤) هذا البيت لزيد الخيل بن مهلهل الطائي، وقد أورده: المبرد- الكامل، ج ١، ص ٣٥٨ (مع بعض الاختلافات).
(٥) إضافة من ب.
(٦) وردت في الأصل: وعبروا، فحذفنا الواو لأنها زائدة.
(٧) أبعدتك. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٢٤٠ (نفض).

وتمويهه واحتياله، وقصده أن يحبط «١» عليه سعيه الذي سعاه في العبور، واستجاشة الجمهور، وتحمل الأثقال، واستنفاق الأموال. فسرّب الأمير سيف الدولة وأخاه بغراجق في قرابة عشرين ألف رجل إلى بخارى لإزعاجه «٢» عن مكانه. وسيّر معهما أبا نصر أحمد بن محمد بن أبي زيد لتدارك أمر الديوان الذي كان برسمه. فلما أحس ابن عزير بإقبالهم، رأى ليث الموت كاشرا عن نابيه، وعقاب العقاب ناشرا جناحيه للانقضاض عليه، فابتغى نفقا في الأرض أو سلما في السماء، حتى إذا أعياه ما توخاه، فزع إلى الانجحار «٣»، ولاذ بالاستتار. فولّى الرضا أبا نصر بن أبي زيد ما كان يليه «٤»، وهو الشهاب الثاقب، والنقاب الذي هذّبته المناقب.

فأقام بكفايته عماده، وقوّم منآده «٥»، وصدف «٦» عنه ما كان قد آده «٧»، ووصفه أبو الفتح البستي بأبيات وفىّ الصدق بها حقه، وهي «٨»:

فديت أبا نصر المرتجى ... لتفريج كل ظلام يظل
له قلم حدّه لا يكلّ ... إذا كان في الحرب سيف يكل «٩» [٧١ ب]
فيوجز لكنّه لا يخلّ ... ويطنب لكنه لا يمل
وكيف يمل وتوفيق من ... أفاد العقول عليه يمل

تجود قريحته بالبديع ... عفوا كجود القراح المغل

____
(١) وردت في ب: يحيط.
(٢) أي لإبعاده.
(٣) أي أوى إلى جحر.
(٤) ابن عزير.
(٥) المعوجّ. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٧٥ (أود).
(٦) وردت في ب: حذف، وبالوجهين يستقيم المعنى. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ١٨٧ (صدف).
(٧) أثقل عليه أو شقّ علي. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٧٤ (أود).
(٨) إضافة من ب. وقد أورد الثعالبي الأبيات ٢ - ٤. يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٣٥٥.
(٩) أورد الثعالبي عجز هذا البيت: إذا كان حدّ حسام كيل.

مدق مجلّ وأولى الكفاة ... بأعلى الصفات مدق مجل

وكتب إليه عند استقرار الوزارة عليه بهذه الأبيات:

أبلغ مقالي كل عاف مجتدي ... و «١» مؤمل في قصده أن يهتدي

عرّج على الشيخ الجليل المرتجى ... وزر الوزارة أحمد بن محمد

فرواؤه مل ء العيون وحبّه ... مل ء القلوب وسيبه مل ء اليد

يفري أمور الملك رأيا فيصلا ... وعزيمة تزري بكل مهند

ويفيض نائله بسيل زاعب «٢» ... فيقول سائله غرقت قدي قدي «٣»

فاثن الرجاء إلى علاه فإنه ... غوث الردي غيث الصدي بدر الندي

لا زال في يوم أغرّ مبشر ... بسعادة غراء تطلع في غد

ليقيم كل مؤوّد وينيم كل ... مسهد ويضم كل مبدّد

وقد كان الأمير سبكتكين أحس بإبقاء ابن عزير على أبي علي، وجدّه في النضال عنه «٤» لما يقدره في الأيام من التسلح به عليه، فلوّح [٧٢ أ] الرضا بميله إلى ما يقع من نقله إلى جنابه، فأوجب قبل وصول سيف الدولة إليه إسعافه به، وحمل هو «٥» وإيلمنكو في عماريّة «٦» كانت خاتمة لعمره، قاصمة لظهره.

وأمر الأمير سبكتكين فنقل إلى جرديز «٧» في محمل لو رأى من قبل مثله في منامه

____
(١) إضافة من ب.
(٢) إضافة من ب.
(٣) إضافة من ب.
(٤) إضافة من ب.
(٥) إضافة من ب.
(٦) هودج يجلس فيه أو محمل يحمل عليه. الرصافي- الآلة والأداة، ص ٢٢٧.
(٧) معرب گرديز. قال عنها ياقوت: ولاية بين غزنة والهند. معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٥٠، وقد ورد ذكرها في: البيهقي- تاريخ، ص ١٣٦، ص ٢٢٤، ص ٤٤٩. وهي الآن مدينة أفغانية قريبة من الحدود مع باكستان.

لعاف برد الماء على زرقة جمامه «١»، واستعفى عن طيب الحياة باقي أيامه.

نعم، وانحدر فيما بين نهوض سيف الدولة إلى بخارى، أيلك «٢» في قبائل الترك، واستأنف مسألة الصلح، فأوجب الأمير سبكتكين إجابته إلى ملتمسه، لقعود الرضا عن مشاهدته، وفتوره في أمر نهضته. واشترط عليه أن يتزحزح عما دون قطوان «٣»، فلا يطلق عليه عنانه، ولا يسرح إليه عماله وأعوانه، على أن يقرّ «٤» سمرقند على فائق إيجابا لشفاعته، ورعاية لما سلف في بيت الرضا من حق طاعته. وعقدت وثيقة الصلح على «٥» هذه الجملة بمشهد الفقهاء والأعيان من الجانبين. وانصرف كل واحد «٦» منهما عن وجه صاحبه.

وعاد الأمير سبكتكين إلى بلخ، وسار سيف الدولة نحو نيسابور، وهدأ «٧» على الرضا ما كان متموجا من أمور الأعالي «٨». وأقبل أبو نصر على مهمات الوزارة، وأكبرها [٧٢ ب] شغل الإثارة «٩» لتقلّص الولايات، وقصور الارتفاعات عن الوفاء بما كان مثبتا في القديم من وجوه الأطماع والإقامات، وجعل يزجي فيها يوما بيوم، ويغسل دما بدم إلى أن ثار به بعض غلمانه فقتلوه، وذلك على رأس خمسة أشهر من وزارته، فضاق الرضا ذرعا بما دهاه لإشفاقه من ظن الأمير سبكتكين أن هناك قصدا في أمره، أو رضا للحادثة به.

---

(١) كثرة الماء واجتماعه. ابن منظور- لسان العرب، ج ١٢، ص ١٠٥ (جمم).

(٢) وردت في ب: بايلك.

(٣) قرية كبيرة تبعد خمسة فراسخ عن سمرقند. السمعاني- الأنساب، ج ٤، ص ٥٢٥.

(٤) وردت في الأصل: يقرر، والتصحيح من ب.

(٥) وردت في الأصل: وعلى، والتصحيح من ب.

(٦) ساقطة في ب.

(٧) وردت في كل النسخ: هذا، والأصح ما أثبتناه.

(٨) أي أعالي الولايات.

(٩) أثار الأرض: حرثها وزرعها واستخرج منها بركاتها. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ١١١ (ثور). وهو كناية عن وجوه الأموال.

١٢ ذكر أبي القاسم بن سيمجور أخي أبي علي وما أفضى إليه أمره بعد تقاعده عنه

وأظهر الاكتئاب، واستعظم المصاب. وبرز من الدار فصلى «١» على جنازته، وأمر بإقامة التنكيل والتمثيل «٢» على الفتكة به.

وأنشدني المضراب البوشنجي «٣» فيه يرثيه:

قلوب الناس آلمة سقاما ... ونفس المجد والهة سقيمة

وما فجعت بك الدنيا ولكن ... تركت بفقدك الدنيا يتيمة

وفيه «٤» لبعض أهل العصر «٥»:

لمّا ثوى صدر الوزارة «٦» أحمد ... وهوت نجوم المجد في ملحوده

أذريت من فرط المصاب مدامعا ... كالغيث بعد بروقه ورعوده

قال العذول وقد رأى فرط الجوى ... والطرف «٧» يمزج دمعه بصديد [٧٣ أ]

خفّض عليك فقلت قولا زاجرا ... دعني أبكّيه بنسخة جود

ذكر أبي القاسم بن سيمجور أخي أبي علي وما أفضى إليه أمره بعد تقاعده عنه

ولما انحاز أبو القاسم عن أخيه، أقام جحرة «٨» إلى أن ورد الأمير سبكتكين

---

(١) وردت في الأصل: يصلي، والتصحيح من ب.

(٢) ساقطة في ب.

(٣) أبو منصور البوشنجي الملقب بمضراب الشعر. عنه، انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ١٨١، وقد أورد هذين البيتين.

(٤) أي في الوزير أبي نصر.

(٥) عن هذا المفهوم، انظر: مقدمة د. محمود الجادر لديوان الثعالبي، ص ١١.

(٦) وردت بعد هذه الكلمة في الأصل: له، وهي زائدة فحذفناها.

(٧) وردت في الأصل: والدمع، والتصحيح من ب.

(٨) الحجرة: الناحية، وحجرة القوم: ناحية دارهم. والمقصود مبتعدا. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ١٦٨ - ١٦٩ (حجر).

خاستر «١» من نيسابور، فنهض إليه متعرضا للقائه، وتمهيد حال في ممالأته وولائه، فرعى حقه، ورفع قدره، وقوّى أسره، وضمن له ما سرّه، وخطب له إلى الرضا ولاية قهستان.

فأجابه «٢» إليها، وأمر له بالمنشور عليها، وحبي إلى ذلك بخلع عرّفته يمنة «٣» الطاعة، وكسته يمنة «٤» العزّ في الاختلاط بالجماعة. فأوى إلى قهستان ساكن الجأش، ظاهر الرياش، أثيث «٥» الجناح، مريع المسرح والمراح، إلى أن سنح للأمير سبكتكين عبور النهر لتدبير أمر الترك، فكتب إليه يستنهضه إلى مجمع أركان الدولة وأعيانهم «٦»، ليضرب معهم بسهم الغناء في كفاية الأمر الحازب، وممانعة الخصم المغالب، فحملته تقوى العواقب، وإساءة الظن بالنوائب، وطراءة عهده بخبر أخيه فيما درع من لباس الهوان، وجرع من كأس الذل والامتهان [٧٣ ب] على ترك المسير، والإدلاء ببعض المعاذير.

وعلم أن تقاعده عن إجابته سيورثه عند فراغه له داء عضالا، ويكسبه خطبا لا يطيق به استقلالا، فبادر إلى نيسابور مغتنما خلوّ خراسان عن حماتها، وطابقه أبو نصر بن محمود الحاجب على فعله ورأيه، فتظاهرا على الاستظهار بجمع المال، وإثبات أصناف الرجال. وحين سمع الأمير سبكتكين بخبرهما، بادرهما بالكتاب إلى سيف الدولة في الانحدار إلى نيسابور، وأمدّه بأخيه بغراجق والي هراة لنقض ما أمرّ «٧» من أمرهما، وحصد ما نجم من شرهما. فسار إليهما ولم يرض بهما حتى انحط على أثرهما من بلخ كالشهاب في أثر العفاريت، فلم يرع أبا القاسم وابن محمود غير إطلال الجيوش عليهما. فارتحلا

(١) من قرى نيسابور، وقد وردت في شرح اليميني: (خاكستر). كما وردت بهذه الصيغة عند البيهقي- تاريخ، ص ٢١٧، فعلق المحققان: «لعله الموضع الذي يعرف بهذا الاسم اليوم في الطريق من مشهد إلى مرو».

(٢) وردت في الأصل: فإنه، والتصحيح من ب.

(٣) من اليمن والبركة.

(٤) ضرب من برود اليمن. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٤٦٣ (يمن).

(٥) غزير طويل. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ١١٠ (أثث).

(٦) وردت في ب: أعيانها.

(٧) أحكم. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ١٦٨ (مرر).

وامتطيا «١» مطايا الهرب، وسارا إلى أستوا متقيين حرّ القضب.

وركب الأميران أكتافهما «٢» يشلانهما مثل النّعم، حتى لفظتهما حدود خراسان إلى تخوم جرجان. وامتد الأمير سبكتكين إلى طوس فأناخ بها إلى أن تطاير خبر إقباله، فزاد في حفزهما «٣» للانهزام، وإعجالهما دون المقام. وعطف إليه سيف الدولة وبغراجق [٧٤ أ] بعد فراغهما من تفريغ خراسان عنهما، مجددين العهد به «٤».

وقد كان فخر الدولة علي بن بويه قد تقرّب إلى الأمير سبكتكين عند مقامه ببلخ على سبيل الملاطفة بجملة من المبار، ومال من العين واللّجين «٥» على سبيل النثار، اقتناصا لمحبته، واستخلاصا لرضاه وموافقته. فقابله الأمير سبكتكين بأضعافه من الألطاف، وزاده عليها ثلاثة من الفيلة الخفاف. وأرسل بها المعروف بعبد الله الكاتب أحد ثقاته، فنمي إلى فخر الدولة تجسسه «٦» عليه عدد أجناده، وغوامض الطرق المفضية «٧» إلى بلاده.

فكتب إلى الأمير سبكتكين يشير إلى أن «٨» رسول المرء لسانه، وعنوان ضميره وترجمانه، وأن فلانا ورد فخالف باطن أفعاله ظاهر مقاله. وكان من بعض فصوله: «أنه لو أراد لعلم أن سرير الملك لم يستقر في سرة الأرض إلا بغلب غلّب وأسود سود». فحزّ هذا الكلام في صدره، وخدش وجه الحال التي كان خطبها فخر الدولة إلى ودّه.

ثم أردف كتابه ذلك بأبي القاسم الرسول أحد وجوه بابه، وأصحبه مشافهة مشتملة على ذكر الحال التي يروم [٧٤ ب] عمارتها في مودته، وأن الرضا تبرّع له

(١) ساقطة في ب.

(٢) أي أكفاف أبي القاسم وابن محمود، ويعني الانتصار عليهما.
(٣) وردت في ب: حقرهما.
(٤) أي بالأمير سبكتكين.
(٥) الفضة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٣٧٩ (لجن).
(٦) أي تجسس عبد الله الكاتب.
(٧) وردت في ب: المقضية.
(٨) إضافة من ب.

بالرعاية الوافرة، وبلّ الحال ببلال المصاهرة، ولكنه «١» يرى نظام ذلك وقوامه بما يوجبه من مواصلته وعمارة «٢» حاله من ذات صدره. وسأله أن يثق بالإخلاص له من قلبه، والإسعاف بما تحت يدي ملكه وملكه «٣»، وأن ينطوي له على مثل ما بذله من نفسه، لتستحصد المرائر، وتتأكد الأواصر، ويستمر التحالف والتآلف، ويرتفع التخالف والتجانف «٤»، فأحسن الأمير سبكتكين إجابته إلى ما طلبه، وأنكحه من سره ما خطبه، وصفت الحال بينهما عن الشوائب، وانتفت عن وجوه المقادح والمعائب.

واستأمن أبو القاسم بن سيمجور إلى فخر الدولة عند اليأس من خراسان، فاستدناه إلى الدامغان وقومس وجرجان، وفرض له ولمن اشتملت جريدته عليهم من حاشيته ورجاله مالا يدر عليهم. وسنأتي على بقية ذكره في موضعه إن شاء الله «٥».

وورد على الأمير سبكتكين مؤنس الخادم رسولا عن الرضا يستشيره فيمن يرشّح للوزارة لخلوّ مكانها «٦» بعد أبي نصر بن أبي زيد عمن يراعيها، ويستقل بأعباء الكفاية فيها، فوكل الاختيار إلى رأيه، وأظهر مظاهرة من كان من وزرائه، [٧٥ أ] فاختير أبو المظفر محمد بن إبراهيم البرغشي «٧» لها، وحبي بالخلعة والكرامة فيها، فكفل بالأمر كفالة النّدب الحدب، وقام بالتدبير قيام المنقّح المشذّب، إلى أن اختطف الرضا أجله، وعثر «٨» بحياته أمله.

---

(١) أي فخر الدولة.
(٢) وردت في الأصل: عمارت.
(٣) الملك الأولى: ما كان مملوكا له، والملك الثانية: السلطة.
(٤) وردت في ب: التجانف والتخالف.
(٥) إضافة من ب.
(٦) وردت في الأصل: مكان، والتصحيح من ب.
(٧) عنه، انظر: الكرديزي- زين الأخبار، ص ٢٧٦؛ كرماني- نسائم الأسحار، ص ٣٩؛ خواندمير- دستور الوزراء، ص ٢١٧
(٨) وردت في الأصل: عث، والتصحيح من ب.

وعطف الأمير سبكتكين بعد ذلك إلى بلخ، وعاد سيف الدولة إلى نيسابور. وقد كان أبو الحسن بن أبي علي بن سيمجور مقيما بقاين «١» عند الوقعة بناحية طوس، فلما سمع بانكشاف عسكر أبيه، ركب المسافة نحو الري، فآواه فخر الدولة وأكرمه، وخلع عليه فضله وكرمه، وأمر له بخمسين ألف درهم مشاهرة تدرّ عليه عند ولاد كل شهر، وأضاف إليه من المبارّ والصلات ووجوه الأحبية والكرامات، ما تميز به عن أشكاله رعاية لحق أبيه، وتبجحا بحصول مثله في جملة أوليائه وحملة أياديه. فأغراه سوء القضاء ودرك الشقاء بالهرب من مفترش الراحة، ومتوسد الدعة «٢»، ومضطجع الرفاهية، ومرتفق السلامة والعافية، حتى زخّ «٣» بنفسه في قحمة «٤» الشبور من كورة نيسابور مطاوعة لهوى له كان زعم بها، وظن أن استتاره يطوي خبره، ويخفي عينيه وأثره، إلى أن يقضي من «٥» هواه وطره.

فلم يرعه إلّا إحاطة «٦» الطلب به من حوالي [٧٥ ب] مستتره، فاحترشوه «٧» كما يحترش الضب من جحره، وعجلوا به إلى الحبس من فوره، وحمل بعد ذلك إلى معتقل أبيه، إلى أن نفذ محتوم «٨» القضاء فيه، فيا له من أسر هدّ أسره، وختم بطابع الشقاء عمره، ورحم الله أم المؤمنين أم سلمة حيث تقول:

لو كان معتصما من زلة أحد ... كانت لعائشة الرتبى على الناس

قد ينزع الله من قوم عقولهم ... حتى يتم الذي يقضي على الراس

وكان أميرك الطوسي قد اختلط بعسكر الأمير سيف الدولة، فلما عنّ له عبور

---

(١) قصبة إقليم قوهستان. انظر: al Hudud -ﷺP lam, ١٠٣٠ ؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٤٢، ص ١٤٥؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٣٩٢.

(٢) وردت في الأصل: الريحة. وفي ب: الداعة. والتصحيح من د.

(٣) دفع. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٢٠ (زخخ).

(٤) القحمة: ركوب الإثم، والمهلكة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٤٦٤ (قحم).

(٥) إضافة من ب.

(٦) وردت في الأصل: الإحاطة، والتصحيح من ب.

(٧) حرش الضب: صيده. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٢٨٠ (حرش).

(٨) وردت في الأصل: محشوم، وفي ب: مختوم. والتصحيح من د.

النهر لتدبير أمر الترك، رأى الاحتياط في الاستيثاق منه «١»، فألحق بأبي علي وذويه إلى أن حاق بهم القضاء، وحقّ عليهم الانقضاء، كذلك يفعل الله ما يشاء.

ولما استقر الأمير سبكتكين ببلخ بعد منصرفه من طوس، ورد الخبر بنفوذ قضاء الله تعالى «٢» في أبي علي ومن كان معه في حلق الوثاق، واستتبع خبره موت الملوك والعظماء بأطراف خراسان والعراق، في مدة اتصلت كعوب «٣» أيامها، وتناسقت «٤» فرائد نظامها، فكأنهم كانوا على ميعاد، وذلك أنه تلا خبره خبر مأمون بن محمد والي الجرجانية في فتك طائفة من أصحابه به في مأدبة صنعها صاحب جيشه [٧٦ أ] له، فاستحالت «٥» المأدبة مندبة، والدعوة مناحة، والغناء عويلا، والسرور حزنا طويلا. وردفه خبر الرضا في مرضه، لم تمتد فيها أيامه حتى ألمّ به حمامه، وانتقل إلى ترابه بماء شبابه.

وكانت وفاته يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة سبع وثمانين وثلثمائة، ولقّبه «٦» كتّاب بابه بالرضا، فرحمة الله عليه رحمة تبرد ضريحه، وتروح روحه، فقد كان طود الملك زال بزواله، وزلّ عن مراسيه بزلزاله.

وتتابعت المصائب على الأمير سبكتكين بعده في تلك المدة بشقيقة له «٧» كانت أعز أهله عليه، وأولاد صغار، وغلمان دار، وهلمّ جرّا إلى أن سقط على الفراش، وآيس من الانتعاش، فتاق إلى غزنة استرواحا إلى طيب هوائها، واستشفاء بنسيم أرضها، ونمير «٨» مائها، فأخذه المقدور عليه بالمرصد، واخترمته يد المنون دون المقصد، فنقل في تابوته إلى غزنة.

---

(١) أي شد وثاقه.

(٢) ساقطة في ب.

(٣) وردت في ب: لعوب.

(٤) وردت في الأصل: تناسبه، والتصحيح من ب.

(٥) وردت في الأصل: فاستحالة، والتصحيح من ب.

(٦) وردت في ب: لقاء.

(٧) إضافة من ب.

(٨) ساقطة في ب.

ومن العجب العاجب «١» في أمره أني حضرته ذات يوم وقد جرى حديث العلل في إقبالها وزوالها، فقال وهو يشير إلى كاتبه أبي الفتح البستي «٢»: مثلنا أيها الشيخ في اختطاف المنايا أرواحنا مثل القطيع يعمد الجزاز «٣» إلى الضائنة «٤» منها فيطرحها إلى الأرض، [٧٦ ب] ويوثق قوائمها للجزّ، فلا تزال تقلق لخلاف العادة، وتضطرب خوف الإبادة، إلى أن يقضي الجزاز منها وطره، فيحل وثاقها، ويحسن إطلاقها، فترتاح لما يتاح لها من النجاة، ويعاد إليها من روح الحياة، حتى إذا كان من قابل «٥»، عاد الجزاز لعادته فيها، فطفقت لها بين أمل ويأس، ونفرة واستئناس، تظن أن الأمر كما عهدت تارة، وتخشى خلاف العادة أخرى، إلى أن

يقع الإفراج عنها فتطفر فرحى بالنجاة، وتعود مرحى في النبات، فما هي إلا الثالثة حتى يسلمها إلى القصّاب «٦»، فيمر الشفرة على ودجيها أوثق ما كانت بالعادة، وأبعدها من المخافة، وآمنها من الآفة. كذلك «٧» نحن فيما يتعاقب علينا من الأمراض، ويستمر بنا من الأوصاب «٨»، بينا نحن نحسن الظن بما يطرق منها إذ قامت الواعية، وسارت بها «٩» الناعية. فكان بين هذا التمثيل وبين أن قضى نحبه قدر عفار «١٠» النخل، فقضينا العجب بعده لما أملاه المقدور في شأنه على لسانه.

وقد كان قبل وفاته استجد عمارة الدار المعروفة بسهلاباذ، وأنفق عليها مالا عظيما، فلم يتمتع بسكاها حتى خذله الرجاء، وحقّ عليه القضاء، واعتافها ولده من بعده،

____

(١) وردت في ب: عجب العجائب.

(٢) إضافة من ب.

(٣) من يجز الصوف.

(٤) الضائن من الغنم: ذو الصوف، والأنثى ضائنة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٢٥١ (ضأن).

(٥) أي العام القابل.

(٦) وردت في ب: يسلمها الجزاز إلى الجزاز.

(٧) وردت في الأصل: لذلك، والتصحيح من ب.

(٨) إضافة من ب.

(٩) وردت في الأصل: به، والتصحيح من ب.

(١٠) وردت في الأصل: عذار. وعفار النخل: من أوقات إصلاح النخل، مختلف فيه. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٥٨٩ (عفر).

فأهملوا أمرها حتى [٧٧ أ] تداعت بالخراب. وسمعت بعض الأفاضل ينشد وقد اجتاز عليها بعده في مدة يسيرة:

عليك سلام الله من منزل قفر ... فقد هجت لي شوقا قديما وما تدري

عهدتك مذ شهر جديدا فلم أخل ... صروف النوى تبلي مغانيك في شهر

فلحا الله دنيانا من ضبّة تأكل أولادها عقوقا، وجافية لا ترعى لأضيافها أذمّة وحقوقا، وإلى الله المشتكى من صروف الزمان، وريب الحدثان.

ورثاه أبو الفتح البستي كاتبه بقوله:

قلت إذ مات ناصر الدين والدو ... لة حيّاه ربه بالكرامة

وتداعت جموعه بافتراق ... هكذا هكذا تقوم القيامة

وقوله أيضا:

توكّل على الله في كل ما ... تحاوله واتخذه وكيلا

ولا يخدعنّك شرب صفا ... فأنمى قليلا وأروى غليلا

فإن الزمان يذل العزيز ... ويجعل كل جليل ضئيلا

ألم تر ناصر دين الإله ... وكان المهيب العظيم الجليلا

أعدّ الفيول وقاد الخيول ... وصيّر كل عزيز ذليلا [٧٧ ب]

وحفّ الملوك به خاضعين ... وزفوا إليه رعيلا رعيلا

فلما تمكّن من أمره ... وصار له الشرق إلا قليلا

وأوهمه العز أن الزمان ... إذا رامه ارتد عنه كليلا

أتته المنية مغتاظة ... وسلّت عليه حساما صقيلا

فلم يغن عنه حماة الرجال ... ولم يجد فيل عليه فتيلا

كذلك يفعل بالشامتين ... ويفنيهم الدهر جيلا فجيلا

ولبعض كتّاب أهل العصر:

مضى الأمير نصير الدين متشحا ... في قبره بمساع أشبهت علما
قد كان مدة ما قد «١» عاش منتصبا ... لله والدين والإسلام منتقما
كالليث والغيث طبعا أن حمى وهمى ... والنجم والرجم شكلا أن سما ورمى
يا من أسال رقاب الكاشحين دما ... من بعد فقدك أبكيت العيون دما
لئن أناخ صروف الدهر ساحته ... فانظر إلى الملك والإسلام لا جرما
فالدين منثلم والملك منهدم ... وظل حبل العلى والمجد منصرما

وردف الحادثة به النعي بفخر الدولة علي بن بويه. وكانت وفاتهما في شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة. وكان «٢» سبب انقراضه أنه فرع القلعة [٧٨ أ] التي استحدثها على جبل طبرك «٣» مرتاحا للأنس، فاشتهى طرائح من لحم البقر، فنحرت بين يديه واحدة، وطفق أصحابه يضهّبون «٤» له من أطايبها، وهو ينال منها. وأتبعها بعناقيد «٥» كرم، ودارت عليه الكؤوس بينها ملاء ولاء «٦»، فلم ينشب أن لوى عليه جوفه، واتصل على الألم صوته، إلى أن جثم عليه موته. ورثاه أبو الفرج الساوي بقوله «٧»:

هي الدنيا تقول بمل ء فيها ... حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركم حسن ابتسامي ... فقولي مضحك والفعل مبكي
بفخر الدولة اعتبروا فإني ... أخذت الملك منه بسيف هلك

---

(١) إضافة من ب.
(٢) وردت في الأصل: كانت، والتصحيح من ب.
(٣) انظر: ياقوت- معجم البلدان، ج ٤، ص ١٦.
(٤) يشوون. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٥٢٢ (ضهب).
(٥) وردت في الأصل: بعناقد، والتصحيح من ب.
(٦) متابعة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٤١٢ (ولي).
(٧) أورد الثعالبي هذه القصيدة. يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٤٥٨.

وقد كان استطال على البرايا ... ونظّم جمعهم في سلك ملك
فلو شمس الضحى جاءته يوما ... لقال لها عتوّا أفّ منك
ولو زهر النجوم أبت رضاه ... تأبّى أن يقول رضيت عنك
فأمسى بعدما قرع البرايا ... أسير القبر في ضيق وضنك
أقدّر أنه لو عاد يوما ... إلى الدنيا تسربل ثوب نسك
دعي يا نفس فكرك «١» في ملوك ... مضوا بل «٢» لا نقراضك ويك فأبكي [٧٨ ب]
فلا يغني هلاك الليث شيئا ... عن الظبي السليب قميص مسك
هي الدنيا أشبّهها بشهد ... يسمّ، وجيفة طليت بمسك
هي الدنيا كمثل الطفل بينا ... يقهقه إذ بكى من بعد ضحك
ألا يا قومنا انتبهوا فإنا ... نحاسب في القيامة غير شك

فأما مأمون بن محمد فإن ابنه عليا ولي الأمور «٣» من بعده، وسارع «٤» الناس إلى بيعته، وعاد الملك به إلى بهائه وروعته.

وأما الرضا فقد كان عهد بملكه إلى ابنه أبي الحارث منصور بن نوح «٥»، فلما استعزّ به ومضى لسبيله، تناصر على بيعته الأولياء والحشم، وفرّق بقايا الأموال وخبايا الذخائر والأعلاق في أعطياتهم، وتحقيق أطماعهم، حتى استوسقت «٦» أمور الجماعة، واتسقت الكلمة في الطاعة. وبقي أبو المظفر محمد بن إبراهيم على الوزارة.

---

(١) وردت في الأصل: مكرك، والتصحيح من ب.

(٢) وردت في ب: مضوبا.
(٣) وردت في ب: الأمر.
(٤) وردت في ب: تسارع.
(٥) الأمير الثامن من أمراء الدولة السامانية (٣٨٧ - ٣٨٩ ه). عنه، انظر: الكرديزي- زين الأخبار، ص ٢٧٦؛ جوزجاني- طبقات ناصري، ج ١، ص ٢١٤؛ ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٧٦.
(٦) اجتمعت. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٣٨٠ (وسق).

وأما الأمير سبكتكين فقد كان عهد إلى ولده إسماعيل، واستخلفه على أعماله، وأوصى إليه بأمور أولاده وعياله، وجمع وجوه قواده وحّابه على طاعته ومتابعته، والرضا بإيالته وولايته، فلما طرق الناعي به، تبادروا إلى عقد البيعة له، وإمضاء الوصية فيه. واستقر إسماعيل بعد [٧٩ أ] قضاء المأتم على سرير الإمارة، وأمر بفض الختوم عن بيت الخزانة، وصبّ الأموال حتى أرضى الرجال.

وأما فخر الدولة فإن عسكر الدّيلم اجتمعوا على ولده الأمير «١» أبي طالب رستم ابن فخر الدولة، ففوضوا الأمر إليه، وحفظوا نظام الملك عليه، ولقّبه الخليفة «٢» مجد الدولة وكهف الملة. وسيأتي بيان حال كل واحد منهم في موضعه على الأثر.

وأنشدني أبو منصور الثعالبي لنفسه في عجائب هذه السنة، وتبدّل أحوالها، وتفاني أمرائها قصيدة «٣» منها هذه الأبيات:

ألم تر مذ عامين «٤» أملاك عصرنا ... يصيح بهم للموت والقتل صائح
فنوح بن منصور حوته يد الردى ... على حسرات ضمّنتها الجوانح
ويا بؤس منصور وفي يوم سرخس ... تمزق عنه ملكه وهو طائح
وفرّق عنه الشمل بالسمل فاغتدى ... أسيرا ضريرا تنتحيه الجوائح
وصاحب مصر قد مضى لسبيله ... ووالي الجبال قد علته الصفائح
وصاحب جرجانية في ندامة ... ترصّده طرف من الحين طامح
تساقوا كؤوس الراح ثم تشاربوا ... كؤوس المنايا والدماء سوافح

____
(١) وردت بعد هذه الكلمة في ب: مجد الدولة.
(٢) القادر بالله، أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر (٣٨١ - ٤٢٢ ه).
(٣) إضافة من ب. والقصيدة أوردها: الثعالبي- لطائف المعارف، ص ١٤٩، وقال: أعجوبة في هلاك تسعة أملاك متناسقين في مدة سنتين وهما سنة ٣٨٧ و٣٨٨ ه. وقد أورد تسعة عشر بيتا فقط. كما ذكر أكثر أبيات هذه القصيدة: السيوطي- تاريخ الخلفاء، ص ٦٥٧ (مع اختلاف في بعض المفردات).
(٤) وردت في الأصل: عامان.

وخوارزم شاه شاه وجه نعيمه ... وعنّ له يوم من النحس كالح [٧٩ ب]
وكان علا في الأرض يخبطها أبو ... عليّ إلى أن طوّحته المطاوح
فعارضه ناب من الشر أعصل ... وعنّ له طير من الشؤم بارح
وصاحب بست ذلك الضيغم الذي ... براثنه للمشرقين مفاتح
أناخ به من صدمة الدهر كلكل ... فلم يغن عنه والمقّدر سانح
خيول كأمثال السيول سوابح ... فيول كأمثال الجبال سوارح
جيوش إذا أربت على عدد الحصى ... تغصّ بها قيعانها والصحاصح
ودارت على صمصام دولة بويه ... دوائر سوء نبلهنّ فوادح
وقد جاز والي الجوزجان قناطر ال ... حياة فوافته المنايا الطوائح
وفائق المجبوب قد جبّ عمره ... ففاظ ولم يندبه في الأرض نائح
مضوا في مدى عامين فاختطفتهم ... عقاب إذا طارت تخرّ الجوارح

وكان بنو سامان أطواد عزة ... فأضحت لصرف الدهر وهي أباطح
أما لك فيهم عبرة مستفادة ... بلى إن نهج الاعتبار لواضح
تسلّ عن الدنيا ولا تخطبنّها ... ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفي مرجوها بمخوفها ... ومكروهها أما تدبرت راجح
لقد قال فيها الواصفون فأكثروا ... وعندي لها وصف لعمرك صالح [٨٠ أ]
سلاف قصاراها ذعاف ومركب ... شهيّ إذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يؤنس «١» الناس حسنه ... ولكن له أسرار سوء قبائح

(١) وردت في ب: يؤنق.

ولما أفضى أمر الإمارة إلى أبي الحارث منصور بن نوح، وهو في حدقة البلوغ، وينع الشباب، وعند مشتعل الحركة، ومستصبح النجابة، ومستوضح الأصالة والإصابة، أقام أبا المظفر محمد بن إبراهيم وزيرا، وفوض الملك إلى فائق كفالة وتدبيرا. وكان عبد الله بن عزير اتّقى شوكة الأمير سيف الدولة عند قصده بخارى بالإصعاد إلى الأعالي، فلما انقرضت «١» حياة الرضا، أطمع أبا منصور محمد بن الحسين الاسبيجابي في صحابة الجيش بخراسان، وحمله على الانحدار به إلى بخارى مستعينا بأيلك الخان «٢»، على نيل الأرب المنشود، وإصابة «٣» الغرض المقصود. فنهض أيلك لمصاحبتهما، وسار إلى باب سمرقند بهما، حتى إذا أناخ بمرج على ظاهرها، أتاه أبو منصور في خفّ من غلمانه زائرا، فاحتبسه بعلة الطعام، وأصحابه بين التخييم والاستجمام، فأمر به وبابن عزير، فشدا في حلق الوثاق، وقرنا في «٤» قرن الاعتقال، وأرسل إلى [٨٠ ب] فائق، فلما أتاه أجلّه ورفع محله، وخفّ عن مكانه إكبارا له، وضم إليه ثلاثة آلاف رجل، وأمره بالمسير إلى بخارى على مقدمته، فسار على ما رسم «٥» له.

فلما بلغ أبا الحارث خبر إقدامه، ارتجّ عليه وجه الصواب، وصرّ عليه رجل الغراب. وأعجلته فظاعة الخبر عن التدبير، [فبادر إلى العبور بمن معه من صغير وكبير.

ودخل فائق بخارى، فبادر إلى الباب] «٦»، ولثم خدّ التراب. وجلس مجلس «٧» الحجّاب. وأظهر القلق والالتياع، لإخلال أبي الحارث بدار عزّه وشرفه، ومقر الماضين من سلفه، وجشّم مشايخ بخارى إليه في مسألته تقديم الإياب، وتعجيل الانقلاب، فوثق إذ

(١) وردت في الأصل: انقصرت، وفي ب: انقضت. والتصحيح من د.
(٢) وردت في ب: خان.
(٣) وردت في ب: اصابت.
(٤) وردت في الأصل: من، والتصحيح من ب.
(٥) وردت في ب: رسمه.
(٦) ساقطة في ب.
(٧) وردت في الأصل: مجالس.

ذاك به، وأمر بالكتّاب إليه في إحماده على طاعته وتقرّبه، فكان مفتتح ما خوطب به من جعل المخالصة «وليّك الله» زماما يمده، والمناصحة إماما يهديه ويرشده، فمسعود وقوفه حيث وقفته هذه، ومحمود تصرفه حيث صرفته تلك.

وارتاح أبو الحارث للانصراف حين أمن جانب الخلاف، وسيّر قبل صريمة الرأي «١» بكتوزون وهو الموسوم «٢» بالحجبة الكبيرة على بابه إلى نيسابور على قيادة الجيوش [٨١ أ] ولقّبه بسنان الدولة. ثم عبر النهر عائدا وراءه «٣»، فتلقاه فائق «٤» مقيما رسم العبودة، ومؤديا فرض الطاعة المحمودة. وانكفأ «٥» به «٦» إلى بخارى واستقام «٧» له الأمر، وخمد ذلك الجمر.

وقد كان بين فائق وبكتوزون سخيمة، وإحنة في الصدور «٨» قديمة، فاستحلفه أبو الحارث «٩» على الإغماض له فيها، والإغضاء عنها، والعفو عما حزّ في صدره منها، استثباتا لإقدامهما في الطاعة، واستجماعا لأهوائهما في المتابعة «١٠». فأظهر «١١» الانقياد، وحلف

بما أراد، واستقرت أمور السالاريّة بخراسان «١٢» على بكتوزون؛ فجبى أموال خراسان لأبي الحارث من غير منازع ولا مدافع، إلى أن طارت النّعرة في رأسه، فارتقى

(١) القطع به وإحكامه: ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٣٣٥ (صرم).
(٢) وردت في الأصل: الموسم، والتصحيح من ب.
(٣) وردت في الأصل: وراؤه، والتصحيح من ب.
(٤) وردت في الأصل: فائق فتلقاه، والتصحيح من ب.
(٥) فائق.
(٦) بالأمير أبي الحارث.
(٧) وردت في الأصل: فاستقام، والتصحيح من ب.
(٨) وردت في ب: الصدر.
(٩) أي استحلف أبو الحارث فائقا.
(١٠) وردت في ب: التباعة.
(١١) فائق.
(١٢) إضافة من ب.

١٣ ذكر ما جرى بين الأمير سيف الدولة وبين الأمير إسماعيل أخيه بعد انتصابه في الإمارة منصب أبيه

من قصد سلطانه وولي نعمته، إلى ما عرّض به الملك للهلك، والدولة للعولة «١»، وأرّخ الدهر بعار لا يرحض «٢» عنه وضره «٣»، ولا يدفع عن وجهه قتره.

ذكر ما جرى بين الأمير سيف الدولة وبين الأمير إسماعيل أخيه بعد انتصابه في الإمارة منصب أبيه

ولما اخترم الأمير سبكتكين واستقر الأمر على إسماعيل، طمح أهل العسكر إلى مال البيعة، فأمر به، فأطلق لهم استحقاقهم المعين استصلاحا لذات البين. [٨١ ب] ثم أحسّ القوم خورا في عوده، ورخاوة في عنان تدبيره، لحداثة سنّه وطراءة شبابه، وإشفاقه على نفسه من جانب أخيه وقصده، وانتزاعه الأمر من يده، فاستوطأوا مركب الطمع، واستسهلوا جانب التحكم، وتحزّبوا للمطالبة بزيادات على الراتبة «٤» لهم، حتى استغرق ذلك ما خلّفه الأمير سبكتكين، وخلت الخزانة عما يسع الاستظهار به. فاضطر إسماعيل إلى أن يفزع «٥» فيما ينوبه آنفا من مؤمن أطماعهم إلى العدّة التي كانت مذخورة له بغزنة، فلو بقوا على جملتهم في التسحّب عليه، لأسرع تمزّق شمل تلك الأموال، وتفرّق جمع الأولياء والرجال.

ولما ورد على الأمير سيف الدولة نعي أبيه، وقضى أيام المصيبة فيه، بادر بالكتاب إلى أخيه إسماعيل بغزنة «٦» في التعزية عن عارض الرزية، وأتبعه بأبي الحسين الحمولي «٧» في إذكاره بحق الكبر «٨»، وما يجب له بحكم الزعامة على أهل البيت،

(١) العولة: رفع الصوت بالبكاء. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٤٨٢ (عول).
(٢) يغسل. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ١٥٣، (رحض).
(٣) وسخه. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٢٨٤ (وضر).
(٤) أي الأرزاق الثابتة، ووردت في ب: الراتب.
(٥) يلجأ. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٢٥٢ (فزع).
(٦) ساقطة في ب.

(٧) أبو الحسين بن محمد علي الحمولي. عنه، انظر: الكرديزي- زين الأخبار، ص ٢٧٧؛ ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٧٧؛ خواندمير- دستور الوزراء، ص ٢١٨ (و قد ورد عنده أبو الحسن الحموئي).
(٨) التقدم في السن. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ١٢٧ (كبر).

وتعريفه أنه منه بمنزلة العين الباصرة أو أعزّ، واليد الباطشة أو أمزّ «١»، وأنه سيبلغ في أمره كل ما يهواه ويرضاه، ويتعلق به مناه. وأن الأمير سبكتكين إنما أفرده بالوصية لإعجال المنية إياه [٨٢ أ] عن وضعها منه موضع الاستحقاق للضرورة العارضة من بعد المسافة وتقاذف الشقة، وأن الرأي فيما يهتزّ له من توفيته حكم الرئاسة، ومشاطرته الإرث من ذخائر الإمارة «٢»، وإفراده بغزنة التي هي وكر عشيرته وحامّته، ومعشش خاصته وعامته، على أن يحفظ عليه مكانه من بلخ وما يليها، أو ينقله إلى نيسابور، على ما كان يدبّره من أعمالها ونواحيها.

فاستشعر إسماعيل ما كتب الله عليه من النكبة في أيامه حتى كأنه يراه رأي العيان، ويدرس عليه كتاب البرهان. فلم يزده إلا على الإباء والالتواء، وتعريض تلك الأموال للإتواء «٣».

وتوسط والي الجوزجان أبو الحارث «٤» بينهما على أن يسكن نابض الخلاف، ويقف بهما على نقطة العدل والإنصاف. وأراد كلا منهما على التلاقي قبله، ليشافه كل منهما أخاه بما يقترحه من مراد، ويقتدحه من زناد، إذ كانت لوجوه المشافهة حرمة يعزّ مثلها على ظهر البعاد، فيحال التحيّز والانفراد. فأما الأمير سيف الدولة فإنه رأى ذلك صوابا، وأوجب من نفسه إسعافا «٥». وأما إسماعيل [٨٢ ب] فإنه ندّ «٦» عن الإجابة، ولحظ الأمر بعين الاسترابة، ورأى التسمّح بما يقترح عليه من مال الإرث- وإن كان فادحا كله- أهون عليه من ذلك مراما، وأيسر حملا «٧» والتزاما، ذعرا تمكن من نفسه، ورعبا

---

(١) أفضل. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٤٠٩ (مزز).
(٢) إضافة من ب.
(٣) أي للإهلاك. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ١٠٦ (توا). وقد وردت في ب: اثوا.
(٤) الفريغوني.
(٥) جاء بعدها في ب: به واطلابا. والإسعاف: قضاء الحاجة، والمساعدة، والمواتاة، والقرب في حسن مصافاة، ومعاونة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ١٥٢ (سعف).
(٦) ندّ البعير: نفر وشرد. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٤٢٠ (ندد).
(٧) وردت في ب: محملا.

سرى إلى صميم قلبه، وخيفة سالت به في أودية الظنون، ونفرته عن ضم القوادم للسكون.

وأنشدته «١» ذات يوم أبياتا لسيف الدولة في أخيه ناصر الدولة الحمدانيين معرّضا بالألفة التي هي أوطأ مهادا، وأخصب مرتعا ومرادا. وهي «٢»:

رضيت لك العليا وإن «٣» كنت أهلها ... وقلت لهم بيني وبين أخي فرق
ولم يك بي عنها نكول وإنما ... تغافلت «٤» عن حقي فتم لك الحق
ولا بد لي من أن أكون مصليا «٥» ... إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق

فرجعت «٦» عن مقاصدها من ذرعه، وطاشت سهامها دون الغرض المقصود بها من سمعه.

وبعل «٧» الأمير سيف الدولة بتدبير ما عراه، لاستحبابه الرفق على الخرق، وميله إلى المداراة على الملاحاة «٨»، والمواناة على المناوأة، واختياره البرّ على الجفاء، وادّخاره الكيّ لآخر الدواء، حتى إذا غار نجم الهوادة، ورقّ جلباب الحشمة، استعد لإتيان الأمر من بابه، ورد المنتزع منه إلى نصابه، وخاطب الأمير أبا الحارث «٩» بما عنّ له من المهم الذي لا يسعه غير تلافيه، ونثل كنانة «١٠» الوسع والطاقة فيه. وسار في خواص غلمانه

---

(١) أي العتبي نفسه.
(٢) أورد الثعالبي هذه الأبيات. يتيمة الدهر، ج ١، ص ٥٦.

(٣) وردت في ب، وعند الثعالبي: وقد.
(٤) وردت في ب، وعند الثعالبي: تجافيت.
(٥) ورد هذا الشطر في ب: فلم لست ترضى أن أكون مصليا.
(٦) الأبيات.
(٧) وردت في ب: بعلي. بعل: فرق ودهش. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٥٩ (بعل).
(٨) الملاومة والمباغضة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٢٤٢ (لحا).
(٩) الساماني.
(١٠) انتثل ما في كنانته: استخرج ما فيها من السهام. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٦٤٥ (نثل)، والمقصود: استفراغ المجهود.

ورجاله، وقوّاده المندوبين لاتباع أمثاله «١» إلى هراة، واستأنف بها مكاتبة إسماعيل بين وعد ووعيد، وتمنية وتهديد، وترجيح بين اليأس والأمل، وتنبيه على موقف الندامة والخجل، فلم يغن ذلك منه فتيلا، ولم ينقض من قوى عقده سحيلا «٢»، وتراجعت المكاتبات بينهما حتى جد مزاح الكلام، واشتد لفح الخصام، وأعيا فيصل الأمر إلا بحدّ الحسام.

ودعا الأمير سيف الدولة عمه بغراجق إلى مساعدته ومرافقته «٣»، واتباع مصلحة البيت بمتابعته، فتسارع إلى طاعته، وأقرّ بالحق عليه في مشايعته، واتباع رايته. وخفّ معه إلى بست وبها الأمير أبو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين، فصادف سيف الدولة منه وليا مطيعا، وصفيّا إلى الانقياد سريعا، هوى منه لم يرض بزمام وخطام، ومحبة لم تذلل بإسراج وإلجام، فتبرّع [٨٣ ب] بالانقياد، وتسرّع إلى المراد، وجرى في حلبة الطاعة «٤» طلق الجواد. ولما سمع إسماعيل برحيل الأمير «٥» سيف الدولة إلى جانب «٦» غزنة، سبقه إليها من جانب بلخ متجردا للممانعة، محتشدا للمقارعة والمدافعة. وسار الأمير «٧» سيف الدولة إلى جانب غزنة في عمه وأخيه، وسائر أوليائه ومواليه، حتى أناخ بظاهر غزنة، وقد تطاير إليه من قبل كتب الأعيان من قواد إسماعيل في ممالأته عليه، لما عرفوه من وهي أمره في الرئاسة، وضعف يده عن حق السياسة، وتردد السفراء بينهما في الاستصلاح، وكفّ عادية الكفاح، فأبى الله إلا ما كان مقدورا، وجعل الحقّ مشهورا، والمحقّ منصورا.

---

(١) وردت في ب: مثاله.
(٢) السّحيل: الحبل المفتول فتلا واحدا. عكس المبروم. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٣٢٨ (سحل).
(٣) إضافة من ب.
(٤) وردت في الأصل: الظباعة، والتصحيح من ب.
(٥) إضافة من ب.
(٦) ساقطة في ب.
(٧) إضافة من ب.

وانتدب الأمير سيف الدولة للحرب فعبيّ المواكب، ورتب الجيوش كواكب.

ودلف إلى القتال في رجال كالرماح، أو كالنّهال القماح «١»، يهشّون للقراع، هشاشة الأطفال للرضاع، ويرتاحون للكفاح، ارتياح الهيم للماء القراح، كما قال أبو تمام «٢»:

سفع الدؤوب وجوههم فكأنهم ... وأبوهم سام أبوهم حام

تخذوا الحديد من الحديد معاقلا ... سكانها الأرواح والأجسام [٨٤ أ]

مسترسلين إلى الحتوف كأنما ... بين الحتوف وبينهم أرحام

آساد موت مخدرات ما لها ... إلا الصوارم والقنا آجام «٣»

وبرز إسماعيل بمن «٤» شايعه من مواليه، وتابعه من رجال أبيه، وقد حصّن الصفوف بفيلته العظام، كأنها أركان يذبل «٥» أو هضاب شمام «٦». ودنا الفريقان بعضهم من بعض ضربا بالسيوف البواتك، وطعنا بالرماح الفواتك، ورضّا للهام من تحت التّرائك «٧».

فظلت رحى الحرب تعركهم بثفالها «٨»، وتدور عليهم بأثقالها، إلى أن رمت الشمس بجمرات الظهيرة، وقد لاذ بالأمان من سبق وعده، وطلع بالإقبال سعده. وعندها حمل الأمير سيف الدولة بنفسه، فتداعت الزحوف، وتخالطت «٩» الصفوف، وخطبت على منابر الرقاب السيوف. وثارت عجاجة أخذت العيون عن الأشباح، وأذهلت النفوس عن

____

(١) يقصد ب (النّهال القماح) الإبل العطشى التي تسرع إلى الماء. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٥٦٦ (قمح)، مج ١١، ص ٦٨١ (نهل).

(٢) وردت في ب: ولأبي تمام. والأبيات في ديوانه، ص ٤٩٠.

(٣) وردت في الأصل: الحام، والتصحيح من ب والديوان.

(٤) وردت في الأصل: من، والتصحيح من ب.

(٥) جبل عظيم لباهلة في نجد. ياقوت- معجم البلدان، مج ٥، ص ٤٣٣.

(٦) جبل أشم طويل الرأس لباهلة أيضا. ياقوت- معجم البلدان، مج ٣، ص ٣٦١.

(٧) جمع تريكة وهي بيضة الحديد التي يلبسها المحارب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٤٠٦ (ترك).

(٨) جلد يبسط تحت الرحى ليقي الطحين من التراب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٨٥ (ثفل).

(٩) وردت في ب: تخالفت.

١٤ ذكر ما جرى بين أبي القاسم السيمجوري وبكتوزون بعد ذلك

الأرواح، ونثرت الأعناق بأيدي الصفاح، وأقعصت «١» الحماة من وقع السلاح، وظلت سنابك الخيول تردي على جثث النفوس، وتلعب بأكر «٢» الرؤوس.

تجري الجياد من القتلى على جبل ... ومن دمائهم يرحضن في وحل [٨٤ ب]

ومن جماجمهم يصعدن في نشز «٣» ... ومن ذوائبهم يقمصن في شكل «٤»

فلم ينشب أن أسفر قتامها عن مساقط أبدان تحت أبدان، وأجسام فوق هام. وهام الآخرون على وجوههم يمسحون طول الأرض خوفا من حرّ العقاب ومرّ الحساب.

وانحاز إسماعيل إلى قلعة غزنة متحصنا بها في العاجل من مسّ الطلب، إلى أن تلطف له الأمير سيف الدولة فاستنزله على أمان وحسن ضمان، وجاوره بمعروف وإحسان.

ذكر ما جرى بين أبي القاسم السيمجوري وبكتوزون بعد ذلك

وقد كان أبو القاسم بن سيمجور انتقل إلى جرجان بعد انقراض نخر الدولة على طاعة ولده مجد الدولة، فضوى إليه من شذّ عنه من عسكر أخيه وموالي أبيه، واتصل به طوائف من أبطال الأكراد والعرب، فاشتدت بهم مناكبه، واحتدت أنيابه ومخالبه، وكانت الحسيكة «٥» التي ينطوي عليها فائق لبكتوزون ترصده بالحبائل، وترميه بأغوال الغوائل، فأرسل إلى أبي القاسم يحرّشه عليه، ويغريه به ويعده ما يليه، من قيادة الجيوش متى أجلاه عن مكانه، وجلاه «٦» في معرض العجز على سلطانه، حتى [٨٥ أ] أجهضته عن جرجان تاركا العين «٧» بالضمار، وعارضا الملك «٨» على خطر القمار، فكان

____

(١) القعص: القتل المعجّل. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٧٨ (قعص).

(٢) من العرب من يقول للكرة التي يلعب بها: أكرة، وجمعها أكر. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٢٦ (أكر).

(٣) المكان المرتفع. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٤١٧ (نشز).

(٤) البيتان لأبي إبراهيم إسماعيل بن أحمد الشاشي العامري. انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٤٥٠.

(٥) العداوة والحقد. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٤١١ (حسك).

(٦) كشفه.

(٧) وردت في ب: للعين.
(٨) وردت في ب: للملك.
مثله كما قال ابن هرمة «١»:
وإني وتركي ندى الأكرمين ... وقدحي بكفي زندا شحاحا
كتاركة بيضها بالعراء ... وملبسة بيض أخرى جناحا
ففصل عنها قاصدا قصد نيسابور، في جماهير أصحابه ممن ضرّستهم وقائع الحروب، ونجذتهم «٢» قوارع الخطوب، وكوتهم صروف الأيام بمياسمها، وداستهم أحداث الليالي بمناسمها «٣». وأفرط «٤» أبا علي بن أبي القاسم المعروف بالفقيه على مقدمته إلى إسفرايين وبها بعض قواد بكتوزون، فالتقيا هناك على حومة الحرب، وتساقيا كؤوس الطعن والضرب. وتداركت الأمداد على أبي علي، لقرب الخطى بينه وبين صاحبه فجفل عنه أصحاب بكتوزون منهزمين إلى نيسابور، وقد اقتسموا بين جرح وكسر، وقتل وأسر.
وسار أبو القاسم سير السحاب تحثّه ريح الجنوب، حتى أناخ بظاهر نيسابور مستطيلا بشوكة رجاله، وشكة أبطاله، فأرسل إليه بكتوزون يعلمه أن الحروب سجال، وحسن الظن بعواقبها محال، وأن في قرع [٨٥ ب] باب البغي تعرضا للبلاء، واستئذانا على سوء القضاء، وإنما يصبر على الكفاح من لم يجد وجها للصلح والصلاح. فأما من كان في فسحة من الرأي وندحة «٥» من الاختيار، فإنه ينفس بنفسه «٦» عن التغرير بها في مباشرة القتال، ومساورة الأبطال، ومغامسة الأهوال. وإن الرأي له أن يعدل إلى قهستان

____
(١) ورد في ب: أبو هدبه، وساقط في د. هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الفهري المديني (ت ١٧٦ ه). عنه، انظر: الخطيب البغدادي- تاريخ بغداد، ج ٦، ص ١٢٦؛ ابن الجوزي- المنتظم، ج ٩، ص ٢١.
(٢) النّجذ: شدة العضّ بالناجذ. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٥١٣ (نجذ).
(٣) جمع منسم: طرف خف البعير والنعامة والفيل. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٥٧٤ (نسم).
(٤) أفرط: بعث رسولا يسبقه. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٣٦٦ (فرط)، والمقصود به أبو القاسم السيمجوري الذي أرسل أبا علي بن أبي القاسم.
(٥) النّدح: السّعة والفسحة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٦١٣ (ندح).
(٦) أي يضن بها ويبخل. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٢٣٨ (نفس).

ليتنجّز «١» له من الأمير أبي الحارث ولاية هراة معها رعاية لحق خدمته وقدمته، وسابق مواتّه وأذمّته. فضربه أبو القاسم بأذن مستكّة عن الانتصاح، منسدّة عن الصلاح. وحمله الإدلال بحاله ورجاله على التحكّم والتسحّب، والتمتّع والتعصّب، وأهاب بعسكره إلى الحرب. فاصطبحوا على مساقاة الطعان والضراب، ومعاناة الحراب ببيض الصفاح وزرق الحراب، ذاهلين عن مصرع الغرر، واثقين بمطلع النجح والظفر.
وعبى بكتوزون رجاله الفتّاك، وأشباله الأتراك، في سائر من أظلتهم رايته من قواد الأمير أبي الحارث وأنصاره، والمعتصمين بذمة شعاره، فالتفوا قبالة قرية تدعى بشنجة «٢» بظاهر نيسابور، واجتلى أبو القاسم منهم نجوما [٨٦ أ] ورجوما «٣»، ولاقت بكارته «٤» الحقاق «٥» قروما «٦».
واشتبكت الحرب بينهم نفحا بالمناصل، وضربا بالمعاول «٧» ووخزا بأطراف العوامل، واشتعل أصحاب أبي القاسم فيهم كالنار في دقاق العوسج، أو يبيس العرفج، ضربا هبرا، وطعنا نترا، ورميا سعرا، وطرحوا ميمنتهم على ميسرتهم طردا ودحرا، وقهرا وقسرا، حتى إذا ظنوا أن قوادم الهزيمة، قد أفرجت لهم عن خوافي الغنيمة، صك بكتوزون قلب أبي القاسم بجملة أزلقتهم عن المقام، وأعجلتهم «٨» للانهزام، فانصاعوا مخذولين مفلولين يقودهم الخجل، ويسوقهم الخوف والوجل، وقبض في منهزمهم على أبي القاسم الفقيه أحد أركان أبي علي «٩» في أيامه بمشهور رأيه ودهائه، ومذكور غنائه ومضائه، وعلى عدة من قواده، ووجوه سواده.

____
(١) وردت في الأصل: للتحر.
(٢) وردت في الأصل: بشتجة. ولم أجد ما يمكنني من الجزم بضبطها.

(٣) وردت في الأصل: وجوما، والتصحيح من ب.
(٤) جمع بكر وهو الفتي من الإبل. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٧٩ (بكر).
(٥) وردت في ب: الحاق. والحقاق صفة للبكارة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٥٥ (حقق).
(٦) القرم: الفحل، والسيد. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٤٧٣ (قرم).
(٧) وردت في الأصل: بالمعابل، والتصحيح من ب.
(٨) وردت بعدها في الأصل: (عن) زائدة فحذفناها.
(٩) السيمجوري، أخي أبي القاسم.

وفرّ أبو القاسم في شذاذ عسكره هائما «١» على وجهه حتى امتدّ به الوجيف «٢» إلى قهستان وذلك يوم الجمعة لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثلثمائة.

وكتب بكتوزون إلى بخارى بذكر الفتح، وما يسّره الله عليه من عسير النجح، فسرّ الجمهور، وأثلج الصدور، ما [٨٦ ب] خلا فائقا، فإنه اغتمّ واهتمّ، وكاد أن يعقد المأتم. وسار أبو القاسم بعد ارتياشه وانتعاشه إلى بوشنج متحكما «٣» في أموالها وأعمالها.

وناهضه بكتوزون لانتزاعها من يده. وتوسط السفراء بينهما على وصلة «٤» انقعدت بينهما، ورهنه أبو القاسم ابنه المعروف بأبي سهل، فارتفع من بينهما الخلاف، وحصل الاتفاق والائتلاف، وعاد أبو القاسم إلى قهستان، وكرّ بكتوزون إلى نيسابور في رجب من هذه السنة.

وجرت بين فائق وأبي المظفر محمد بن إبراهيم البرغشي «٥» ملاحاة «٦» في تدبير الأعمال والأموال، فأرصده لها بالسوء، وقصده بالمكروه من أكثر الوجوه، فلاذ بأبي الحارث من قصده، واستأمنه على نفسه، فآواه داره، وأدرّ عليه مبارّه.

وأتاه فائق يسأله «٧» تمكينه منه، وإيثاره به، فجبهه «٨» بالرد، وأغلظ له في القول فخرج من مجلسه على حد منكب يتحدث بالانقطاع إلى الترك، والإخلاف بكفالة الملك، حتى سفر بينهما مشايخ بخارى ففثأوا «٩» فائقا عن رأيه، واستماحوا الأمير أبا الحارث حسن عفوه وإغضائه.

____
(١) وردت في ب: صائما.
(٢) سرعة السير. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٣٥٢ (وجف).
(٣) وردت في الأصل: محتكما، والتصحيح من ب.
(٤) مال. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٧٢٨ (وصل).
(٥) إضافة من ب.
(٦) منازعة ومخاصمة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٢٤٢ (لحا).
(٧) وردت في ب: يسئله.
(٨) وردت في الأصل: بجبهه، والتصحيح من ب.
(٩) أي كسروا غضبه، وسكّنوه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ١٢٠ (فثأ).

١٥ ذكر إنزال إسماعيل من قلعة غزنة «7»

وسيّر أبو المظفر [٨٧ أ] إلى ناحية الجوزجان، وسدّ مكانه بأبي القاسم البرمكي، فصدقت فيه فراسة المعروف بالمضراب الشاعر البوشنجي حيث يقول «١»:

وكنّا زمانا نذمّ الزمان ... ونرثي الوزارة بالبلعمي
فأخّرنا العمر حتى انتهت ... من البلعمي إلى البرغشي
وسوف تؤول على ما أراه ... منه قريبا إلى البرمكي

وكان أبو القاسم هذا موصوفا بالفضل، إلا أن أغلب الصفات عليه صفة البخل، وحين ولي الوزارة، ناقش أولياء ذلك الباب في أعطياتهم الواجبة، وجراياتهم الراتبة، وعارض أطماعهم في خاصته بزند شحاح «٢»، ووجه على الرد وقاح، فلم يرعه إلا دبابيس الأتراك تهشم «٣» قذاله «٤»، وترضّ عظامه وأوصاله، ولقد أحسن من قال:

يقول لي دعبل في ثوبه خبل ... ولو تمس ثيابي دعبلا خبلا «٥»

ودعبل رجل ما شئت من رجل ... لو كان أسفله من عرضه نحلا «٦»

لا والذي سبك الصهباء من ذهب ... والكأس ياقوتة ما ساد من بخلا

ذكر إنزال إسماعيل من قلعة غزنة «٧»

واستنزل الأمير سيف الدولة أخاه إسماعيل من قلعة غزنة على أمان بذله، [٨٧ ب] وضمان أجمله. وتسلّم منه مفاتيح الخزائن، وأحاط بزوايا الأعلاق والدفائن.

---

(١) أورد الثعالبي هذه الأبيات. يتيمة الدهر، ج ٤، ص ١٨١ - ١٨٢.

(٢) لا يوري. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٤٩٥ (شحح).

(٣) إضافة من ب.

(٤) القذال: جماع مؤخر الرأس. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٥٣٣ (قذل).

(٥) ورد الشطر الثاني في ب: ولو يمس ثيابي دعبل خيلا. وهذه الأبيات لأبي سعد المخزومي في دعبل الخزاعي.
ولقد أوردها الأصفهاني مع اختلاف في ترتيب الأبيات وبعض المفردات. الأغاني، ج ٢٠، ص ٩٨.

(٦) هذا البيت ساقط في ب، ود.

(٧) هذا العنوان إضافة من ب.

وجبر له كسر حاله، وأعاد إليه رونق مائه وجماله. وشحن غزنة بثقاته، والكفاة من حماته. وانحدر إلى بلخ في عامة أوليائه وأنصاره، وقد انتظم له ما انتثر بعد أبيه، واستقر عليه ما سعى في تلافيه، فغصّت شعاب بلخ وضواحيها بطبقات رجاله، وعلامات الأعلام من أفياله، فكتب إلى الأمير أبي الحارث بذكر إقباله، وحذفه فضل الشغل الذي «١» كان بأخيه عن باله، وأنه «٢» قائم مقام أبيه في المحاماة عن الدولة، والنضال عن الجملة، والإقبال على قضاء حقوق ما تعرّفه من بركة اصطناع الرضا واصطفائه، وتقديمه على زعماء حشمه وأوليائه. فأرسل إليه أبو «٣» الحسن العلوي الوصي الهمذاني في تهنئته بمقدمه، وإظهار اليمن بموطى ء قدمه. وعقد له على بلخ وترمذ «٤»، وما والاهما، وديار بست وهراة وما تاخمهما وداناهما، وتلطّف في الاعتذار إليه من أمر نيسابور حرصا على ترضيّه، وكراهة لصرف بكتوزون عنها إلا بعلة تقتضيه.

فعلم الأمير سيف الدولة [٨٨ أ] أن تلك المناقشة صادرة عن تمويه الحسّاد، وتلبيس المناوئين والأضداد، وأن داء الحقد ليس له علاج، وأن صلاة النجح بغير فاتحة البرّ خداج. فأرسل «٥» إلى الأمير أبي الحارث ثقته أبا الحسين «٦» الحمولي بهدايا يضن «٧» بمثلها سمح النفوس، ويضيق عن قدرها رحب الصدور. ورسم له أن يحجب سمعه عن تضريب المضربين، وتثريب المثربين، ويتلطف لاستخلاص سرّه «٨» له، واستصفاء محله

---

(١) إضافة من ب.

(٢) وردت في الأصل: فإنه، والتصحيح من ب.

(٣) وردت في د: ابا.

(٤) وردت في ب: الترمذ.

(٥) سيف الدولة.

(٦) وردت في النسخ: الحسن، والأصح ما أثبتناه. انظر: ص ١٥٣ من هذا الكتاب، هامش (٧).

(٧) وردت في ب: تضن.

(٨) إضافة من ب.

قبله، لترتفع الحشمة، وتتأكد العصمة، وتستحكم الثقه، ويعرّفه «١» بأن تخييمه «٢» بعرصات خراسان إنما هو من أجل موالاته، وتدبير أمور ولاياته.

فلما ورد «٣» بخارى، أعرض عما وجّه له «٤»، وعرضت الوزارة عليه لموافقة مورده، وخلوّ صدرها عمن يستقل بأمرها، فكان مثله كما قيل:

خلت الديار فسدت غير مسوّد ... ومن الشقاء تفرّدي بالسؤدد

واشتغل بالوزارة عن حق السفارة، وأقبل على الأمر بوجه المجدّ المستبدّ، يريد سكر ما انبثق عليه النهر، وكتمان ما نمّ عليه الجهر، ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر.

وأنشدني المضراب «٥» لنفسه فيه:

وكنّا ندمّ الدهر من غير حنكة ... بيوسفه «٦» والبلعمي «٧» وغيره [٨٨ ب]

إلى أن رمانا بالغفاري «٨» بعدهم ... وعاندنا في عبده وعزيره «٩»

وما قد دهانا بابن عيسى «١٠» وجوره ... وفي ابن أبي زيد «١١» النّخيب «١٢» وسيره

ولم نرض بالمقدور فيهم فأمّنا ... بكل كسير في الورى وعويره

____

(١) ساقطه من ب.

(٢) وردت في ب: يجثمه.

(٣) أبو الحسين الحمولي.

(٤) وردت في ب: فيه.

(٥) المضراب هو أبو منصور البوشنجي. وقد أورد الثعالبي هذه الأبيات. يتيمة الدهر، ج ٤، ص ١٨٢ (مع بعض الاختلافات).

(٦) لعله قصد الوزير أبا منصور يوسف بن إسحاق (ت ٣٦٣ ه). انظر: الكرديزي- زين الأخبار، ص ٢٥٧، ص ٢٦٣.

(٧) الوزير أبو علي محمد بن محمد البلعمي.

(٨) لم أهتد إلى المقصود.

(٩) الوزير عبد الله بن عزير.

(١٠) الوزير محمد بن عيسى الدامغاني.

(١١) الوزير أبو نصر بن أبي زيد.

(١٢) الجبان: ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٧٥٢ (نخب).

ولما أحس الأمير سيف الدولة بصورة الحال في تناقض الآراء، وتخاذل التدابير «١» والأهواء، وإشراف الملك على الضياع، بمداهنة النصحاء، واعتيامهم «٢» صلاح أنفسهم في وجوه المقاصد والأنحاء، عدل إلى نيسابور على ما كان يليه من جماهير أوليائه ومواليه. وحين سمع بكتوزون بإقباله، تزحزح عن نيسابور قصيّا، إبقاء على عدته وعتاده، وإشفاقا على عدد رجاله وأجناده. وكتب إلى الأمير أبي الحارث بفصوله عن مكانه أخذا بالوثيقة، ومحاماة على الحقيقة، واحتراسا من غرّة اللقاء قبل اختمار العزيمة والرأي، فحملته سكرة الحداثة، ونزقة الصبا والغرارة، وقلة النظر في العواقب، وعدم الحظ من التجارب، على الإغذاذ «٣» إلى خراسان فيمن أنهضه الإمكان بالمساعدة من وجوه خاصته وسائر «٤» حاشيته. وسار إلى سرخس كالسهم صادرا عن وتره، والسيل سائرا [٨٩ ب] إلى منحدره. فعلم الأمير سيف الدولة أن قصده إياه من نتائج التغرير، وفائل «٥» الرأي والتدبير، ومهانة الناصح والمشير، إذ لم يكن في منّة «٦» القوم مقاواته على شده بأسه، وملاقاته على قوة مراسه، إذ لو قذفهم ببعض رجومه لغادرهم رمادا تذروه العواصف، وتقتسمه الشمائل والجنائب، لكنه «٧» رأى أن يغضي جفن الاحترام، ويحمي ستر الاحتشام، ويرعى سابق الحق والذمام؛ فخالف طريقه إلى مرو الروذ مفرجا له عن نيسابور، إلى أن يتمكن من ارتجاعها ببينة تشترك في معرفتها القاصية «٨» والدانية، وحجة على مناوئيه ومخالفيه تتصورها الحاضرة والبادية. وعطف إلى قنطرة زاغول «٩» فخيّم بها مراعيا لما يسفر عنه التدبير، وينكشف عن حقيقته الضمير.

____

(١) وردت في ب: التدبير.

(٢) وردت في ب: واغتنامهم، والاعتيام: الاختيار. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٤٣٣ (عيم).
(٣) الإسراع في السير. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٥٠١ (غذذ).
(٤) إضافة من ب.
(٥) ضعيف. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٥٣٤ (فيل).
(٦) المنّة: القوة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٤١٥ (منن).
(٧) وردت في الأصل: إليه، والتصحيح من ب.
(٨) وردت في ب: القاصي، وكذلك: الداني، الحاضر، البادي.
(٩) من قرى مرو الروذ. ياقوت- معجم البلدان، ج ٣، ص ١٢٦.

وبادر بكتوزون إلى مناخ الأمير أبي الحارث، وهناك فائق في قضّه وقضيضه، ولفّه ولفيفه. فلما وصل إليه أنكر محله لديه، لتقصير «١» في حق مقدمه تجنّاه عليه، وشكا إلى فائق ما أنكره، فشكا إليه فوق ما ذكره، وتداولا فيما «٢» بينهما ذكر معايبه «٣»، وتقاولا خشونة جانبه، وحزونة أخلاقه وضرائبه «٤»، وأغريا أهل العسكر بخلعه، [٨٩ ب] والتماس الراحة بالاستبدال «٥» به، فانجرّوا معهما في جرير المساعدة، حرصا على لذة الاستطراف، واغتناما لنهزة الاستضعاف. فاستحضره «٦» بكتوزون بعلة اجتماع العسكر لمهم احتيج إلى نظره فيه، وإشارته بوجه الصواب في تلافيه، حتى إذا حضره «٧» حصره، ووكل به من سمل بصره، غير آو «٨» لفجيعته بطليعتي حياته «٩»، أحسن ما كان رداء جمال، وعمود اعتدال، وطلعة هلال، وروعة عزة وجلال. ولقد أجهش إليه عند الاستسلام في حاج «١٠» له ثلاث خفاف المئونة عليه، منها: صيانة من قامت عنه «١١» عن ذلّ المناظرة على مال المصادرة. فكايده بخلاف حاجته، ونقيض مسألته «١٢» إلهابا لنار الحسرة في صدره، ومضاعفة لنقل المحنة على ظهره، فعل الموتور بما لا شوى له «١٣»، ولا بقيا معه.

____
(١) وردت في ب: لتقصيره.
(٢) ساقطة في ب.
(٣) وردت في ب: معانيه.
(٤) جمع ضريبة: الطبيعة والسجية. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٥٤٩ (ضرب).
(٥) وردت في ب: في الاستبدال.
(٦) وردت في الأصل: واستحضر، والتصحيح من ب.
(٧) أي حضر الاجتماع.
(٨) اسم فاعل من أوا: أشفق. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٥٣ (أوا).
(٩) يريد بهما عينيه.
(١٠) أي حاجات.
(١١) كناية عن والدته.
(١٢) وردت في ب: مسيلته.
(١٣) الشّوى: الأطراف. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٤٤٧ (شوا).

وعمد هو وفائق إلى أخيه عبد الملك بن نوح «١» وهو أصغر منه سنا، وأضعف ركنا، فأقاماه مقامه، وسدّا به مكانه. وماج الناس بعضهم في بعض للفتنة الشاغرة، والأحوال المتنافرة.

ونذر الناس بالأمير سيف الدولة أنه قد خيّم بقنطرة زاغول، فكرّوا [٩٠ أ] على أدراجهم كاليعافير «٢» الراعية راعتها «٣» الفوارس، وأحاطت بها الكلاب النواهس «٤»، حتى أخذوا قرارهم بمرو. وأرسل الأمير «٥» سيف الدولة إلى الكافلين بالتدبير، يهجّن إليهما ما ارتكباه في ولي النعمة من إزالة الحشمة، وإضاعة الحق والحرمة، غير ناظرين «٦» للدّين، ولا متحرجين للإسلام والمسلمين، ولا متهيبين «٧» للأحدوثة الشنعاء على ألسنة الذاكرين، مدى دهر الداهرين.

وامتدت المراجعة بينهم في الحادث الكارث، وهما يختلانه «٨» عن انتهاز الفرصة فيهما «٩»، واهتبال الغرّة منهما، تطميعا له عن

صاحبهما «١٠» في جديد الرعاية، ومزيد الولاية.

وكلما همّ بالإحجام على وجه الاحترام، طالبته سعادة الجدّ بالإقدام، وحرضته على الانتقام للدين والإسلام. ثم رأى أن يزحف عن مناخه إلى ظاهر مرو لتكون «١١» لطافة «١٢» الصلح وجاها، أو سفاهة السيف شفاها.

---

(١) الأمير التاسع من أمراء الدولة السامانية (صفر- ذي القعدة ٣٨٩ ه‍). انظر: الكرديزي- زين الأخبار، ص ٢٧٨؛ جوزجاني- طبقات ناصري، ج ١، ص ٢١٥؛ ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٧٨.

(٢) جمع يعفور وهو الظبي أو ولد البقرة الوحشية. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٥٨٥ (عفر).

(٣) ساقطة في ب.

(٤) نهس اللحم: انتزعه وقبض عليه. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٢٤٤ (نهس).

(٥) إضافة من ب.

(٦) وردت في ب: ناصرين.

(٧) وردت في ب: متهيئين.

(٨) يخدعانه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ١٩٩ (ختل). ووردت في ب: يحيلانه.

(٩) إضافة من ب.

(١٠) الأمير عبد الملك بن نوح.

(١١) وردت في ب: ليكون.

(١٢) وردت في ب مكررة.

ولما تسامع القوم بإقباله، دبّ الفشل في تضاعيف أحشائهم، وسرى الوهل «١» في تفاريق أعضائهم، واستطار الخوف في مزاج دمائهم. ولما سقط في أيديهم، ورأوا أنهم قد ضلوا، قالوا: لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنا [٩٠ ب] رَبُّنا وَيَغْفِرْ لَنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ «٢». فأبى الله إلا أن ينتقم منهم بسيف سيف الدولة، جزاء عن «٣» فعلهم الفظيع، وخطبهم الشنيع، وسعيهم المذموم عند الجميع، فصبّه عليهم صبّ عزالي «٤» الغيث بنوء المرزمين «٥»، غير أنه غيث قطره عيث «٦»، وغيم حشوه ضيم، وسحاب حمله عذاب. وَكَذلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ الْقُرى وَهِيَ ظالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ «٧».

وبرز فائق وبكتوزون وأبو القاسم بن سيمجور بملواحهم «٨» عبد الملك بن نوح وسائر أهل العسكر إلى ظاهر مرو، مقابلين لعسكر الأمير سيف الدولة يعلنان جلادة، ويسرّان بلادة، ويقدمان ظاهر العيون، ويحجمان خيفة الحرب الزبون «٩»، وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فجيوب الأقطار عليهم مزرورة، وذيول الخذلان عليهم مجرورة، وبوارح الإدبار وجوائح الدمار، من كل أوب إليهم محشورة. وظل القوم على علم بأنهم يدمرون على الدمار، ويتهافتون تهافت الفراش في النار، ويقتلون الأنصار

---

(١) الفزع. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٧٣٧ (وهل).

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٤٩.

(٣) وردت في الأصل: على، والتصحيح من ب.

(٤) جمع عزلاء: مصب الماء من القربة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٤٤٣ (عزل).

(٥) المرزمان: نجمان من نجوم المطر. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٢٤٠ (رزم).

(٦) فساد. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ١٧٠ (عيث).

(٧) سورة هود، الآية ١٠٢.

(٨) الملواح: الضامر الذي لا يسمن، والعطشان، والطير المتخذ وسيلة لصيد الصقور. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٥٨٥، ص ٥٨٧ (لوح). وأيا كان المطلوب، فالمقصود من هذا التعبير الاستهانة بالأمير عبد الملك بن نوح.

(٩) الحرب تزبن الناس إذا صدمتهم. وحرب زبون أي تصدم الناس وتدفعهم. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ١٩٤ (زبن).

بسيوف الأنصار، كما قال الله تعالى: يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصارِ «١».
وتردد السفراء بينهم وبين الأمير سيف الدولة [٩١ أ] في مواضعته «٢» على سلم يسلمون معها «٣» في العاجل من شدة بأسه، ويفتدون «٤» بها من مرارة كأسه. فأحسن الأمير سيف الدولة إجابتهم إلى مواضعتهم على علمه باستبطانهما للختل والحيلة، واستشعارهما للغدر والخديعة، إلزاما للحجة، وطمسا على الشبهة، وإعذارا إلى الكافّة، وبراءة من خطة البغي في دفع المكافّة. فما كان «٥» إلا أن قوّضت للرحيل خيامه، ونشرت للقفول أعلامه، حتى ثار أوباش القوم «٦» على أثره لانتهاب عسكره يظنون بأنفسهم الظنون، وإنما يتعجلون المنون، ويدوسون أذناب الأراقم لو كانوا يشعرون.
فلما رأى الأمير سيف الدولة ركوبهم مقطعة الضلال، واقتحامهم مسبعة «٧» الآجال، معلقين خيوط الرقاب «٨» بالحرص الغالب، والطمع الكاذب، لا يثنيهم حلماؤهم «٩» عن التسفه والتخبط، ولا يحميهم كبراؤهم عن التهور «١٠» والتورط، علم أن ذلك أمر يراد، وداء خلطه البغي والعناد، وأيقن أن سرهم بالفساد مغمور، وأن السفيه إذا لم ينه مأمور.
وأمر بالثائرين «١١» فجاش إليهم من حواشي الجيوش من طبقوهم بالهضّ والرضّ،

____
(١) سورة الحشر، الآية ٢.
(٢) المواضعة: المناظرة في الأمر. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٤٠١ (وضع).
(٣) مع السلم، وهي تؤنث وتذكّر.
(٤) وردت في الأصل: يقتدون، والتصحيح من ب.
(٥) إضافة من ب.
(٦) وردت في ب: الخراسانية.
(٧) الأرض الكثيرة السباع. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ١٤٨ (سبع).
(٨) أي عروقها.
(٩) وردت في الأصل: هلماؤهم، والتصحيح من ب.
(١٠) وردت في ب: التهر.
(١١) وردت في ب: بالثائرون.

وأضجعوهم- إلّا من [٩١ ب] شاء الله- على صعيد من الأرض. واستخار الله في الكرّ على بغاة السوء محاكما إياهم إلى البيض القواطع، ومدليا ببينات الرماح الشوارع، ومسجلا على الانتصاف منهم بشهادات النسور والخوامع. وأقبل فرتّب الجيوش قلبا كثهلان «١»، وميمنة كرضوى «٢»، وميسرة كأبان «٣»، وحصّن المصاف بزهاء مائتين من فيلة «٤» كرعن «٥» الجبال، أو دكن السحاب الثقال، مغشاة بتجافيف لم يعور منها غير حدق النواظر، وحدائد «٦» الأنياب الفواقر «٧»، تهول ساستها عليها بمرهفات كالبروق الخواطف، وصفّارات كالرعود القواصف، وقد نشرت «٨» عليها التماثيل السود كأنها الأساود «٩» والأسود، يخيّل اضطراب الرياح فيها أنها تزحف للالتهام «١٠»، أو تنقضّ لاختطاف الهام.
وتعالت عليها أطراف العوامل، فكأنها آجام السواحل، تأويها شياطين الأنس فرسانا، وعفاريت الترك والهند مردا وشبانا، تبصّ «١١» عليهم سابغات داود «١٢» كصفائح الماء تجلوها الشمس سافرة، وتزهاها الشمال سائرة، قد جعلوا الدروع وقاية للأجسام، وظاهروا عليها [٩٢ أ] بالقلوب حرصا على الانتقام، فهم يأنسون بمباشرة القتال، ومساورة الأفيال، واستثارة المنايا عن مرابض الآجال، أنس العيون بأناسيّها الباصرة، والقلوب بأمانيها الحاضرة.

____
(١) جبل ضخم في نجد. ياقوت- معجم البلدان، ج ٢، ص ٨٨.
(٢) جبل بالمدينة. ياقوت- معجم البلدان، ج ٣، ص ٥١.
(٣) أبان الأبيض، وأبان الأسود، جبلان بنواحي البحرين. ياقوت- معجم البلدان، ج ١، ص ٦٢.
(٤) وردت في الأصل: فيلته، والتصحيح من ب.

(٥) تشبيه مأخوذ من صفات الجبل يدل على الكثرة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ١٨٢ (رعن).
(٦) وردت في الأصل: حديد، والتصحيح من ب.
(٧) وردت في الأصل: العوافر، والتصحيح من ب، وهي الدواهي. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٦٤ (فقر).
(٨) وردت في الأصل: يثرب، والتصحيح من ب.
(٩) جمع أسود: العظيم من الحيّات. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٢٢٦ (سود).
(١٠) وردت في الأصل: للاتهام، والتصحيح من ب.
(١١) البصيص: البريق. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٦ (بصص)، وهو صفة للسابغات وهي الدروع.
(١٢) النبي، عليه سلام الله.

ووقف الأمير سيف الدولة في القلب بنفسه، وأخويه نصر وإسماعيل ابني ناصر الدولة «١» سبكتكين، وعمه بغراجق، فكأنما عناه أبو فراس «٢» بقوله:

علونا جوشنا «٣» بأشد منه ... وأثبت عند مشتجر الرماح
بجيش جاش بالفرسان حتى ... ظننت البر بحرا من سلاح
وألسنة من العذبات حمر ... تخاطبنا بأفواه الرياح
وأروع جيشه ليل بهيم ... وغرته عمود للصباح
صفوح عند قدرته كريم ... قليل الصفح ما بين الصّفاح
فكان ثباته للقلب قلبا ... وهيبته جناحا للجناح

وزحف بهم نحو الخصوم على هيئة «٤» وافرة، وهيبة حاضرة، فكادت الأرض تمور، والجبال تثور، والنهار الناهر «٥» يحول، والفلك الدائر يزلّ أو يزول. ونذر القوم بإقدامه، وإقبال ألويته وأعلامه، فقامت عليهم القيامة، واستفاضت فيهم [٩٢ ب] الحسرة والندامة، وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون علما بما ارتكبوه من الأمر الإمر «٦» واجتلبوه من الصيلم الإدّ «٧». وحفزهم حافز الضرورة عن المشورة، ففزعوا إلى الاحتشاد، وبعثوا بالركوب إلى القواد والأفراد، وبرزوا من جدران المدينة، في أفواف وأصباغ يوم الزينة،

---

(١) وردت في ب: الدولة والدين.
(٢) وردت في الأصل: فوارس، والتصحيح من ب. وقد وردت الأبيات في ديوانه، ص ٦٩؛ الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ١، ص ٦٧.
(٣) وردت في الأصل: روشنا، وفي ب: دوشنا. والتصحيح من ديوانه والثعالبي.
(٤) وردت في الأصل: هياؤه، والتصحيح من ب.
(٥) وردت في الأصل: الناهرة، والتصحيح من ب.
(٦) الإمر: العظيم، الشنيع، العجيب. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٣٣ (أمر).
(٧) الصّيلم: الداهية. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٣٤٠ (صلم). والإدّ: الشديدة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٧١ (أدد).

وهم أكثر ما كانوا قط في معركة لحشرهم من أطراف خراسان وما وراء النهر كل فارس وراجل، وحامل عضب «١» أو عاسل «٢»، سوى من استبقتهم تلك الدولة من كل فحل بازل، وبطل باسل، وشجاع مقاتل. وأقاموا الصفوف على الموازاة قلبا كمجتمع الليل، وميمنة كمندفع السيل، وميسرة مشحونة بأشاهب الخيل. وماج الفريقان بعضهم في بعض كالجراد «٣» المنتشر ضربا يزيل الرؤوس عن العواتق، ويبين الزنود عن المرافق «٤»، وطعنا يهتك ودائع الصدور، ويرد مشارع الغموم والسرور، ورشقا «٥» يصيب «٦» شواكل الأبصار، ويطلب وراء الفقار مضجع القرار.

واشتدت الحرب حتى تقلصت الشفاه، وتغضنت «٧» الجباه، وتقطعت الأنفاس، وتحسرت الفرسان والأفراس، واغبرت الآفاق، واحمرت [٩٣ أ] الحماليق «٨» والأحداق.

وخاض الأمير سيف الدولة غمرة «٩» الحرب يجتذب بالأوهاق «١٠» مطالع الأعناق، ويختطف بالأرماح ودائع الأرواح، ويغضّ «١١» بالأسياف مجامع الأكتاف، حتى رويت الأرض من بزال «١٢» الحلوق، وغرقت الحوامي «١٣» في نواعر العروق.

---

(١) سيف. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٦٠٩ (عضب).
(٢) رمح. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٤٤٦ (عسل).
(٣) وردت في الأصل: كالجهاد، والتصحيح من ب.
(٤) أي يفصلها.
(٥) وردت في الأصل: شقا، والتصحيح من ب.
(٦) وردت في ب: يصب.
(٧) الغضون: مكاسر الجلد في الجبين، والتغضين: التشنّج. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٣١٤ (غضن).
(٨) الحماليق من الأجفان: ما يلي المقلة من لحمها. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٦٩ (حملق).
(٩) وردت في الأصل: خمرة، والتصحيح من ب.
(١٠) جمع وهق: حبل طويل. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٣٨٦ (وهق).
(١١) وردت في ب: ينض. والغضّ: الكسر. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ١٩٩ (غضض).
(١٢) بزل الخمر وغيرها بزلا. ثقب إناءها. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٥٢ (بزل).
(١٣) ميامن حافر الفرس ومياسره. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٢٠٢ (حما).

ودامت «١» على حالها في الاحتدام والاضطرام، والافتراس بأنياب الحمام، من حين استقلت الشمس إكليلا على الجبل، إلى أن نفضت ورسا على الأصل، فاضطرب القوم ضجة من حز «٢» المناصل، وضيقا بوخز العوالي والعوامل، وتداعوا «٣» بحملة تكشف عنهم غمة القتال، بفيصل الإدبار أو الإقبال، فطرحوا الميمنة على الميسرة وهم يظنون وراء ذلك ظنونا، ويخطبون من بنات الأماني أبكارا وعونا، وأبى الله إلا أن يعكس عليهم ما ظنوه، ويحيق بهم وبال ما سنّوه، حين ركبوا من ولي النعمة ما ركبوه، إخفارا لذمته، وإنكارا لحرمته، وإذالة لحشمته، وإضاعة لحق نعمته. وألهم الأمير سيف الدولة أن يزحف إليهم بسواد موقفه، فلم يكن إلّا صدمة واحدة حتى زلّت الأقدام عن مقارّها، وتهاوت الرقاب عن مزارّها، [٩٣ ب] وجعلت تساقط أشخاص الألوية والمطارد، وتبرد النفوس عن ضرب السيوف البوارد، واستمرت الهزيمة بالظلمة عند اعتكار الظلام، فطاروا بين الأقطار كل مطار، وسفت بهم سافية الدمار والإدبار، فلم يلتق منهم بعدها اثنان عند تنازل الأقران، وتناوب الضراب والطعان، ذلك ذكرى للذاكرين، وكذلك يفعل الله بالظالمين.

وجفل عبد الملك بن نوح إلى بخارى، ومعه فائق في أتباعه. وانتبذ بكتوزون إلى نيسابور في أشياعه، وأبو القاسم بن سيمجور إلى قهستان وقد صاروا «٤» حزق مزق، وعادوا شذر مذر «٥». وأصبح سيف الدولة وقد أنجز الله له وعده، ونصر جنده وحدّه «٦»،

---

(١) الحرب.
(٢) وردت في ب: حر.
(٣) الأعداء.
(٤) ورد بعدها في الأصل: حد، وهو زائد فحذفناه.
(٥) الشذر: قطع صغار كأنها رؤوس النمل من الذهب. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٣٩٩ (شذر). والمذر: الفساد. والتعبير (شذر مذر) يدل على التفرق. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ١٦٤ (مذر).
(٦) حدّ الرجل: بأسه. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ١٤٢ (حدد).

وأسعد الله على رغم الراغمين جدّه «١»، وأعلى يده، وأورى زنده، وساق إليه هدي «٢» الملك على غير مهر سوى الشكر، ولا صداق سوى الاستحقاق، وورث دولة آل سامان، وملك ديار خراسان سنة تسع وثمانين وثلثمائة.

ورأى أن يعجل بكتوزون وأبا القاسم السيمجوري عن التجمع ثانيا، والتحدث بالالتقاء آنفا، فانحدر إلى طوس «٣» في البحر الأخضر

«٤» [٩٤ أ] من رجاله وأفياله. وطار بكتوزون بجناح الهرب إلى حدود جرجان، وقفى السلطان على أثره بأرسلان الجاذب «٥»، فجعل يطرده طرد الشهب أشخاص العفاريت حتى نفاه من تخوم خراسان.

وولّاه السلطان ناحية طوس «٦»، ورتّبه بها فيمن ضم إليه من قواده، وسار إلى هراة مطالعا لأعمالها، ومجددا للعهد بأحوالها. فلم ينشب بكتوزون حين سمع بانثناء عنانه إليها أن كرّ إلى نيسابور فملكها ثانيا يري أنه يناضل عن دولة قد حمّ حمامها، وانقضت أيامها، وناحت عليها أصداؤها وهامها «٧»، فلم يزد على أن جشم السلطان كلفة الكرّ عليه قبل أن اطمأنت به قعدته «٨»، أو جفّت على طرفه لبدته، فجفل عن نيسابور على سمت أبيورد.

---

(١) الجدّ: الحظ والسعادة والغنى. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ١٠٨ (جدد).
(٢) العروس. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٣٥٥ (هدي).
(٣) تقع على بضعة أميال من شمال مدينة مشهد الإيرانية في الوقت الحاضر. وتتألف من نوقان والطابران، وهي من مدن ربع نيسابور، أحد أرباع خراسان. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٥٧؛ al Hudud -ﷺP lam, ١٠٣٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣١٩؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٤٩؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٣٠.
(٤) يستعمل العرب الخضرة للسواد. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٢٢٥ (سود) مما يجعل المعنى البحر الأسود أي المظلم وهو تعبير عن المحيط. والمراد هنا وصف الجيش بالكثافة والضخامة.
(٥) ورد بهامشها في ب: الحاجب. عنه، انظر: الكرديزي- زين الأخبار، ص ٢٨٤، ص ٢٨٧، ص ٣٠٧، ص ٣١١؛ البيهقي- تاريخ، ص ٦٨، ص ٩٤، ص ١٤٦.
(٦) وردت في الأصل: الطوسي، والتصحيح من ب.
(٧) يقصد الدولة السامانية.
(٨) وردت في ب: كلفته.

وشدّ السلطان عليه الطلب، فركب المفازة «١» إلى مرو «٢» مبقيا بالوحاء «٣» على الحياة، ومستظهرا بالنّجاء «٤» على النجاة. فخلص «٥» إلى مرو فيمن أعانتهم فراهة المراكب، وقوة الصبر على وعثاء تلك المهارب، ورام أن يتملكها ويحتجز بها «٦»، فمانعه أهلها موالاة للسلطان، وشكرا لما وسعهم من العدل والإحسان، فشنّ عليهم [٩٤ ب] غارة شعواء، وخبطهم بالسيوف خبط عشواء، وركب مفازة آمل حتى عبر النهر إلى بخارى.

ولما خلت «٧» خراسان من بكتوزون وأصحابه، سرّب السلطان أرسلان الجاذب والي طوس إلى قهستان لنقضها عن أبي القاسم بن سيمجور إذ كان يظن الظنون في تدبيره، ويطمع في الارتياش عن تحسيره، فواقعه بها، وطرده إلى نواحي طبس «٨» عنها.

وولّى السلطان أخاه الأمير نصر بن ناصر الدين سبكتكين قيادة الجيوش بخراسان، ورتبه بنيسابور على ما كان يليه آل سيمجور على قديم الزمان، وامتد إلى بلخ مستقر أبيه ناصر الدين، فاتخذها حضرة الملك ودار السلام.

ولما انتهى السلطان إلى بعض حدود مرو الروذ منصرفه إليها ركب على رسم

---

(١) الصحراء المتاخمة لساحل بحر خوارزم (آرال) الشرقي، بين فمي جيحون وسيحون. وتعرف بمفازة مرو، أو مفازة التركمان العزّ. وهي ليست المفازة الكبرى كما يتبادر للذهن. انظر: لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٨٧.
(٢) وردت في ب: مرو الروذ، لكن سياق الحديث يوحي بأنها مرو الشاهجان، فهي التي في طريقه إلى آمل فبخارى كما سيذكر. وانظر أيضا: ابن الأثير- الكامل، ج ٨، ص ٤.
(٣) العجلة والسرعة. يقولون: الوحاء الوحاء أي البدار البدار. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٣٨٢ (وحي).
(٤) السرعة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٣٠٦ (نجا).
(٥) وردت في ب: وخلص.
(٦) أي يمتنع بها.
(٧) وردت في الأصل: دخلت، والتصحيح من ب.

(٨) إحدى مدن قوهستان، سمّاها العرب طبس العنّاب، وسمّاها الفرس طبس مسينان. وهي ليست طبس خراسان.
انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٧٤؛ al Hudud -ﷺP lam, ١٠٣٠ ؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٤٥، ١٤٦؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٠٢.
التصيّد في خف من العدد، ومعه أخوه إسماعيل بن ناصر الدين «١»، و «٢» قائد «٣» من قواد أبيه يعرف بنوشتكين كاج «٤» قد وتره «٥» إحساسه [ب] ما آل أمره على يده لا غير، إذ كان كأحد رفقائه في الإثبات والإطلاق، والإحسان والإرفاق. فبينا السلطان في هزة «٦» الاقتناص، إذ حانت منه التفاتة، فإذا به قابضا على قبيعة «٧» سيفه [٩٥ أ] يروم انتضاءه، وقد رمى «٨» بطرفه وجه إسماعيل يطلب إيماءه «٩». ولاح للسلطان إنكار إسماعيل عليه بدلائل رمزه وإيماضه، وشواهد ارتياعه وامتعاضه، غير أن استشارته إيّاه فيما جناه قد فرشت له بساط التهمة، وجرحت منه جارحة الثقة.
وبادر السلطان إلى مضربه، وقد أمر بالاحتياط عليه في وقته، وحكّم فيه خواص غلمانه، فأخذته السيوف حتى تطايرت أعضاؤه، وتناثرت عليه أوصاله وأجزاؤه.
ثم دعا [السلطان بأخيه] «١٠» إسماعيل فأدلى بعذره، وجحد العلم بما أبداه الخائن «١١» من خائنة سره وغدره. وجرت مخاوضات «١٢» ومراسلات اقتضاه «١٣» آخرها أن يستوثق منه

____
(١) وردت في الأصل: الدولة. وكلاهما صحيح.
(٢) إضافة من ب.
(٣) وردت في ب: قائدا.
(٤) وردت في الأصل: نحاج، وفي ب، ود: كاخ. والتصحيح من الترجمة الفارسية.
(٥) وردت في الأصل: وقد وترا، والتصحيح من ب.
(٦) وردت في ب: شره.
(٧) قبيعة السيف: التي على رأس قائم السيف، وهي التي يدخل القائم فيها. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٢٥٩ (قبع).
(٨) وردت في ب: ري.
(٩) أي إشارته بقتل سيف الدولة.
(١٠) ساقطة في ب.
(١١) وردت بعدها في ب: الحائن، وهو الهالك. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ١٣٦ (حين).
(١٢) وردت في ب: مفاوضات، وبالوجهين يستقيم المعنى.
(١٣) وردت في الأصل: اقتضى، والتصحيح من ب.

لنفسه وملكه، إذ كان لا يلتقي سيفان في غمد، ولا يجتمع فحلان في شوّل «١».
وبلغني أن السلطان بعد استنزاله إياه عن القلعة بغزنة «٢» بسط منه في بعض مجالس أنسه، وباحثه بلسان الاستدراج «٣» عند حث السقاة عما كان ينويه في معاملته أن لو ملك من أمره ما ملكه هو منه، فحملته سلامة صدره، ونشوة خمره، على أن قال: [٩٥ ب] كان رأيي فيك أن أوعز بك إلى بعض القلاع موسعا عليك فيما تقترحه من دار، وغلمة وجوار، ورزق على قدر الكفاية دارّ. فلما ارتاب السلطان عند الحادثة به، عامله بعين ما نواه، وقابله بجنس ما أبداه، واستودعه والي الجوزجان أبا الحارث «٤» ممكنا مما يشتهيه، ممتعا بمثل ما كان ينويه، فلله هذا الفعال «٥» الذي طرّز ديباجة الكرم، وغبر في مساعي ملوك الأمم. وقد يستغرب هذا الإسجاح «٦» من وجه وإن كان لا يستبدع من آخر، لأن هناك عاطفة القربى والرحم، ولكن الشأن في الأجانب الذين تغلق رقابهم «٧» الأجرام الفادحة، والجنايات الفاضحة «٨»، كيف يسلط فيهم رأيه على هواه، ويستبقي الجاني بما جناه، فلم يسمع بأعف منه في الجنايات سيفا، ولا أحسن على فورة الزلات صبرا. واحتجّ لهذه الخصلة الفاضلة بأن الملك الحازم «٩» من يسلب الجاني في حال سخطه ما يمكنه الوفاء بعينه أو بمثله عند رضاه، وجرح المال يؤسى بالتعويض والإخلاف، فأما النفوس فليس لإتلافها من تلاف.
____

(١) جمع شائل وهي الناقة التي تشول بذنبها طلبا للّقاح. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٣٧٥ (شول)، وهو من أمثال العرب. انظر: الميداني- مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٢٧٢.
(٢) وردت في ب: بقرنة.
(٣) وردت في ب: الاختبار والاستدراج.
(٤) الفريغوني.
(٥) الكرم. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٥٢٨ (فعل).
(٦) حسن العفو. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٤٧٥ (سجح).
(٧) كناية عن وقوع الرجل في ورطة عظيمة لا يمكنه التخلص منها.
(٨) وردت في ب: الفاحشة.
(٩) وردت في ب: الحازم.

١٦ ذكر الخلع التي أفاضها القادر بالله «1» أمير المؤمنين على السلطان يمين الدولة وأمين الملة

ذكر الخلع التي أفاضها القادر بالله «١» أمير المؤمنين على السلطان يمين الدولة وأمين الملة

[٩٦ أ] أوجب القادر بالله أمير المؤمنين له «٢» خلعا لم يسمع بمثلها محمولة من دار الخلافة، ولقّبه في كتابه بيمين الدولة وأمين الملّة لقبا كان مصونا في صدف الشرف، لم تنله قط أيدي الغاصة «٣» على كثرة الطلاب وتنافس الملوك في الألقاب، فتبوأ سرير الملك «٤»، واجتاب خلعة المجد، وأذاع شعار الطاعة لأمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين. وقام بين يديه أمراء خراسان سماطين مقيمين رسم الخدمة، وملتزمين حكم «٥» الهيبة. وحبسهم بعد الإذن العام على مجلس الأنس، وأمر لكل منهم، ولسائر غلمانه وخاصته ووجوه أوليائه وحاشيته سحابة يومه من روائع الخلع والصلات، ونفائس الأحبية والكرامات، بما لم يتسع لمثله ملك ملك، ولم يف «٦» ببعضه ضمير أمير.

واستجابت خراسان لأمره، وفرعت «٧» منابرها بذكره، واستقت الأمور عن آخرها في كنف إيالته، واستوسقت الأعمال في ضمن كفالته. وفرض على نفسه في كل عام غزوا «٨» في الهند ينصر به الدين، ويقمع أعداء الله الملحدين، فكتب الله له أجره، وأحسن نصره، كذلك قال الله تعالى [في محكم كتابه] «٩»: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [٩٦ ب] إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ «١٠».

---

(١) انظر: ص ١٤٩ من هذا الكتاب، هامش (٢).
(٢) إضافة من ب.
(٣) وردت في النسخ: الغاصبة، لكن الذي يبدو أنها الغاصة وهم الغواصون، وذلك بقرينة صدف الشرف.
(٤) وردت في الأصل: الملوك، والتصحيح من ب.
(٥) وردت في الأصل مكررة.
(٦) وردت في الأصل: يفه، والتصحيح من ب.
(٧) فرع المنبر أي اعتلى المنبر. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٢٤٦ (فرع).
(٨) وردت في ب: غزوة، وبالوجهين يستقيم المعنى.
(٩) ساقطة في ب.
(١٠) سورة محمد، الآية ٧.

١٧ ذكر انصراف عبد الملك بن نوح إلى بخارى

ذكر انصراف عبد الملك بن نوح إلى بخارى

ولما وصل عبد الملك بن نوح إلى بخارى في الفلّ ومعه فائق، وتلاحق به بكتوزون في أصحابه، وأولياء عبد الملك في مضامته، طمعوا آنفا في الاستقلال، وتكهنوا لأنفسهم بطالع الإقبال، وتحدثوا بالاحتشاد لأنف «١» القتال. واخترم من بينهم فائق في شعبان سنة تسع وثمانين وثلثمائة، وهو وجه الرّزمة «٢»، وطراز الحلة، وعمدة الجملة، والملقب بعميد الدولة، فتمكن الانخزال «٣» من صدورهم، وسرى الانحلال في أمورهم.

وانحدر أيلك خان «٤» إلى باب بخارى يظهر لعبد الملك «٥» وسائر أجناده وأنجاده موالاة خداع واحتيال، وممالأة استدراج واغتيال، وهم يظنّون استظهارا على ما عراهم، واحتياطا لما شدّ عراهم، مغرورين عن واجب الاستبصار، والاحتراس عن حبائل الأوتار، حتى أنسهم بلطائف برّه وإقباله، وأطمعهم بزخارف أقواله وأفعاله.

وركب إليه بكتوزون وينالتكين الفائقي وسائر قواد عبد الملك [٩٧ أ] صباح يوم، فلما اطمأن بهم المجلس، أمر باعتقالهم، والقبض على أصحابهم ودوابهم، واستلاب أسلحتهم وأسلابهم «٦»، فلم ينج منهم إلا الفارد الشارد، والنادر المبادر.

وبلغ الخبر عبد الملك، فوجد عدّته قليلة، وقوته مستحيلة، فلم يجد غير الاستخفاء حيلة، ودخل أيلك بخارى يوم الثلاثاء العاشر من ذي القعدة سنة تسع وثمانين وثلثمائة، ونزل دار الإمارة، وبثّ على عبد الملك عيون الطلب، وطلائع الرغب والرهب، حتى ظفر به، فحمله إلى أوزكند «٧» فمات بها. وطفئت بقية الشعلة من دولة آل سامان بما

---

(١) ما يستقبل منه. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ١٥ (أنف).

(٢) مجموعة من الثياب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٢٣٩ (رزم).

(٣) الانقطاع. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٢٠٤ (خزل).

(٤) وردت في ب: الخان.

(٥) وردت في الأصل: لعميد الملك، والتصحيح من ب.

(٦) وردت في ب: وأسبابهم، وبالوجهين يستقيم المعنى.

(٧) آخر مدن فرغانة شرقا، كانت عاصمة أيلك خان. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٣٣٣؛ al Hudud -ﷺP lam, ١١٦٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٢٧٢؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ٢١٧، ص ٢٤٧، ص ٢٦١؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٥٢٢.

١٨ ذكر خروج أبي إبراهيم إسماعيل «2» بن نوح المنتصر وما جرى بينه وبين أيلك الخان بما وراء النهر وبين «3» صاحب الجيش أبي المظفر نصر بن ناصر الدين بخراسان

وراء النهر وأطراف خراسان، فصارت كأن لم تغن بالأمس، كدأب الدول الماضية في القرون الخالية، إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ «١».

ذكر خروج أبي إبراهيم إسماعيل «٢» بن نوح المنتصر وما جرى بينه وبين أيلك الخان بما وراء النهر وبين «٣» صاحب الجيش أبي المظفر نصر بن ناصر الدين بخراسان

كان سبب خروجه أنه لما تمكن أيلك خان من بخارى، قبض على: أبي الحارث المكحول، وعبد الملك، وأبي إبراهيم «٤»، وأبي يعقوب بني نوح بن منصور الرضا، [٩٧ أ] وعلى أعمالهم: أبي زكريا، وأبي سليمان، وأبي صالح الغازي، وغيرهم من الأرومة السامانية، وأمر باعتقالهم. ورسم إفراد الإخوة منهم في حجرة على حدة احتياطا لنفسه بتفريق ذات بينهم عن تمكينهم من اقتضاب الحيل، واختلاق الأراجيف، وارتقاب الفرص. واحتال أبو إبراهيم المنتصر للتخلص من معتقله «٥» في زي جارية كانت تنتابهم لمطالعة أحوالهم، ومراعاة أوقات أقواتهم «٦»، فكانت حاله في الخلاص موافقة لحال الكميت حين استشعر «٧» ثياب طلّته «٨»، وانسلّ «٩» من «١٠» غمد الاعتقال

Shamela.org

(١) سورة النحل، الآية ١١.
(٢) إضافة من ب. وهو أبو إبراهيم إسماعيل بن نوح الملقب بالمنتصر (ت ٣٩٥ ه‍). حاول استعادة عرش أجداده السامانيين، وإحياء دولتهم، لكنه لم يوفق. عنه وعن جهوده في سبيل ذلك، انظر: ابن الأثير- الكامل، ج ٨، ص ١١ - ١٣؛ الذهبي- سير، ج ١٣، ص ٤٨؛ ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٧٨.
(٣) إضافة من ب.
(٤) إسماعيل بن نوح الملقب بالمنتصر.
(٥) وردت في الأصل: متعقله، والتصحيح من ب.
(٦) وردت في الأصل: أوقاتهم، والتصحيح من ب.
(٧) وردت في ب: استغشى، وبالوجهين يتم المعنى. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٤١٣ (شعر)، مج ١٥، ص ١٢٧، (غشا).
(٨) الطلّة: النعمة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٤٠٦ (طلل).
(٩) وردت في الأصل: فاسل، والتصحيح من ب.
(١٠) وردت في الأصل: عن، والتصحيح من ب. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٣٣٨ (سلل).

بمهجته، ثم أنشأ يقول:

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل ... على الرغم من تلك النوابح والمشلي «١»

عليّ ثياب الغانيات وتحتها ... صريمة رأي أشبهت سلّة النصل «٢»

واستخفى المنتصر [بعد خلاصه] «٣» عند عجوز من أهل بخارى إلى أن أيس منه الطلب، ثم سار إلى خوارزم كالحسام الغاضب، بل الشهاب الثاقب، متجردا للانتصار، مستعينا بالله على درك الثأر. وتلاحق به من ندّ وعار «٤»، وأنجد وغار من بقايا القواد والأجناد السامانية [٩٨ أ] في أطراف خراسان، حتى اجتمع شمله، وكثف خيله ورجله.

وركض أرسلان بالو الحاجب إلى بخارى، فبيّت «٥» الخانية «٦» بها تحت الملاحف والنمارق «٧»، وشغلهم بحقائق السيوف البوارق، عن مجاز الأحلام الطوارق، وقبض على جعفرتكين وعلى سبعة عشر نفسا من أعيان القواد الخانية، وحملهم في وثاق الأسر إلى الجرجانية، وأفلت الباقون بجريعة الأذقان «٨» نحو أيلك الخان، فركب أرسلان أكتافهم يحثهم حثّ الشمال قزع «٩» الخريف، وطرحهم إلى حدود سمرقند وما يليها مقتفيا آثارهم.

وكاسعا أدبارهم. ووافق بقنطرة كوهك تكين خان في عسكر جرار نائبا عن أيلك في

____
(١) أشلى الكلب: دعاه أو أغراه بالصيد. والمشلي اسم فاعل. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٤٤٣ (شلا).
(٢) البيتان للكميت الأسدي. ديوان الكميت، ص ٣٤٨ (مع بعض الاختلافات في المفردات).
(٣) إضافة من ب.
(٤) هرب، وانفلت. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧٢٣ (عير).
(٥) وردت في ب: ليبيت.
(٦) أي أنصار أيلك خان.
(٧) ساقطة في ب.
(٨) من أمثال العرب في إفلات الجبان: (أفلتني جريعة الذّقن) إذا كان قريبا منه، كقرب الجرعة من الذقن ثم أفلته. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٤٦ (جرع).
(٩) القزع: قطع من السحاب رقاق كأنها ظلّ إذا مرت من تحت السحابة الكبيرة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٢٧١ (قزع).

حراسة سمرقند وما يليها، فانتدب لمناجزته، واستعان بالفل وسائر أصحابه على مبارزته، فنصب أرسلان له وجها وقاحا، وأضرم عليه

الأرض كفاحا، فولاه ظهر الإدبار، واتقاه بعودة الفرار. وغنم أرسلان ومن معه أموالهم، ورموا بتلك الأثقال أحوالهم.

وعاد أبو إبراهيم المنتصر [عند ذلك] «١» إلى بخارى فاستبشر أهلها بمعاده على مراده. وبلغ [٩٨ ب] أيلك الخان خبره فجمع أحابيش الترك، وصمد صمده في العدد الدثر. وكرّ أرسلان بالو راجعا إلى المنتصر، واقتضاه الاحتياط عند ذلك العبور إلى آمل الشط، فوافاها وجباها، وضاقت به وبأهل «٢» عسكره، فركب المفازة على سمت أبيورد، فملكها، وسار عنها قاصدا قصد نيسابور [و بها صاحب الجيش أبو المظفر «٣» نصر بن ناصر الدين سبكتكين، فالتقيا] «٤» على فضاء بين بغوخك «٥» وبشنجة [قريتين على أربع فراسخ من نيسابور] «٦»، وذلك يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وثلثمائة. ودارت عليهما رحى الحرب، يفصلون بالبيض البوارق، ما بين الطلى والعواتق، ويضربون مفارق الهام، ضرب القدار نقيعة القدّام «٧».

ولما اشتدت وطأة [الحرب على صحبها، ومرت كأسها على شربها، وتكاثفت جموع أبي إبراهيم المنتصر على] «٨» أصحاب صاحب الجيش أبي المظفر، اقتضاهم

____

(١) إضافة من ب.

(٢) ساقطة في ب.

(٣) وردت: المضفر.

(٤) إضافة من ب.

(٥) وردت في ب: نعاجي، وفي د: نفاجي. وبغوخك قرية بنيسابور. انظر: نيشابوري- تاريخ نيشابور، ص ١٣٩؛ السمعاني- الأنساب، ج ١، ص ٣٧٤؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ١، ص ٤٦٩.

(٦) إضافة من ب، ود.

(٧) شطر من بيت للمهلهل:

إنّا لنضرب بالسيوف أكفّهم ... ضرب القدار نقيعة القدّام

القدار: الطبّاخ أو الجزار. والنقيعة طعام يعد للقدّام وهم الزوار (جمع قادم). انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٨٠، مج ٨، ص ٣٦٢.

(٨) إضافة من ب.

الاحتياط أن يتحيزوا إلى جانب «١» هراة انتظارا للمدد، واستشرافا لمأمول صنع الله في الغد، فحثوا ظهور الخيل بين ذيول الليل، حتى شابت عليهم لمّته «٢» بين حدود بوزجان «٣».

وتمكن المنتصر من نيسابور، وانضم إليه من شذّاذ العسكر الجمع الكثير، والجم الغفير.

وبلغ السلطان يمين الدولة وأمين الملة خبره، فاستركب خيله من غير أن يتربص بنهاره ليله [٩٩ أ] وسار سير الخبب، يطوي الأرض كطي السجل للكتب، حتى انقضّ على نيسابور انقضاض بني الهواء على بنات الماء «٤». ولما تسامع المنتصر بإقباله انحدر إلى إسفرايين في عامة رجاله، وبثّ أصحابه في الرساتيق «٥» لجباية أموالها، وإزاحة أطماع حشمه بها، فأزعجه الطلب للحاق بشمس المعالي قابوس بن وشمكير مستصرخا إياه، ومؤملا غوثه وجدواه. فتلقاه بكل ما تمناه، ومهّد له ذراه، وأعطاه حتى أرضاه. وكان مما أمر بحمله إليه صفقة واحدة: عشر دواب بمراكب الذهب، وثلاثون «٦» بمراكب الفضة، وثلاثون من العتاق الجياد بالبراقع والجلال، وعشرون بغلة بمراكب الذهب والفضة، وثلاثون أخرى مقرونة بخمسين جملا موقرة «٧» أحمالا وأثقالا من البسط النادرة، والفرش الفاخرة، ومن حصر طبرستان، وسائر الطرائف «٨» المجموعة في الخزائن بجرجان.

وأضيف إلى ذلك ألف ألف درهم، وثلاثون ألف دينار، ومائة وخمسون تختا من الدبابيج

____

(١) وردت في ب: أطراف.

(٢) اللّمّة: وفرة شعر الرأس، أو ما جاوز شحمة الأذن. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٥٥١ (لمم).

(٣) قصبة زام (جام) من نيسابور، بينها وبين هراة. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٥٦؛ P lamﷺ- al Hudud, ١٠٣٠ ؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٧٧، ١٧٨؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٣٩٦.

(٤) يقصد انقضاض الطيور الجارحة على الطيور السابحة.

(٥) وردت في الأصل: الرزاديق، والتصحيح من ب.
(٦) وردت في الأصل: وبكتوزون، والتصحيح من ب.
(٧) أي تحمل أوقارا وهي الأحمال. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٢٨٩ (وقر).
(٨) وردت في ب: الطريف.

التسترية، والسقلاطونيات العضدية، والحلل الفخرية، والخزوز «١» الطاقية «٢»، وسائر الثياب المصرية. وأمر لأهل عسكره بعشرينياتهم [٩٩ ب] معونة لهم على عوارض حاجاتهم.

وأشار على المنتصر بقصد الري، إذ كانت معرضة لقصّادها بتخاذل أهوائها، وتواكل أوليائه، واشتجار الفتن والإحن بين الذائدين عن فنائها، على أن يمده بولديه: دارا ومنوچهر في جيوش الجيل والديلم ووجوه الأكراد والعرب، ليستظهر باستخلاص تلك الولاية، وليكون ما ينويه من معاودة خراسان عن ظهر الكفاية، فقبل الإشارة، وقدّم الاستخارة «٣»، وسار حتى خيّم بظاهر الري، فأحس أهلها منه بأم الرّبيق على أريق «٤».

وقاءت الري أفلاذ أكبادها «٥»، فأناخوا قبالة المنتصر، ودسّ الكفلاء بتلك الحضرة «٦» إلى أرسلان بالو، وأبي القاسم بن سيمجور «٧»، وغيرهما من أولياء المنتصر من أطمعهم في مال يحمل إليهم سرا على أن يثنوا عنهم عنان المنتصر بوجه من وجوه اللطائف والحيل، فانخدعوا لتسويلهم، وطمعوا في تأميلهم، وتنصحوا للمنتصر بأن قدر مثلك ممن يجله ملوك الشرق من آل سامان على جلالة أقدارهم، ونفاسة أخطارهم، ليجل عن مناوأة قوم يدعون فيك قرابة، ويفترضون لك طاعة ومهابة، موالاة [١٠٠ أ] لمن يجرّ النار إلى

____
(١) وردت في ب: الحزوز. والخزوز جمع خز: نوع من الثياب، تنسج من الصوف والإبريسم. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٣٤٥ (خزز).
(٢) وردت في الأصل: الطائفية، ولم يرد في المصادر ما يشير إلى اشتهار الطائف بالخزوز. والأصح ما ورد في ب: ود، حيث إن الطاق ضرب من الملابس. انظر: الميداني- السامي في الأسامي، ص ١٣٠؛ الجواليقي- المعرب، ص ٢٢٩؛ ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٢٣٣ (طوق)؛ التونجي- المعجم الذهبي، ص ٣٩٥.
وربما نسبت إلى الطاق، وهما اثنتان: واحدة بطبرستان، والأخرى بسجستان. انظر: ياقوت- معجم البلدان، ج ٤، ص ٦. وورد بهامشها في د: نسبة إلى حصن الطاق.
(٣) أي قدمّ صلاة الاستخارة على سفره.
(٤) أم الرّبيق: من أسماء الداهية. وفي المثل: جاء بأم الرّبيق على أريق. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ١١٤ (ربق)؛ وانظر: الأصمعي- كتاب الأمثال، ص ١٠١.
(٥) وردت في الأصل: كبدها.
(٦) وردت في ب: الدولة.
(٧) وردت في الأصل: سيمجوري.

قرصه بالتعويل عليك، ومغزاه أن يحترش الأفعى بيديك فله الغنم أن قدرت، وعليك الغرم إن عجزت، فلفتوا المنتصر عن رأيه، وزينوا له ملك خراسان «١» من ورائه، فارتحل من باب الري يريد دامغان، وانفرد ولدا شمس المعالي عنه، فخبس نجم ذلك التدبير، وانحلّ عقد ذلك التقدير، وَإِذا أَرادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ والٍ «٢».

وامتد المنتصر طلقا إلى نيسابور، وبها صاحب الجيش أبو المظفر، فأشفق من زلة القدم كالتي حدثت قبل، فاحتاط بالانحياز إلى بوزجان. ودخل المنتصر نيسابور في شوال سنة إحدى وتسعين وثلثمائة، وبثّ عماله في جباية الأموال، ومطالبة من ظفر بهم من العمال، واستمد صاحب الجيش السلطان يمين الدولة وأمين الملة، فرسم للحاجب الكبير التونتاش والي هراة البدار إليه في معظم جنوده «٣» من شجعان الترك وسرعان الهنود «٤»، حتى إذا استظهر بذوي الغناء، في حرة الهيجاء، كرّ عائدا إلى نيسابور. وتلقاهم المنتصر بأرسلان بالو، وأبي نصر بن محمود، وأبي القاسم بن سيمجور، فالتقوا على حرب [١٠٠ ب] تحطمت فيها الصفاح المشهورة، وتقصدت

الرماح المطرورة، وعريت عندها الكواكب المستورة، ثم شاعت الهزيمة في السامانية، فولّوا على أدبارهم نفورا، وكان أمر الله قدرا مقدورا. ودخل صاحب الجيش أبو المظفر [نصر بن ناصر الدين سبكتكين] «٥» نيسابور، وقد زينت له كالهدي على زوجها الكفي، وأقيمت له النثارات كما تتهاوى النجوم السائرة، وتتهادى الثلوج المتطايرة.

وركب المنتصر سمت أبيورد والطلب على أثره حتى وصل إلى جرجان، ولما تسامع شمس المعالي بنبئه، رماه بزهاء ألفين من أنجاد الأكراد، فألجئوه إلى الارتحال،

____
(١) وردت في ب: الملك بخراسان.
(٢) سورة الرعد، الآية ١١.
(٣) وردت في ب: الجنود.
(٤) وردت في الأصل: الهند، والتصحيح من ب.
(٥) إضافة من ب.

وآيسوه من طلب المحال، فكرّ على أدراجه تائها في الغيّ، وإنما ترك الرأي بظاهر الريّ.

وقد كان المنتصر يحقد على أرسلان بالو تسحّبه عليه، واشتطاطه في المطالب بين يديه، ومنازعته الرأي فيما ينحوه، ومراجعته القول في كل ما يفوه به فوه. وانضاف إلى ذلك اتهامه إياه بالتخاذل في الحرب التي جرت، وأنه انهزم فيها عن وجه صاحب الجيش أبي المظفر لنفاسته «١» على أبي القاسم بن سيمجور مكانته من اختصاصه وإيثاره وغيرته على الشركة [١٠١ أ] الواقعة له في «٢» محله ومقداره، فحمله ما احتساه من ماء الكرب على التشفي بإراقة دمه، والاسترواح إلى انتهاك روحه، ففتك به فتكة أنست فتكات الإسلام، وشفت نفسه من الداء العقام. وتجمع أهل عسكره لإنكار ما فعل، وأنّى «٣» لهم ذلك وقد سبق السيف العذل «٤».

وقام أبو القاسم علي «٥» بن سيمجور «٦» مصانعا لهم عن المنتصر بلسان المعتذر، حتى خمد التهاجم، وسكن هيجهم واضطرابهم، وتآمروا بينهم على قصد سرخس للاستظهار بزعيم أهلها المعروف كان «٧» أبوه بالفقيه إذ كان قد رغّب المنتصر في إرفاده وإنجاده وإيثاره بعدته وعتاده، فركبوا المسافة إليها على طريق أبيورد حتى وردوها وجبوا أموالها، وارتاشوا بما سمح لهم الزعيم بها.

وحين علم صاحب الجيش باجتماعهم على مضغ «٨» الأباطيل بينهم، دلف إليهم من

____
(١) حسده. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٢٣٧ (نفس).
(٢) إضافة من ب.
(٣) وردت في ب: أبي.
(٤) ورد بعدها في ب: وكان كما قيل: محا السيف ما قال بن دارة أجمعا. (سبق السيف العذل) مثل يضرب للأمر إذا فات. انظر: الأصمعي- كتاب الأمثال، ص ١٤٦.
(٥) ساقطة في ب.
(٦) وردت في ب: السيمجوري.
(٧) زائدة تفيد المضي.
(٨) غير مقروءة في الأصل (ببصجع)، والإضافة من ب، ود.

نيسابور «١» في سراة الكماة لطردهم عن شريعة الطمع، وإزعاجهم عن حضانة الأمل.

ووصل السير بالسّرى «٢» حتى أشرف على سرخس في الهيئة المنشورة، والهيبة الموفورة.

وبرز المنتصر إلى ظاهرها، فخيم بإزائه، واستعد [١٠١ ب] للقائه. وتجايشا للقتال، فاستكّ سمع الهواء من قرع الحديد بالحديد، ورويت صدور المواضي من موارد الوريد، وبلغ كل من الفريقين غاية الإمكان في منازلة الأقران «٣»، ومناوشة الضراب والطعان، مجاحشة «٤» عن خيوط الرقاب، وتفاديا عن سوء الذكر على تناسخ الأحقاب، غير أن قضاء الله أغلب، وأمره أنفذ، وله الحكم في تبديل الأبدال، وتصريف الأحوال، ونقل الأملاك «٥» من وال إلى وال.

وهبت لصاحب الجيش أبي المظفر قبول الإقبال، فتمزق مصف المنتصر عن هزمى «٦» عوابس الوجوه، وجرحى بأنياب المكروه. ولم ينشب صاحب الجيش أن أتاه بعض العرب بأبي القاسم علي بن محمد بن سيمجور «٧» في قلادة من الوهق، على بقية من الرمق. وأردف بالتونتاش «٨» الحاجب، وكان المنتصر يراه «٩» جلدة ما بين العين والحاجب. وانضمت حبالة الأسر على معظم ذلك العسكر، فحملوا إلى غزنة في الأصفاد مقرّنين.

وسار المنتصر سير المضطر لا يدري وزرا غير اعتساف المسالك، وارتكاب المهالك، على جملة لا يتميز فيها المملوك من المالك.

---

(١) إضافة من ب.

(٢) السير بالليل. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٣٨١ (سرا). والمقصود أنه واصل السير نهارا وليلا.

(٣) وردت في الأصل: الإمكان، والتصحيح من ب.

(٤) المجاحشة: المدافعة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٢٧١ (جحش).

(٥) وردت في ب: الأموال.

(٦) جمع هزيم (مهزوم)، كجريح- جرحى.

(٧) ساقطة في ب.

(٨) وردت في الأصل، وفي د: بتونتاش، وفي ب: بتوزتناش، وأورده: (التونتاش) كل من: ابن الجوزي- المنتظم، ج ١٥، ص ١٣٣؛ ابن الأثير- الكامل، ج ٨، ص ٦٢.

(٩) وردت في ب: يراه المنتصر.

وقفل صاحب الجيش أبو المظفر [١٠٢ أ] وقد أعلى الله كعبه، ورفع قدره، وأطعمه نصره، وأطار بين الخافقين ذكره. وأنشدني أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي لنفسه فيه يذكر ما أتيح له من هذا الفتح الرائع منظره، الشائع في الآفاق خبره:

تبلّجت الأيام عن غرة الدهر ... وحلّت بأهل البغي قاصمة الظهر

وولى بنو الإدبار أدبارهم وقد «١» ... تحكّم فيهم صاحب الدهر بالقهر

وقد جاء نصر الله والفتح مقبلا ... إلى الملك المنصور سيدنا نصر

غياث الورى شمس الزمان وبدره «٢» ... ومن هو بالعلياء أولى أولي الأمر

فيالك من فتح غدا زينة العلى ... وواسطة الدنيا وفائدة العصر

أبى الله إلا نصر نصر ورفعه ... على قمة العيّوق «٣» أو هامة البدر

وملّكه صدر السرير كأنه ... لنا فلك بالخير أو ضده يجري

وخوّله دون الملوك محاسنا ... تبرّ على الشمس المنيرة والقطر

إذا ذكرت فاح النديّ بذكرها ... كما فاح أذكى النّد في وهج الجمر

فتى السن كهل الحلم والرأي والحجا ... يعمّ بني الآمال بالنائل الغمر

له همة لما حسبت علوّها ... حسبت الثريا في الثرى أبدا تسري

غدا راعيا للمسلمين وناصرا ... له الله راع قد تكفل بالنصر [١٠٢ ب]

ألا أيها الملك الذي ترك العدى ... عباديد «٤» بين القتل والكسر والأسر

قدمت قدوم الغيث أيمن مقدم ... فحليت وجه الدهر بالحسن والبشر

ألست ترى كتب الربيع ورسله ... يقولون ها ذاك الربيع على الإثر

---

(١) ورد هذا الشطر في ب: وقد ولوا الأدبار أدبارهم وقد.

(٢) ورد هذا الشطر في ب: غياث الورى شمس المعالي.

(٣) وردت في ب: العبوق.

(٤) متفرقون. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٢٧٦ (عبد).

نسيم نسيب للحياة بلطفه ... يجر فويق الأرض أردية العطر
وترب بأنفاس الربيع معنبر ... فيالك من طيب ويالك من نشر
وغيم يحاكي راحتيك كأنه ... على المسك والكافور يهطل بالخمر
فروّح بشرب الراح روحك إنها ... لفي تعب من وقعة البيض والسمر
ودم لا قتناء الملك في أكمل المنى ... وفي أرفع العليا وفي أطول العمر
وأنشدني أبو سعد بن دوست «١» لنفسه فيه:
للأمير المظفر العالم العا ... دل فينا أبي المظفر نصر
كرم في شجاعة وسخاء ... في وفاء ودولة مع نصر
ومعال لو رامها بختنصر ... يوم نخر أعيت على بختنصر
فبه نقطع الخطوب ونفري ... وبه ندفع الكروب ونصري
وانتبذ الركض بالمنتصر إلى محال الأتراك الغزّية، ولهم «٢» صغو «٣» إلى الدولة السامانية، فأخذتهم المذمة من خذلانه، وحركتهم الحمية [١٠٣ أ] لعونه على شأنه.
وتذاكروا بينهم شرف آل سامان وما تعرّفوه قديما من بركات ذلك البيت «٤» القديم، والشرف «٥» العميم. وسار «٦» بهم «٧» مصعدا حتى لحق بأيلك الخان وذلك في شوال سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة. وعندها دلف أيلك للانتصار من المنتصر في جيوش الترك، يستعر في طلب الثأر استعار النار، حتى أناخ بحدود سمرقند.

---

(١) الحاكم أبو سعد عبد الرحمن بن محمد بن دوست. عنه، انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٩١؛ الباخرزي- دمية القصر، ج ٢، ص ٩٧٠، وقد ورد في الأصل: أبو سعيد، والتصحيح من: ب والثعالبي والباخرزي.
(٢) وردت في الأصل: له، والتصحيح من ب.
(٣) ميل. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٤٦١ (صغا).
(٤) إضافة من ب.
(٥) وردت في ب: والكرم.
(٦) وردت في الأصل، وفي ب: صار. والتصحيح من د.
(٧) ساقطة في ب.

وتناذر الغزّية بإقدامه، وتآمروا بينهم على بياته، فتجمعوا للركض عليه، فخفّوا الخيل تحت [ظلام] الليل حتّى كاد لا تتنفس «١» الأرض بوطء أقدامها «٢»، ولا تشعر النجوم بأشخاص ألويتها وأعلامها، حتى أوقعوا به وانتهبوا جلّ سواده، وقبضوا على جلّة قوّاده، وانقلبوا بما غنموه إلى أوطانهم عند حصول البغية، فاستأثروا على المنتصر بالأسرى طمعا في الفدية. ثم بلغ المنتصر تنازعهم الأمر بينهم في موالاتهم أيلك عليه، وإفراجهم عن الأسرى تقربا إليه. فرابه ذلك من أمرهم ريبة لم تأخذه الأرض معها بقرار، ولم تكتحل عينه عندها بغرار؛ فاختار من جريدته قرابة سبعمائة رجل ركبانا ورجالا، خفافا وثقالا، وطاف على المعابر فإذا النهر [١٠٣ ب] جامد «٣»، وآمل الشط في البعد آمد، ففرشوا النهر بأتبان الأرز حتى أمكنهم من العبور «٤».
وتبعه الطلب فمنعهم خطر المعبر من قصد المنتصر، وأرسل هو عند قراره بآمل رسولا إلى السلطان يمين الدولة وأمين الملّة يذكّره بحقوق سلفه عليه، واشتداد الأمر في انثيال «٥» العداة عليه، وأنه له «٦» بحيث يرتبه فيه طاعة له، وإخلاصا في هواه. وأظهر الانقطاع إلى كنف قبوله وإشباله «٧»، والافتقار إلى معونته بماله ورجاله. وامتد من آمل الشط إلى سواد مرو احتراسا من معرّة الترك في العبور على الأطواف والفلك.
وأرسل «٨» إلى أبي جعفر المعروف بخواهرزاده وكان رجلا من جملة الرعاع

---

(١) وردت في الأصل، وفي ب: يتنفس. ووردت في د: تنتقش.

(٢) أي أقدام الخيل. والتعبير كناية عن كثرتها.
(٣) وردت في الأصل: جامدا، والتصحيح من ب.
(٤) يجمد نهر جيحون في الشتاء انجمادا شديدا، ففرشوه بالتّبن كي تثبت سنابك الخيل.
(٥) وردت في الأصل: لا نثيال، والتصحيح من ب.
(٦) إضافة من ب.
(٧) الإشبال: التعطف على الرجل ومعونته. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٣٥٢ (شبل).
(٨) المنتصر.

رفعه الزمان في دولة آل سامان، يستميحه المعونة بما يفضل عن سعة يده من مال وسلاح. فردّ الرسول على غير وجه الحرية والارتياح لحكم الإنسانية، ولم يرض بالردّ حتى خرج إليه مقاتلا، وبالجفاء مقابلا. فحمل أصحاب المنتصر عليه حملة فرّقت جمعه جملة «١».

وتسدّى «٢» مسافة أبيورد حتى وافاها في شهور سنة أربع وتسعين وثلثمائة. [١٠٤ أ] وأوجب السلطان إكرام رسوله، وتحقيق مأموله، وصلته بصدر من المال يجبر خلّته.

وخاطب ابن خواهرزاده بخدمته، وتقمّن «٣» مرضاته، وترك الانحراف عن مراده، فاضطره الأمر إلى طاعته، وتقديم الاعتذار من مخالفته، حين شاعت سبّة «٤» البخل عليه، واستطارت شادخة اللؤم بخديه. وقد كان أبو نصر «٥» نصر بن محمود الحاجب لما تسامع بقدوم راية المنتصر مالأه على صاحبه، وأظهر الانقطاع إلى جانبه، وأقام له الخطبة بنسا مظهرا طاعته، ومستنفذا في نصرته جهده واستطاعته.

ولما أحس أهل نسا برأي أبي نصر في اتباع راية الخلاف، أشفقوا على أنفسهم «٦» من عاقبة الاتهام بموالاته، والاشتراك في جناياته. فكاتبوا خوارزمشاه مستمدين عليه، فأنهض أبو الفضل الحاجب أحد أعيان ذلك الباب الرفيع، لإزالة شرّه، وكفاية أمره.

ومال ابن محمود «٧» إلى المنتصر، فتضافرت العدّة، وتوافرت العدّة. وصدر إلى

____
(١) إضافة من ب.
(٢) تسّدى الأمر: قهره. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٣٧٧ (سدا). والمقصود إن المنتصر قهر المسافة وقطعها.
(٣) قصد. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٣٤٧ (قمن).
(٤) عار. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٤٥٦ (سبب).
(٥) وردت في الأصل: أبو منصور، والتصحيح من ب، ود. وأورده ميرخوند: أبو نصر حاجب. روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٨٠.
(٦) وردت في الأصل: نفوسهم، والتصحيح من ب.
(٧) أبو نصر بن محمود الحاجب.

خبوشان «١» من رستاق أستوا «٢». وناهضهم أبو الفضل في رجال خوارزم «٣»، فاتفق التقاؤهم على [١٠٤ ب] الحرب ليلا بمرأى من النجوم الشوابك، حيث لا يدري الضارب مضروبه، ولا يبصر الراكب مركوبه. واختلط الفارس بالراجل، والتارس «٤» بالنابل «٥».

وتضاربوا ما بين الشّوى والمقاتل، وتطاعنوا سلكى مخلوجة كرّك لأمين على نابل «٦».

وتصدّع شمل الفريقين «٧» قبل أن صالح الليل صباحه، ونفض النجم على الغرب وشاحه، فلم يشعر أحد بما جنته يد الظلام على كماة ذلك الجيش اللهام، حتى استفاض ضوء النهار، فإذا ابن محمود قتيل، وابن حسام الدولة أبي العباس تاش إلى جنبه صريع.

وتفرق الباقون عباديد بين أقطار المهامه والبيد.

ووقع المنتصر إلى إسفرايين، [فمانعه أهلها حذر المحنة، وخيفة الهرج والفتنة، فانثنى على أدراجه في شرذمة] «٨» من أصحابه يقطع الأرض طولا وعرضا، حتى انتهى إلى بعض حدود سرخس، فأقام هنالك ريثما تلاحق به الفلّ. وسار حتى عبر النهر من ساحل قطنان. وبرز شحنة بخارى في طلبه، وسدوا عليه وجوه مهربه، فركب عزيمة الرجال في ثبات القدم، وثبت بعضهم للبعض جلادا بالدبابيس والحراب، وإغمادا [١٠٥ أ] للسيوف في قراب الرقاب. فجدّ المنتصر في الأمر واشتد، ونجا برأسه ولم يكد. وصار القوم
____

١٨ ذكر خروج أبي إبراهيم إسماعيل «2» بن نوح المنتصر وما جرى بينه وبين أيلك الخان بما وراء النهر وبين «3» صاحب الجيش أبي المظفر نصر بن ناصر الدين بخراسان

(١) وردت في ب: الخوشان. خبوشان: قصبة استوا من نيسابور. انظر: ياقوت- معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٤٣؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٥٠، ص ٢١٢؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٣٥.

(٢) وردت في ب: استو.

(٣) وردت في ب: خوارزم شاه.

(٤) ذو الترس.

(٥) ذو النبل.

(٦) هذه العبارة مأخوذة من بيت شعر لامرى ء القيس:

نطعنهم سلكى ومخلوجة ... كرّك لأمين على نابل

انظر: شرح ديوان امرى ء القيس، ص ١٧٢. وهو مثل يضرب لاستقامة الأمر. انظر: الأصمعي- كتاب الأمثال، ص ٦٣؛ الميداني- مجمع الأمثال، ج ١، ص ٦٧.

(٧) وردت في ب: اعضا الفريقين.

(٨) إضافة من ب، ود.

إلى دبوسية «١» من الصغد «٢» مستنجدين من بها من العمال، وتفاريق الرجال. ووقع المنتصر إلى ثغر النور «٣» من بخارى وركض منها عليهم ركضة اقتسمتهم بين اجتياح واحتناك واصطلام واجتثاث، ومالأه «٤» المعروف بابن علم دار رئيس الفتيان بسمرقند، فأتاه في ثلاثة آلاف رجل، وتقرّب «٥» إليه مشايخ أهلها بثلثمائة غلمة، على سبيل برّ وخدمة.

ووصلوا بها كرامات تضاهيها، ونثارات تدل على إخلاصهم فيها، وتوافى إليه الغزّية فاشتعلت جذوته، وتراجعت قوته.

ولما سمع أيلك الخان باحتداد شوكته، واشتداد وطأته، زحف إليه في أحلاس الذكور من ديارات الترك. واشتبكت الحرب بينهم بقرية بورنمذ «٦» من حدود سمرقند، حتى نفدت النبال، وتحطمت النصال، وتكسرت السمر «٧» الطوال. وخان الخان «٨» مقامه «٩»، وانفضّ عنه أقوامه، فاستقفاه الغزيّة في طلاب الأسلاب، حتى بردت أيديهم بالسبايا والنهاب، [١٠٥ ب] والغنائم الرغاب، وذلك في شعبان سنة أربع وتسعين وثلثمائة.

____

(١) إحدى بلدات بخارى. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٣١٦؛ P lamﷺ- al Hudud, ١١٣٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣١٦؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٥١١.

(٢) الإقليم الواقع بين نهري جيحون وسيحون. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٣١٦؛ P lamﷺ- al Hudud, ١١٣٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣١٦؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ٢١٣؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٥٠٣.

(٣) وردت في ب: التوز، وهو خطأ. وتسمى في المدن الأخرى (نور بخارى). عنها، انظر: الثامري- الجغرافيا التاريخية، ص ١١٤.

(٤) أي ساعده. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ١٥٩ (ملأ). وقد وردت في ب: ما يله.

(٥) وردت في ب: نفر.

(٦) وردت في ب: بوزبند. بورنمذ: إحدى قرى سمرقند. بينها وبين أشروسنة. وتبعد عن سمرقند ١٢ فرسخا. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٣٢٢؛ السمعاني- الأنساب، ج ٢، ص ٣١٥؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ١، ص ٥٠٦.

(٧) وردت في الأصل: الرمح.

(٨) وردت في ب: الخاني.

(٩) يقصد عدم استقرار الخان بمقامه.

وعاود الخان أرض الترك، فضم النشر، ونادى فحشر، ثم كرّ على ثأره، وبث على المنتصر شرر ناره. ووافق إقباله تراجع الغزّية إلى أوطانهم بما نهبوه، على عادتهم في كل ما غنموه. واستأنف الحرب على فضاء بين قريتي ديزك «١» وخاوس «٢» من أشرو سنة «٣». واستأمن المعروف كان بالحسن «٤» بن طاق إلى الخان في زهاء خمسة آلاف رجل من رفقائه عند اتقاد جمرات المصاع، واشتداد زفرات القراع. واضطر المنتصر إلى الانهزام. وحكّم الخان في أهل عسكره سيوف الانتقام، حتى رويت الأرض من دمائهم، وشبعت النسور من أشلائهم.

وسار المنتصر إلى شط جيحون فعبر على الرّمث «٥» لعدم السفائن «٦»، وخلو المعابر. ومضى إلى اندخود «٧» من أرض الجوزجان، محترسا من ركضة الخان، وأمر باستياق الدواب الراعية بها واقتسامها بين أهل جملته، وركب المفازة إلى قنطرة زاغول.

ولما بلغ السلطان يمين الدولة وأمين الملة خبره، أسرع الانحدار إلى بلخ لإعجاله عن تفاقم أمره واستفحاله. واتبعه [١٠٦ أ] بفريغون بن محمد في أربعين قائدا من

____

(١) ويقال لها أيضا: چيزك. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٣٢٦؛ al Hudud -ﷺP lam, ١١٥٠ ؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٤٣؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٥١٩.

(٢) وردت في ب: حارش. انظر: السمعاني- الأنساب، ج ٢، ص ٣١٥؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٤٢؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٥١٩.

(٣) وردت في النسخ: أسروشنة. وهو إقليم يقع شرق سمرقند، ويعد من أقاليم نهر سيحون. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٣٢٥؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٢٦٥؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٥١٧.

(٤) ورد في ب: بأبي الحسن، وورد المحسن عند ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٩١؛ وانظر: جرفادقاني- ترجمة تاريخ يميني، ص ١٩٧، ص ٢٨٢.

(٥) الرّمث: خشب يشد بعضه إلى بعض كالطّوف، ثم يركب عليه في البحر. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ١٥٥ (رمث). وقد وردت في ب: العمد.

(٦) أي لعدم توفر السفن.

(٧) وردت عند البلدانيين المسلمين بصور مختلفة. انظر: al Hudud -ﷺP lam, ١٠٧٠ ؛ السمعاني- الأنساب، ج ١، ص ٢١٥؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ١، ص ٢٦٠؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٦٨.

قواده، لطرد سواده، وحصد فساده، فأعجزهم «١» المنتصر وسار إلى جنابذ «٢» من قهستان ضرورة، إذا كانت جيوب الآفاق عليه مزرورة، فحيث أمّ شهرت عليه السيوف، وأنّى ألمّ أحدقت به الحتوف. ودلف إليه صاحب الجيش أبو المظفر نصر بن ناصر الدين في طغانجق والي سرخس، وأرسلان الجاذب والي طوس، يحثّون الظهور في الطلب، وينتزفون علالتها «٣» بين الركض والخبب، ففاتهم إلى جومند «٤»، ومنها إلى بسطام، فرماه شمس المعالي قابوس بن وشمكير بزهاء ألفين من الأكراد الشاهجانية، فأزعجوه عنها إلى بيار «٥» راجعا باللوم على من لقّنه الانحدار.

ولما ضاقت عليه المذاهب، وأحاطت به المعاطب، بادر بالسير إلى كورة نسا بدار من لا يمكث بدار، ولا يوطى ء الأرض جنب قرار. وتلقاه ابن سرخك الساماني بكتاب يزيّن له الانفتال إليه لمضامّته «٦» على أيلك الخان مواربة ومواراة، ومطابقة للخان عليه ومواطأة، فنازعته نفسه تقديم إجابته طمعا في وفائه، وتأميلا لعونه على [١٠٦ ب] ذمائه «٧»، فركب الخطار وسار حتى إذا بلغ بئر حمّاد من مفازة آمل، سبقه خيله إلى

____

(١) وردت في الأصل: فاعجز من، والتصحيح من ب.

(٢) وردت في ب: الجنابذ، وهي گناباد، أو ينابد: مدينة من إقليم قوهستان. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٧٣، ص ٢٧٤؛ al Hudud -ﷺP lam, ١٠٣٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٠١؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ٢، ص ١٦٥؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٤٢؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٣٩٨.

(٣) نزفت علالتها أي نفدت بقية اللبن في الضرع. والمقصود أن الناقة استخرجت ما عندها من السّير. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٣٢٥ (نزف)، مج ١١، ص ٤٦٩ (علل).

(٤) وردت عند ابن اسفنديار: جمند. تاريخ طبرستان، ج ٢، ص ٨؛ وعند المرعشي: جومند. تاريخ طبرستان، ص ١٩٣. انظر: لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٠٦.

(٥) مدينة صغيرة من أعمال قومس شرقي بسطام على شفير المفازة الكبرى، بين بسطام وبيهق. انظر: ياقوت- معجم البلدان، ج ١، ص ٥١٧؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٥٠؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٠٦.

(٦) لمساعدته. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٣٥٨ (ضمم).

(٧) الذّماء: بقية النفس، وبقية الروح في المذبوح. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٢٨٩ (ذمي).

الشط، فوافق ذلك جمود جيحون، فاغتنموا مفارقته «١» خلاصا مما منوا به من مكابدة الأسفار، وعدم الاستقرار، ووصل «٢» سهر الليل بدأب النهار. وتشاوروا في العبور إلى سليمان الحاجب، وصافي حاجبي «٣» أيلك الخان، فعبروا إليهما، وعرّفوهما أن الساماني بالقرب، وأن المحن قد «٤» طحطحته، والحوادث قد طحنته. فهو خلسة الطامع، ونهزة الطالب، وطعمة الأنياب والمخالب، فلم يشعر أبو إبراهيم المنتصر إلّا بالخيل مطلة عليه، فطاردهم ساعة ثم ولّاهم ظهر الفرار، وقبض على أخويه وخاصتهما برباط بشرى، وحملوا إلى أوزكند أسرى، فأحلّ المنتصر هربه حلة «٥» ابن بهيج «٦» الأعرابي من جملة العرب السيارة في تلك المفازة لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولًا «٧».

وكان المعروف بماه روي «٨» بندارا «٩» من جهة السلطان يمين الدولة وأمين الملة فيهم، وقد أوصاهم بالقعود «١٠» له «١١» بكل مرصد، وإذكاء العيون عليه عند كل مصدر «١٢» ومورد، فلما [١٠٧ أ] لبس الليل جلدة الغبش، وعرض على النجوم جيش الحبش «١٣»، وثب أهل تلك الحلة على المنتصر جهلا وغباوة، وقساوة وشقاوة، وأخفروا حق مقدمه،

---

(١) وردت في الأصل، وفي ب: مفازته. والتصحيح من د.

(٢) وردت في ب: ووصلوا.

(٣) وردت في ب: الحاجب.

(٤) إضافة من ب.

(٥) الحلّة: مجتمع القوم، وجماعة بيوت الناس. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ١٦٥ (حلل).

(٦) وردت في الأصل: نهيت. انظر ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٨٠.

(٧) سورة الأنفال، الآية ٤٢، الآية ٤٤.

(٨) ورد عند ميرخوند: ماهرو. روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٨٠.

(٩) البندار: الرئيس أو المسؤول.

(١٠) وردت في الأصل: بالعقود، والتصحيح من ب.

(١١) إضافة من ب.

(١٢) ساقطة في ب.

(١٣) يريد به ظلمة الليل.

وأحلّوا للأرض حرام دمه، فكأنما عناه أبو تمام حيث يقول «١»:

فتى مات بين الطعان والضرب ميتة ... تقوم مقام النصر إذ فاته النصر

وما مات حتى مات مضرب سيفه ... من الضرب واعتلّت عليه القنا السمر

فأثبت في مستنقع الموت رجله ... وقال لها من تحت أخمصك الحشر

غدا غدوة والحمد نسج ردائه ... فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر

مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة ... غداة ثوى إلا اشتهت أنها قبر

عليك سلام الله وقفا فإنني ... رأيت الكريم الحرّ ليس له عمر

ثم نقل قالبه «٢» إلى قرية ما يمرغ «٣» من قرى روذبار زم «٤»، ودفن بها في شهر ربيع الأول سنة خمس وتسعين وثلثمائة.

وبلغ السلطان يمين الدولة وأمين الملة خبره، فأمر بالقبض على ماه روي «٥» بندار، [١٠٧ ب] وإذاقته حر الإنكار. وشنّ الغارة على حلة ابن بهيج «٦» الأعرابي خاصة، وعلى سائر العرب السيّارة عامة. وصارت جمرة آل سامان رمادا تذروه «٧» الرياح، وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْ ءٍ مُقْتَدِراً «٨».

---

(١) ديوان أبي تمام، ص ٣٦٩.

(٢) يقصد جثمانه.
(٣) على شط جيحون، وهي ليست ما يمرغ نسف. انظر: السمعاني- الأنساب، ج ٥، ص ١٨٤؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ٥، ص ٥٠.
(٤) وردت في الأصل: روذبار، والإضافة من ب. قال السمعاني: يقال روذبار لعدة مواضع عند الأنهار الكبيرة، وهي في بلاد متفرقة. الأنساب، ج ٣، ص ١٠٠. ولذلك ميّزها العتبي بإضافتها إلى زمّ، وهي بليدة على طرف جيحون.
السمعاني- الأنساب، ج ٣، ص ١٦٥. تبعد نحو ١٠٠ ميل شرق آمل على الضفة اليسرى لجيحون. لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٤٥.
(٥) ساقطة في ب.
(٦) وردت في الأصل: نهيت.
(٧) وردت في ب: حيث تذروه.
(٨) سورة الكهف، الآية ٤٥.

١٩ ذكر الأمراء السامانية ومقادير أيامهم من حيث نجمت دولتهم إلى أن ورثها السلطان يمين الدولة وأمين الملة

ذكر الأمراء السامانية ومقادير أيامهم من حيث نجمت دولتهم إلى أن ورثها السلطان يمين الدولة وأمين الملة
كان ملك آل سامان بما وراء النهر وسائر بلاد خراسان بما ينضاف إليها في الوقت بعد الوقت من كور: سجستان وكرمان وجرجان وطبرستان والري إلى حدود أصفهان مائة سنة وسنتين اثنتين «١»، وستة أشهر، وعشرة أيام «٢». فأولهم أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد وهو الذي قبض على عمرو بن الليث بناحية بلخ يوم الثلاثاء النصف من شهر ربيع الأول «٣» سنة سبع وثمانين ومائتين، وولي خراسان ثماني سنين، ومضى لسبيله ببخارى ليلة الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة خمس وتسعين ومائتين منعوتا بالعدل والرأفة، موسوما بطاعة الخلافة.
وقام بعده «٤» أبو نصر أحمد بن إسماعيل، فملك [١٠٨ أ] ست سنين وثلاثة أشهر. وفتك به نفر من غلمانه بفربر ليلة الخميس لسبع بقين من جمادى الآخرة. وكان مقتديا بأبيه في إيثار النصفة، واختيار الأحدوثة الحسنة اقتداء الأبناء بالآباء في اختيار أفضل السنن، واتباع أحمد السنن «٥» إلى أن طوت الدنيا صحائف أيامهم كعادتها في الذين خلوا من قبل، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا «٦».
وسدّ مسدّ الشهيد «٧» أبو الحسن نصر بن أحمد، فملك ثلاثين سنة. [رفيع النجاد،

(١) ساقطة في ب.
(٢) هذا إذا لم تحسب أيامهم منذ عام ٢٦١ ه، وهو العام الذي حكم فيه إسماعيل بن أحمد بخارى نائبا لأخيه نصر ابن أحمد.
(٣) ورد في ب خطأ: الآخر. انظر: ابن الأثير- الكامل، ج ٦، ص ٤٠١.
(٤) وردت في الأصل مكررة.
(٥) السنن: الطريق. والسنن: جمع سنة وهي السيرة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٢٢٥، ص ٢٢٦ (سنن).
(٦) سورة الأحزاب، الآية ٦٢؛ سورة الفتح، الآية ٢٣.
(٧) اللقب الذي أطلق على الأمير أحمد بن إسماعيل بعد وفاته.

قوي العماد، وريّ الزناد، زكي المراد] «١». [و توفي ببخارى ليلة الخميس لثلاث بقين من رجب سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة] «٢». [و تلاه وارث الملك نوح بن نصر وهو الحميد، فملك اثنتي عشرة سنة] «٣» وثلاثة أشهر وسبعة أيام. وتوفي ببخارى يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة.

٢٠ ذكر الأحوال التي جمعت للأمير ناصر الدين سبكتكين وخلف بن أحمد والي سجستان من خلاف مرّة ووفاق أخرى، وما جرى بعد ذلك من الطوائل والترات «4» [109 أ] التي ثنت عنان السلطان يمين الدولة وأمين الملة إليه، وعطفت به إلى انتزاع الملك من يديه، وما جرى خلال ذلك من وقائعه في الهند إلى أن استتب له ما أراد في أمره بعون الله ونصره

وانتصب منصبه عبد الملك بن نوح، فملك سبع سنين وستة أشهر وأحد عشر يوما، وعثرت به دابته فسقط إلى الأرض سقطة حمل منها ميتا، وذلك عشيّ يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمسين وثلثمائة.

وخلفه في الولاية أخوه منصور بن نوح «٤» السديد «٥» خمس عشرة سنة وتسعة أشهر، وتوفي ببخارى يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة «٦» خلت من شوال [١٠٨ ب] سنة خمس وستين وثلثمائة.

وولي أمره نوح بن منصور إحدى وعشرين سنة وتسعة أشهر. وتوفي يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة سبع وثمانين وثلثمائة.

[و ملك بعده ولده أبو الحارث منصور بن نوح سنة وسبعة أشهر، فاعتقله بكتوزون بسرخس يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر، سنة تسع وثمانين وثلثمائة] «٧».

---

(١) ساقط في الأصل.

(٢) إضافة من: جوزجاني- طبقات ناصري، ج ١، ص ٢٠٩؛ ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٥٧.

(٣) ساقط في الأصل.

(٤) وردت في الأصل، وفي ب: ابنه منصور بن عبد الملك بن نوح. وهو خطأ، والتصحيح من د. انظر: جوزجاني- طبقات ناصري، ج ١، ص ٢١١؛ ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٦٢.

(٥) إضافة من ب.

(٦) ساقطة في ب، ود.

(٧) إضافة من ب.

٢٠ ذكر الأحوال التي جمعت للأمير ناصر الدين سبكتكين وخلف بن أحمد والي سجستان من خلاف مرّة ووفاق أخرى، وما جرى بعد ذلك من الطوائل والترات «4» [109 أ] التي ثنت عنان السلطان يمين الدولة وأمين الملة إليه، وعطفت به إلى انتزاع الملك من يديه، وما جرى خلال ذلك من وقائعه في الهند إلى أن استتب له ما أراد في أمره بعون الله ونصره

وبويع أخوه عبد الملك بن نوح فما استقرت «١» قدمه في الولاية حتى خرّت على يد السلطان يمين الدولة وأمين الملة دعامته، وشالت نعامته «٢»، فطار إلى بخارى. وقبض أيلك الخان عليه، وانتزع ولايتها من يديه، فكانت مدة أمره ثمانية أشهر وسبعة عشر يوما.

ثم أخوه المنتصر أبو إبراهيم إسماعيل بن نوح. وذلك حدثان ما ولي السلطان كور خراسان. وأقبل بعد ذلك يزداد في أسباب العلى جدّه وجدّه «٣»، ويتضاعف في رقاب الأعداء حدّه، فما يفترّ له شهر إلا عن ثغر مفتوح، وصنع ممنوح، وذكر على هامات الأعواد مرفوع، وباب إلى قضاء المنى والآمال مشروع.

ذكر الأحوال التي جمعت للأمير ناصر الدين سبكتكين وخلف بن أحمد والي سجستان من خلاف مرّة ووفاق أخرى، وما جرى بعد ذلك من الطوائل والترات «٤» [١٠٩ أ] التي ثنت عنان السلطان يمين الدولة وأمين الملة إليه، وعطفت به إلى انتزاع الملك من يديه، وما جرى خلال ذلك من وقائعه في الهند إلى أن استتب له ما أراد في أمره بعون الله ونصره

قد سبق في أول هذا «٥» الكتاب ذكر الأمير خلف بن أحمد فيما رآه السديد منصور بن نوح من ردّه إلى بيته، وإظهاره على خصمه إلى أن تهاوت رجوم الفتن بخراسان، ففرّغه اشتغال ولاتها بما دهاهم منها للاستجمام والاتداع «٦»، والاستظهار بما تخرجه له «٧» أرض سجستان من صنوف الارتفاع، حتى اتّسع نطاق همّته لطلب الفضول، ومنازعة القروم والفحول.

---

(١) في ب: واستقرت.

٢٠ ذكر الأحوال التي جمعت للأمير ناصر الدين سبكتكين وخلف بن أحمد والي سجستان من خلاف مرّة ووفاق أخرى، وما جرى بعد ذلك من الطوائل والترات «4» [109 أ] التي ثنت عنان السلطان يمين الدولة وأمين الملة إليه، وعطفت به إلى انتزاع الملك من يديه، وما جرى خلال ذلك من وقائعه في الهند إلى أن استتب له ما أراد في أمره بعون الله ونصره

(٢) شالت نعامته: خف وغضب ثم سكن. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٣٧٦ (شول).
(٣) الجدّ: الاجتهاد، والجدّ: الحظ. ابن منظور- لسان العرب، ج ٣، ص ١٠٧ (جدد).
(٤) جمع ترة وهي الحقد أو الجناية. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٢٧٤ (وتر).
(٥) إضافة من ب.
(٦) افتعال من الاسترخاء أي الراحة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٣٥ (تعع).
(٧) إضافة من ب.

ولما تصدى الأمير ناصر الدين سبكتكين لمواقعة ملك الهند حين تورد حدود الإسلام على ما نطق بشرحه صدر هذا «١» الكتاب، اغتنم خلف بن أحمد انتقاض بست عن الحفظة، وخلوها عن الشحنة، فأسرى إليها من اقتاض بيضتها «٢»، واقتض «٣» عذرتها، وحرّف كلمة الدعوة «٤» عنها، وغمس يده في أموالها فجباها، وجمعها فأوعاها. فلما أفلج «٥» الله ناصر الدين على الكافر اللعين، عطف العنان إلى بست ممتعضا من غدره، محتفظا من سوء [١٠٩ ب] حفاظه، فاتقاه أصحاب خلف بن أحمد بظهور العار، وأعقاب الإدبار والصغار. وهمّ ناصر الدين سبكتكين بمناهضته، واستخار الله تعالى في مناجزته، فأرسل إليه خلف من يتأوّل عليه في ذلك البعث محافظته «٦» على حكم الموالاة في حفظ ولايته، ويتضمن تصحيح ما صار في جبايته، ويتبرع بزيادة تقوم مقام الأرش «٧» عن جنايته، تفاديا عن ثقل وطأته على أعماله، وتصونا عن عورة الافتضاح في قتاله. فتغابى ناصر الدين عن شر غدره، كفّا ليد الاقتدار، واكتفاء منه بذلّ الاعتذار، [فكان مثله في ذلك كما قال أبو تمام:

ليس الغبي بسيد في قومه ... لكن سيد قومه المتغابي «٨»] «٩»

ثم طالبه بتصحيح المال حتى أداّه، وارتهن به بعض رضاه، فكانت الحال بينهما [من بعد] «١٠» قائمة على جملة المسالمة، إلى أن حدث من أمر أبي علي بن سيمجور في

---

(١) إضافة من ب.
(٢) أي كسرها. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٢٤٣ (نقض).
(٣) اقتض المرأة: أخذ عذرتها. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٢٢٠ (قضض).
(٤) أي غيّر وبدّل الدعوة لناصر الدين. ووردت في ب: صرف.
(٥) وردت في ب: أفلح. أفلج: فاز وتغلّب على خصمه. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٣٤٧ (فلج).
(٦) وردت في ب: مخافتته.
(٧) الأرش: الديّة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٢٦٣ (أرش).
(٨) ديوان أبي تمام، ص ٣٨.
(٩) إضافة من ب.
(١٠) إضافة من ب.

الجولة التي اتفقت له بباب نيسابور، وما تقدم «١» شرحه، فأظهر تقربا إلى ناصر الدين بمساعدته على خصمه، ومرافدته بنفسه، وسائر أهل جملته، امتنانا عليه بظاهر المظاهرة «٢»، وإضمارا للتشفي من أبي علي بمعونته الحاضرة، وقوته الباهرة، إذ كان قد وتره بقصد حصاره، وغزوه [١١٠ أ] في عقر داره، واقتساره بسيوف أنصاره.

وصحبه «٣» إلى بوشنج في جميع أشياعه وأتباعه، ثم خلفه بها ناصر الدين سبكتكين صيانة له عن كلفة السفر، وإبقاء عليه من خطة الخطر. وسار إلى طوس، لمواقعة «٤» أبي علي، وطلب الثأر المنيم «٥» عنده، حتى إذا طرده، ونفض عن شغل تلك الحرب يده، ردّ إلى خلف بن أحمد أصحابه مثقلين بالنعم الباهرة، وموشحين بالخلع الفاخرة، تقدمهم المراكب والجنائب، وتردفهم النجائب والرغائب.

فعادوا فأثنوا بالذي كان أهله ... ولو سكتوا أثنت عليه الحقائب

فصفت لذلك شريعة الحال بينهما عن قذى المواراة، وتجلّت عن عرمض «٦» المداجة والمداجاة «٧»، إلى أن عبر الأمير ناصر الدين سبكتكين «٨» النهر إلى ما ورائه، لمدافعة أيلك الخان عن ولاية الرضا برفق المناصحة، أو خرق المكافحة. ثم اقتضته صورة الحال مسامحته

٢٠ ذكر الأحوال التي جمعت للأمير ناصر الدين سبكتكين وخلف بن أحمد والي سجستان من خلاف مرّة ووفاق أخرى، وما جرى بعد ذلك من الطوائل والترات «4» [109 أ] التي ثنت عنان السلطان يمين الدولة وأمين الملة إليه، وعطفت به إلى انتزاع الملك من ببعض تلك البلاد، على أن يسلم له سائرها، ويأمن عنت العيث باديها وحاضرها،
إلى أن استتب له ما أراد في أمره بعون الله ونصره يديه، وما جرى خلال ذلك من وقائعه في الهند

---

(١) وردت في ب: سبق.
(٢) وردت في ب: المضاهرة.
(٣) معطوفة على أظهر، أي صحب خلف ناصر الدين.
(٤) وردت في الأصل: لموافقة.
(٥) أي الثأر الذي ينام صاحبه بعد أخذه نوما هانئا.
(٦) العرمض: طحلب الماء. ابن منظور- لسان العرب، ج ٧، ص ١٨٧ (عرمض).
(٧) يعني المهادنة. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٢٧٤ (دمج).
(٨) إضافة من ب.

وترامت إليه أثناء ذلك مكاتبة خلف بن أحمد أيلك الخان، مرهفا من غربه «١»، ومغريا إياه بحربه، طمعا في بست ونواحيها، وغزنة وما يليها. [١١٠ ب] وانضافت إليه بلاغات وقوارص «٢» برقت له من جانبه في أمر أبي علي، وإظهار الندامة على ما سبق من عونه عليه، والإفصاح على رؤوس الأشهاد، معرضا بأن اجتياح الملوك شؤم، واستباحة البيوتات لؤم، وضعف في الرأي معلوم.

فطار الغضب بناصر الدين كل مطار، وحدثته نخوة الاقتدار بالبدار إلى أرض سجستان، لإطفاء الغليل، وشفاء الداء الدخيل. فثناه كاتبه أبو الفتح [علي بن محمد] «٣» البستي عما نواه بالقول الرفيق، والرأي المؤيد بالتوفيق، ورشّ ماء التلطف على ذلك الحريق. وأراه أن بعض البلاغات زور، وأن القابل كالقائل مأخوذ بها موزور. وأن قلوب الرجال وحوش نافرة، وطيور في بحور الجو سابحة، فما يستمكن منها إلا بإعمال الحيل في نصب الحبائل، وتمكين الجوارح، ورمي البنادق، وبث الحبوب والمطاعم، ثم لا شى ء أيسر من إفلاتها عن حبالة القانص، وإرسالها من شرك الصائد، كذلك لا تصاد القلوب إلّا بأشراك الصنائع والعواطف، ولا تقاد إلا بأزمة الأيادي والعوارق، ولا تستفاد إلا بابتذال التوالد والطوارف. ثم [١١١ أ] الكلمة الجافية تهيج وادعها، وتطيّر واقعها، وتكدّر عليها مشارعها. وتلا عليه قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ «٤». ثم فسرها حتى نزل عن ظهر التعجّل «٥» إلى أرض التمهّل.

---

(١) أرهف السيف: حدّه. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ١٢٨ (رهف). والغرب: السيف القاطع. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٦٤١ (غرب).
(٢) جمع قارصة وهي الكلمة المؤذية. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٧٠ (قرص).
(٣) إضافة من ب.
(٤) سورة الحجرات، الآية ٦.
(٥) وردت في ب: التعليل.

وأنشدني أبو الفتح البستي في شرح ما دار بينه وبين ناصر الدين «١» لنفسه:

إذا شئت أن تصطاد حب أخي لبّ ... وتملك منه حوزة القلب والخلب
فأشركه في الخير الذي قد رزقته ... وأدخله بالإحسان في شرك الحب
ألم تر طير الجو تهوي مسفة ... لحبّ كقطر من ذرى الجو منصبّ
كذلك لا يصطاد ذو الرأي والحجى ... محبات حبات القلوب بلا حب

وكتب خلف بن أحمد بعد ذلك متنصلا عما عزي إليه، ومتبرئا مما نقم منه، فعفى ناصر الدين عما حكّ في صدره من أمره، وأغمض له عما امتاحه من قليب «٢» قلبه، وغدير غدره، وثبت باقي عمره على مداراته وملاطفته إلى أن أتاه اليقين من ربه، فانتقل إلى جوار رحمته وعفوه.

وبلغ السلطان يمين الدولة وأمين الملّة [١١١ ب] حلّه حبوة الزماتة «٣»، بإظهار الشماتة، فاستنشد قول القائل:

قل للذي يبغي خلاف الذي مضى ... تجهز لأخرى مثلها فكان قد

٢٠ ذكر الأحوال التي جمعت للأمير ناصر الدين سبكتكين وخلف بن أحمد والي سجستان من خلاف مرّة ووفاق أخرى، وما جرى بعد ذلك من الطوائل والترات «4» [109 أ] التي ثنت عنان السلطان يمين الدولة وأمين الملة إليه، وعطفت به إلى انتزاع الملك من يديه، وما جرى خلال ذلك من وقائعه في الهند إلى أن استتب له ما أراد في أمره بعون الله ونصره

ثم أسرّها في نفسه مرتقبا لميقات الفرصة في الإيقاع به، والاستشفاء منه، إلى أن ورث ملك خراسان نقي الأطراف عن غبرات الخلاف، سليم الآفاق عن عبرات الشقاق.

وقد كان خلف بن أحمد عند قيام السلطان باستصفاء المملكة قد بعث ابنه طاهر إلى قهستان فملكها، ثم عدل عنها إلى بوشنج فاستولى عليها. وكانت هراة وبوشنج برسم بغراجق أخي ناصر الدين، فلما وضع الله عن السلطان أوزار تلك الملاحم، أتاه عمه يستأذنه في «٤» طرد المتغلّب عن ولايته، وفلّ ما جدّ من حدّ نكايته. فأذن له فيه، وسار حتى إذا شارف بوشنج، تلقاه طاهر بن خلف بمن والاه من العديد تحت الحديد، فتناوشا

____

(١) وردت في الأصل: الدولة.

(٢) متح: استخرج الماء من البئر. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٥٨٨ (متح). والقليب: البئر. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٦٨٩ (قلب).

(٣) السكون والوقار. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٣٥ (زمت).

(٤) إضافة من ب.

الحرب قدّا للهام من خطوط المفارق، وقطا للأجسام من خصور المناطق، واستقاء للأرواح بأرشية «١» الرماح، واختلاء [١١٢ أ] للرؤوس بسيوف كسيوف الروس «٢»، ثم حمل بعضهم على بعض، فذهبت الميامن بالمياسر، والمياسر بالميامن. وانفلّ طاهر من بين يديه هزيما، واتبعه بغراجق يحث منه ظليما «٣».

وقد كان بغراجق «٤» قبل أن شمّر للحرب أصاب كؤوسا «٥» [نام عن سورتها طرف المحى، وكدرت عليه سريعة الرجاء، ل] «٦» يستيقظ بها أعين الطعن والضرب. فتضافر «٧» عليه ناران من كأس وبأس، حتى غفل بهما عن وثيقة التحزّم، وذهل معهما عن بصيرة التحفّظ والتحرّز، فغرّر بنفسه في اتباع خصمه اغترارا بخيال سكره، فلم يشعر إلا بطاهر ابن خلف قد كرّ عليه بضربة أقعصته «٨» في مكانه قتيلا. ونزل للوقت إليه من قطف علاوة أخدعيه «٩»، واقتسمت الهزيمة كلا الفريقين، فلم يعرف [القاتل من المقتول، ولا] «١٠» الغالب من المغلوب، ولا السالب من المسلوب، خلا ابن خلف، فإنه قفى آثار فلّه، بمن ردّهم إلى محله.

وورد الناعي «١١» على السلطان، فناله من الغمّ بفقد العمّ، ما ينال الوالد لفقد «١٢»

____

(١) جمع رشاء وهو حبل الدلو. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٣٢٢ (رشا).

(٢) الروس: الأمة الروسية. وهم مشهورون بنوع جيد من السيوف.

(٣) وردت في الأصل: ظلما.

(٤) إضافة من ب.

(٥) وردت في ب: كوسا.

(٦) ساقطة في ب.

(٧) وردت في ب: فتعاون.

(٨) أجهز عليه. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٧٨ (قعص).

(٩) الأخدعان: عرقان خفيّان في جانبي العنق. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٦٦ (خدع).

(١٠) ساقطة في ب.

(١١) وردت في ب: الشاعى.

(١٢) وردت في ب: لعدم.

واحده، والولد لافتقاد صنو والده، واستدل «١» بما اتفق لابن خلف على أحداق «٢» [١١٢ ب] الشقاء به وبأبيه، وإطباق البلاء عليه وعلى من يليه، وحدس أن البقرة تبحث عن المدية بروقيها «٣»، والنملة يقضي عليها نبات جناحيها، ولو عقل الفراش [لما عشا ما عاش] «٤» إلى ضوء نار ولا تهافت في مصرع بوار:

أسارت الفرس في أخبارها مثلا ... وللأعاجم في أيامها مثل

قالوا إذا جمل حانت منّيته ... أطاف بالبئر حتى يهلك الجمل

٢٠ ذكر الأحوال التي جمعت للأمير ناصر الدين سبكتكين وخلف بن أحمد والي سجستان من خلاف مرّة ووفاق أخرى، وما جرى بعد ذلك من الطوائل والترات «4» [109 أ] التي ثنت عنان السلطان يمين الدولة وأمين الملة إليه، وعطفت به إلى انتزاع الملك من يديه، وما جرى خلال ذلك من وقائعه في الهند إلى أن استتب له ما أراد في أمره بعون الله ونصره

وزحف السلطان في شهور سنة تسعين وثلثمائة إلى خلف بن أحمد وهو محتجز بحصار اصبهبذ- قلعة بينها وبين مجرى النجوم قاب قوسين، بل قيد سهمين، تحور عن مراماتها الأبصار، وتحار دون مساماتها الأطيار- محاصره بها ممنوعا عن فسحة الاختيار، ممنوا «٥» بشدة الاضطرار، مفجوعا براحة القرار، ولذة الغرار «٦»، حتى نخب الروع روعه، وودّع الروح روحه، فاستشعر البخوع «٧» والطاعة، وأظهر الخشوع والضراعة، وسأل سؤال مسكين «٨» مستكين أن ينفّس عن «٩» خناقه، ويرخي «١٠» من حبل إرهاقه «١١»، على أن يفتدي بمائة ألف [١١٣ أ] دينار «١٢»، وبما يليق بها من خدمة ونثار، وتحف ومبار. فأجابه

____

(١) وردت في ب: وأنشد.
(٢) وردت في الأصل: احداف.
(٣) الرّوق: القرن. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ١٣١ (روق).
(٤) إضافة من ب.
(٥) أي مبتلي ببلية. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٢٩٢ (مني).
(٦) وردت في ب: مفجوعا براحة الاتداع والقرار، ولذة التهجاع والغرار.
(٧) وردت في ب: النجوع. بخع بالطاعة: أقر بها. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٥ (بخع).
(٨) ساقطة في ب.
(٩) وردت في ب: من.
(١٠) وردت في ب: يوهي.
(١١) وردت في ب: ازهاقه.
(١٢) إضافة من ب.

السلطان إلى ما استدعاه، ووكل به من اقتضى «١» المال حتى استوفاه، وغادره كما هو في إسار الحصار، وخناق الوثاق، وفي نفسه قصد سجستان، لكنه أحب أن يجعل غزوة في «٢» الهند مقدمة لما توخّاه، وصدقة بين يدي نجواه، تبركا بما يجري [على يديه من] «٣» ارتفاع راية الدين، واتساع ساحة اليقين، وإنارة كلمة الصدق، وإغارة قوة الحق.

فتوغل بلاد الهند متوكلا على الله الذي هداه بنوره، وقضى له بالعز في مقدوره، وبالنّجح في تصاريف أموره، حتى انتهى إلى مدينة پرشور «٤»، فخيّم بظاهرها. وبلغه اجتراء عدو الله جيبال «٥» ملك الهند على لقائه، واستعجاله القضاء بمجاورة فنائه، فاستعرض الخيول من أبناء جريدته، وسائر الغزاة المطوعة «٦» في جملته. واختار للجهاد خمسة عشر ألف عنان من أعيان «٧» الرجال، وقروم الأبطال. وحظر أن يختلط بهم من ردّه الاختيار، وبهرجة الانتقاد، حتى إذا خلص عددهم على الانتخاب، و [١١٣ ب] اجتلاهم كجنّان «٨» الصرائم «٩» أو أسود الغاب. دلف بهم إلى قتال الهجين اللعين بقلوب كالهضاب ثابتة، وفروع صبر «١٠» على دوح الإخلاص نابتة. وأقبل الكافر الفاجر في اثني «١١» عشر ألف

____

(١) وردت في ب: اقتضاه.
(٢) إضافة من ب.
(٣) إضافة من ب.
(٤) ذكرها البيروني: پرشاور، وقال عنها: تقع على نهر المعبر، قريبة من قندهار. انظر: البيروني- تحقيق ما للهند من مقولة، ص ١٤٦، ص ١٥٠، ص ١٩٢، ص ٢٥٦؛ وانظر كذلك: الكرديزي- زين الأخبار، ص ٢٨٥؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ٢٥٩.
(٥) وردت في الأصل بدون نقط، وفي ب: جيباك.
(٦) وردت في ب: والمطوعة.
(٧) وردت في ب: فحول.
(٨) وردت في ب: كحيات، وهما بمعنى واحد. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٩٧ (جنن).
(٩) وردت في ب: الصوارم. الصرائم جمع صريمة أو صريم: القطعة المنقطة من معظم الرمل. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٣٦٦ (صرم).

٢٠ ذكر الأحوال التي جمعت للأمير ناصر الدين سبكتكين وخلف بن أحمد والي سجستان من خلاف مرّة ووفاق أخرى، وما جرى بعد ذلك من الطوائل والترات «4» [109 أ] التي ثنت عنان السلطان يمين الدولة وأمين الملة إليه، وعطفت به إلى انتزاع الملك من يديه، وما جرى خلال ذلك من وقائعه في الهند إلى أن استتب له ما أراد في أمره بعون الله ونصره

(١٠) وردت في الأصل: صبرا.
(١١) وردت في الأصل: اثناء.

فارس، وثلاثين ألف راجل، وثلثمائة فيل تئن الأرض من وطء أطرافها، وتخفّ «١» من ثقل أخفافها، حتى أناخ قبالة السلطان متطاولا «٢» بعدده، ومطاولا بقوة باعه ويده، يظن أن كثرة الجموع تطوي كتاب الله طيا، وتغني من أمر الله شيئا، ولو درس الجاهل كتاب الله، لقرأ: كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ [وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ] «٣» «٤».
وارتزّ الكافر بمكانه جانحا إلى المطاولة، متحرّزا بالمدافعة والمراوغة، انتظارا لمن وراءه من أوشاب «٥» الجيوش، وأوباش القبائل والشعوب، فأعجله السلطان عمّا حكم به من تقديم المطاولة، وتأخير المقابلة «٦»، وبسط عليه أيدي أولياء الله، فأوسعوهم حربا ونهبا، ومشقا ورشقا، وحزّا ووخزا، وحتّا وسحتا، فاضطر «٧» إلى الدفاع، وصلي نار القراع، فاصطفت عند ذلك الخيول، وخفقت الطبول، وزحفت الفيول، وأقبل بعضهم [١١٤ أ] على بعض يصول. وترامت النبال على الخصل «٨» ترامي ولدان الأصائل بالخشل «٩»، وتلألأت متون القواضب، تلألؤ برق الغيم جنح الغياهب، وفارت ينابيع الدماء كما فاضت مجاديح الأنواء. وتكاثر أولياء الله على جماهير المداببر، يؤزّونهم أزّا، ويحثونهم رقصا وجمزا، فلم ينتصف النهار إلا بانتصاف المسلمين من أعداء الله المشركين، وحكّموا السيوف في زهاء خمسة آلاف رجل «١٠»، فبسطوهم على العراء،

____
(١) وردت في ب: تقف.
(٢) وردت في ب: منصاولا.
(٣) إضافة من ب.
(٤) سورة البقرة، الآية ٢٤٩.
(٥) أخلاط الناس. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٧٩٦ (وشب).
(٦) وردت في ب: المقاتلة، وبالوجهين يتم المعنى.
(٧) وردت في ب: حتى اضطر.
(٨) الخصل: الإصابة في الرمي. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٢٠٦ (خصل).
(٩) الخشل: الردى ء من حمل شجرة الدوم وهي كالنخلة. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٢٠٥ (خشل)، ص ٦٢٨ (مقل).
(١٠) وردت في الأصل: رجال.

وأطعموهم سباع الأرض وطيور «١» الهواء، وجدل «٢» على صعيد المعترك خمسة عشر فيلا مغروزات العراقيب بأطراف النشاشيب، مخزوزات الخراطيم بأسياف النهاميم «٣». وأحيط بعدو الله جيبال «٤»، وبنيه، وحفدته، وبني أخيه، وذوي الصيت من رهطه، وذويه، فسيقوا بخزائم القسر والأسر إلى موقف السلطان، كما يساق المجرمون إلى النيران، وجوه عليها غبرة الكفران، ترهقها قترة الخذلان «٥»، فمن مكتوف إلى الظهر قهرا، أو مسحوب على الخد جرا، أو مضروب على الوريد صبرا. وحلّ مقلد «٦» جيبال «٧» عن نظيم مرصّع بفرائد الدرّ، والجواهر الزهر، واليواقيت الحمر، قوّم بمائتي ألف دينار. وأصيب أضعافه في أعناق المقتسمين [١١٤ ب] من قرابته بين قتل وأسر، والمطعمين شدقي ضبع ونسر، ونفل الله أولياءه ما فات حدّ الإحصاء، وجاز جهد الحصر والاستقصاء، وأغنمهم خمسمائة ألف رأس من روقة «٨» العبيد والإماء. وآب السلطان بمن معه من الأولياء إلى المعسكر غانمين وافرين ظاهرين «٩» ظافرين شاكرين الله رب العالمين.
وفتح الله على السلطان من ديار الهند أرضا، تتضاءل بلاد خراسان في جنبها طولا وعرضا. ووافقت هذه الوقعة الباهر «١٠» أثرها، السائر في الآفاق خبرها «١١»، يوم الخميس

____
(١) وردت في الأصل: طيهو.
(٢) جدله: صرعه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ١٠٤ (جدل).

٢٠ ذكر الأحوال التي جمعت للأمير ناصر الدين سبكتكين وخلف بن أحمد والي سجستان من خلاف مرّة ووفاق أخرى، وما جرى بعد ذلك من الطوائل والترات «4» [109 أ] التي ثنت عنان السلطان يمين الدولة وأمين الملة إليه، وعطفت به إلى انتزاع الملك من يديه، وما جرى خلال ذلك من وقائعه في الهند إلى أن استتب له ما أراد في أمره بعون الله ونصره

(٣) النّهام: الأسد. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٥٩٤ (نهم)، ووردت في ب: اللهاميم، وبالوجهين يستقيم المعنى.

(٤) وردت في ب: جيباك.

(٥) إقتباس من قوله تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ* تَرْهَقُها قَتَرَةٌ سورة عبس، الآيتان ٤٠، ٤١.

(٦) يقصد القلادة.

(٧) وردت في ب: جيباك.

(٨) الرّوق: الإعجاب، ومنه اشتقت الرّوقة وهو ما حسن من الوصائف والوصفاء. يقال: وصيف روقة، ووصفاء روقة. ابن منظور- لسان العرب، ج ١٠، ص ١٣٤ (روق).

(٩) ساقطة في ب.

(١٠) وردت في ب: الباهرة.

(١١) وردت في ب: أخبارها.

الثامن من المحرم سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة. ولما وضعت هذه الحرب أحمالها، وحطّت عن الظهور أثقالها، أحبّ السلطان أن يصرف چيبال «١» وراءه، ليراه بنوه وذووه في شعار العار، وإسار الخسار، وتستطير هيبة الإسلام في ديار الكفار، فواقفه على خمسين رأسا من خفاف الأفيال، وارتهن ابنا وحافدا له على الوفاء بها على الكمال.

وعاد الكافر وراءه، حتى إذا استقر مكانه، كاتب ابنه أندپال، [و شاهيّته «٢» وراء سيحون «٣»] «٤» يشكو إليه ما عراه من الفاقرة الكبرى، والداهية العظمى، وسأله [سؤال ملحف «٥»] «٦» أن يؤدي عنه الضمان، بما عزّ وهان. فساق إليه الفيول، وصرف الرسول.

وسيقت جملتها إلى [١١٥ أ] السلطان، فأمر بالإفراج عن أولئك الرهائن، وكسع «٧» أدبارهم نحو تلك المدائن.

وحدّث نفسه أندپال بأن أباه قد لبس بردة الخرف، وعضّ على جرة الهرم، وقد

____

(١) وردت في ب: الجبت، وهو الصنم والكاهن والساحر والطاغوت والشيطان، وكل ما عبد دون الله. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٢١ (جبت).

(٢) الشاهيّة: الحكومة أو السلطنة. التونجي- المعجم الذهبي، ص ٣٦٥.

(٣) من غير الممكن أن يكون نهر سيحون. والأرجح أن يكون نهر سندروذ وهو أحد روافد نهر السند. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ١٨٠؛ P lamﷺ- al Hudud, ٧٢٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٤٨٣؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٣٦٩. ورجّح محقق زين الأخبار للكرديزي أنه نهر السند. ص ٣١٠.

وانظر: البيروني- تحقيق ما للهند من مقولة، ص ١٩٢ - ١٩٣. وقال المنيني: «ماء نانة وماء السند يمتزجان فيصيران نهرا واحدا، وذلك بين برشاور وبلالة ود». شرح اليميني، ج ١، ص ٣٦٥.

(٤) إضافة من ب.

(٥) ألحف السائل: ألحّ. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٣١٤ (لحف).

(٦) ساقطة في ب.

(٧) الكسع: أن تضرب بيدك أو برجلك، بصدر قدمك على دبر إنسان أو غيره. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٣٠٩ (كسع).

طلع عليه نسر «١» الأسر، ودبران «٢» الإدبار، وعوته عوّى «٣» الامتحان، وشالت به شولة «٤» الخذلان، فقد حان أن يلقى حينه، ويتقاضى عليه الزمان دينه. ومن سنتهم «٥» المطاعة فيهم، أن من حصل منهم في أيدي التائية «٦» - وهم المسلمون- أسيرا، لم تنعقد له من بعد رئاسة، ولم تستتم له زعامة وسياسة. ولما رأى چيبال حصوله بين قيد الهرم وقدّ المذلّة، آثر النار على العار، والمنية على الدنيّة، فبدأ بشعره «٧» فحلق، ثم تحامل على النار حتى احترق.

ولما استتب للسلطان ما أراد، وانقاد له ما اقتاد «٨»، ارتاح لغزوة أخرى يطرز «٩» بها ديباجة مقامه، ويعلم بجمالها عذبات أعلامه، فمال نحو ويهند «١٠»، فضرب عليها بكلكل الاقتدار، حتى افتتحها صغرا، واعتاض منها بعد العسر يسرا.

____

٢٠ ذكر الأحوال التي جمعت للأمير ناصر الدين سبكتكين وخلف بن أحمد والي سجستان من خلاف مرّة ووفاق أخرى، وما جرى بعد ذلك من الطوائل والترات «4» [109 أ] التي ثنت عنان السلطان يمين الدولة وأمين الملة إليه، وعطفت به إلى انتزاع الملك من يديه، وما جرى خلال ذلك من وقائعه في الهند إلى أن استتب له ما أراد في أمره بعون الله ونصره

(١) من الكواكب. الخوارزمي- مفاتيح العلوم، ص ٢٣٦.
(٢) من الكواكب. الخوارزمي- مفاتيح العلوم، ص ٢٣٨.
(٣) من الكواكب. الخوارزمي- مفاتيح العلوم، ص ٢٣٨.
(٤) من الكواكب. الخوارزمي- مفاتيح العلوم، ص ٢٣٩.
(٥) وردت في الأصل: سنه.
(٦) يذكر في هذا المجال أن الفرس يطلقون على العرب (تازيك) وهي كلمة فهلوية، وجمعها (تازيكان- تازيان) حتى إن الملك بيوراسب (و هو الازدهاق) يسمى عندهم (ضحاك تازي) لأنه أبو العرب كما يزعمون. وقد انتقلت هذه الكلمة من الفارسية إلى الصينية. وهناك مناقشة دقيقة لكل ما يتعلق بهذه الكلمة في: رحمة الله يف- الحضارة الإسلامية في تاجيكستان، ص ١٥. وانظر: الطبري- تاريخ، ج ١، ص ١٩٤؛ جوزجاني- طبقات ناصري، ج ١، ص ١٣٦؛ الدوري- العصر العباسي الأول، ص ١٤٩ هامش (١)؛ عميد- فرهنك عميد، ج ١، ص ٦٣٠؛ التونجي- المعجم الذهبي، ص ١٨١.
(٧) وردت في ب: بشعر رأسه.
(٨) وردت في ب: اقتاده.
(٩) وردت في ب: يطرد.
(١٠) قصبة قندهار، وتقع على الشاطئ الشمالي لنهر السند. انظر: المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٤٧٧؛ البيروني- تحقيق ما للهند من مقولة، ص ١٤٦، ص ١٩٢؛ الكرديزي- زين الأخبار، ص ٢٨٥؛ جوزجاني- طبقات ناصري، ج ١، ص ٢٢٨.

وبلغه لياذ طوائف من «١» الهنود بشعاب تلك الأعلام، واستتارهم بخمر الغياض والآجام، متحدثين بالتحزّب للفساد، والتألّب على العناد، فأغزاهم جيشا يدوّخ [١١٥ ب] مجالهم، ويفرّق قبل الوصول أوصالهم، فولغت فيهم السيوف حتى رويت من رشاش دمائهم، وصدئت من مخالطة أحشائهم وذمائهم «٢»، وتهارب من سلم من ظباتها كالأوعال في ريود «٣» تلك الجبال، يرون الكواكب ظهرا، والمنايا سودا وحمرا، وذاقوا وبال أمرها، وكانت «٤» عاقبة أمرها خسرا، وانقلبت رايات السلطان إلى غزنة خافقة بالنجح الشائع، والفتح الرائع، والحول المتين، والنصر المستبين، وقد أشرق وجه الإسلام، وابتسم ثغر الإيمان، وانشرح صدر الملّة، وانقصم ظهر الشرك والبدعة.
وقد كان خلف بن أحمد عند انصراف راية «٥» السلطان عن وجهه، عهد إلى ولده طاهر في أعمال سجستان، وأسند أمورها إليه إيثارا له على نفسه، وهداء «٦» لكريمة الملك إليه قبل وقته، تثبيتا «٧» لها في ملكه، قبل استحقاقه إياها بإرثه، تعريضا للسلطان باستعفائه عن الملك، وإقباله على النسك، واعتياضه تواضع العبادة، عن ترفّع السيادة، ليقطع بخروج الأمر عن يده طمعه عن قصده وحصده «٨». فلما تنفست «٩» المدة على ما ولّاه، نطقت شواهد الجحود في اختياره، وبدت نواجذ العقوق عن ثني آثاره. فلم يزل يلاطفه ويداريه،

____
(١) ساقطة في ب.
(٢) ساقطة في ب.
(٣) جمع ريد وهو نتوء ظاهر في الجبل. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ١٩١ (ريد).
(٤) وردت في ب: كان.
(٥) إضافة من ب.
(٦) وردت في ب: هديا، هداء مصدر هدى العروس إلى زوجها، فشبّه الملك بالعروس. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٣٥٨ (هدي).
(٧) وردت في ب: وتثبيتا، حذفنا الواو لعدم انسجامها في هذا الموقع، فالجملة ليست معطوفة على ما سبقها، وإنما هي تفسيرية، تثبيتا لها أي لكريمة الملك.
(٨) وردت في الأصل: وقضده (مكررة).
(٩) إضافة من ب.

٢٠ ذكر الأحوال التي جمعت للأمير ناصر الدين سبكتكين وخلف بن أحمد والي سجستان من خلاف مرّة ووفاق أخرى، وما جرى بعد ذلك من الطوائل والترات «4» [109 أ] التي ثنت عنان السلطان يمين الدولة وأمين الملة إليه، وعطفت به إلى انتزاع الملك من حتى أعماه عما [١١٦ أ] نواه «١» فيه. ثم تمارض «٢» في الحصار المذكور، واستدعى ابنه لقبول الوصيّة، وتسليم الودائع الخفيّة، يديه، وما جرى خلال ذلك من وقائعه في الهند إلى أن استتب له ما أراد في أمره بعون الله ونصره

فغفل «٣» عن سرّ التدبير، وتدبّر العقاب والنكير، وأقبل «٤» إقبال طرفة بن العبد، على خصلتي الضبع، من ضرب الجيد أو حز الوريد «٥».

و قد كان خلف بن أحمد كمن له مقانب «٦» من جيشه، فأحاطوا به إحاطة خيل الزّباء بجذيمة الوضّاح «٧»، إلى أن حصل في معتقله «٨»، وحبس في مكمن أجله، وبقي في السجن على حاله، إلى أن أخرجت جنازته محالا «٩» عليه في قتل نفسه، والجناية على روحه ودمه.

و لما سمع طاهر بن زيد صاحب جيش خلف بن أحمد، وسائر القواد بسجستان، ما جرى في أمر طاهر، دخلت في طاعته ضمائرهم، ونغلت «١٠» في موالاته سرائرهم، وانتقضت خوف الأسوة فيه مرائرهم «١١». وضبطوا تلك المدينة على طاعة

____

(١) وردت في ب: نفاه.

(٢) أي خلف بن أحمد.

(٣) وردت في ب: ففعل.

(٤) إضافة من ب.

(٥) طرفة بن العبد شاعر جاهلي قتله عمرو بن هند ملك الحيرة بواسطة عامله على البحرين الذي خيّره بين القتل والقتل. عنه، انظر: ابن قتيبة- الشعر والشعراء، ص ٧٦. وفيه إشارة لأحد أمثال العرب، يقال: إن ضبعا اصطادت ثعلبا، فحاول الثعلب الفكاك من فمها، فقالت له الضبع: أخيّرك بين خصلتين، إما أن آكلك، وإما أن أمزقك ...

الخ. انظر: الميداني- مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٢٠٢.

(٦) جمع مقنب: جماعة الخيل والفرسان، قيل: ما بين الثلاثين إلى الأربعين، وقيل: زهاء ثلثمائة.

انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٦٩٠ (قنب).

(٧) إشارة إلى أحد أيام العرب قبل الإسلام. عنه، انظر: تاريخ الطبري، ج ١، ص ٦١٨.

(٨) وردت في الأصل: متعلقه.

(٩) أي أحيلت عليه تهمة قتل نفسه.

(١٠) نغل: فسد وتغير. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٦٧٠ (نغل).

(١١) جمع مريرة وهي في الأصل الحبل المفتول جيدا. ويقال للرجل إذا خاف: انتقضت مريرته. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ١٦٨ (مرر).

السلطان ومشايعته، وأرسلوا إليه بما أوجبوه من التمسك «١» بحبل الطاعة، والتنسك بدين الجماعة، وسألوا إنهاض من يتولى تسليم «٢» الناحية منهم، ليبتدروا «٣» إلى بابه، ويتعطروا بلثم ترابه. ففعل السلطان ما سألوه، وجزاهم الخير على ما فعلوه. وأقيمت الدعوة للسلطان بها في «٤» سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة.

و لما فتح الله رتاجها، ويسّر له انفراجها، عزم على قصد خلف، وحسم [١١٦ ب] دائه، وكفاية الخاصة والعامة عوادي مكره ودهائه، وهو يومئذ في حصار الطاق، ومن صفته أنه ذو سبعة أسوار رفيعة الجدران، منيعة البنيان، وثيقة الأركان، يحيط «٥» بها خندق بعيد القعر، فسيح العرض «٦»، منيع المخاض، لا يعبر إلّا من طريق [واحد في] «٧» مضيق على جسر يطرح عند الحاجة، ويرفع عند «٨» الاستغناء عنه. فعسكر السلطان حواليه، محيطا به من جوانبه إحاطة المحيط بنقطة المركز. وجعل يستقرى ء بالرأي وجه الحيلة، في طمّ ذلك الخندق وكبسه، ليستدفّ «٩» على الفارس والراجل خوضه وعبوره. وكانت حوالي معسكره «١٠» منابت أثل وطرفاء «١١» ذوات احتفاف والتفاف، ففرض على أهل عسكره خاصتهم وعامتهم، راجلهم وفارسهم، عضد ما

____

(١) وردت في ب: التنسك.

(٢) إضافة من ب.

(٣) وردت في ب: ليهتدوا.

(٤) إضافة من ب.

٢٠ ذكر الأحوال التي جمعت للأمير ناصر الدين سبكتكين وخلف بن أحمد والي سجستان من خلاف مرّة ووفاق أخرى، وما جرى بعد ذلك من الطوائل والترات «4» [109 أ] التي ثنت عنان السلطان يمين الدولة وأمين الملة إليه، وعطفت به إلى انتزاع الملك من يديه، وما جرى خلال ذلك من وقائعه في الهند إلى أن استتب له ما أراد في أمره بعون الله ونصره

(٥) إضافة من ب.
(٦) وردت في الأصل: الأرض.

---

(٧) إضافة من ب.
(٨) وردت في ب: وقت.
(٩) استدفّ أمره: استتب واستقام. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ١٠٦ (دفف).
(١٠) وردت في ب: عسكره.
(١١) نوعان من الشجر. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٢٢٠ (طرف)، مج ١١، ص ١٠ (أثل).

يمكنهم «١» عضده منها، أضغاثا «٢» وحزما تلقم عرض الخندق، ليستتب ظهر المجال والمخترق.

و بادر الناس إليه، فلم تشرف شمس النهار على التكبيد، حتى أعرض عرض المخاضة من جانب باب الحصار للركوب، وثار «٣» إليه عند ذلك الخيول، وتبعتها الفيول.

و مانع أصحاب خلف بن أحمد من شرفات الحصار، بقذافّات «٤» الأحجار. واشتعلت الحرب بينهم تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ «٥». وتنحي على القصرات «٦» بالفرس «٧» [١١٧ أ] والقسر. وزحف «٨» الفيل العظيم إلى باب الحصار، فاقتلعه بنابيه، وزخّ به في الهواء، فانحطّ إلى الأرض من حالق، وقتل من أصحاب خلف الجمّ الغفير، ولجأ الباقون على أطراف الحاجز، إلى السور الداخل. وذمر عسكر السلطان على الحصار. وتماسك أصحاب خلف فوق شرفات السور «٩» الآخر مناضلين عنها بأحجار المجانيق، وأطراف الحراب والمزاريق. واطّلع خلف بن أحمد عند اشتداد الخطب على ملتقى الفريقين، فرأى هول المطّلع، ورأى تموج الفضاء بعفاريت الأنجاد، على شياطين الجياد. وتطاير النبال كرجل الجراد «١٠»، وترامي الحراب كعزالي السحاب، وفيح «١١» الدماء كسيح

---

(١) وردت في الأصل: يمكن.
(٢) جمع ضغث وهو الحزمة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ١٦٣ (ضغث).
(٣) وردت في ب: سار.
(٤) وردت في الأصل: بقذفات. والقذّاف: المنجنيق. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٢٧٧.
(٥) سورة المرسلات، الآية ٣٢.
(٦) جمع قصرة، وهي الرقبة وأصل العنق. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ١٠١ (قصر).
(٧) الفرس: قطع العنق، والمقصود هنا، دقّ العنق. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ١٦٠ (فرس).
(٨) وردت في الأصل: فرحل.
(٩) وردت في ب: لبكور.
(١٠) الجراد الكثير. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٢٧٣ (رجل).
(١١) فيح الدماء: إسالة الدماء وسفكه. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٥٥٠ (فيح).

السماء. وعاين «١» الفيل قد أهوى إلى بعض أصحابه بخرطومه، فرمى به في الهواء قاب رمحين، ثم تلقّاه بنابيه، وأقبل على «٢» الآخرين «٣» يدوسهم بمنسميه، ثم أنحى على الباب بمنكبيه، فزعزعه بعضادتيه، واقتلعه بضباب «٤» الحديد عليه «٥»، فاستطار عند ذلك قلبه، وجاش وارتاع روعه، واضطره هول المقام، وفزع الاصطلام إلى طلب الأمان، واستغاثة السلطان، فكفّ عنه يد الإحراج، ووضع عنه سوط الانتقام، كرما غذاه [١١٧ ب] الله بدرّه، وأطربه بنشوة خمره.

و أقبل خلف بن أحمد على بذله الجائزة «٦»، حتى استؤذن له على السلطان، فدخل وأهوى إلى الأرض بشيبته البيضاء، متعززا بذلّ الخدمة. وغشّى البساط من سبح الجواهر والفرائد، بما كسف النهار وخطف الأبصار، نثارا ينوب عنه في شكر ما أذاقه من برد العفو والرحمة، وحماه من حريم الروح والمهجة. فتكرّم السلطان بالرفع من قدره، وضمّ يده عند التقريب إلى صدره، تناسيا لما سبق من هناته، وتغابيا عما أقدم من ذحوله وتراته، وحكّمه في احتمال ما أحب من زبد «٧» يساره «٨»، وذخائر حصاره، وخيّره في المقام حيث شاء من ديار ممالكه وأمصاره. فاختار أرض الجوزجان، استرواحا إلى نسيم هوائها، واستعذابا لنمير مائها، واتساعا في مراتع الصيود

٢٠ ذكر الأحوال التي جمعت للأمير ناصر الدين سبكتكين وخلف بن أحمد والي سجستان من خلاف مرّة ووفاق أخرى، وما جرى بعد ذلك من الطوائل والترات «4» [109 أ] التي ثنت عنان السلطان يمين الدولة وأمين الملة إليه، وعطفت به إلى انتزاع الملك من حول أرجائها. وأمر السلطان بتسييره إليها في هيئة ذوي الهيبة، معافى بلباس «٩» الصيانة عن عورة المهانة. فأقام بها قرابة أربع سنين في ظل الترفيه، وساعدته القناعة بما هو فيه.
يديه، وما جرى خلال ذلك من وقائعه في الهند إلى أن استتب له ما أراد في أمره بعون الله ونصره

____
(١) أي خلف بن أحمد.
(٢) ساقطة في ب.
(٣) وردت في ب: آخرين.
(٤) وردت في النسخ: ضبات. والضباب جمع ضبة وهي حديدة عريضة يضبب بها الباب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٥٤١ (ضبب).
(٥) إضافة من ب.
(٦) الجائزة: العطية. والمقصود هنا الرشوة.
(٧) وردت في ب: زند.
(٨) زبد يساره: يقصد خيراته.
(٩) وردت في ب: بلسان.

ثم أنهي إلى السلطان مراطنة بينه وبين أيلك الخان، بملطفات «١» سيّرها إليه، ورسالات [١١٨ أ] أغراه بها عليه، فاقتضاه الاحتياط نقله إلى جرديز «٢»، إبقاء عليه من صدق ما أضيف إليه، واستتماما للصنيعة لديه، واحتراسا مما يلجأ إليه من أباطل ذلك الإفضال، وتكدير «٣» ذلك الغدير. فبقي هناك على جملته إلى أن حقّت عليه القضيّة، واخترمته المنيّة، وذلك في رجب سنة تسع وتسعين وثلثمائة.

وأمر السلطان بحفظ جميع ما تخلّف عنه على ولده أبي حفص، وتقريره في يده، وتمكينه من خدمته.

و أنشدني أبو منصور الثعالبي لنفسه فيه حين وهى أمره، وصفرت عن الملك يده:

من ذا الذي لا يذلّ الدهر صعبته ... ولا تلين يد الأيام صعدته «٤»

أما ترى خلفا شيخ الملوك غدا ... مملوك من فتح العذراء بلدته

و كان بالأمس ملكا لا نظير له ... فاليوم في الأسر لا ينتاش «٥» أسرته

و كان خلف بن أحمد مغشي «٦» الجناب من أطراف البلاد، لسماحة كفّه، وغزارة سيبه، وإفضاله على أهل العلم وحزبه. وقد مدح على ألسنة الشعراء والعلماء بما هو سائر، وذكره في الآفاق «٧» طائر. وكان قد جمع العلماء على تصنيف كتاب في تفسير كتاب الله تعالى، [١١٨ ب] لم يغادر فيه حرفا من أقاويل المفسرين، وتأويل المتأولين، ونكت

____
(١) وردت في ب: ملاطفات. والملطفات كتب سرية قصيرة، وتكون عادة في الأمور العاجلة، مفردها ملطفة. ولعلها مشتقة من الفعل لطف يلطف: دقّ وصغر. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٣١٦؛ وانظر: البيهقي- تاريخ، ص ٨٠٥؛ دهمان- ولاة دمشق، ص ١٦٤.
(٢) وردت في ب: خرذيز.
(٣) وردت في ب: تغدير.
(٤) الصعدة: الرمح المستقيم الكعب. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٢٥٥ (صعد). وهذا البيت فقط ذكره الثعالبي في المبهج، ص ١٠٥.
(٥) ينقذ. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٣٦٢ (نوش).
(٦) غشيه غشيانا: أتاه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ١٢٧ (غشا).
(٧) وردت في الأصل: الأرض.

المذكّرين. وأتبع ذلك بوجوه القراءات، وعلل النحو والتصريف، وعلامات التذكير والتأنيث، ووشّحه «١» بما رواه عن الثقات الأثبات [من الحديث] «٢». وبلغني أنه أنفق عليهم مدة اشتغالهم بمعونته على جمعه وتصنيفه عشرين ألف دينار، ونسخته «٣» بنيسابور موجودة في مدرسة الصابوني «٤»، لكنها تستغرق عمر الكاتب «٥»، وتستنفد حبر «٦» الناسخ، إلا أن يتقاسمها النسّاخ «٧» بالخطوط المختلفة. وأخبرني أبو الفتح [علي بن محمد] «٨» البستي [رحمه الله] «٩»، قال: كنت عملت فيه ثلاثة أبيات من غير قصد لتبليغها إياه، لكنها

٢٠ ذكر الأحوال التي جمعت للأمير ناصر الدين سبكتكين وخلف بن أحمد والي سجستان من خلاف مرّة ووفاق أخرى، وما جرى بعد ذلك من الطوائل والترات «4» [109 أ] التي ثنت عنان السلطان يمين الدولة وأمين الملة إليه، وعطفت به إلى انتزاع الملك من يديه، وما جرى خلال ذلك من وقائعه في الهند إلى أن استتب له ما أراد في أمره بعون الله ونصره

سارت على ألسنة الرواة «١٠» إليه، فلم أشعر إلا بصرة فيها ثلثمائة دينار أتحفني بها على يد بعض ثقاته صلة لي على ما قلته وعملته.

والأبيات هذه:

خلف بن أحمد أحمد الأخلاف ... أربى بسؤدده على الأسلاف

خلف بن أحمد في الحقيقة واحد ... لكنه مرب على الآلاف

أضحى لآل الليث «١١» أعلام الورى ... مثل النبي لآل عبد مناف «١٢»

فقلت له: قريب من هذه الصورة حديث إبراهيم بن هلال الصابي [١١٩ أ] وذلك أن

____

(١) وردت في ب: وشحها.

(٢) إضافة من ب.

(٣) وردت في ب: نسختها.

(٤) أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني، الخطيب، المفسر، المحدث، الواعظ. انظر: الصريفيني- المنتخب، ص ١٣١، ص ٢٧٥.

(٥) وردت في ب: الكاتيب.

(٦) وردت في ب: صبر.

(٧) في الأصل: الناسخ، وفي ب: الناس. والتصحيح من د.

(٨) إضافة من ب.

(٩) ساقطة في ب.

(١٠) ساقطة في ب.

(١١) آل الليث هم الصفارون أجداد خلف بن أحمد.

(١٢) انظر: الخولي- أبو الفتح البستي، ص ٢٧٨.

رسولا لسيف الدولة كان قدم «١» مدينة «٢» السلام، فطلب شيئا من شعره على لسان صاحبه، فدافعه إلى أن أزف ارتحاله، وأتاه عند الوداع ملحا عليه في تنجزه، فأعطاه عجالة الوقت قوله:

إن كنت خنتك في المودة ساعة ... فذممت سيف الدولة المحمودا

و زعمت أن له شريكا في العلى ... وجحدته في فضله التوحيدا

قسما لو اني حالف بغموسها ... لغريم دين ما أراد مزيدا «٣»

فلما عاد الرسول إلى الحضرة، حمل إليه صرة فيها ثلثمائة دينار موسومة باسمه.

و للشيخ أبي الفتح البستي فيه يمدحه أيضا «٤»:

من كان يبغي علوّ الذّكر والشرفا ... ويبتغي عطف دهر قد نبا وجفا

أو كان يأمل عند الله منزلة ... تنيله قرب الأبرار والزّلفا

أو كان يطلب دينا يستقيم به ... ولا يرى عوجا فيه ولا جنفا

أو كان ينشد مما فاته خلفا ... فليخدم الملك العدل الرضا خلفا

الوارث العدل والعلياء من سلف ... حثوا بعليائهم في وجه من سلفا

المؤثر القصد في أنحاء سؤدده ... فإن أراد عطاء آثر السرفا [١١٩ ب]

اذا التوى عنق ولى حكومته ... سيفا إذا ما اقتضى حقا له انتصفا

و السيف أبلغ للأعناق موعظة ... كم من صليف حماه حده الصّلفا

و إن بدا كلف في وجه مكرمة ... جلا بلا كلف في وجهه الكلفا

رضاه يصرف عمن يستجير به ... صرف الزمان إذا ما نابه صرفا

إذا اقشعرّ زمان من جدوبته ... أغنى الورى وكفى جود له وكفا

____

(١) وردت في ب: قد هرم.

Shamela.org

٢٠ ذكر الأحوال التي جمعت للأمير ناصر الدين سبكتكين وخلف بن أحمد والي سجستان من خلاف مرّة ووفاق أخرى، وما جرى بعد ذلك من الطوائل والترات «4» [109 أ] التي ثنت عنان السلطان يمين الدولة وأمين الملة إليه، وعطفت به إلى انتزاع الملك من يديه، وما جرى خلال ذلك من وقائعه في الهند إلى أن استتب له ما أراد في أمره بعون الله ونصره

(٢) وردت في ب: بلد.

(٣) أورد الثعالبي هذه الأبيات. يتيمة الدهر، ج ١، ص ٥٠٤.

(٤) وردت في الأصل: أيضا فيه يمدحه.

بسخطه يدع الأفلاك خائفة ... والشمس حائرة والبدر منكسفا

يرى التوقف في يومي وغى وندى ... وصما فإن عنّ رأي مشكل وقفا

لله نصل ضئيل في أنامله ... أعاد حظّي سمينا بعدما نحفا

يهين أمواله كي يستفيد بها ... عزّا يؤثّل في أعقابه الشرفا

و المرء للّوم في أحواله هدف ... إن لم يكن ماله من دونه هدفا

لا يلحق الواصف المطري معانيه ... وإن يكن سابقا في كل ما وصفا

و أنشدني أبو الفضل الهمذاني قصيدته التي «١» مدح «٢» بها خلف بن أحمد، وأولها:

سماء الدجى ما هذه الحدق النجل ... أصدر الدجى حال وجيد الضحى عطل

لك الله من عزم أجوب جيوبه ... كأني في أجفان عين الردى كحل

كأن السرى ساق، كأن الكرى طلا ... كأنا لها شرب، كأن المنى نقل «٣» [١٢٠ أ]

و فيها يذكر أباه بهمذان، واستقباله الحجيج للسؤال من خبره، والبحث عن وطنه ووطره:

يذكرني قرب العراق وديعة ... لدى الله لا يسليه مال ولا أهل

إذا ورد الحجاج لاقى رفاقهم ... بفوّارتي دمع هما السجل والنجل

يسائلهم كيف ابنه أين داره ... إلام انتهى لم لم يعد هل له شغل

أضاقت به حال؟ أطالت له يد؟ ... أ أخّره نقص؟ أقدّمه فضل؟

يقولون وافى حضرة الملك الذي ... له الكنف المأمول والنائل الجزل

فقيد له طرف وحلت له حبى ... وخير له قصر ودرّ له نزل

و فاضت عليه مطرة خلفية ... بها للغوادي عن ولايتها عزل

يذكرهم بالله إلا صدقتم ... لدي أجدّ ما تقولون أم هزل

____

(١) إضافة من ب.

(٢) وردت في ب: يمدح.

(٣) هذا البيت ساقط في ب.

طوينا للقياك الملوك وإنما ... بمثلك عن أمثالهم أبدا نسلوا

و لما بلونا كم تلونا مديحكم ... فيا طيب ما نبلوا ويا صدق ما نتلوا

و يا ملكا أدنى مناقبه العلى ... وأيسر ما فيه السماحة والبذل

هو البدر إلا أنه البحر زاخرا ... سوى أنه الضرغام أسكنه الوبل

محاسن يبديها العيان كما ترى ... وإن نحن حدثنا بها دفع العقل

فقولا لوسّام المكارم باسمه ... ليهنك إن لم تبق مكرمة غفل

و جاراك أفراد الملوك إلى الندى ... وحقا لقد أعجزتهم ولك الخصل

سما بك من عمرو بن يعقوب محتد ... كذا الأصل مفخورا به وكذا النسل «١»

و أنشدني السيد أبو جعفر محمد بن موسى الموسوي «٢» بيتين ذكر أنهما مكتوبان [١٢٠ ب] على باب داره وهما:

من سرّه أن يرى الفردوس عالية ... فلينظر إلى إيوان كيوان

أو سرّه أن يرى الرضوان عن كثب ... بملء عينيه فلينظر إلى الباني

٢٠ ذكر الأحوال التي جمعت للأمير ناصر الدين سبكتكين وخلف بن أحمد والي سجستان من خلاف مرّة ووفاق أخرى، وما جرى بعد ذلك من الطوائل والترات «4» [109 أ] التي ثنت عنان السلطان يمين الدولة وأمين الملة إليه، وعطفت به إلى انتزاع الملك من يديه، وما جرى خلال ذلك من وقائعه في الهند إلى أن استتب له ما أراد في أمره بعون الله ونصره

نعم، وصفت سجستان للسلطان، فهدأت «٣» عيون الفتن، وسقطت نجوم الإحن، وانقطعت أطماع الخلفيّة «٤» بما عن التعصب والتحزّب، وانخفضت أبصارهم دون التوثب والتغلّب. ورجع السلطان إلى غزنة باهر الأمر، عالي القدر «٥»، قد صنع الله له فيما رامه، وسدّد نحو المراد سهامه، وشهره باقتراع «٦» المدينة العذراء، واستصفاء المملكة الغراء، واطّلاع ذروة الرجاء، وادّراع «٧» الأمة العزّ والعلاء. وأنشدني أبو منصور الثعالبي في فتح

---

(١) ديوان بديع الزمان الهمذاني، ص ١١٨ (مع اختلاف في بعض الألفاظ)، والأبيات الثلاثة الأخيرة إضافة من ب.
(٢) عنه، انظر: ص ٢٦٧ من هذا الكتاب.
(٣) وردت في الأصل: وهدأت.
(٤) نسبة إلى خلف، وقد وردت في ب خطأ: الخليفة.
(٥) وردت في ب: الظفر.
(٦) فضّ البكارة. ابن منظور- لسان العرب، ج ٨، ص ٢٥٠ (فرع).
(٧) مأخوذ من لبس الدرع. انظر: ابن منظور- لسان العرب، ج ٨، ص ٨٢ (درع).

سجستان من قصيدة لنفسه:

سعدت بغرة وجهك الأيام ... وتزينت ببقائك الأعوام
و تصرفت بك في المعالي همة ... تعيا بها الأفهام والأوهام
و لقد فرشت مهاد عدلك فاغتدت ... تتوارد الآساد والآرام
و افتضّ سيف علاك كل مدينة ... بكر عليها للإياس ختام
هذي زرنج «١» استغلقت وتمنعت ... فكأنها إلا عليك حرام [١٢١ أ]
ففتحتها وأبحتها ومنحتها ... نفرا هم لفنائك الخدام
و قدمت والأيام تنشد في الورى ... بيتا تجيد نشيده الأيام
قد جاء نصر الله والفتح الذي ... تزهي بكتبة وصفه الأقلام
بأجلّ أحوال وأيمن مقدم ... وأتمّ إقبال يليه دوام

و رحم الله البديع أبا الفضل الهمذاني حيث يقول في السلطان يمين الدولة وأمين الملة «٢»:

تعالى الله ما شاء ... وزاد الله إيماني
أأفريدون في التاج ... أم الإسكندر الثاني
أم الرجعة قد عادت ... إلينا بسليمان
أظلت شمس محمود ... على أنجم سامان
و أمسى آل بهرام ... عبيدا لابن خاقان
إذا ما ركب الفيل ... لحرب أو لميدان
رأت عيناك سلطانا ... على منكب شيطان
فمن واسطة الهند ... إلى ساحة جرجان

---

(١) قصبة سجستان.
(٢) ديوان بديع الزمان الهمذاني، ص ١٣٤ (مع اختلاف في بعض الألفاظ وترتيب الأبيات).

و من قاصية السند ... إلى أقصى خراسان
و في مقتبل العمر ... وفي مفتتح الشأن
فيوما رسل الشاه ... ويوما رسل الخان «١»
فما يغرب بالمغر ... ب عن طاعتك اثنان

٢٠ ذكر الأحوال التي جمعت للأمير ناصر الدين سبكتكين وخلف بن أحمد والي سجستان من خلاف مرّة ووفاق أخرى، وما جرى بعد ذلك من الطوائل والترات «4» [109 أ] التي ثنت عنان السلطان يمين الدولة وأمين الملة إليه، وعطفت به إلى انتزاع الملك من يديه، وما جرى خلال ذلك من وقائعه في الهند إلى أن استتب له ما أراد في أمره بعون الله ونصره

لك السرج إذا شئت ... على كاهل كيوان

أيا والي بغداد ... ويا صاحب غمدان «٢»

تأمل مائتي فيل ... على سبعة أركان

يقلبن أساطين ... ويلعبن بثعبان

عليهنّ تجافيف ... يشهّرن بألوان

و يأجوج ومأجوج ... من الجند تموجان

و استخلف السلطان على سجستان المعروف بتنجي «٣» الحاجب، أحد المحتشمين من قواد ناصر الدين سبكتكين، فحسنت في السياسة سيرته، واشتدت في الرفق «٤» بالبرى ء والعنف على [١٢١ ب] المريب بصيرته «٥».

ثم إن طوائف من نجوم الفتنة، ورجوم الشرّ والعصبية، أبطرتهم رفاهة العيش، ورفاعة الأمن، وفسحة الحال، وسعة المجال، فتحدثوا بينهم بتقديم من يضمهم على العصيان، ويؤمهم في الخروج على السلطان، تعرضا للبلاء، وتحككا «٦» بالشقاء، واجتراء

____

(١) هذا البيت ليس في الديوان.

(٢) هذا البيت ورد في الديوان:

يمين الدولة العقبى ... لبغداد وغمدان

و ما بعده لم يرد في الديوان.

(٣) وردت في ب: بفتحي.

(٤) وردت في ب: بالرفق والتلطف.

(٥) وردت الجملة في الأصل مكررة ٣ مرات.

(٦) وردت في الأصل: تحكما.

على سوء القضاء. فأبرزوا صفحة الخلاف، واخترطوا نصل الشرّ من الغلاف. فلما رأى السلطان انتقاض سجستان على «١» خلفائه وأمنائه، بادر إليها في عشرة آلاف رجل من نخب العسكر، ومعه صاحب الجيش أبو المظفر نصر بن ناصر الدين، والتونتاش الحاجب، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الطائي زعيم العرب، وحصر المردة العتاة في حصار أرك، ووكّل خيول عسكره بجوانب الأسوار، وقسمّ «٢» بينهم محالّ ذلك الحصار.

و نشبت الحرب بعد العصر من يوم الجمعة للنصف «٣» من ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة.

و خاض السجزية «٤» غمرتها ساعة متوازرين على المدافعة، ومتضافرين على الممانعة والمقارعة، حتى إذا أوهنهم السلاح، وأثخنتهم الجراح، لاذوا بالانجحار «٥»، [١١٢ أ] والاعتصار بسور الحصار. وظهر أولياء السلطان على بعض جوانب السور، في ظلمة الديجور، فتنادوا بشعار الملك المنصور. فانهزم الفجّار، وملك عليهم الحصار، وبسطت أيدي القتل والضرب على من نفضتهم الدور، ولفظتم المساكن والقصور «٦»، فمن رؤوس منبوذة «٧»، وأعناق مجذوذة «٨»، ووجوه مكبوبة «٩»، ودماء على الأرض مصبوبة.

و هام الآخرون على وجوههم يتساقطون من كسع الأدبار في الآبار، ويلوذون من ضرب الأخادع بالمخادع، ويفزعون من شنّ الغارات إلى المغارات، والطلب يقطع دابرهم،

____

(١) وردت في الأصل: عن.

(٢) وردت في ب: اقتسم.

(٣) وردت في ب: النصف.

(٤) أي أهل سجستان.

(٥) أي الاعتصام بالجحور.

(٦) وردت في ب: البيوت.

(٧) وردت في ب: منبودة.

(٨) وردت في ب: مجدودة.

(٩) وردت في ب: مكبوتة.

و يقرع «١» بالأول آخرهم، حتى خلت «٢» سجستان من عيث شرارهم، وسلمت «٣» من بثّ شرارهم.

و فتح الله تلك المملكة على السلطان فتحا ثانيا، وملكا تاليا «٤»، فلم يسمع على الأيام، بمثله فتحا في غلق الظلام. واستقامت هيبة السلطان في أهل سجستان، حتى نامت لياليهم عن دبيب العقارب، وصرير الجنادب «٥». وأنشدني «٦» بعض أهل العصر على تفيئة النصر:

يا أيها الملك الذي زند المعالي يقتدح ... لا زال ثغرك باسما من أجل ثغر تفتتح

و أنشدني أبو منصور الثعالبي في هذا الفتح الشهير والنجح الكبير يمدح [١٢٢ ب] السلطان يمين الدولة وأمين الملة:

يا خاتم الملك ويا قاهر ال ... أملاك بين الأخذ والصفح

عليك عين الله من فاتح ... للأرض مستول «٧» عن النّجح

راياته تنطق بالنصر بل ... تكاد تملي كتب الفتح

كم أثر في الدين أثّرته ... يقصر عنه أثر الصبح

و كم بنى للملك «٨» شيدتها ... تثني عليها ألسن المدح

فاسعد بأيامك واستغرق ال ... أعداء بالكبح وبالذبح

و دم رفيعا عالي القدح ... ممتنع الملك على القدح

---

(١) وردت في ب: يلحق، وبالوجهين يستقيم المعنى. انظر: ابن منظور- لسان العرب، ج ٨، ص ٢٦٨ (قرع).

(٢) وردت في الأصل: دخلت.

(٣) وردت في الأصل: سملت.

(٤) وردت في الأصل: ثالثا.

(٥) تعبير مجازي عن استقامة الأمور، بحيث إن الناس ناموا بسكينة واطمئنان لأن هيبة السلطان فرضت حتى على الهوام والحشرات.

(٦) وردت في الأصل: وأنشد.

(٧) وردت في ب: خادم.

(٨) وردت في ب: في الملك.

٢١ ذكر شمس المعالي قابوس بن وشمكير وانتقاله إلى مملكته بعون الله ونصرته بعد طول التقلب في التغرب

ثم جعل السلطان سجستان طعمة لأخيه صاحب الجيش أبي المظفر نصر «١» بن ناصر الدين سبكتكين مضافة إلى نيسابور، وناهيك بهما «٢» ولاية في بلاد المشرق.

فنصب «٣» لخلافته عليها أبا منصور نصر بن إسحاق وزيره، ووكل بها تدبيره، ورضي لها تقديمه وتأخيره. فقام بضبط الولاية، واستدرار الجباية، وإتقان السياسة، وإنعام الحراسة، قيام من عدّله الزمان بثقافه «٤»، وزيّنه الكمال بأوصافه.

و عاد السلطان إلى بلخ على استئناف الجدّ في غزو الهند، على ما سنذكره في موضعه إن شاء الله وحده «٥» [١٢٣ أ].

ذكر شمس المعالي قابوس بن وشمكير وانتقاله إلى مملكته بعون الله ونصرته بعد طول التقلب في التغرب

قد كان شمس المعالي أقام بخراسان ثماني عشرة «٦» سنة مداريا ومصابرا للدهر على وقعاته، وتصرف حالاته، لم تغمز يد الحادثات قناته، ولم يقرع صرف النائبات صفاته، ولم تنقص دوائر الأيام مروءته، ولم تنقض على اختلاف أحوالها حبوته، ولم يبق من أصحاب الجيوش وزعماء الجمهور من لم يضرب بسهم من نوافله، ولم يرجع إلى حظ من عطاياه وفواضله، ولم يخدمه أحد من ذوي الحشمة

بسلام، إلا حظي منه بإنعام وإحسان، وأحبية ألوان «٧»، وأفراس مطهّمة حسان. فعلى الأكتاف خلعه ولباسه، وتحت الأفخاذ مراكبه وأفراسه، وحشو البيوت بدره وأكياسه.

---

(١) إضافة من ب.

(٢) وردت في ب: بها.

(٣) أي أقام، والضمير يعود على أبي المظفر.

(٤) الثّقاف: آلة من حديد يقوّم بها القوّاس والرّماح الشي ء المعوجّ. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٢٠ (ثقف).

(٥) وردت في ب: عز وجل.

(٦) وردت في الأصل: عشر.

(٧) وردت في الأصل: وأحبية وإحسان ألوان.

و قد كان آل سامان يهمّون «١» بردّه إلى مملكته حيازة لقصب السبق في إدالته على خصمه، وإفاءة مملكته إلى يده، فيقطعهم توالي الفتوق من كل وجه عليهم عن إصابة أغراضهم في أمره. وألهمته بصيرة التجارب مداراة المحنة «٢»، حتى ينتهي زمانها، وينقضي على الإقبال بحرانها «٣»، إذ كان الاضطراب في المحن كالاضطراب في حبل الخناق ما يزداد صاحبه [١٢٣ ب] على نفسه حركة، إلا ازداد اختناقا وهلكة، ومما يضاف إلى شعره قوله:

قل للذي بصروف الدهر عيّرنا ... هل عاند الدهر إلا من له خطر

أما ترى البحر تعلو فوقه جيف ... وتستقر بأقصى قعره الدرر

فإن تكن نشبت أيدي الزمان بنا ... ومسّنا من عوادي بؤسه الضرر

ففي السماء نجوم مالها عدد «٤» ... وليس يكسف إلا الشمس والقمر «٥»

و لما وطى ء ناصر الدين سبكتكين عراص «٦» خراسان، وأقدره الظفر بأبي علي «٧» على كورها، ارتاح للقائه، وما ينتحيه «٨» من نصرته وإعلائه. ثم اتفق له من الانقلاب إلى بلخ ما حال بينه وبين المراد، فغبر مدة على جملته إلى أن انقرض أمر أبي علي، وخوي نجم الشغل به «٩». وانحدر إلى طوس لطلب أخيه أبي القاسم السيمجوري، فجدد عند

---

(١) وردت في ب: يهرمون.

(٢) وردت في ب: زمانه.

(٣) البحران: التغيّر الذي يحدث للمريض دفعة في الأمراض الحادة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٤٦ (بحر). والظاهر أن المقصود هنا النحس والإدبار.

(٤) وردت في الأصل: غير ذي عدد.

(٥) أورد الثعالبي هذه الأبيات بشى ء من الاختلاف. يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٦٩.

(٦) جمع عرصة وهي الفضاء الواسع بين الدور. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٥٢ (عرص).

(٧) ابن سيمجور.

(٨) وردت في الأصل: ينتجه.

(٩) وردت في ب: وخوي نجمه وكفى الشغل به.

ذلك شمس المعالي عهده به، ولا طف كلّ منهما صاحبه بما لا يفي به بيان، ولا يتسع له حساب ولا حسبان.

و جرى ذكر فخر الدولة صاحب الري واستظهاره ببدر بن حسنويه صاحب الأكراد، والفوارس الأنجاد. وأراد ناصر الدين سبكتكين أن يستظهر عليهم بكماة الشرق، [١٢٤ أ] ورماة الحدق، من كتائب الأتراك الخانية، فأرسل حاجبه الكبير التونتاش إلى أيلك الخان يتنجّزه حكم الحال التي تفارقا عليها بما وراء النهر من الاتحاد في الوداد، والاشتراك «١» في الأملاك، بإمداده بعشرة آلاف رجل من نخب رجاله، وشهب أبطاله. وصرف شمس المعالي وراءه على ميعاد معاده «٢».

و رجع ناصر الدين سبكتكين «٣» إلى بلخ مستعدا للأمر، ومنتظرا لوصول العدد الدّثر «٤»، فاستأثر الله به قبل أن عاد الرسول،

وتحقق «٥» المسؤول «٦»، فخبط عليه ما صنع، وصوّح «٧» دونه نبت ما زرع. وتوسط وجوه الناس بين السلطان يمين الدولة وأمين الملة، وبين شمس المعالي في إسعاده وردّه إلى معاده، على مال يقضي به حق غنائه، ويضاهي حسن بلائه في تحقيق رجائه، وتحقيق مكائد أعدائه. فأظهر الوفاء به لغاية شهرين من قراره بجرجان، إذ كان يحيل كل «٨» ما التزمه «٩» على ما يدرّ له من أحلابها، ويحفل من أخلافها. وإنه يتحاشى بدء انتقال الملك إليه خبط رعيتّه بالحيف والعسف، والإنحاء

____

(١) وردت في ب: الاشراك.

(٢) المعاد: الرجوع.

(٣) إضافة من ب.

(٤) الكثير. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٢٧٧ (دثر).

(٥) وردت في ب: وتنجز، وفي د: وتحين.

(٦) وردت في النسخ: المسئول.

(٧) ييس. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٥١٩ (صوح).

(٨) وردت في ب: بجلّ.

(٩) وردت في ب: يلتزمه.

عليهم بمبردي «١» الحرق «٢» والنسف. فأعجل السلطان يمين الدولة وأمين الملة ما أهمه من إرث أبيه، وشغل [١٢٤ ب] الخاطر بأخيه، عن تقديم إظهاره وتعجيل رده إلى داره، فاستمهله ريثما يكفي ما أمامه، وينفض «٣» الشغل بما «٤» رامه. وسار إلى غزنة حتى يسّر الله له افتتاحها، وداوى على يده جراحها.

و كان أبو القاسم بن سيمجور مقيما بقومس، فلما مضى فخر الدولة لسبيله، انحاز إلى جرجان متغلبا عليها، وكاتب شمس المعالي قابوس بن وشمكير في الامتداد إليها، ليقوم بتسليمها إليه، وتقريرها في يديه؛ فسار على سمت الروغد «٥» حتى وافى جرجان، وأبو القاسم بن سيمجور «٦» باستراباذ، وقد جهّز من الري أبو العباس فيروزان ابن الحسن في جماهير المشاهير من قواد الديلم والأكراد [لدفعه عنها] «٧»، وكان قد أطمع أبو القاسم من بخارى في ولاية قهستان وهراة، وأمر بمعاودة خراسان للاعتضاد به، والاستظهار بعدّته وعديده، فجرّد عزمه للانصراف، وضرب تلك المواعيد بالإخلاف، غير حافل بما يلحقه من المذمّة بخذلان من جشّمه لنصرته، واستقدمه على ما تحت يده «٨» وقدرته، وسار نحو إسفرايين. فانقلب شمس المعالي [قابوس ابن وشمكير] «٩» إلى نيسابور على حرّة النهل «١٠»، استيناء بالوقت إلى مقتطف الرجاء

____

(١) وردت في ب: بمردى.

(٢) وردت في ب: الجزف.

(٣) وردت في ب: ينقض.

(٤) وردت في ب: مما.

(٥) وردت في الأصل: دوغذ.

(٦) إضافة من ب.

(٧) ساقطة في ب.

(٨) إضافة من ب.

(٩) ساقطة في ب.

(١٠) شدة العطش.

و مخترف «١» الأمل، وتربصا بما حوته رحم الليالي من جنين [١٢٥ أ] المقدور في إدالة الميسور على المعسور. ولما رأى أمور آل سامان مختلّة النظام، منحلّة العراقي والأوذام «٢»، لا تزداد على الرقع إلّا خرقا، وعلى الرتق إلا فتقا، مخض «٣» الرأي فيما يقيم له مائد أمره، ويحوش عليه آبد ملكه، فكانت زبدة مخضه أن سرّب الاصبهبذ شهريار بن شروين إلى جبل شهريار «٤» لا ستصفائه، فسار نحوه [بمن] تحت لوائه، وعلى الجبل يومئذ رستم بن المرزبان، خال الأمير أبي طالب رستم بن فخر الدولة صاحب الرّي، فتناهدا للقتال

على رسمهم في الاحتراس بالتراس، وادّراع لباس البأس. فشدّ عليهم الاصبهذ شدة شرّدتهم بين المهامه والدكادك «٥»، وأقحمتهم «٦» لهوات «٧» المعاطب والمهالك. وأصاب منهم غنيمة جسيمة، بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة. وأقام الخطبة بالجبل «٨» على شمس المعالي قابوس بن وشمكير.

و كان بايي «٩» بن سعيد- أحد أعيان الجيل وشجعانهم «١٠» - مقيما

____

(١) وردت في ب: مخترق. والمخترف: وقت الجني الذي تخرف فيه الثمار، أي تجتنى. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٦٢ (خرف).

(٢) العراقي جمع عرقوة وهي خشبة معروضة على الدلو. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٢٤٨ (عرق)؛ أما الأوذام فهي سيور تشد العراقي في الدلاء، واحدتها وذمة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٦٣٣ (وذم).

(٣) يقصد أجال فكره. وقد وردت في ب: محض.

(٤) أحد جبال طبرستان، ويسمى شهرياركوه. انظر: ابن اسفنديار- تاريخ طبرستان، ج ١، ص ٧٥.

(٥) أراضي رملية. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٤٢٦ (دكك).

(٦) وردت في الأصل: وافتحميهم.

(٧) جمع لهاة وهي اللحمة المعلقة في سقف الفم، والمقصود هنا الفم. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٢٦٢ (لها).

(٨) إضافة من ب.

(٩) وردت في الأصل، وفي ب: باي، والتصحيح من ابن اسفنديار- تاريخ طبرستان، ج ٢، ص ٧. فقد ارتضيت قراءة ناشره المحقق الايراني الكبير عباس إقبال، في حين لم يستطع محقق تاريخ طبرستان للمرعشي ضبط الكلمة، فقرأها بعدة أشكال. انظر: ص ١٩١، ص ١٩٢، ص ١٩٥، ص ٢٠٩؛ وفي ابن الأثير- الكامل، ج ٧، ص ٤٩٥: (باتي).

(١٠) وردت في الأصل: وشجاعتهم.

عند الأستندارية «١» في طوائف من أضرابه، مشايعا لهم في ظاهر الأمر، وناظرا «٢» إلى موالاة شمس المعالي «٣» من نقاب السرّ. واتفق أن نصر بن الحسن «٤» بن فيروزان «٥» لفظته الإضافة بناحية الديلم إلى حدود الأستندارية، فطمع في مغالبتهم عليها، [١٢٥ ب] ومزاحمتهم فيها، فقذف من جمرات أنيابها بمن طرده عنها، وقبض على خاله أبي الفضل اصبهبذ كلار «٦»، فسجن إلى أن دفن. و مايل بعد ذلك بايي بن سعيد نصرا، فتساعدا على قصد آمل، وبها أبو العباس الحاجب في زهاء ألفين من عسكر الريّ، فأجلياه عنها هزيما تقفوه الصّفاح، وهشيما تذروه الرياح. وطيّر بايي بن سعيد عند ذلك كتبه إلى شمس المعالي بذكر «٧» الفتح الذي أتيح له على شعار موالاته، واستشعار طاعته وممالأته، وإظهار التنصّح باستطلاع راياته.

ففصل عن نيسابور سائرا نحو جرجان «٨»، وتحيّز بايي بن سعيد عن مضامّة نصر إلى استراباذ مجاهرا بشعار صاحبه. وتجمّع إليه من أبناء الجيل من كان يسلك شعب هواه، ويستلم ركن طاعته ورضاه. وكتب شمس المعالي إلى الاصبهبذ بالانضمام إلى بايي، وجمع اليد إلى يده فيما قدّم وأخّر، والشدّ على عضده فيما أورد وأصدر، ففعل ما أمر.

____

(١) لعلها نسبة إلى قلعة أستناباد أو أوستوناوند التي تقع في سفوح دماوند (دنباوند) من طبرستان. قال عنها ياقوت: بينها وبين الري عشرة فراسخ من ناحية طبرستان. انظر: al Hudud -ﷺP lam, ١٣٥٠ ؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ١، ص ١٧٥، ص ١٧٦؛ ابن اسفنديار- تاريخ طبرستان، ج ١، ص ٦، ج ٢، ص ٧؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤١٢؛ رفيع- تاريخ نهضتهاي ملي إيران، ص ١٢٨.

(٢) وردت في ب: ناضرا.

(٣) إضافة من ب.

(٤) وردت في ب: الحسين.

(٥) نصر بن الحسن بن فيروزان هو أخو فيروزان بن الحسن بن فيروزان سابق الذكر. انظر: رفيع- تاريخ نهضتهاي ملي إيران، ص ١٢٨.

(٦) وردت في ب: كلاز. وكلار: مدينة بجبال طبرستان، بينها وبين آمل ثلاث مراحل، وبينها وبين الري مرحلتان، وبينها وبين شالوس مرحلة. انظر: ياقوت- معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٧٤؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤١٤.
(٧) وردت في ب: يذكر.
(٨) وردت في الأصل: بجرجان.

و تسامع أبو العباس فيروزان بن الحسن بنبئهما «١» وهو مقيم بجرجان، فنهد لكفاية أمرهما، وإخماد ما التهب من جمرهما، فواقعاه بباب استراباذ وقعة أنّت فيها حدود القواطع من حديد [١٢٦ أ] المدارع، ومزارق الزانات من مفارق الهامات. وكادت الهزيمة تستمر بأصحاب بابي لو لا انقلاب الأكراد والعرب في عسكر الديلم عليهم ببيض الظبي وزرق العوالي، منادين بشعار شمس المعالي. فانهزم أبو العباس فيروزان بن الحسن فيمن معه، وركب الطلب أكتافهم فأسر هو، وزهاء ألف وعشرين «٢» نفرا من وجوه القواد في جملته، وأسري بقية الفلّ نحو جرجان، وقد قدّم إليها قابوس بن وشمكير سالار خركاش «٣» - أحد أقاربه- فوافق انهزامهم إليها إطلاله عليها. وتسامع الفلّ به، فضجّوا رنة وعويلا، وضلوا فلا يستطيعون سبيلا، واضطروا إلى استئناف الهزيمة قرحا على قرح، وملحا فوق جرح. وخوطب شمس المعالي قابوس بن وشمكير «٤» بخبر الفتح، وما هيأه «٥» الله له من عظيم النجح، فسار إلى جرجان وقد شرح الله صدره، وجلى عن الكسوف بدره، ونسخ «٦» باليسر عسره، وزاد على القدر قدره، ودخلها في شعبان سنة ثمان وثمانين وثلثمائة.
ولبعض كتّاب أهل العصر فيه عند زفاف الملك إليه [١٢٦ ب] قصيدة أولها:
الجدّ ما لم يعنه الجدّ غدّار ... والحرّ ما لم يزنه الصّبر خوّار
و للكريم إذا الأيام زلن به ... عن المنى بثبات النفس أعذار

---

(١) وردت في النسخ: بنبائهما.
(٢) ورد العدد عند ابن اسفنديار: عشرون فقط، وقال المحقق عباس إقبال: وردت في (اليميني): ألف وعشرون. تاريخ طبرستان، ج ٢، ص ٧.
(٣) وردت في الأصل: سالار بن خكاش. وفي ب: سالار بن خركاش. والتصحيح من: ابن اسفنديار- تاريخ طبرستان، ج ٢، ص ٨؛ رفيع- تاريخ نهضتهاي ملي إيران، ص ١٢٨.
(٤) ساقطة من ب.
(٥) وردت في الأصل: هناءه، وفي ب: هيناه.
(٦) وردت في ب: كسيح.

كم فاضل وجنون المنجنون له ... حيفا على حسك اللأواء جرار
و كم جريح قريح القلب ذي عبر ... وكم قتيل وما للسيف آثار
و كم فقير بلا جرم وخائنة ... وكم غني وللأيام أدوار
سير سريع ودور غير منصرم ... نصب العيون ودون الغيب أستار
من كان يخبر حال الدهر دائرة ... لم يثنه عن عيان الحال أخبار
و إنما حاصل الأيام مختبرا ... جذر أصم عن التحقيق فرّار
يخى الزمان على من لا اصطبار له ... ورقّه للذي في العسر صبّار
فاصبر هديت فإن الصبر منجحة ... ومن وراء ظلام الليل إسفار
و الدهر ذو غير أحواله ثوب ... عسر ويسر وأحلاء وأمرار
و البدر يدر كه التمحيق منتقصا ... وبعده لضياء التمّ أنوار
و النار في خلل العيدان كامنة ... وسقطها باقتداح الزّند سعّار
و الجدّ يطبع كالصمصام ثم له ... من صيقل الدهر جلّاء وشهّار [١٢٧ أ]
هذاك شمس المعالي في سيادته ... له مع الفلك الدوّار أخبار

أعطاه من غرر الآمال «١» ما قصرت ... عن نيل أمثالها في الدهر أعمار
ملكا وعزا وعيشا رافغا «٢» وعلى ... ودولة ضمنها نصر وإظهار
لما كساه دروع العزّ ضافية ... ولم تجد منه غير الشكر يختار
أبدى نشوزا عليه كي يجرّبه ... بالصبر والصبر للأحرار مسبار
حتى إذا ما قضى من سبره وطرا ... وللأمور نهايات وأطوار
أمسى يعاود ما أرضاه في خفر ... وخدّه بدم التّشوير فوّار
فالمجد خادمه والعزّ صارمه ... والرأي رايته والخلق أنصار
قرم تضىء حياة العالمين به ... كأنه الشمس والأعمار أقمار

---

(١) وردت في ب: الأيام.
(٢) وردت في ب: رافعا.

راح الكرام إلى أو كار نائله ... كأنه الليل والأحرار أطيار
له المعالي سماء والندى شهب ... والمجد سارية والجود أمطار
علاه كالليل والمصباح همّته ... ونقله الجود والآمال سمّار
تراه تنهزم الأموال عن يده ... مثل انهزام العدى عنه إذا ثاروا «١»
و مجده الدهر قنّاص لهمته ... والجود باز له والصيد أحرار
حياؤه بوقاح السيف ممتزج ... وعدله في حزون البأس سيّار [١٢٧ ب]
ندى يديه إلى الفردوس منتسب ... ووقع سطوته في حرّه النار
يوم الهياج صفاح البيض ظلته ... والجوّ من لهب الطعنات صهّار
يغامس الحرب والأرواح راقية ... إلى التراقي وطرف الموت نظّار
يرشّ من دفع الأعناق قسطلها ... إذ نقعها بحوامي الخيل ثوّار
تناذرت أنجم الأفلاك سطوته ... إذ الرماح من الأرواح تمتار
فهن في ذمة الأضواء آنسة ... وهن من طخية الظلماء نفّار
للمشتري بينها في الخصر منطقة ... يبغي رضاه وللمريخ زنّار
كفته روعته أمرا بمصلحة ... فما يدور على المحظور ديّار
و قد أفاض على الظلماء هيبته ... فما يصرّ حذار البأس صرّار
إن السلامة أن لو ألهمت نطقت ... يا رب إنك لي من سيفه جار
يا أيها الملك الميمون طائره ... ومن نداه كفيض اليمّ زخّار
إن الزمان عروس مالها أبدا ... سوى خصالك مشّاط وعطّار
البخل عندك في وجه الندى كلف ... نعم وفي غرة الإقبال إدبار
ترمي العدى من بنات الكيد صائبة ... وإن رموا خانت المرميّ أوتار
كأن ما قد رموا من لعن ظالمة ... وما رميت به وحي وأقدار [١٢٨ أ]
تحمى وتلتهب الأوتار رامية ... كأنما أحمت الأوتار أوتار

---

(١) وردت في ب: ساروا.

لا زال في نعم تفضي إلى نعم ... ما طاف حول فناء البيت عمار
ممتّعا بسرور غير منقرض ... حتى تفوق نجود الأرض أغوار
و لأبي بكر محمد بن العباس الطبري المعروف بالخوارزمي فيه «١» من قصيدة يمدحه بها عند «٢» مقامه بنيسابور:

قامت تودعني بالأدمع السجم ... والصمت بين يد منها وبين فم
البين أنطقها والبين أخرسها «٣» ... وهذه حالة في الناس كلهم
قد طالما انهزمت عنا السيوف فلا ... تحاربينا بجيش الورد والعنم
و قد خلعت لجام الاتباع فلا ... تلقى سوالفنا في ذمة اللّجم
لم يبق في الأرض لي شى ء «٤» أهاب له ... فهل أهاب انكسار الجفن ذي السقم
أستغفر الله من قولي غلطت بلى ... أهاب شمس المعالي أمة الأمم
غضّي «٥» جفونك عني رحمة لدمي ... فإن سفرت فقد حاولت سفك دمي
و إن دعاك أبو يحيى لنصرته ... يوما علي «٦» فأبدي الثغر وابتسمي
كأن لحظك من سيف الأمير ومن ... حتم القضاء ومن عزمي ومن كلمي «٧»
قال الأمير لأخلاق الكرام قفي ... بحيث أنت فما زادت على نعم «٨» [١٢٨ ب]
و قال للعلم والآداب لا تردا ... إلا عليّ فما فاها بلا ولم
القائل القول لو فاه الزمان به ... صارت لياليه أياما بلا ظلم

____

(١) ساقطة في ب.
(٢) وردت في ب: وقت.
(٣) وردت في ب: البين أخرسها والبين أنطقها.
(٤) وردت في الأصل: غظى، وفي ب: عظى.
(٥) وردت في ب: شيب.
(٦) وردت في ب: علي يوما.
(٧) هذا البيت وما بعده فيه تقديم وتأخير في ب.
(٨) هذا البيت ورد في الأصل مكررا.

و الفاعل الفعلة الغراء لو مزجت ... بالنار لم تسكن «١» النيران من حمم
لا تحفلن بنضوب الماء «٢» في يده ... فقد تجفّ ضروع العارض السجم
قد يجزر البحر بعد المدّ تعرفه ... وينزل الجدب وكر الأجدل القطم
و لا يغرنّك أن الدهر حاربه ... قد يغدر السيف يوم الروع بالبهم
الآن إذ غدت الدنيا تجمشّه ... وقابلته صباحا أوجه النعم
ترنو «٣» إليه فتخفي شخص منقبض ... لما جنته «٤» وتغضي طرف محتشم
إذا دعت نحوه ساقا نهت قدما ... والعمر يذهب بين الساق والقدم
حيرى تقرّ بها حال وتبعدها ... كذا يكون رجوع الآبق السّدم «٥»
و له فيه من قصيدة أخرى يقول في نسيبها «٦»:
شموس لهنّ الخدر «٧» والبيت مغرب ... فطالعها للبين والهجر غارب
و لكنما شمس المعالي خلافها ... مشارقه ليست لهنّ مغارب
و ما لقّبوه الشمس إلا وقد رأوا ... بأنك شمس والملوك كواكب [١٢٩ أ]
أقول لزوّار الأمير ترجّلوا ... فمن زاره من راجل فهو راكب
و إن زاره الفرسان كنت كفيلهم ... بأن يرجعوا والخيل فيهم جنائب
ألا بلّغا عني الأمير رسالة ... تدلّ على أني على الدهر عاتب

إلى كم يحل المرء مثلك بلدة ... بها «٨» منبر فيه لغيرك خاطب

عليك بهذا السيف فاقض ديونه ... فللسيف دين عند كفك واجب

____

(١) وردت في الأصل: سكو، وفي ب: تكن.

(٢) وردت في ب: المال.

(٣) وردت في ب: تزنوا.

(٤) وردت في ب: لراحتيه.

(٥) في ب: ٣٢ بيتا بزيادة ١٢ بيتا موزعة بين هذه الأبيات العشرين، لم أر ضرورة لإثباتها.

(٦) أورد الثعالبي تسعة أبيات منها متفرقة. يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٢٥٣.

(٧) وردت في الأصل: الخدور.

(٨) وردت في ب: منها.

و لا تقعدن تغضي الجفون على القذى ... وفي الأرض مركوب ورمح وصاحب

غريمك هذا الدهر فالزمه يغترم ... فلن يوقظ الغرّام إلا المطالب

و أنت ابن عم السيف بل أنت عمه ... وكيف تخاف الأقربين الأقارب

أليس أبو كم وشمكير و «١» جدّكم ... زيار «٢» ومرداويج عمّ مناسب

تحرك بنا إما لواء ومنبر ... وإما حسام كالعقيقة قاضب «٣»

و للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني فيه من قصيدة أولها:

أمسرى خيال الهاجر المتجنّب «٤» ... ومجرى دموع الزائر المتطرب

سألتك بالدهر الذي صرت بعده ... قذى ناظري من بعد أن كنت ملعبي

أعنّي على عين إذا ما وعدتها ... بقربك قالت للدموع تأهبي

و لما تداعت للغروب شموسهم ... وقمنا لتوديع الفريق المغرّب [١٢٩ ب]

تلقين أطراف السجوف «٥» بمشرق ... لهن وأعطاف الخدور بمغرب

فما سرن إلّا بين دمع مضيّع ... ولا قمن إلّا فوق قلب معذب

كأن فؤادي قرن قابوس راعه ... تلاعبه بالفيلق المتأشّب «٦»

همام يراه المال أسرع حادث ... إلى حتفه والقرن أخوف معطب

يفضّ العدى أطرافه قبل عزمه ... ويطرقهم رعبا ولم يتأهب

و فيها «٧» يصف الزانات:

و زرق على سمر تظل إذا هوت ... تلاحظ أعقاب الشهاب المذنب

____

(١) ساقطة في ب.

(٢) وردت في النسخ: زياد.

(٣) هذا البيت ساقط في ب.

(٤) وردت في ب: المنتجب.

(٥) جمع سجف وهو الستر. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ١٤٤ (سجف).

(٦) أشب الشيء: يخلطه والأشابة والأوشاب: الأخلاط، والمقصود هنا الجيش المختلط. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٢١٤ (أشب).

(٧) وردت في الأصل: وفيه.

ترفّعن عن طيش الرماح وزلّة ... السهام وتقصير الحسام المجرب

فخزن ظبات البيض ثم وصلنها ... إليهنّ من سمر الرماح بأكعب

فلنن منال السهم من متبعّد ... وقمن مقام السيف من متقرب
و فيها «١»:
فتى ما تلاقت همتان بصدره ... ولا يشهد الجلّى برأي مشعّب
له الهمّة العلياء والمنصب الذي ... تتبعه الجوزاء ألحاظ متعب
إذا بعض أطراف الزمان تقاصرت ... عن المجد ألفوه كريم التغلّب «٢»
يزاحمهم من وشمكير بمنكب ... ومن سلف الاصبهبذين بموكب [١٣٠ أ]
و يذهب من مجد وعزّ ومفخر ... بآثار مرداويج في كل مذهب
و ما خلصت للمرء مسعاة والد ... إذا لم يقابله بخال مهذب
كلا طرفيه يرجع الطرف خاسئا ... إذا رامه عن كل خرق محجّب
يحوز معالي أردشير بخاله ... ويعلو الربى عن شأو ساسان بالأب
و لما انتهت الهزيمة بالقوم إلى الريّ، على جملة الانكسار، وذلّة الاقتسار، وسبّة القتل والإسار، قطع عليهم سياط العذل والتعنيف، وملئت عيونهم من نفثات التعبير والتشوير «٣». وكان أبو علي الحسن بن أحمد بن حمويه «٤» على الوزارة، فاختار عشرة آلاف رجل من بهم الديلم «٥» وفتّاك الأتراك، ونخب العرب، وأفراد الأكراد، وسار بهم في منوچهر بن قابوس، وبيستون بن تيجاسب «٦»، وكار بن فيروزان، ورشاموج ابن أخت

____
(١) وردت في الأصل: وفيه، وسقطت في ب.
(٢) هذا البيت ساقط في ب.
(٣) التشوير: التخجيل. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٤٣٦ (شور).
(٤) وردت في الأصل، وفي ب: حموله، والتصحيح من د. عنه، انظر: ابن اسفنديار- تاريخ طبرستان، ج ٢، ص ٨؛ المرعشي- تاريخ طبرستان، ص ١٩٣.
(٥) وردت في الأصل: الرجال.
(٦) وردت تيجاسف عند: ابن اسفنديار- تاريخ طبرستان، ج ٢، ص ٨.

عظيم الديلم، وموسى الحاجب، وأسفار «١» بن كردويه، وأبي العباس بن جايي، وعبد الملك بن ماكان، وهؤلاء رتوت الجيل والديلم «٢»، حتى أظل شهريار «٣». وبلغ شمس المعالي قابوس إقباله، فاستضم أطرافه، واستظهر «٤» بشهريار «٥» استعدادا لمواقعته، وتنجّزا لوعد الله في نصرته، وتثبيت وطأته، واستتمام ما أعاده «٦» إليه من نعمته. [١٣٠ ب]
و حاذر أبو علي بن حمويه «٧» ممالأة نصر بن الحسن بن فيروزان شمس المعالي قابوس بن وشمكير، وانقطاعه إلى جانبه، فواصله بكتبه، نافثا في عقدته «٨»، فاتلا في ذروته «٩»، نافخا بسحره في سحره «١٠»، وملقيا إليه أن القرابة الواشجة «١١» بين أبي طالب بن فخر الدولة وبينه، لو صادفت منه حكمها في الإشفاق على دولته، والانتداب لنصرته، لكان أحق الناس بسياسة أجناده، وزعامة ممالكه وبلاده، وأنه الآن متى سلك طريق الخدمة، وجانب جانب التّهمة، وحافظ على حرمة اللّحمة، لم يعدم ما يهواه من ترتيب وترحيب، وتنويل «١٢» وتخويل، وتفخيم وتقديم. وأذن له في الانتقال إلى قومس إلى أن

____
(١) وردت في الأصل: شار. انظر: ابن اسفنديار- تاريخ طبرستان، ج ٢، ص ٨.
(٢) وردت في ب: الديلم والجيل.
(٣) يقصد جبل شهريار.
(٤) وردت في الأصل: واستحضر.
(٥) ابن شروين، الاصبهبذ.
(٦) وردت بعدها في ب: كلمة (الله).
(٧) وردت في الأصل، وفي ب: حموله.

(٨) أصله ما ينفث الساحر في عقد الخيط للسحر فيه، والمقصود استمالته.
(٩) أي خادعه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٥١٤ (فتل).
(١٠) السّحر: الرئة. ويقال للجبان: انتفخ سحره فارتفع القلب إلى الحلقوم. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٣٥١ (سحر).
(١١) وردت في ب: الوشيجة.
(١٢) وردت في الأصل: تمويل، وفي ب: تنزيل. والتصحيح من د.

يدبر «١» أمره بمقتضاه، فارتاح نصر «٢» لما شامه من تلك العقيقة «٣»، ووثق به على الحقيقة، وسار نحو سارية «٤»، ثم قرض «٥» الجادة ذات اليسار، وركب ذات اليمين مما يلي طراشك وأباذان «٦» حتى إذا حاذى رقعة قومس، أذاع في أصحابه رأيه في طاعة أبي طالب، وأنه «٧» - ما عاش- رقيق خدمته، ونصير دعوته. فاختلفت عليه «٨» كلمتهم حين أفصح [١٣١ أ] بتدبيره، وباح بسرّ ضميره، فمن فريق «٩» رجع إلى الأستندارية، وفريق إلى جرجان في طلب الأمان.
و رحل نصر في الباقين حتى أناخ بقومس، وسأل أبا علي بن حمويه «١٠» تمكينه من بعض القلاع ليحصّن فيه عياله وأثقاله، فمكّنه من حصار جومند، فاستوطنه، وأودعه ماله ومن معه.
و لما أمن أبو علي شرّه وعاديته، توجّه نحو سارية على قصد جرجان، فلما اطمأن بها أسرى منوچهر بن شمس المعالي [قابوس بن وشمكير] «١١» إلى أبيه عائذا بالله من

---
(١) وردت في الأصل: يرى.
(٢) إضافة من ب.
(٣) شام السحاب والبرق شيما: نظر إليه أين يقصد وأين يمطر. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٣٣٠ (شيم)، والعقيقة: البرق أو شعاعه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٢٥٧ (عقق).
(٤) إحدى أهم مدن طبرستان، إلى الشرق من آمل. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢١١؛ al Hudud -ﷺP lam, ١٣٤٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٥٩؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٦٠، ص ١٦٢؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤١١.
(٥) انحرف. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٢١٩ (قرض).
(٦) بينها وبين سارية مرحلتان. الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢١٦.
(٧) وردت في ب: رانه.
(٨) وردت في ب: عليهم.
(٩) وردت في الأصل: فرق.
(١٠) وردت في الأصل، وفي ب: حموله.
(١١) ساقطة في ب.

عقوقه، وكفران ما فرض الله عليه من حقوقه. فارتاب «١» أبو علي من بيستون بن تيجاسب لاشتراكهما في نسبة الجيل، وأرومة ذلك القبيل «٢». وأشفق من صغوه «٣» القديم في خدمة شمس المعالي، وحثّه إياه على معاودة سدّته، واهتبال الغرّة في مراجعة جملته. فأخذ بالحيطة في اعتقاله، وردّه إلى «٤» الريّ في وثاقه. وامتد إلى ظاهر جرجان مما يلي قبر الداعي «٥» فعسكر به، وتواصى أهل الحفاظ والحميّة، والأنفة الأبيّة، من أصحاب شمس المعالي بالترافد في التجالد، والتساتل «٦» على التقاتل، [١٣١ ب] والتماسك عند التعارك، وشدّوا حيازيمهم للقراع، وقرعوا ظنابيبهم للمصاع، وناصبوهم الحرب طرفي الصباح والرواح، لا يسأمون وقع الصفاح، ولا يألمون لذع الجراح، حتى غبر شهران كيوم واحد في مغامسة الكريهة «٧»، بين تكلف وبديهه.
و مسّ عسكر جرجان ضيقة لا نقطاع المير والمواد عنهم، فاستعصموا بالنفوس الشريفة، وتبلغوا «٨» طول تلك الأيام بالبلغ الخفيفة، مؤثرين شرف المقام على شبع الطعام، وردّ الشجاعة على سدّ المجاعة، وأصاب الآخرين تلك الضيقة، فانقلبوا من الفضاء بقبر

---
(١) وردت في ب: فارتاع، وكلتاهما تؤديان المعنى.

(٢) وردت في الأصل: الغسيل، وفي ب: الفسيل، والأصح ما أثبتناه، حيث إن القبيل: الجماعة من الناس. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٥٤١ (قبل).
(٣) وردت في ب: صفره. صغوه (بالفتح والكسر): ميله. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٤٦١ (صغا).
(٤) وردت في الأصل: أن له.
(٥) الداعي هو الحسن بن زيد بن محمد من ولد علي بن أبي طالب وهو مؤسس الدولة العلوية بطبرستان. وقبره بإحدى قرى جرجان وتدعى روشناخده. عنه، انظر: ابن اسفنديار- تاريخ طبرستان، ج ١، ص ٢٢٨؛ المرعشي- تاريخ طبرستان، ص ٢٨١.
(٦) التتابع. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٣٢٤ (ستل).
(٧) المغامسة: المداخلة في القتال. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ١٥٧ (غمس). والكريهة: الحرب الشديدة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٥٣٦ (كره).
(٨) وردت في ب: تغنّوا، وبالوجهين يتم المعنى، فالمقصود الاكتفاء بالقليل. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٤٢١ (بلغ)، مج ١٥، ص ١٣٩ (غنا).

الداعي إلى جانب محمدآباد «١»، اتساعا في العلوفات من جهة جناشك «٢»، فتداركت عليهم الأمطار «٣»، حتى أعوزهم الامتيار «٤»، وماجت عليهم الأقطار «٥» بالطوفان، فتساقطت الخيام، وساخت القوائم والأقدام. وعند ذلك «٦» برز أنصار شمس المعالي أهل الحقائق من وراء الخنادق، وأجّجوا نار الوغى كضارية القشاعم، وداهية الأراقم. وثبت بعضهم للبعض «٧» من مطلع الفلق إلى مسقط الشفق، محكّمين متون الصوارم في شؤون «٨» الجماجم [١٣٢ أ]، وذوابل الصّعاد «٩» في مناهل الأكباد، وزرق الزانات «١٠» في سواد «١١» المهجات، حتى إذا زلّت قدم العصر، أتى أمر الله بالنصر، فحمل الجيل على الديلم حملة لم تستبق منهم طالب ثأر، ولا نافخ نار، وأسر من عظمائهم أسفهسلار بن كورنكيج «١٢»، وزرهوا «١٣»، وجستان «١٤» بن أشكلي، وأخوه حيدر بن سالار، ومحمد بن وهسودان «١٥». واشتملت

---

(١) انظر: مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٧٦.
(٢) من قلاع جرجان. ياقوت- معجم البلدان، ج ٢، ص ١٦٧. وانظر: قابوس- قابوسنامه، ص ٣٠٠.
(٣) وردت بعدها في ب: بالطوفان، وهي مكررة كما سنرى.
(٤) وردت في الأصل، وفي ب: الامتياز. والأصح ما أثبتناه حيث إن الامتيار: تحصيل الميرة. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ١٨٨ (مير).
(٥) وردت في ب: الأرض.
(٦) وردت في ب: فعندها.
(٧) ورد بعدها في ب: جلادا.
(٨) الشؤون مواصل قبائل الرأس وملتقاها، ومنها تجيء الدموع. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٢٣١ (شأن).
(٩) جمع صعدة: القناة المستوية. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٢٥٥ (صعد).
(١٠) وردت في ب: الرباب.
(١١) وردت في ب: سود. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٢٢٧ (سود).
(١٢) وردت في ب: كورنليج.
(١٣) وردت في ب: زرهو.
(١٤) وردت في الأصل: حسان، وفي ب: جشان.
(١٥) في قراءة هذه الأسماء، انظر: ابن اسفنديار- تاريخ طبرستان، ج ٢، ص ٩؛ المرعشي- تاريخ طبرستان، ص ١٩٤.

المعركة على ألف وثلثمائة رجل ممن أضجعتهم الحتوف، وسطحتهم على الأرض السيوف. وأفاء الله على الجيل غنائم لا يستوعبها بيان، ولا يستثبتها بنان.

ثم رأى شمس المعالي أن يوعز بمداواة الجرحى، والفكّ عن الأسرى، وصرفهم وراءهم بالخلع والكرامات، والأحبية والصلات، شكرا

لنعمة الله فيما أولاه، وإكبارا لقدر منّته في تحقيق ما رجاه.

و أنشدني أبو منصور الثعالبي أبياتا له «١» في ذكر هذا الفتح الذي نظمه الله في سلك أيامه، والحق الذي أقره منه في نصابه:

الفتح منتظم والدهر مبتسم ... وملك شمس المعالي كلّه نعم

و العدل منبسط والحقّ مرتجع ... والشّعب ملتئم والجور مصطلم [١٣٢ ب]

ألقت مقاليدها الدنيا إلى ملك ... مازال وقفا عليه المجد والكرم

شمس المعالي وغيث المشرقين ومن ... به يليق العلى والملك والحشم

هو الإمام هو القرم الهمام هو ال ... بدر التمام هو الصمصام والقلم

هو الغمام الذي تخشى صواعقه ... قهرا وترجوا نداه العرب والعجم

هو المقيم وقد سارت مآثره ... كأن علياه من دنياه تنتظم

و الماء من جوده المبذول «٢» منسكب ... والنار من بأسه المرهوب تضطرم

و الأرض من صدره والريح من يده ... والروض من خلقه للخلق يبتسم

الله جارك يا من جار حضرته ... يلقى السعود عليه الدهر تزدحم

أبشر فقد جاء نصر الله مؤتنفا ... وعاشر الفتح منشورا له علم

يا من إذا اعتصمت صيد الملوك به ... أمسى وأصبح بالرحمن يعتصم

أبل الجديدين بالعمر الجديد ودم ... للملك يخدمك التوفيق والقسم

____

(١) إضافة من ب.

(٢) وردت في ب: المأمول.

و أنشدني الأمير «١» أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي لنفسه «٢» في ذلك:

لا تعصين شمس العلى قابوسا ... فمن عصى قابوس لاقى بؤسا «٣»

نعم، ولما بلغ أبو علي بن حمويه «٤» قومس «٥» منهزمه من تلك المعركة، أرسل إلى نصر بن الحسن بن فيروزان يسأله تعجيل اللحاق به ليتعاضدا على [١٣٣ أ] لمّ شعث الهزيمة، وسدّ ما جاش من منخر تلك الكشفة العظيمة «٦». ثم أعجله الطلب عن التوقف والتلوّم «٧»، فأوجف «٨» نحو الريّ. وأتاه نصر فلم «٩» يلحقه، فاستوطن سمنان «١٠». وتابع كتبه إلى أبي طالب مجد الدولة رستم بن علي «١١» نخر الدولة مستمدا، وشمّر لتلافي الخلل الواقع مجدّا، فتراخت المدة على استئناف إمداده، واقتبال معونته وإنجاده، ثم أمدّ بابن بكتكين الحاجب في زهاء ستمائة من شجعان الغلمان، فقوي بهم، وتكثّر بمكانهم.

و رماه شمس المعالي ببايي «١٢» بن سعيد في رجال من الجيل. وكتب إلى الاصبهبذ «١٣»

____

(١) وردت بعدها في ب: الفاضل.

(٢) ساقطة في ب.

(٣) ديوان الميكالي، ص ١٢١.

(٤) وردت في الأصل، وفي ب: حموله.

(٥) إضافة من ب.

(٦) وردت في الأصل: القبيحة.

(٧) الانتظار. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٥٥٧ (لوم).

(٨) أسرع. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٣٥٢ (وجف).

(٩) وردت في الأصل: فلما.

(١٠) إحدى مدن طبرستان، تقع في منتصف الطريق تقريبا بين الدامغان والري، على طريق خراسان. انظر:

الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢١١؛ al Hudud -ﷺP lam, ١٣٥٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٥٦؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٦١؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٠٧.
(١١) إضافة من ب.
(١٢) وردت في الأصل: بناي، وفي ب: بياى.
(١٣) وردت في الأصل ناقصة هكذا: الا.

شهريار بن رستم بمعونته، وإزاحة علّته، فصمد صمد «١» نصر، مرخيا عنان التحفّظ، ومغمضا جفون التيقظ. وقد كان نصر سدّ الطرق على أبنائها سترا لخبره، وسحبا لذيل الكتمان على أثره، فاتفقت إنافة «٢» بايي عليه على حين تقطّع من رجاله، وتفرّق من أكثر أصحابه، فتناوشا «٣» الحرب ساعة ونصر مستعد، وأمره في القراع جدّ. ثم اضطر بايي إلى الانقلاب على بارح الخيبة، وفشت الهزيمة بمن «٤» تلاحق به، وتراخى عنه من ذنابى «٥» عسكره، وجرى عليهم من القتل والأسر [١٣٣ ب] ما اعتدّ به نصر في مساعيه عند أبي طالب، فغسل به وجه حاله، وجلا عليه صفحة إقباله.

و أنهض عند ذلك رستم بن المرزبان خال مجد الدولة أبي طالب في ثلاثة آلاف رجل مددا لنصر، وعقدت له الاصبهبذية «٦» على جبل «٧» شهريار، فتلقاه نصر إلى دنباوند «٨» وساعده «٩» على صعوده، وامتلاك حدوده. ولجأ الاصبهبذ شهريار «١٠» إلى سارية،

____

(١) صمد صمده: قصد قصده. ابن منظور- لسان العرب، ج ٣، ص ٢٥٨ (صمد).
(٢) ناف إنافة: أشرف إشرافا. ابن منظور- لسان العرب، ج ٩، ص ٣٤٢ (نوف).
(٣) وردت في الأصل: فتناوشوا.
(٤) وردت في ب: فيمن.
(٥) الذّنابى: الذّنب. والمقصود هنا مؤخرة الجيش. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٣٨٩ (ذنب).
(٦) قال صاحب كتاب (حدود العالم) وهو من القرن الرابع الهجري، يصف جبال قارن: كورة بها أكثر من عشرة آلاف قرية، يدعى ملكها سبهبذ شهريار كوه. وهي كورة عامرة أغلب أهلها مجوس. ومنذ عصر الإسلام ظل حكم هذه الكورة في أولاد قارن. وقصبتها بريم (فريم)، وهي مستقر الاصبهبذية. وقال البيروني: اسم ملوك جبال طبرستان. مجهول- حدود العالم، ص ١٥٦ (النسخة العربية)؛ البيروني- الآثار الباقية، ص ١٠١.
(٧) وردت في النسخ: جيل، والأصح ما أثبتناه.
(٨) وردت في الأصل: ورنباوند، وفي ب: دباوند. وهو جبل عظيم يهيمن على أنحاء طبرستان كلها، وترى قممه التي لا يفارقها الثلج من السهول البعيدة. وتقوم على بعض مرتفعاته بلدة صغيرة تسمى بنفس الاسم. ويرد أيضا: دماوند. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٠٢، ص ٢١٠؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٦١، ١٦٢، ١٩٤، ١٩٥، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٢٠، ٢٧٩؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤١١.
(٩) وردت في الأصل: صاعده.
(١٠) وردت في الأصل: شها.

و بها منوچهر بن شمس المعالي معتصرا بعقوته «١»، ومعتصما بعروته، فأصاب أهل فرّيم «٢» غلاء عمّ بلاؤه، وشمل الكافة داؤه، وسببه بسط الأيدي بالغارات، وانتهاب ما أوعته الرعايا للأرماق من الأقوات، فاضطر نصر إلى الانصراف عن رستم بن المرزبان للقحط الشامل، والبلاء النازل، فلم ينهنه «٣» الاصبهبذ عند انقلابه أن ركض على رستم فأجلاه عنها إلى حد الري، منخوبا «٤» منكوبا، ومخذولا مفلولا، فصفت له ناحيته، وانحسمت عنه شذاة «٥» نصر وعاديته.

و كان أبو نصر بن محمود الحاجب «٦» قد ألجأه بعض المحن التي دهته إلى خدمة شمس المعالي، فمهد له كنفه، وحكم في اصطناعه شرفه، ووالى الصنائع والرغائب إليه، وملأ من الأموال يديه، وسهّل ركوب [١٣٤ أ] المطالب عليه، ثم رماه في وجه نصر بن الحسن بن فيروزان «٧» مزاح العلّة بقدر الكفاية، من ذوي البسالة والنكاية، نخفّ إليه بجأش ثبت، ووجه على الحادثات صلت «٨»،

وأحرق عليه الأرض حربا بكرا على يده، وعوانا «٩» على أيدي أعوانه «١٠» ومدده. ثم حمل على جموعه حملة شردتهم كل مشرّد، وطردتهم بين أعين البيد كل مطرد. وعلق في حبالة الأسر جستان «١١» بن الداعي،

---

(١) وردت في الأصل: بعقوبة، وعقوة الدار: حولها وقريبا منها. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٧٩ (عقا).
(٢) من مدن طبرستان. انظر: al Hudud -ﷺP lam, ١٣٥٠ .؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٦٠؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٦٢؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤١٣.
(٣) وردت في ب: ينهه. والنّهنهة: الكف عن الشي ء. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٥٥٠ (نوه).
(٤) النّخب: الجبن وضعف القلب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٧٥٢ (نخب).
(٥) شذاة فلان: شرّه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٤٢٧ (شذا).
(٦) انظر: المرعشي- تاريخ طبرستان، ص ١٩٥.
(٧) ساقطة في ب.
(٨) صلب. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٥٣ (صلت).
(٩) وردت في ب: أعوانا. والحرب العوان: كان قبلها حرب، بعكس البكر. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٢٩٩ (عون).
(١٠) وردت في الأصل: انعاما.
(١١) وردت في ب: حسان.

و ابن هندو وغيرهما من أعيان القواد. واصطف على جدالة الحرب من القتلى ما شبعت به الضباع، بل سمنت عليه الوحوش الجياع.
وانهزم نصر من بين يديه إلى سمنان [في جمادى الآخرة سنة تسعين وثلثمائة] «١».
و كان نصر على جلالة بيته، ونخامة عشيرته «٢» ورهطه، مغرما بالظلم، مغرى «٣» بالحيف والغشم. ووافقت ولايته «٤» مدرج «٥» الحجيج، زوّار «٦» البيت العظيم «٧»، وزمزم والحطيم، فشملهم عيثه «٨» في كل سنة بوجوه من المطالبات المختلفة، والمعاملات «٩» المجحفة، حتى انتشر عنه سوء الأحدوثة، وحبط عليه جمال تلك الجملة الموروثه.
و لعل عثار الزمان به عدوى «١٠» ضجيج الحجيج عنه [١٣٤ ب] بالاستغاثة في حالتي الوقوف والإفاضة.
و واصل نصر الريّ بكتبه في الاستنفار، والاستنهاض من صرعة العثار، فمدّ له في طول التطويل، بأنواع التعليل «١١» والتأميل:
مواعيد كما اختبّ «١٢» سراب المهمه القفر ... فمن يوم إلى يوم ومن شهر إلى شهر

---

(١) ساقطة في ب.
(٢) وردت في الأصل: عشرنه.
(٣) وردت في ب: مراء.
(٤) أي سمنان.
(٥) وردت في ب: مدرجة. والمقصود عودة الحجيج. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٢٦٧ (درج).
(٦) وردت في الأصل: زور.
(٧) وردت في ب: بيت الله.
(٨) وردت في ب: عنته، وبالوجهين يستقيم المعنى.
(٩) وردت في ب: العلامات.
(١٠) النصرة والمعونة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٣٩ (عدا).
(١١) وردت في ب: التعلل.
(١٢) الخبّ: الخداع. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٣٤١ (خبب).

و بلغه بعد ذلك أن مجد الدولة أبا طالب وشمس المعالي قد تصالحا على احتيال «١» تحصيله، والظفر به، فساء ظنا، وضاق بالأمر ذرعا، ونمي إليه أيضا «٢» أن بعض قواد السلطان يمين الدولة وأمين الملة- وكان يعرف بأرسلان هندوبجه «٣» والي قهستان- قد

أوقع بأبي القاسم السيمجوري وأجلاه عنها إلى جنابذ، فأغذّ السير إليه على مظاهرته «٤»، والتحصن بمرافقته ومضافرته، وجعل يحطب في حبله، ويفتل في ذروته بحيله وختله، ويزيّن له قصد الري معه لا متلاكها على أبي طالب إيهاما لنغل النيات في طاعته، ودخن الأهواء في مشايعته، فاغتر أبو القاسم بتغريره «٥»، وانجرّ في جريره. وسار إلى خوار الري «٦»، فتلقّاه من سرعان «٧» الكتائب، من غصّ بهم لهوات تلك المخارم والمسارب.

و لما رأى أبو القاسم [١٣٥ أ] أن الأمر جدّ، والطريق منسدّ، خنس وراءه عاضا على البنان، منخزلا لعارض الحرمان. وبلغ شمس المعالي قابوس بن وشمكير انصرافه مع نصر على وجه الري، فقذفهما بعفاريت الأكراد من كل جانب، ودحرهم عن حدود مملكته بعذاب واصب. ولما رأيا أن الأرض تلفظهم يمينا وشمالا، وتنفيهم «٨» جنوبا

____

(١) وردت في الأصل: اتحيال.

(٢) إضافة من ب.

(٣) وردت في ب: هندويجه. وكذلك عند المرعشي- تاريخ طبرستان، ص ١٩٦. لكنني ارتضيت قراءة عباس إقبال. انظر: ابن اسفنديار- تاريخ طبرستان، ج ٢، ص ١٠.

(٤) وردت في الأصل: مضاهرته.

(٥) وردت في الأصل: بغروره.

(٦) من مدن الري، إلى الشرق منها على طريق قومس. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٠٨، ص ٢١٠، ص ٢١٥؛ al Hudud -ﷺP lam, ١٣٢٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٩٢، ص ٤٠٠؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٦١، ١٧٣؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٠٧.

(٧) وردت في ب: سعار.

(٨) وردت في ب: تنفيهما، وبالوجهين يستقيم المعنى، حيث إن ضمير المثنى يعود على نصر وأبي القاسم، وضمير الجمع يعود عليهما وعلى عساكرهما.

و شمالا، تآمرا «١» على قصد السلطان يمين الدولة وأمين الملة مستأمنين إليه، ومستعديين على الزمان بالمثول بين يديه، فيمّما عالي «٢» حضرته، وتوشحا بجمال خدمته، فأما أبو القاسم فهرب على ما سبق ذكره، إلى أن أودعه الحبس أسره، وأما نصر فأقام على الخدمة مدة إلى أن أمر السلطان بإقطاعه بيار «٣» وجومند طعمة له، فنهض إليهما.

و أبت عليه همته القناعة بهما، فلم يزل يضطرب في حبالته إلى أن خدع من الري، وحمل منها إلى قلعة أستوناوند «٤»، فجعلت عليه حصيرا، وساء ذلك مصيرا. ووكل شمس المعالي بعد ذلك بحوالي القلاع فيما بين جرجان واستراباد وما وراءها من أحاط بهم إحاطة الخلخال [١٣٥ ب] بأرساغ البعير، حتى افتتحها غيلة ومكيدة، ومراعاة لحقوق الاستسلام والتسليم وكيدة، فصفت له تلك الولاية بحدودها وحواشيها، وقلاعها وصياصيها، بما أعد من زبد الأحقاب فيها.

و اتفق بعد ذلك إخلاء الاصبهبذ بجبل شهريار إلى جانب المجانبة في طاعة شمس المعالي قابوس «٥»، وادعاؤه الأمر لنفسه اغترارا بما اجتمع له من الوفر «٦»، والتفّ عليه من العدد الدثر «٧»، والعسكر المجر، فرمي من جانب الري بأبي علي رستم «٨» بن المرزبان خال أبي طالب، في صناديد الديلم، وفيهم بيستون بن تيجاسب المقبوض عليه من قبل في التظني «٩» بموالاة صاحبه قابوس بن وشمكير «١٠»، فنصب له الحرب قراعا

____

(١) وردت في الأصل، وفي ب: توامرا.

(٢) وردت في الأصل: الي.

(٣) وردت في ب: بياذ.

(٤) انظر: ص ٢٣١، هامش (١) من هذا الكتاب.

(٥) إضافة من ب.

(٦) يقصد المال الكثير. ووردت في ب: الوفرة.

(٧) وردت في ب: الدثرة.
(٨) وردت في الأصل: بن رستم.
(٩) التظني من الظن: الشك. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٢٧٢ (ظنن).
(١٠) ساقطة في ب.

و مصاعا، وثقافا ونقافا. وكانت عاقبة أمره أن كسر فأسر، ونادى أبو علي رستم «١» مكانه «٢» بشعار شمس المعالي لوحشة كان استشعرها من أهل الري، وأقام الخطبة فيها باسمه، وكاتبه بذكر طاعته، وشرح ما فتح الله له «٣» على يده. وهاجر أبو حرب بيستون ابن تيجاسب إلى أرضه المقدسة من فناء صاحبه وولي نعمته، فانشرح [١٣٦ أ] صدره، وقرّت بالإياب عينه، وطاب بالإحسان والإيناس «٤» عيشه، لو لم يعجله عن الحياة حينه.

و انضافت مملكة الجيل بأسرها إلى ممالك جرجان وطبرستان، فولّاها شمس المعالي منوچهر ابنه، سمي من لو «٥» عاش إلى زمانه، لردّ عليه عواري مفاخره، ورجع إليه حلي آثاره ومآثره «٦». وانفتحت بعدها عليه رويان وشالوس وما وراءها من حدود الأستندارية، فصارت ولايته تشرق بنور العدل والإحسان، وتبسم عن ثغور الأمن والأمان.

و واصل «٧» شمس المعالي السلطان يمين الدولة وأمين الملة بكتبه ورسله «٨» في عقد وثيقة يتحصن بها من صروف النوائب، ويستظهر بها على وجوه المطالب. وقدم بين يدي نجواه من أنواع القرب والمبارّ، [ما خرج عن الحدّ والمقدار، حتى تأكدت «٩» العصمة، وتأرّبت العقدة «١٠»، واشتبكت] «١١» الألفة، واستحكمت الثقة، وصارت جرجان وطبرستان إلى سواحل البحر وديار الديلم بحكم الحال المتّشجة، كإحدى ممالكه التي

---

(١) وردت في الأصل: بن رستم.
(٢) ساقطة في ب.
(٣) ساقطة في ب.
(٤) وردت في ب: بالايناس والاحسان.
(٥) وردت في الأصل: قو.
(٦) يقصد الملك الفارسي القديم منوچهر بن إيرج بن أفريدون. عنه، انظر: الثعالبي- غرر السير، ص ٥٢ - ١٠٨.
(٧) وردت في الأصل: لواصل.
(٨) وردت في الأصل: ووسله.
(٩) وردت في الأصل: كدت.
(١٠) اشتد إحكامها. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٢١١ (أرب).
(١١) إضافة من ب.

يحكم «١» عليها آمرا وناهيا، ويتبسط فيها حاضرا وباديا، فلله شمس المعالي في «٢» همة له بين المجرة مجراها وفي بحار الكرم مجراها ومرساها «٣»، فلم يسمع [١٣٦ ب] في شيوخ «٤» الملوك بأشرف منه قيمة، وأوطف ديمة «٥»، وأكرم شيمة، وأصدق بارقة مشيمة، وأوفر «٦» عقلا وتحصيلا، وأظهر جملة وتفصيلا، وأغذى للنفس بعفاف الحكمة، وأجزى للبدن بكفاف الطعمة، قد فطم «٧» النفس عن رضاع الملاهي، فلم يعرف اللهو «٨» ما هو، ولا البطالة ما هي، علما منه بأن الملك واللهو ضدان، وأن ليس لا لتقائهما «٩» يدان. ولقد أحسن أبو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب في نصرة هذا الرأي بقوله:

إذا غدا ملك باللهو مشتغلا ... فاحكم على ملكه بالويل والحرب

أما ترى الشمس في الميزان هابطة ... لما غدا برج نجم اللهو والطرب «١٠»

نعم، ولا أحرص على إنصاف الرعية، وآخذ بأطراف العدل في القضية، وأبرع في الآداب والحكم، وأجمع بين ذرابة «١١» السيف وذلاقة «١٢» القلم، ورسائله موجودة في البلاد

---

(١) وردت في ب: يحتكم.
(٢) إضافة من ب.
(٣) وردت في ب: مرساها ومجراها.
(٤) وردت في الأصل: شرح.
(٥) الديمة: المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٢١٣ (دوم)، ص ٢١٩ (ديم). والوطف: الكثرة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٣٥٨ (وطف).
(٦) وردت في الأصل: واد مر.
(٧) وردت في ب: نظم.
(٨) وردت في ب: اللغو.
(٩) وردت في الأصل، وفي ب: للبقا بهما.
(١٠) الخولي- أبو الفتح البستي، ص ٢٢٥.
(١١) ذرابة السيف: حدته. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٣٨٥ (ذرب).
(١٢) الذلاقة: الفصاحة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ١١٠ (ذلق).

عند الأفراد، لكني أكتفي منها بلمعة «١» من بوارق بيانه «٢»، وزهرة من حدائق إحسانه، إذ كان في تصفحها ما يغني عن التكثر في هذا المكان بها، فمنها رسالة أنشأها في الترجيح بين أصحاب «٣» النبي صلى الله عليه وسلم «٤» بعقب رسائله [١٣٧ أ] القديمة، [و قرائنه اليتيمة] «٥»، وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم «٦»

اعلم أن أصعب الأمور، وأشرفها بين الجمهور، هو الخروج بالنبوة، والاستعلاء على الخلق بهذه القوّة، لأنه تقليب الوجوه عن القبل المعبودة، وإدخال الأعناق في قلادة غير معهودة، ومخاطبة الخلق عن الخالق، خالق «٧» لا تدركه أبصار الخلائق. وقد اعتلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ذروة هذا الشرف، وصار لمن سلف من الأنبياء [صلوات الله عليهم] «٨» خير الخلف. وفاز بمزية هذا الذكر العظيم، وأذاق العرب لذة النعيم، ونقلهم إلى الثروة والغنى «٩» من الفقر والفاقة، وأراحهم من رعاية الجمل والناقة، وليس وراءه لا بتغاء العلى أمد، فما فوق السماء للسمو مصعد.

ثم ضبط الأمر بعده زعيمه على نظامه، وإقامته «١٠» في قوامه، وهذا ما تولاه أبو بكر رضي الله عنه حين ودّع عمره، من غير أن سلّم إلى أحد أمره، فإنه قام به قيام ثابت القلب، مستقل بمقاومة الخطب، غير مفكر في ردّ راد، ولا مبال بمعاداة معاند «١١»، حتى

---

(١) وردت في ب: بلعة.
(٢) وردت في ب: بنانه.
(٣) وردت في ب: صحابة.
(٤) وردت في الأصل: عليه الصلاة والسلام.
(٥) ساقطة في ب.
(٦) أوردها اليزدادي- كمال البلاغة، ص ١٠٦.
(٧) ساقطة في ب.
(٨) ساقطة في ب.
(٩) وردت في الأصل: الغنى والثروة.
(١٠) وردت في ب: اقامه.
(١١) وردت في الأصل: مناد.

حمى حريم الدين، وجمع شمل المسلمين، ولم يرض بأن يلم ببيضة الشريعة ملم، ولا [١٣٧ ب] أن يتغير من أحكامها حكم، فلقب خليفة رسول الله لا نتدابه لحياطة دين الله، ثم تحصين حوزة الإسلام من عوارض الفساد، وعادية الأعداء والأضداد، والمجاهدة في استضافة

ديار المخالفين، إلى جانب الإسلام ومجامع المسلمين.

و هو ما أتاه عمر رضي الله عنه لما آل إليه الأمر، فإنه صرف جدّه «١» وجهده إلى الجهاد، وقصر وكده «٢» وكدّه على افتتاح البلاد، حتى اتسع نطاق هذه الملة، وخضعت الرقاب لأهل هذه القبلة، فلقب أمير المؤمنين، إذ كان نعم العون لرسول رب العالمين «٣».

قد فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من الأمر الأعظم، والشأن الأفخم، وأطفأ لهيب كل ملتهب، على رغم «٤» من أبي لهب، والتأم بسعي الشيخين رضي الله عنهما شعب الأمرين الآخرين «٥». وبلغ الإسلام «٦» من الإحكام مبلغا ليس فيه مستزاد، ولا يشين بياض غرّته سواد، ولم يبق للتابعين سوى التمسك بدين ممهّد، ومراعاة بناء مشيد، فلم يقدروا على القيام «٧» به، واحتجبوا وراء حجابه.

و لما أتت الخلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، كان منه ما كان من [١٣٨ أ] تبديل زي «٨» النسك بزينة الملك، وتغيير سيرة الأئمة حين توسع في النعمة، حتى اجتنى ثمرة ما جنى، وتيّه به سوء ما أتى.

____

(١) ساقطة في ب.

(٢) ساقطة في ب. والوكد: القصد. ابن منظور- لسان العرب، ج ٣، ص ٤٦٧ (وكد).

(٣) وردت في الأصل: رسول الله.

(٤) وردت في ب: زعم.

(٥) إضافة من ب.

(٦) ساقطة في ب.

(٧) وردت في الأصل: القيامة.

(٨) وردت في الأصل: الزي.

و لما عادت إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه [و عن الصحابة أجمعين] «١»، هاجت الرياح «٢» من كل جانب، وبدت الأوابد، وتبدلت العقائد، وتحول أمر الدين ملك المغالبة، ودول القتال والمجاذبة، ووقعت الخلافة في الخلاف، وبرز الشرّ من الغلاف، وبقي علي رضي الله عنه «٣» على اضطراب لا يهدأ، وفي «٤» مداواة داء لا يبرأ، مع شجاعته المشهورة، ومآثره المأثورة، فانتهى أمره إلى ما انتهى، حتى جرى عليه وعلى عقبه ما جرى. فلينظر إذا كان الأمر كذلك، أهؤلاء أحق بالقدح أم أولئك، قد مضى القوم وآثارهم في الإسلام كالشمس في الاشتهار، والهباء في الانتشار، وصنيعهم صائح بحي على الفلاح، وليس بأيدي الخصماء سوى السفاهة والصياح.

و قرأت توقيعا له إلى بعض الأفاضل يستقدمه حضرته، ليتوخى مسرته: «محال لمن سمت به همته إلى قصد من تغلو عنده قيمته، أن يكون على غيره عرجته، ولبيت من سواه زيارته وحجته».

و أما خطّه [١٣٨ ب] فخطة المحاسن، فسمّه إن شئت وشيا محوكا، أو تبرا مسبوكا، أو درا مفصّلا، أو سحرا محصّلا. وكان إسماعيل بن عباد إذا قرأ خطه يقول:

هذا خط قابوس أم جناح طاووس؟ فهو كما قال المتنبي:

في خطّه من كل قلب شهوة ... حتى كأن مداده الأهواء

و لكل عين قرّة في قربه ... حتى كأن مغيبه الأقذاء «٥»

____

(١) إضافة من ب.

(٢) عند اليزدادي: طلعت الرماح.

(٣) وردت في ب: كرم الله وجهه.

(٤) إضافة من ب.

(٥) ديوان المتنبي، ج ١، ص ١٤٨.

٢٢ ذكر الحال التي انعقدت بين السلطان يمين الدولة وأمين الملة وبين أيلك الخان في التواصل والتضافر، والتعاقد على التعاون والتظاهر «1»، إلى أن خلعت بهجة البشر وكشرت عن أعصل «2» الشر

ذكر الحال التي انعقدت بين السلطان يمين الدولة وأمين الملة وبين أيلك الخان في التواصل والتضافر، والتعاقد على التعاون والتظاهر «١»، إلى أن خلعت بهجة البشر وكشرت عن أعصل «٢» الشر

قد كان أيلك الخان لما ملك السلطان خراسان على الغدرة «٣» بآل سامان، اغتنم تطهير ما وراء النهر عن كل منتسب إلى تلك الأرومة، ومتشبث بشعب تلك الجرثومة «٤»، فلم يدع هناك ذا «٥» ظفر إلا قلمه، ولا ذا حد إلا اجتاحه واصطلمه. ثم كاتب السلطان مهنئا له بما ذخر الله له من خالصة الملك، وصافية الملك، وظاهر إليه من ظاهرة العزّ وباطنة الصنع، ومعتدا لنفسه بما قطفه من عنقود رجائه ملاوة «٦» على [١٣٩ أ] صفقة إقباله، وعلاوة على جماله وجلاله. وتردد السفراء بينهما في وصلة تبلّ رحم «٧» الحال، وتؤكد أسباب المودة والوصال «٨»، وتحمي حرائم «٩» الثقة في الجانبين، وترفع ستر الحشمة في ذات البين، وتؤدي رتبة الاختلاط إلى الامتزاج، وقربة الاشتباك إلى الاتشاج، فتصير النفوس واحدة، والسواعد على وجوه مصالحها متساعدة. وأنهض السلطان عند إلمامه «١٠» بنيسابور في طلب المنتصر أبي إبراهيم أبا الطيب سهل بن محمد بن سليمان

(١) وردت العبارة في الأصل: في التواصل والتضافر والتعاقد والتظاهر. وفي ب: في التواصل والتظاهر والتعاقد على التعاون والتظافر.
(٢) أنياب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٤٤٩ (عصل).
(٣) جمع غادر. مثل فجرة جمع فاجر. والمقصود بهم بكتوزون وفائق الخاصة ومن والاهما.
(٤) الجرثومة: الأصل. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٩٥ (جرثم).
(٥) وردت في الأصل: إذا.
(٦) مفعول به لقوله (معتدا) وتعنى مدة العيش. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٢٩٠ (ملا).
(٧) بلّ رحمه: وصلها. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٦٤ (بلل).
(٨) وردت في ب: الاتصال.
(٩) وردت في ب: حريم.
(١٠) ورد بعدها في ب: كان.

الصّعلوكي «١» إمام أهل الحديث بها، رسولا إلى أيلك الخان، وضم إليه طغانجق والي سرخس في خطبة كريمته عليه، ونقلها في صحبته إليه. وأصحبه ما عدا العدّ والحدّ من سبائك العقيان، ويواقيت البهرمان، وعقائل الدرّ والمرجان، وتخوت الوشي والحبر، ونوادر البدو والحضر، وصواني الذهب مملوءة من بيضات العنبر، وأواني الفضة منضودة بشمّامات الكافور، وغير ذلك من شارات الهنود، وقطاع العود، وذكور النصول، [١٣٩ ب] وإناث «٢» الفيول، تحت حدوج مغشاة بذوات التعاريج من ألوان الدبابيج «٣»، منطّقة بعصائب يخطف العيون بريقها، وتصطخب على الأقتاب معاليقها «٤»، وعتاق ضوامر كالقداح «٥»، بخدود كمتون الصّفاح «٦»، وغرر كنجوم الصباح، وقوائم كمنخرق الرياح «٧»، وسنابك كفلق الصّفاح «٨»، في مراكب كأنما حلّي بعضها بقطع «٩» عقيق، أو شعل حريق، وحلّي سائرها بنجوم الثريا والنّثرة «١٠»، وبنات نعش من وراء المجرة. وقرن ذلك كله بأموال على سبيل الألطاف، تغمر ذوائب الأوصاف.

(١) أحد كبار الفقهاء الشافعية. عنه، انظر: السمعاني- الأنساب، ج ٣، ص ٥٤٠؛ السبكي- طبقات الشافعية، ج ٤، ص ٣٩٣.
(٢) وردت في ب: ايناث التي من المحتمل أن تقرأ (أنياب)، لكن إيراده (ذكور النصول) قبلها يرجح قراءتها (إناث) على ما في ذلك من طباق، كما إن من المعروف أن إناث الفيول خير من الذكور.

(٣) يقصد هوادج مغطاة بأنسجة من الديباج ذات خطوط متعرجة.

(٤) يقصد تصوّت الأشياء المعلقة على الأقتاب وهي جمع قتب أي الرحل. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٦٦١ (قتب).

(٥) القداح جمع قدح، وهو السهم. ويقصد خيول كالسهام رشاقة لأنها ضامرة البطون. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٥٥٦ (قدح).

(٦) الصفاح: السيوف العريضة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٥١٢ (صفح).

(٧) الخريق: من أسماء الريح الباردة الشديدة الهبوب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٧٣ (خرق).

(٨) الحجارة العريضة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٥١٣ (صفح).

(٩) وردت في ب: من.

(١٠) نجم في السماء من منازل القمر. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ١٩٢ (نثر).

فسار الإمام أبو الطيب سهل بن محمد إلى «١» أيلك الخان، كريما ينقل كريمة، ويحمل من بحر الترك إلى أرض إيران درة يتيمة. فطلع على أيلك الخان «٢»، وأهل بيته طلوع الحميم طاب إيابه، بعد أن طال اغترابه، والحبيب لطف إعتابه بعد أن قدم هجره واجتنابه، إعظاما منهم «٣» لقدر وفادته عن باب السلطان، في ذلك المهمّ من الشأن، ثم لفضله في نفسه، فهو الإمام المقدم، والصدر المحتشم، ومن لا يقرب «٤» إلى ربابته ضريب له في أبواب الفضائل، وخصوصا في خلافيات المسائل. [١٤٠ أ]

و أقام بأوزكند «٥» إلى أن فرغ من أمر الزفاف، وأزيحت علته في الانصراف، فعاد على «٦» جناح النجاح مصحوبا بمجلوبات الترك من نقر «٧» المعادن، ونوافج المسك، وقود المراكب، وعيس الركائب، ورؤد «٨» الوصفاء والوصائف، وبيض البزاة، وسود الأوبار، ونصب الختوّ «٩»، وأحجار اليشب «١٠»، وطرائف الصين.

و اتحدت الحال بين السلطان [يمين الدولة وأمين الملة] «١١» وبين أيلك الخان

---

(١) إضافة من ب.

(٢) ساقطة في ب.

(٣) وردت في الأصل: منه، والمقصود أيلك الخان وأهل بيته.

(٤) وردت في ب: يقرن.

(٥) وردت في الأصل: أوزجند.

(٦) وردت في الأصل، وفي ب: إلى، والتصحيح من د.

(٧) جمع نقرة وهي السبيكة من الذهب أو الفضة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٢٢٩ (نقر).

(٨) وردت: رود. الرؤد والرأد: الشباب الحسن ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ١٦٩ (رأد).

(٩) وردت في ب: الختن. والختوّ: قرن ثور أو قرن الكركدن. ويجلب من الصين، ويستخدم كمقابض للخناجر والسكاكين. انظر: البيروني- الجماهر، ص ٢٠٨؛ ابن الأكفاني- نخب الذخائر، ص ٧٩.

(١٠) ويسمى يشم أيضا. حجر قريب من الزبرجد، يجلب من ناحية ختن في بلاد الترك. انظر: البيروني- الجماهر، ص ١٩٨؛ ابن الأكفاني- نخب الذخائر، ص ٧٢.

(١١) ساقطة في ب.

اتحادا اشترك فيه المراتع والنعم، واستهم «١» فيه الصنائع والخدم، وبقيت «٢» على جملتها في التأحّد والتأكّد إلى أن نزغ الشيطان بينهما، فنغلت الضمائر، وانحلّت القوى والمرائر، وتولى السيف تدبير ذلك الوصال، فحلّ معقوده وفصل مسروده. وسيأتي الشرح على الوقائع التي جرت بينهما في موضعها «٣» على الأثر [إن شاء الله تعالى] «٤».

فأما الآن فإني أشير إلى نبذ من محاسن هذا الشيخ السفير، والكافل في الأمر بالتدبير، وأتبعه بذكر رجالات خراسان، من أعيان رعايا السلطان يمين الدولة وأمين الملة، ووجوه الفضل من أوليائه «٥». فمن منثور كلامه، قوله: «من تصدّر قبل أوانه، فقد تصدّى لهوانه»، يشير إلى قول منصور الفقيه: [١٤٠ ب]

الكلب أعلى همة «٦» ... وهو النهاية في الخساسة

ممن ينافس في الرئاسة ... قبل أوقات الرئاسة

و قوله: «العقل أطيب عيش، والعدل أغلب جيش»، وقوله: «إذا كان رضا الخلق معسورا لا يدرك، فإن ميسوره لا يترك» «٧»، [و قوله: «إنما يحتاج إلى إخوان العشرة لزمان العسرة»] «٨»، وقوله: «من تغافل عنك مع علمه بحاجتك إلى عونه وتوقيره، طلب عليك علة إذا عاتبته على تقصيره»، كأنه ألمّ بقول القائل:

توقّ الناس يا ابن أبي وأمي ... فهم تبع المخافة والرجاء

ألم تر مظهرين علي عتبا ... وكانوا أمس إخوان الصفاء

---

(١) أي أصبح لكل منهما سهم.

(٢) يقصد الحال.

(٣) وردت في ب: موضعهما.

(٤) ساقطة في ب.

(٥) وردت في ب: من الأولياء.

(٦) وردت في ب: رتبة.

(٧) ورد بعدها في الأصل: (في أبان)، حذفناها.

(٨) ساقطة في ب.

بليت «١» بنكبة فغدوا وراحوا ... علي أشد أسباب البلاء

أبت أقدارهم أن ينصروني ... بمال أو بجاه أو براء «٢»

و خافوا أن يقال لهم خذلتم ... صديقا فادعوا قدم الجفاء

و لبعض أهل العصر فيه:

كلام الإمام إمام الكلام ... وفوه يفوه بحرّ النظام

مزاج معانيه في نظمها ... مزاج المدام بماء الغمام

و له فيه:

ألا أيها الشيخ الجليل ومن به ... تبلّج أفق الدهر عن «٣» فلق البشر

لئن «٤» كنت في الدنيا وأنت وشاحها ... عيانا فإن الدرّ في صدف البحر [١٤١ أ]

و لم تحوك الدنيا لأنك دونها ... ولكن لبّ الشى ء يحصن بالقشر

و قد صين نصل السيف تحت قرابه ... كما صين نور العين بالجفن والشفر

و من أعيان رعايا السلطان بنيسابور: أبو نصر أحمد بن علي بن إسماعيل «٥» الميكالي «٦»، وهو صنيعة السلطان، وشيخ مملكته وجمال جملته فضلا موفورا، وأدبا مشهورا، وعزا معقودا، ومالا ممدودا، ورأيا كالأري «٧» مشارا «٨»، وحزما كالمرائر مغارا، ودهاء يسلخ الليل البهيم نهارا، ونظرا يستشف أستار المصائر فيستكشف أسرار الضمائر،

---

(١) وردت في الأصل: نكتب.

(٢) أي عقل وفكر. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٩٠ (روأ). ووردت في ب: ثراء.

(٣) وردت في الأصل: على.

(٤) وردت في الأصل: أي.

(٥) ساقطة في ب.

(٦) له ترجمة في: الباخرزي- دمية القصر، ج ٢، ص ٩٥٥؛ وانظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٣٠١.

(٧) الأري: العسل. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٢٨ (أري).

(٨) وردت في ب: مشتارا.

و شعرا نقي السّنخ «١» والجوهر، ذكي المسك والعنبر، رضي المورد والمصدر، فمنه قوله:

باني العلى والمجد والإحسان ... والفضل والمعروف أكرم بان

ليس البناء مشيدا لك شيده ... مثل البناء يشاد بالإحسان

البرّ أكرم ما حوته حقيبة ... والشكر أفضل «٢» ما حوته يدان

و إذا الكريم مضى وولى عمره ... كفل الثناء له بعمر ثاني «٣»

فأما كتابته فالسحر الحلال، والعذب الزلال، فهي تحكي بما تحويه من لطف العبارة، وحسن الاستعارة، ومعسول الإشارة والشارة، رياض ميثاء إلى القرارة «٤»، ومن منثور كلامه ورسائله، [١٤١ ب] ما كتب «٥» به إلى شمس المعالي قابوس بن وشمكير، أقرأنيه كاتبه:

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب العبد، وحاله فيما يديمه له «٦» مولاه من شرف إقباله ورضاه، ويفيضه عليه من ملابس فضله ونعماه، حال من تقبل عليه دنياه، ويسعد في ظل دولته بأولاه وأخراه، والحمد لله رب العالمين.

وصل كتاب الأمير موشحا بدرر خطابه، وغرر إيجابه، وبدائع برّه وأفضاله، وروائع أنعامه «٧» وإشباله «٨»، فيما أكرمني به من عزّ العيادة، وألبسنيه من حلل الفوز

---

(١) السّنخ: الأصل من كل شي ء. ابن منظور- لسان العرب، ج ٣، ص ٢٦ (سنخ).

(٢) وردت في ب: أكرم.

(٣) أوردها الباخرزي بشي ء من الاختلاف.

(٤) وردت في ب: قراءة. وميثاء: الأرض السهلة. ابن منظور- لسان العرب، ج ٢، ص ١٩٣ (ميث). والقرارة: ما قرّ فيه الماء، أو المطمئن المستقر من الأرض. ابن منظور- لسان العرب، ج ٥، ص ٨٥ (قرر).

(٥) وردت في ب: رسائل منها ما كتب.

(٦) ساقطة في ب.

(٧) وردت في ب: نعمه.

(٨) أشبل إشبالا: عطف وأعان. ابن منظور- لسان العرب، ج ١١، ص ٣٥٢ (شبل).

و السعادة، وشرّفني به من التهنئة على العافية المستفادة، فأوصل عزا يبقى على الأيام أثره، ولا يخلق على مرّ الزمان ذكره ومفخره. وفهمه العبد فهم من آنس منه رشدا، واقتبس من أثنائه قوة وأيدا، وسجد لله شكرا على ما أفاضه عليه من سجال «١» السلامة، ومدّ عليه من ظلال الفضل والكرامة، ورغب إليه في إسباغ العوارف عليه، [و إسداء العوائد لديه] «٢»، وصرف المحاذر عن حضرته «٣»، [و كر المكاره عن فنائه وساحته] «٤»، فأما ما أهّل الأمير [١٤٢ أ] العبد له من شريف كتابه، ولطيف خطابه، ورقّاه إليه من درجة العيادة أولا، ومنزلة التهنئة ثانيا، وإنفاذ القاصد به ثالثا، فإن ذلك من نتائج همته العالية، ودواعي شيمته الزاكية، التي تحنوه «٥» على أوليائه وخدمه، وتعطفه «٦» على أغذياء نعمه، فليس له في مقابلة ما أولاه، ومعارضة ما كساه، إلا الشكر يديمه، والنشر يقيمه، والرغبة إلى الله تعالى يخلصها في إطالة بقائه، وإدامة عزه وعلائه، وإنهاضه بمواجب خدمته، ومعرفة قدر نعمته بمنّه ورحمته. هذا ولو كان «٧» ملك العبد في مقابلة هذه النعمة- على جلالة قدرها، ونباهة خطرها وذكرها- غير بذل المهجة والقرينة «٨» في الطاعة، واستنفاذ الوسع والطاقة غاية لبلغها تقربا إلى حقوقه بما يقتضيها، ويؤدي شرط العبودية فيها، وحكم على نفسه بالعجز والتقصير معها، وإذ قد حرم المراد فما يتمسك إلا بالرغبة إلى الله تعالى في أن يتولى من مكافأته بما لا يسمح به إلا يده، ولا يفي به إلا مجده، فهذا هو الكلام الذي ليس به عثار، ولا عليه غبار، قد ولي الفضل تحبيره، [١٤٢ ب] وملك العقل رسمه وتصويره، والقليل

---

(١) الدلو الضخمة المملوءة ماء. ابن منظور- لسان العرب، ج ١١، ص ٣٢٥ (سجل).

(٢) ساقطة في ب.

(٣) وردت في ب: عنه.

(٤) ساقطة في ب.

(٥) وردت في الأصل: نحنو، وفي ب: نحنوه.

(٦) وردت في الأصل: يعطف.

(٧) ساقطة في ب.

(٨) وردت في ب: القرونة، وكلتاهما تعنيان النفس. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٣٣٩ (قرن).

منه على الكثير دليل، وكلام الجليل كقدره جليل:

قليل منك يكفيني ولكن ... قليلك لا يقال له قليل

و قد أكثر الشعراء في مدحه، لكني أثبت أبياتا للخوارزمي فيه من قصيدة أولها:

زفّ المنام إليّ طيف خياله ... لو أن طيفا كان من أبداله

و لو أن هذا الدهر يشكر لم يدع ... شكر الأمير وقد غدا من آله

لا ينشف الإلحاح نائله ولا ... سؤل امرى ء ينهاه عن إسآله

الوفر عند نواله والنيل عند ... سؤاله والموت عند صياله

و الخلق من سؤّاله والجود من ... عذاله والدهر من عماله

و فعاله كمقاله وشماله ... كيمينه ويمينه كشماله

تتجمّع الآمال في أمواله ... فيفرّق الأموال في آماله

لا علم إلا عزّه في عزّه ... لا حلم إلا حاله من حاله

و له علوم لو قسمن على الورى ... ما زاد عاقله على جهّاله «١»

و خلائق لو أنهن كواكب ... أضحى السّها في الضوء مثل هلاله

و فصول قول هنّ أعذب مسمعا ... من راحة المشغول من أشغاله [١٤٣ أ]

يخطرن بين سخائه وسنائه ... وبيهن .... «٢» وكماله

سمح البديهة ليس يمسك لفظه ... فكأنما ألفاظه من ماله

و كأنما عزماته وسيوفه ... من حدهنّ خلقن من إقباله

متبسم في الخطب تحسب أنه ... من حسنه متلثم بفعاله

هبني وفيت بحمده عن فضله ... من ذا يفي بالشكر عن أفضاله

و له أيضا من قصيدة أولها:

تلك الديار فريسة الأحقاب ... صنعت بعيني صنع ساكنها بي

____

(١) هذا البيت والأبيات الثلاثة التالية له ساقطة في ب.

(٢) ساقطة في الأصل، وفي ب. والبيت كله ساقط في د.

و إلى الأمير ابن الأمير تهافتت «١» ... رزحى الركاب برازحي الركاب

لبسوا الدجى لبس الغراب لريشه ... وغدوا لحاجتهم غدو غراب

و الفجر يطرف والظلام كأنه ... فضلات عتب في خلال عتاب

طلبوا امرأ أفعاله محسوبة ... ونواله فوضى بغير حساب

غدت المدائح «٢» وهي أسماء له ... ولغيره أصبحن كالألقاب

و المكرمات كثيرة الخطّاب إلا ... أنها «٣» تأبى على الخطّاب

متبسّم الحجّاب مكتئب العدى ... مثري النديم مجازف الحسّاب

شيم أرقّ من الهوى وألذّ من ... خطأ العدوّ رددته بصواب [١٤٣ ب]

و عزائم لو كن يوما أسهما «٤» ... لنفذن في الأيام غير نوابي

مائية الحركات إلا أنها ... نارية الإقدام والإلهاب

يخطرن بين سياسة ورئاسة ... ويهن بين مثوبة وعقاب

قد أصبحت ألفاظه صور النهى ... وقوالب الأسماع والألباب

و إذا حللت له جنابا واحدا ... حلّ المؤمّل منك ألف جناب

و ما آل ميكال إلا كما قاله أبو الطمحان القيني «٥»:

و إني من القوم الذين هم هم ... إذا مات منا سيد قام صاحبه

نجوم سماء كلما غاب كوكب ... بدا كوكب تأوي إليه كواكبه

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

و مازال منا حيث كان مسوّد ... تسير المنايا حيث سارت كتائبه «٦»

____

(١) وردت في ب: تواهقت. وبالوجهين يستقيم المعنى.

(٢) وردت في ب: المسايح.

(٣) وردت في ب: لكنها.

(٤) وردت في الأصل: وعزايما لو كي يوما رسمها.

(٥) أخباره في: ابن قتيبة- الشعر والشعراء، ص ١٨٦؛ ابن قتيبة- عيون الأخبار، ج ٤، ص ١٠٧.

(٦) انظر: ابن قتيبة- عيون الأخبار، ج ٤، ص ٢٤.

و مما يعد من مفاخره نجيبان له: أبو الفضل وأبو إبراهيم، عبيد الله وإسماعيل ابنا أحمد. كل منهما بدر في ضيائه وعلائه، وبحر في تياره ونمائه، غير أن أبا الفضل أبرع في لطائف الأدب، وأنظم لقلائد العرب. وقد سار له من النظم والنثر ما يزري حبره بوشي صنعاء، وزهره بروض شهباء «١». فمن فصول كلامه: [١٤٤ أ]

«وصل «٢» كتاب الشيخ فأذعنت القلوب لفضله بالاعتراف، واختلفت الألسنة في وصفه «٣» ببدائع الأوصاف، فمن مدّع أنه رقية الوصل، وريقة النحل، ومنتحل أنه عقد النحر، وعقد السحر، وسمط الدرّ، وقائل هو سلاف العنقود، ونظم العقود، فأما أنا فتركت التمثيل، وسلكت التحصيل، وقلت: هو سماء فضل جادت بصوب الحكم، ووشي طبع حاكه سنّ القلم، ونسيم خلق تنفّس عنه روض الكرم» «٤».

و أيضا له:

«وصل كتابك فكان أحسن من روض الربيع، وريط «٥» الوشي الصنيع، فلقيته «٦» بحلبة الإحسان والإبداع، وحيلة النواظر والأسماع، ومسنّ الخواطر والطباع، وصيقل الأفكار والألباب، وعيار المعارف والآداب، واجتليت منه تميمة فضل، ويتيمة مجد، وثمينة عقد، ولطيمة خلق، وغنيمة برّ، يجلو صفحة العهد، ويجيل قدح الأنس، ويجلّ عن قدر الشكر، كلام أعذب من فرات المطر، وأعبق من فتات المسك والعنبر، يزري بنور الخمائل، وقد عطّرتها أنفاس الشمائل» «٧».

____

(١) وردت في ب: ميثاء.

(٢) ساقطة في ب.

(٣) وردت في ب: تشبيهه.

(٤) أورده الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤١٢ (مع بعض الاختلاف).

(٥) جمع ريطة وهي الملاءة: وقيل: كل ثوب لين دقيق. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٣٠٧ (ريط).

(٦) وردت في الأصل: فاعبته.

(٧) أورد الثعالبي معظمه. يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤١١.

و من منثور ألفاظه:

أخلاقك قد أخذت من الورد عرفه، ومن الندّ عبقه، أخلاق هي [١٤٤ ب] المسك لو لا فارته، والورد لو لا مرارته، والماء لو لا إسراعه إلى الكدر، والروض لو لا حاجته إلى المطر، ووجه «١» البدر لو لا محاقه، والمشتري لو لا احتراقه.

هو عار من العوراء، كأس من العلاء، وله الشرف اليفاع، والأمر المطاع، والعرض المصون والمال المضاع «٢»، وله النوال السكب، والرأي العضب، ومنه الإباء المرّ والكرم العذب. هو واحد البشر، وثاني المطر، وثالث الشمس والقمر «٣»، [و رابع المسك والعود والعنبر] «٤».

لهفي على دهر الحداثة إذ غصن شبابي غض «٥» وريق، ونقل شرابي عض، وريق «٦».

النعمة عروس مهرها الشكر، وثوب صوانه النشر، النعمة عنده تكتسي من لؤمه أطمارا «٧»، وتشتكي غربة وأسارا «٨».

ولى المغرور يرسف من الرعب في حلق، ويجري مع الريح في طلق، دارت رحى الحرب بين أعمار تباح، ودماء تستباح، وأجسام تطاح، وأرواح تسفي بها الرياح «٩».

فالسيوف للهامات دامغة، والرماح في الأكباد والغة.

و من نظمه، قوله:

لقد راعني بدر الدجى بصدوده ... ووكّل أجفاني برعي كواكبه

____

(١) وردت في ب: وجهة.

(٢) انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤١٦.

(٣) انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤١٧.

(٤) ساقطة في ب.

(٥) إضافة من ب.

(٦) إضافة من ب. والمقصود به: إن نقله (و هو ما يؤكل أثناء شرب الخمر) عض حبيبه وارتشاف ريقه.

(٧) وردت في الأصل: اطرازا.

(٨) انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٢٠.

(٩) انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٢٥.

فيا جزعي مهلا «١» عساه يعود لي ... ويا كبدي صبرا على ما كواك به «٢» [١٤٥ أ]

و قوله:

ضاق صدري «٣» في هوى قمر ... قمر القلب وما شعرا

ليت أجفاني به سعدت ... فترى الجفن الذي فترا

و قوله:

تفرق قلبي في هواه فعنده ... فريق وعندي شعبة وفريق

إذا ظمئت نفسي أقول له «٤» اسقني ... فإن لم يكن راح لديك فريق

و قوله:

أنكرت من أدمعي ... تترى سواكبها

سلي جفوني هل ... أبكي سواك بها «٥»

و قوله:

إن لي في الهوى لسانا كتوما ... وفؤادا يخفي حريق جواه

غير أني أخاف دمعي عليه ... ستراه يفشي الذي ستراه «٦»

و قوله:

لنا صديق إن رأى ... مهفهفا لا طفه

فإن يكن في دهرنا ... ذو أبنة لاط فهو

و قوله:

لا تصبحنّ «٧» بالحياة ذا ثقة ... فكل نفس للمنون ذائقة

____

(١) ساقطة في ب.

(٢) انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٢٥.

(٣) وردت في ب: ورعى.

(٤) وردت في الأصل: لها.

(٥) انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٢٥.

(٦) انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٢٥.

(٧) وردت في الأصل، وفي ب: تصحبن. والتصحيح من د.

و قوله:

و كل غني يتيه به غنيّ ... فمرتجع بموت أو زوال

و هب جدي زوى لي الأرض طرا ... أليس الموت يزوي ما زوى لي

و من أعيان رعايا السلطان بناحية طوس، وإن كانت نيسابور دار قراره، ومعتقد ضياعه وعقاره،

أبو جعفر محمد بن موسى بن أحمد بن القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين «١» بن علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين

نسب كأن عليه من شمس الضحى ... نورا ومن فلق الصباح عمودا «٢»

و قد [١٤٥ ب] خدم ملوك آل سامان، وعاشر وزراءهم وكتّابهم، والتقط محاسنهم وآدابهم، فألفاظه ينابيع العلوم، وأقواله مرابيع العقول، ومجالسه حدائق الجدّ والهزل، وجوامع الكلم الفصل، فلم تبق يتيمة خطاب، ولا كريمة صواب، ولا غرّة حكمة، ولا درة نكتة، ولا طرفة حكاية، ولا فقرة رواية، إلا وهي عرضة خاطره، وثمرة هاجسه، ونصب تذكّره، ومثال تصوّره، ولا تصدأ صفيحة حفظه، ولا تدرس صحيفة ذكره، ولا يكسف بدر معارفه، ولا ينزف بحر لطائفه. ثم هو واحد خراسان من بين الأشراف العلوية في قوة الحال، وسعة المجال، واتساع رقعة الضياع، وارتفاع قدر الارتفاع، واشتداد باع العزّ، وامتداد شعاع الجاه والقدر. وقد كتبت عنه من نوادر الأخبار والأشعار، ما حكيت بعضه في كتابي الموسوم ب (لطائف الكتّاب) «٣». وسأورد الآن نكتا مما قاله، وقيل فيه إبانة عن غرر معاليه. فمن شعره، قوله:

و شادن وجهه بالحسن مخطوط ... وخده بمداد الخال منقوط

____

(١) وردت في ب خطأ: الحسن.

(٢) هذا البيت لأبي تمام. ديوان أبي تمام، ص ١٧٧.

(٣) ورد في الأصل: (لطائف الأدب). انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٥٨؛ الجاجرمي- نكت الوزراء، ص ١٦٠.

تراه قد جمع الضدّين في قرن «١» ... فالخصر مختصر والردف مبسوط [١٤٦ أ]

لو كان أدركه لوط النبي لما ... نهى لنا أبدا عن مثله لوط

و قوله:

فديت غزالي فهو ملكي «٢» حقيقة ... بلد به عيشي إذا نابني همّ

جميل محيّاه وكالدعص ردفه ... لطيف سجاياه فليس له خصم

[و سمعته يقول: حال الجاهل في التدبير، كحال الحمير، ما لها همة غير اعتلاف التبن، وإتيان الأتن.

و جرى حديث الوقود والشمس في الشتاء، فقال: مرعى ولا كسعدان، هيهات أين تقع الأم الرابة «٣» من الأم البارة. يعني أن الوقود يلفح ما قابل البدن بشرره، ويدع سائره على خصره. فأما الشمس فإنها تقسم الدف ء على البدن بالسواء، ليشترك فيه ظاهر الأعضاء وباطن الأحشاء] «٤»

و قد أكثر الشعراء والأدباء فيه، فمن ذلك قول البستي [علي بن محمد الكاتب] «٥» رحمه الله:

أنا للسيد الشريف غلام «٦» ... حيث ما كان فليبلّغ سلامي

و إذا كنت للشريف غلاما ... فأنا الحرّ والزمان غلامي «٧»

[و لأبي الفضل الهمذاني المعروف بالبديع رحمه الله] «٨»:

____
(١) حبل يقرن به بعيران. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٣٣٦ (قرن).
(٢) وردت في الأصل: هلكى.
(٣) زوجة الأب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٤٠٥ (ربب).
(٤) إضافة من ب.
(٥) إضافة من ب.
(٦) وردت في ب: غلاما.
(٧) الخولي- أبو الفتح البستي، ص ٣٠٦.
(٨) ساقطة في ب.

أنا في اعتقادي للتسنّ ... ن رافضي في ولائك

و إن اشتغلت بهؤلا ... ء فلست أغفل «١» عن أولئك

يا عقد منتظم النبوة ... بيت مختلف الملائك

يا ابن الفواطم والعواتك ... والترائك والأرائك

أنا حائك إن لم أكن ... عبدا لعبدك وابن حائك «٢»

و لبعض أهل العصر فيه:

عيد البرية عيد المهرجان أتى ... أهلا بعيد أتى عيدا يحييه

العيد لألاؤه يبقى إلى أمد ... وعيدنا دائم اللألاء باقيه

لا زال سيدنا في ظل دولته ... وظله دانيا ممن يواليه [١٤٦ ب]

محكّما في رقاب الأرض قدرته ... يجني له ثمر الإقبال جانيه

أعشاره المجد والعليا «٣» جلائبه ... خراجه الدهر والدنيا جواليه

و بنى بنيسابور دارا، فتنافس أهل العصر في ذكر بنائها، ووصف شرفها وسنائها.

فمن ذلك قول البديع الهمذاني:

دار قسمت عراصها ... تحكي الأباطح والرصافة

بين المروءة والنبوة ... والخلافة والضيافة

فيها المصاحف والمعازف ... والسوالف والسلافة

لازلت يا دار الكرا ... م مصونة عن كل آفة «٤»

و فيها لأبي عبد الله الغواص:

يا دار سعد قد علت شرفاتها ... بنيت شبيهة قبلة للناس

____
(١) وردت في ب: اعقل.
(٢) ديوان بديع الزمان، ص ١١٤ (مع اختلاف في بعض المفردات).
(٣) وردت في ب: البشرى.
(٤) ديوان بديع الزمان، ص ١٠٢ (مع اختلاف في بعض الألفاظ).

لورود وفد أو لكشف ملمة ... أو بذل مال أو إدارة كأس «١»

و من أفاضل أعيان «٢» العلوية،

أبو البركات علي بن الحسين «٣» بن علي بن جعفر ابن محمد «٤»، وهو الملقب بجور بن الحسين بن علي، وهو الملقب بالديباج، المدفون بجرجان، ابن جعفر بن محمد، الصادق بن «٥» محمد الباقر بن علي زين العابدين «٦» بن الحسين بن علي بن أبي طالب [أمير المؤمنين] «٧» رضوان الله عليهم أجمعين.

نسب توارث كابرا عن كابر ... كالرمح أنبوبا على أنبوب

وأري النجابة لا يكون تمامها ... لنجيب قوم ليس بابن نجيب

قد جمع الله [١٤٧ أ] له بين ديباجتي النظم والنثر، فنثره منثور الرياض جادتها السحائب، ونظمه منظوم العقود زانتها النحور والترائب، فمن نثره فصل له:

«أحب أن تكون مكاتبتي للأمير أنفا لم ترتع، وبكرا لم تفترع، وسائبة لا تركب ولا تحلب، فلا أشوبها بأرب، ولا أتسبّب إليها بسبب، فعل من لا يشين ولاءه طمع، ولا يشوب دعواه عنت ولا طبع، على أن الاضطرار يغبّر في وجه الاختيار، والعذر فيه مقبول عند ذوي الأخطار والأحرار، وفلان يمسّني بحق الجوار، ولقد نشر جرائد شكره، وأظهر بحسن النشر خبايا برّه، فملأ الأرض ثناء، والسماء دعاء. وعادة الأمير أن يحيي الآمال، ويسترق الأحرار، فليجعل متكرما هذا الآمل «٨» محظوظا، ولا يجعله محطوطا» «٩».

____

(١) الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٥١٠.

(٢) ساقطة في ب.

(٣) وردت في الأصل: الحسن. انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٨٤؛ الثعالبي- تتمة اليتيمة، ص ١٨١.

(٤) ورد بعدها في ب: بن الحسين، وهو خطأ، فحذفناه.

(٥) وردت في الأصل: وهو، وفي ب: و.

(٦) وردت في ب خطأ: علي بن زين العابدين.

(٧) ساقط في الأصل.

(٨) وردت في ب: النائل.

(٩) ورد بعدها في ب: إن شاء الله.

و له أيضا:

«رقعتي هذه وأنا عائد معود، وقاصد بالزيارة مقصود، أخاطب أصدقائي بما أخاطب، وأكاتب إخواني بما أكاتب، سمائي وقدة «١»، وأرضي رعدة «٢»، تنتابني الحمّى، ولا تفارقني الشكوى، نفسي نفسان، ونفسي نفسان، كأن الحول شاطرني فصوله، فنلت غرّته وحجوله، فالربيع بين عيني وخيشومي، والصيف كامن بين صدري [١٤٧ ب] وحلقومي، وما عرفت لعلتي هذه سببا إلا إني رأيت نفس الحرية متشكية، فشاركتها في شكواها، ووجدت عين الكرم والكمال متأذية، فاحتملت عنها أذاها، وقلت ممتثلا لا متمثلا:

و نعود سيدنا وسيد غيرنا ... ليت التشكي كان بالعواد

ثم ذكرت ما أعدّ الله تعالى للعباد، من ثواب العلة في المعاد، فاستصغرت عند ذلك ما استعظمته، وسهل مسلكي وإن استوعرته، وقلت: مسح الله تلك النسمة من العلة، وأعطي الشيخ بها أمانا من القلة، وأعمي عنه ناظر الزمان، ولا طرّق إلى فنائه طوارق الحدثان، وتمنيت أني واصلت غدوي برواحي في زيارة الشيخ، مشاهدا للحال، وإقباله نحو البرء والإبلال «٣»، وقد حيل بين العير والنزوان «٤»، وعلى حالتي هذه فإني أستريح إلى خبر سلامته، وأحصل لنفسي منّة «٥»، وله- أيده الله- بإهدائه إليّ يد «٦» ومنّة، ورأيه في إتحافي به موفق [إن شاء الله تعالى «٧»]».

____

(١) وردت في ب: وعده. وفي قوله: (سمائي وقدة) كناية عن رأسه المتقد حرارة. وفي (أرضي) المذكورة بعدها، كناية عن أطرافه المرتجفة.

(٢) وردت في ب: وقده.

(٣) بلّ من مرضه إبلالا: برأ. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٦٥ (بلل).

(٤) مثل يضرب في منع الرجل مراده. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٣١٩ (نزا).

(٥) قوّة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٤١٥ (منن).

(٦) وردت في الأصل: يداه.

(٧) إضافة من ب.

و من نظمه قوله:

و أغيد سحّار بألحاظ عينه ... حكى لي تثنّيه من البان أملودا

سلخت بذكراه عن الصبح ليلة ... أسامره والكأس والناي والعودا [١٤٨ أ]

ترى «١» أنجم الجوزاء والنجم فوقها ... كباسط كفيه ليقطف عنقودا «٢»

و كتب إلى أبي بكر الخوارزمي:

لئن كان ذنبي أني اعتللت ... فذلك ذنب صغير صغير

و إن كان هجري من أجله ... فذلك ظلم كبير كبير

صدودك عني صدود الحياة ... وصدّ سواك يسير يسير

فزرني قليلا تجد شاكرا ... لديه القليل كثير كثير

و له في وصف اللقانق «٣»:

فإن كنت تهوى اليوم أكل اللقانق ... فبادر إلى أمثال جيد الغرانق

إلى جامع اللذات طيبا وجودة ... قضى حقه طاه بصنعه حاذق

تراه على السّفّود عند صلائه ... كزنجية زينت بحلي المخانق

فبعض تدلى «٤» كالوشاح وبعضه ... منوط عليه في محلّ المناطق

فانجح لقيت الخير في حاجة امرئ ... وفي بشرط الود غير مماذق «٥»

و من أفاضل أضرابهم

القاضي أبو القاسم علي بن الحسن «٦» الداودي «٧» بهراة.

---

(١) وردت في الأصل: نوى.

(٢) أوردها الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٨٥.

(٣) ما نعرفه اليوم بالنقانق. عن طريقة تحضيره، انظر: ابن سيار الوراق- كتاب الطبيخ (مخطوط)، ورقة ٥١ أ، الشيزري- نهاية الرتبة، ص ٣٨.

(٤) وردت في ب: تدالى.

(٥) مذق اللبن: خلطه ومزجه. وقوله: غير مماذق يعني: غير ممتزج. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٣٣٩ (مذق).

(٦) وردت في الأصل: الحسين.

(٧) له ترجمة في: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٣٩٥.

و هو عندي ممن يستحق أن يقال فيه، ما قاله الصاحب «١» لبعض من كان يواليه: لو لا أن قدرة الله عندي جنس واحد، [١٤٨ ب] لقلت ليس في القدرة وجود مثله، في كماله وفضله. جاوز السبعين، وناهز الثمانين، واحد الأنام منثورا ومنظوما، وثاني الغمام معقولا ومعلوما، شب للعلم خادما، وشاب على العلى مخدوما. فمن منثور كلامه، فصل له من كتاب:

«وصلت ملطفة الشيخ فلطفت لغليل «٢» بردّته، ووجه بصبغ الارتياح وردّته، بخبر سلامته التي نسميها عندي نسيم الجنان، والوسيلة إلى السلوان».

و له فصل:

«كيف لا أعتد بصنع الله لي في نخيلة «٣» ودّه، وعقيلة عهده «٤»، وقد قبلني في الله أخا حين عزّ الإخاء، وعدم من بين «٥» الأودّاء الوفاء، وكاد لا يصدق في وجودهما رائد «٦»، ولا يظفر بهما مضل ولا ناشد، وأصبحت المصافاة مخاتلة ومخاترة، والمخالصة مكاشرة ومناحرة. وقد كان المتحابون في الله أقل من القليل، والإسلام عليه رونق الشبيبة، وهو في بردته القشيبة».

و له فصل من كتاب:

«كلامي في مخاطبة الشيخ مماثل لا نعكاس شعاع الناظر، وردّ الفوارة ماء الغمام الماطر، على المذهب الذي ذكره علي بن الجهم في صفة الفوّارة:

---

(١) الصاحب بن عبّاد.
(٢) وردت في ب: الغليل.
(٣) نخل الشيء: صفّاه. فالمقصود هنا، الود الصافي. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٦٥٢ (نخل).
(٤) وردت في الأصل: عقيده.
(٥) ساقطة في ب.
(٦) وردت في ب: وجوهما زايد. والأصح ما أثبتناه، فالرائد هو الذي يرسله قومه يبصر لهم الكلأ والماء. وفي قوله إشارة إلى المثل: (الرائد لا يكذب أهله). ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ١٨٧ (رود).

تردّ على المزن ما أسبلت ... على الأرض من [١٤٩ أ] صوب أمطارها «١»»

و له من «٢» فصل:

«كان كل مجلس من مجالسه للأنس مزوّقا، وللازديار مشوّقا، فكان مرويا مظمئا، وموقدا مطفئا».

و مما أنشدت له من قلائد شعره وإن كان كالحصى تمثيلا، قوله:

ربّما قصّر الصديق المقلّ ... عن حقوق بهن لا يستقلّ

و لئن قلّ نائل فصفاء ... في وداد وخلّة لا تقلّ

أرخ سترا على حقارة برّي ... هتك ستر الصديق ليس يحلّ «٣»

و قوله:

قالوا ترفق في الأمور فإنه ... نجح ومري الدّرّ بالإبساس «٤»

و لقد رفقت فما حلبت بطائل ... ما ينفع الإبساس بالأتياس؟! «٥»

و قوله:

و أخلاق كأطراف الزجاج ... رفقت بهنّ رفقك بالزجاج

إلى أن عدن لي زبدا بشهد ... كذاك تكون عاقبة العلاج

و قوله من «٦» مرثية أبي سليمان الخطابي رحمه الله «٧»:

____

(١) ديوان علي بن الجهم، ص ٣١. وقد ورد البيت في ديوانه:

تردّ على المزن ما أنزلت ... على الأرض من صوب مدرارها

(٢) إضافة من ب.
(٣) انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٣٩٥.
(٤) بسّ بالناقة وأبسّ بها: دعاها للحلب. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٢٧ (بسس).
(٥) انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٣٩٥.
(٦) وردت في ب: في.
(٧) وردت في ب: قدس الله روحه. وعنه، انظر: السمعاني- الأنساب، ج ٢، ص ٣٨٠؛ ابن قاضي شهبة- طبقات الشافعية، ج ١، ص ١٥٦.

انظروا كيف تخمد الأنوار ... انظروا كيف تسقط الأقمار

هكذا هكذا تزول الرواسي ... هكذا في الثرى تغيض البحار

أوحد «١» الدين والمروءة والفضل ... رمته بسهمها الأقدار

مات من لم يكن «٢» لدنياه فتك ... بحجاه ولا عليه اقتدار [١٤٩ ب]

هي مفترّة عليه خداعا ... وهو دون افترارها فرّار

و قد وصف أبو الفتح البستي فضله بأبيات «٣» له:

أبا القاسم استعبدت ودّي بتالد ... تلاه بلا منّ لبرّك طارف

و أضعفت شكري حين ضاعفت أنعما ... وقد يضعف النبت الندى المتضاعف

أتاني كتاب منك فيه طرائف ... تقبّل «٤» من أطرافهن الطرائف

صحيفة إحسان تخرّ لحسنها ... سجودا إذا ما لا حظتها الصحائف

و فيه من النظم البديع وصائف ... تقصّر أوصافهنّ الوظائف «٥»

فواصلني منها شباب مساعد ... وطالعني منها «٦» زمان مساعف

و أصبح دهري «٧» عادلا وهو عاسف ... وعادت رخاء ريحه وهو عاصف

و من أعيان نجوم الدولة

أبو نصر أحمد بن محمد بن عبد الصمد الشيرازي

الكاتب ابن الكاتب، والنقاب ابن النقاب «٨»، والبحر ابن «٩» السحاب، والبدر ابن «١٠»

____

(١) وردت في ب: أحمد.

(٢) إضافة من ب.

(٣) وردت في ب: في أبيات.

(٤) وردت في الأصل: تهتك.

(٥) هذا البيت ساقط في ب.

(٦) وردت في ب: فيها.

(٧) وردت في ب: منه.

(٨) النقاب: الرجل العالم بالأمور. ابن منظور- لسان العرب، ج ١، ص ٧٦٩ (نقب).

(٩) وردت في الأصل: ان.

(١٠) وردت في الأصل: ان

الشهاب، والنار التي لا يخمدها الماء ذكاء، والسيف الذي لا يألف القراب مضاء، والسعد الذي يلي وتد السماء زكاء «١»، فعطارد تلميذ إفادته، والمشتري مشتري سعادته، وثاقب النجم عبد دهائه، وشارق الشمس خادم رأيه وروائه. [١٥٠ أ]

خدم أبوه- أبو طاهر- حسام الدولة أبا العباس تاش على ديوان أسراره. بارعا في الصناعة، صنعا «٢» في البراعة، مخلوقا لفصل القول، مرموقا بعين الطول، يناضل الصاحب إسماعيل بن عباد، فيخرق عليه قرطاس الأدب، ويساجله فيملأ الدلو إلى عقد الكرب، مصعب «٣» لا المصعبي «٤» يضاهيه، ولا المؤملي «٥» يباهيه، ولا الفارسي «٦» يدانيه، ولا اليسعي «٧» يسع بعض مساعيه. يجانس أنجم النّثرة نثره، ويثاقب شعرى المجرة شعره، فمما بلغني عنه أنه قال:

بحسام دولته وصاحب جيشه ... وحجاب سدّته أبي العباس

و قد جمع في هذا البيت خصائص أوصافه، وضمّ إلى واسطة المدح أقاصي أطرافه، دالا على نبوة الإعجاز، ببرهان الاختصار والإيجاز.

و أراد الله سعادة هذا الفاضل، فهداه نهج أبيه، وعدّاه موقف التشبيه، فنما نموّ

____

(١) ورد بعده في ب: ونماء.

(٢) وردت في ب: صناعا. انظر: ابن منظور- لسان العرب، ج ٨، ص ٢١٠ (صنع).

(٣) المصعب: الرجل الفحل المسوّد. ابن منظور- لسان العرب، ج ١، ص ٥٢٤ (صعب).

(٤) يقصد أبا الطيب المصعبي وزير الأمير نصر بن أحمد الساماني. عنه، انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٩٠.

(٥) وردت في الأصل، وفي د: الموصلي، وفي ب: ومؤمل لا المؤملي. ولعل المقصود بالمؤملي أبو الحسن أحمد بن المؤمل الذي ذكره الثعالبي ضمن شعراء بخارى، وقال عنه: أكثرهم محاسن وفضائل، وله شعر يجمع الجزالة والحلاوة. وكان كاتب أبي الحسن فائق الخاصة. يتيمة الدهر، ج ٤، ص ١٦٨.

(٦) لعله أبو إسحاق إبراهيم بن علي الفارسي، من علماء النحو واللغة، ولي ديوان الرسائل للسامانيين. أو أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي، أحد كبار النحاة، وقد وزر للأمير إسماعيل بن سبكتكين. انظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ١٧١، ص ٤٤٤.

(٧) نسبة إلى اليسع من بني إلياس أمراء كرمان، وهم من رجال السامانيين. عنهم، انظر:
رضي الله عنosworth- The رضي الله عنanu. Ilyas
الأشاء «١»، على طيب التربة والماء، ليس نموّ القامة والضخامة، لكن نموّ هلال الظلم، وشبوب النار فوق العلم، وصفاء الخمر مرشوما على القدم «٢».
و اختص بخدمة الأمير الجليل [١٥٠ ب] أبي سعيد التونتاش خوارزمشاه «٣»، إذ هو تاج الحجّاب، وناظر عين الباب، فأعداه يمنه «٤» حتى لبس الملك فضفاضا، وغنى عن السواد وإن كان عليه بياضا. وانتقل بانتقاله عن سمة الكتابة، إلى رتبة الوزارة، وعن حضيض الخدمة، إلى يفاع الشركة في الإمارة، فلم يشركه من أبناء جنسه في البلاغة اثنان، وساد حتى أعيا من عبد المدان مدان. ومما وقع إليّ من نسج قلمه، وحرّ كلمه، من كتّاب خاطب به بعض إخوانه:
«لعل الدهقان يظنني أؤثر مع مساعدة الزمان مباعدة الإخوان، وأرضى من صدر الوزارة بقلب كالحجارة، فلم يزل نيل المراتب حلّالا للعقود، قطّاعا للأواصر والعهود، كلّا «٥» إني ما أزداد ارتفاعا، إلا ازددت للصديق اتضاعا، ولا أنال على الأيام رتبة، إلا ازددت إلى الإخوان قربة. غيري من يصلّفه السلطان ويبدله الزمان «٦»، ويذمّ عهده الإخوان، على أنني مهما نسيت عهدا أو تناسيت، وقلعت أخيّة «٧» الوفاء دون من آخيت، فلست أنسى عهده، ولا أرضى قطيعته وهجره «٨». إني وقد قيّدني بأياديه الزهر، واسترقني

---

(١) صغار النخل. ابن منظور- لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٧ (أشي).
(٢) وردت في ب: القدم. ويقصد أن الخمر مختوم منذ أن صنع في القدم. انظر: ابن منظور- لسان العرب، ج ١٢، ص ٢٤٢ (رشم).
(٣) حاجب الأمير محمود الغزنوي، عينه واليا على خوارزم بعد ما عزل أبا الحارث محمد بن علي بن مأمون سنة ٤٠٨ ه. انظر: زامباور- معجم الأنساب والأسرات، ص ٣١٦.
(٤) وردت في الأصل: فاعلاه يمنه. وفي ب: ما عداه يمينه. والتصحيح من د. حيث إن المقصود أعداه بركته.
(٥) وردت في الأصل، وفي ب: وكلا.
(٦) وردت في ب: يصلفه الزمان، ويبدله السلطان.
(٧) الحرمة والذمة. كما إن الأخيّة عروة تشدّ إليها الدابة. انظر: ابن منظور- لسان العرب، ج ١٤، ص ٢٣، ٢٤ (أخا).
(٨) وردت في الأصل: وصده.

٢٣ ذكر وقعة «3» بهاطية «4»

بمعاليه الغرّ، [١٥١ أ] فما أرى له بديلا، ولا أملك عنه تحويلا، أعاذني الله- ما بقيت- من صدوده، ولا سلبني طيب الأنس به بمنّه وجوده».
و هذا القدر على مبلغ القدرة دالّ، وللمميز البارع متى قصد الإنصاف في المدح والتقريظ مجال.
فهؤلاء أعيان رعايا السلطان في الفضل الواسع، والأدب الجامع، ووراءهم من أعلام البراعة وأحداث الصناعة من يزحف ذكرهم عن الغرض المقصود بهذا الكتّاب، [و لم استقر أسامي المذكورين إلا أنهم بالإضافة إلى سائر أعيان البلاد، أفراد في ارتفاع المراتب، واتساع الحظوظ والرغائب، واضطراب الصيت في الآفاق، وصوغ الأيادي قلائد الأعناق] «١».
و سنعود إلى ذكر السلطان يمين الدولة وأمين الملة، ووقائعه التي رضيتها حدود الظبات، وإن سخطتها نفوس العداة، فننمي «٢» كل وقعة إلى وقتها ويومها، ونلحق شرح حالها بقومها، إلى أن نوفي الكلام حقه من الإشباع في ذكر الحروب التي جرت بين السلطان وبين أيلك الخان.
ذكر وقعة «٣» بهاطية «٤»

لما فرغ السلطان [١٥١ ب] يمين الدولة وأمين الملة من أمر سجستان، وسكن له نابضها، وانجاب عنه عارضها، ارتاح لغزوة بهاطية، فجرّ الجحافل مسوّمين بشعار الهداة

____
(١) ساقط في ب.
(٢) نسب.
(٣) وردت في ب: غزوة. والوقعة أدق تعبيرا، فهي تعني الحرب صدمة بعد صدمة. أما الغزوة فهي المرة الواحدة من الغزو. انظر: ابن منظور- لسان العرب، ج ٨، ص ٤٠٣ (وقع)، مج ١٥، ص ١٢٣ (غزا).
(٤) قال عبد الحي حبيبي (محقق كتاب زين الأخبار): بهاطية معرب بهت وبهتيان وهي قبائل كانت تعيش في السند العليا. الكرديزي- زين الأخبار، ص ٢٦٨؛ وهي عند البيروني (بهاتي). تحقيق ما للهند من مقولة، ص ١٤٥؛ وذكرها مستوفي (هياطية)، ولعلها تصحيف من الناسخ. نزهة القلوب، ص ٢٥٩؛ وجاءت (بهاريته) عند هروي- طبقات أكبري، ج ١، ص ٢٦.

الثقات، ورايات الحماة الكماة، حتى عبر سيحون «١» من وراء الملتان إلى مدينة بهاطية، فألفاها ذات سور تزلّ عن موازاتها أجنحة النسور، وقد أحاط بها خندق كالبحر المحيط، في الغور البعيد والعرض البسيط، وهي مشحونة بمل ء الوهم «٢» من عدة وعديد «٣»، ومعمول عن حديد، وكل فيل كشيطان مريد. وعظيمهم يومئذ المعروف بجهرا «٤»، فاستخفّته العزة بما حوته يده للبروز من وراء السور مهوّلا بأعداد رجاله، وأشخاص أفياله، ومتطاولا بباع الاقتدار في قتاله.

و حضأ «٥» السلطان عليه نار الحرب ثلاثة أيام بلياليها، يرميه بالصواعق من ظبى «٦» السيوف البوارق، ويقذفه بالشهب اللوامع، ومن شبا الرماح الشوارع. وواصلها عليهم صبيحة الرابع، بضرب يطير الحواجب عن العيون، ويزيل القبائل عن الشؤون «٧»، ورشق يدع الأجساد مناخل بل مناخر [١٥٢ أ] قد انفجرت عروقها، وأعيت على السّكر بثوقها، حتى «٨» إذا توّجت الشمس قمة النهار، أهاب بالشدّ على الكفار الفجار «٩» فتجاوبت نغم التكبير استنزالا لنصر الله [عز وجل] «١٠»، وتنجزا لصادق وعد الله. وحمل أولياء الله على

____
(١) انظر: ص ٢١٠ من هذا الكتاب، هامش (٣).
(٢) ربما قصد أنها شحنت برجال يفوق عددهم الخيال والتصور. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٦٤٣ (وهم).
(٣) وردت في الأصل: عبيد.
(٤) وردت عند الكرديزي: بجيرا وراجه بهاطية. زين الأخبار، ص ٢٨٦؛ وعند هروي: بجرا. طبقات أكبري، ج ١، ص ٢٦.
(٥) وردت في الأصل: حذ، وحضأ: ألهب وسعر. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٥٦ (حضأ).
(٦) جمع ظبة وهي حد السيف. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٢٢ (ظبا).
(٧) وردت في الأصل: شؤن.
(٨) وردت في الأصل: على.
(٩) إضافة من ب.
(١٠) ساقط في ب.

ذوي الإفك والشرك حملة كشفت صفوفهم «١»، وأرغمت بالذل «٢» أنوفهم. وأقبل السلطان كالفحل العتيق يضرب باليدين، ويقدّ الدّارع «٣» بنصفين، ويسقي ظماء الكفر من كؤوس الحين. وملك عليهم في تلك الشدة الواحدة عدة «٤» من الفيلة التي كان يعدّها الكافر حصونا لقلبه «٥»، ويعدها سكونا لقلبه «٦».

و تماوج الفريقان في غمار «٧» تلك الحملة، بين نقف «٨» يثير أدمغة الهام، وطعن ينزف «٩» حشاشة الأجسام. وأعلى الله راية السلطان، بل راية الدين والإيمان، وأهبّ ريح «١٠» النصر رخاء، وأعاد شدة العيش رخاء، فولّى المشركون نحو المدينة اعتصارا بسورها، وانحصارا في دورها، فأعجلهم الطلب عن الاحتياط، وملك عليهم مداخل الحصار، وتعاون أفناء «١١» العسكر على سدم خنادقه، وهدم وثائقه، وتضافروا على تفسيح مضائقه، وتفتيح مغالقه.

و قد كان بجهرا حين غلت مراجل [١٥٢ ب] الحرب، واختلت «١٢» مناجل الطعن والضرب، أحسن بالهون والعطب، وشام برق

الويل والحرب، فاندسّ في عصابة من رجّالة

____

(١) وردت في الأصل: صنوفهم.

(٢) وردت في الأصل: بالذكر.

(٣) من تدرّع بدرع.

(٤) إضافة من ب.

(٥) أي قلب الجيش.

(٦) يقصد فؤاده.

(٧) وردت في ب: غبار.

(٨) وردت في ب: ضرب. والنّقف: كسر الهامة عن الدماغ، أو هشم الرأس. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٣٣٩ (نقف).

(٩) وردت في الأصل: لغزف.

(١٠) وردت في الأصل: الريح.

(١١) أخلاط. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ١٦٥ (فني).

(١٢) اختلّه بالرمح: نفذه، وتخلله به: طعنه طعنة إثر أخرى. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٢١٥ (خلل).

رجاله، للاحتجاز ببعض الغياض، أو «١» الاستناد إلى شعف بعض تلك الجبال، فسرّب السلطان كوكبة من خواصه في طلبهم، فأحاطوا بهم إحاطة الأزرار بالأعناق، وحكّموا فيهم حدود البواتر الرقاق. فلما رأى بجهرا ما دهاه «٢»، عمد إلى خنجر في خصره، فهتك به حجاب صدره، وانتقل إلى نارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ* الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ «٣»، جزاء لمن كان كفر وتولّى، وجحد الأولى، ولا صام ولا صلّى، ولا سبّح ربه الأعلى.

نعم، وأقبل عسكر السلطان، فقتلوا المقاتلة، وغنموا الأموال الحاصلة، وخصّ السلطان مائة وعشرون رأسا من الفيلة، بما يضاهيها من ذخائر الأموال والأسلحة، ملكا عزّ على غيره مناله، وملكا تطفّل على حلته حلاله. وأقام ببهاطية إلى أن طهّرها من أنجاس أولئك الأرجاس، وأدناس أولئك الأنكاس «٤»، ونصب بها من يعلّم حملة الدين سنن الإسلام، ويبين لهم طرق الحلال والحرام. ثم كرّ إلى غزنة موفور العلاء، [١٥٣ أ] منصور اللواء، عالي الرأي، سائر الجد على خط الاستواء، إلا أنه وافق منصرفه هوامي أمطار، وطوامي أنهار، وفوارع جبال، وقوارع أضداد وأقتال «٥»، فاستغرق الغرق جلّ أثقاله، وشمل التفرّق جملة من رجاله، ووقاه الله آفة تلك المسافة، ومهالك تلك المسالك، وهو يتولى الصالحين.

و قد كان أبو الفتح علي بن محمد البستي ينكر حركات السلطان بنفسه في تلك المقاصد، برأي يستمليه من عطارد، وحقا لقد كان يقول ما تشهد به العقول، ولكن إذا جاء بهرام «٦»، والسيف الحسام، والبطش والإقدام، فقد سقط الكلام، وبطلت الصحائف

____

(١) وردت في ب: و.

(٢) وردت في الأصل: دهاهم.

(٣) سورة الهمزه، الآيتان ٦، ٧.

(٤) جمع نكس، وهو الرجل الضعيف، والمقصر عن النجدة والكرم. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٢٤٢ (نكس).

(٥) جمع قتل وهو العدو. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٥٥٠ (قتل).

(٦) الاسم الفارسي لكوكب المريخ، وتعد أيامه أيام نحس. انظر: الخوارزمي- مفاتيح العلوم، ص ٢٣٥، ٢٥٠.

٢٤ ذكر غزوة الملتان

و الأقلام. وأنشد أبو الفتح البستي في هذا الباب لنفسه قوله:

ألا أبلغ «١» السلطان عني نصيحة ... يشيعها ودّ ورأي محنّك
تجاوزت أوج الشمس عزا ورفعة ... وذللت قسرا كل من قد تملكوا
فما حركات متعبات تديمها ... تأنّ فأوج الشمس لا يتحرك
و هذه مسألة تتنازعها الأوائل، فمنهم من يجعل لأوج «٢» الشمس حركة كسائر حركات الأوجات، فأما المحققون فقد أنكروا ببراهين هندسية، وأشكال برهانية [١٥٣ ب].
ذكر غزوة الملتان
قد كان بلغ السلطان يمين الدولة وأمين الملة حال والي الملتان أبي الفتوح «٣» في خبث نحلته، ودخل دخلته «٤»، ورجس اعتقاده، وقبح إلحاده، ودعائه إلى مثل رأيه أهل بلاده. فأنف للدين من مقارّته «٥» على فظاعة شرّه، وشناعة أمره. واستخار الله الخائر في قصده، لا ستتابته، وتقديم حكم الله في الإيقاع به. وأمر بضم الأطراف، وكفت «٦» الذيول، وجمع الخيول إلى الخيول. وضوى إليه من مطوّعة المسلمين من ختم الله لهم بصالح العمل، وأكرمهم بإحدى الحسنيين في الأزل. وثار بهم نحو الملتان عند موج الربيع بسيول الأنواء، وسيح الأنهار بفضول الأنداء، وامتناع سيحون «٧» وأخواتها على

---

(١) وردت في ب: بلغ.
(٢) الأوج تعريب لكلمة (أوگ) الفارسية، وتعني أرفع موضع أي أبعده من الأرض. انظر: الخوارزمي- مفاتيح العلوم، ص ٢٤٤؛ التونجي- المعجم الذهبي، ص ٨٣.
(٣) داود بن نصر. الكرديزي- زين الأخبار، ص ٢٨٦.
(٤) الدّخل: ما داخل الإنسان من فساد في عقل أو جسم. وكذلك الغش والفساد. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٢٤١ (دخل).
(٥) أي إقراره.
(٦) وردت في الأصل، وفي ب: كف. والتصحيح من د. كفت الشيء: ضمّه. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٧٩ (كفت).
(٧) انظر: ص ٢١٠ من هذا الكتاب، هامش (٣).

ركّابها، واستصعاب متونها على أصحابها، فطلب السلطان إلى أندپال- عظيم الهند- أن يطرّق «١» له في مملكته إلى مقصده، فتمنّع وتمرّد، وأخذته العزة باللؤم، فأبى وتشدّد «٢».
و رأى السلطان غرة الرأي في دهمة ذلك الخطب أن يبدأ به على عزة جانبه، [١٥٤ أ] فيذلّ صليفه «٣»، ويبيح غريفه «٤»، ويمزّق لفّه ولفيفه، جامعا بين غزوتين «٥»، وقاطفا جني الجنتين؛ فبسط عليه أيدي القتل والإيثاق، والنهب والإرهاق، والهدم والإحراق، يلجئه من مضيق إلى مضيق، وينفيه من طريق إلى طريق، طاويا عليه بلاده طيّ التجار بحضرموت برودا «٦»، إلى أن ضجرت القنا «٧» من هتك حلق الدروع «٨»، وسكرت الظبى من رشف علق الأحشاء والضلوع، وركب أثره في أغوار دياره، وأعماق رباعه، يتجسس دماث «٩» السهول، وقضض الأماعز «١٠»، ويقري عليه وحوش الجوّ بين ضيق المداخل ورحب المفاوز، حتى أضمرته قشمير «١١». ولما سمع أبو الفتوح «١٢» والي الملتان بما

---

(١) أي يفسح له طريقا.
(٢) وردت في الأصل: شدد.
(٣) الصّليف: جانب العنق. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ١٩٨ (صلف).
(٤) الغريف: الأجمة الملتفة الأشجار. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٢٦٥ (غرف).
(٥) أي غزوة أندپال، وغزوة الملتان.
(٦) اقتباس من قول جرير:

و طوى الطراد مع القياد بطونها ... طيّ التجار بحضرموت برودا
شرح ديوان جرير، ص ١٣١.
(٧) جمع قناة: الرمح. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٢٠٣ (قنا).
(٨) وردت في الأصل: الزروع.
(٩) الدماث: السهول من الأرض. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ١٤٩ (دمث).
(١٠) الأماعز جمع معزاء وهي الأرض الغليظة ذات الحجارة. والقضض: الحصى الصغار. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٤١١ (معز)، مج ٧، ص ٢٢٠ (قضض).
(١١) المعروفة اليوم باسم كشمير. انظر عنها: al Hudud -ﷺP lam, ٩٢٠ ؛ البيروني- تحقيق ما للهند من مقولة، ص ١٤٦، ص ١٥٠؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٥٢؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٤٣.
(١٢) وردت في ب: الفتح.

جرى من أمر عظيم الهند، وهو الوجيه الرفيع، والسد المنيع، والسيف الصنيع، قاس باعه بشبره، وذراعه بفتره، وأيقن أن رعن الجبال لا تطال بهضبات القور «١»، وزرق البزاة لا تنال ببغاث الطيور، فعجّل نقل أمواله على ظهور فيلته إلى سرنديب «٢»، وأخلى الملتان للسلطان يفعل فيها ما يشاء، فثنى العنان إليها مستعينا بالله تعالى على من أحدث في دينه، [١٥٤ ب] أو حدّث بتوهينه، فإذا أهلها في ضلالتهم يخبطون، وفي طغيانهم يعمهون، يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ «٣»، فضرب عليهم بجران «٤» المحاصرة «٥»، وكلكل المناجزة والمناحرة «٦»، جزّا للغلاصم، وبتكا للأيدي من المعاصم، وإرصادا لهم بالفاقرات القواصم، حتى افتتحها عنوة، وشحنها عقابا وسطوة، وألزمهم عشرين ألف ألف درهم يرحضون «٧» بها دنس استصعابهم «٨»، ويدرأون عن أنفسهم هجنة استشرائهم وإبائهم «٩».

---

(١) جمع قارة: الجبل الصغير، أو الأكمة الكبيرة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ١٢٢ (قور).
(٢) سري لانكا الحالية. عنها انظر: ابن خرداذبة- المسالك والممالك، ص ٦٤؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٤٨٦. ومن غير المعقول أن يكون قد نقل أمواله إلى سرنديب، فهي بعيدة جدا. خاصة وإن الكرديزي يقول:
«و حينما سمع الجت (يقصد الهنود) بخبر مجى ء الأمير محمود، أمسكوا خزائنهم وحملوها إلى جزائر بعيدة (و لم يذكر سرنديب)، ثم قدموا مسلحين مجردين ... حتى تحطمت سفن الجت أو غرقت أو هزمت، ... ثم واصلوا (المسلمون) السير ... حتى وصلوا إلى خزائن الجت، وأغاروا عليها، وأخذوا كثيرا من السبايا. ومن هناك اتجهوا إلى غزنين». زين الأخبار، ص ٣١٠ - ٣١١. هذا الكلام لا يوحي بأنها سرنديب، والأرجح أن تكون إحدى جزر بحر العرب. وربما اختلط الاسم باسم جزيرة أخرى، خاصة وإن معظم جزائر الساحل الغربي للهند تنتهي بمقطع (ديب- ديث). انظر: البيروني- تحقيق ما للهند من مقولة، ص ١٨٥.
(٣) سورة التوبة، الآية ٣٢. وقد جاءت الآية مضطربة مختلطة بالآية ٨ من سورة الصف.
(٤) الجران: مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره. وجاء في حديث السيدة عائشة: حتى ضرب الحق بجرانه.
أرادت أن الحق استقام وقرّ في قراره. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٨٦ (جرن). وفي قوله كناية عن نزوله بساحتهم، لأن الإبل إذا أريد إناختها، تضرب على جرانها فتبرك.
(٥) وردت في الأصل: المحاضرة.
(٦) ساقطة في ب.
(٧) يغسلون. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ١٥٣ (رحض).
(٨) وردت في الأصل: استعابهم.
(٩) ساقطة في ب.

٢٥ ذكر عبور عسكر أيلك الخان [نحو خراسان] «6»

و عبر ذكره- بما آتاه الله من نصرة الدين، وإنارة معالم اليقين- عرض البحر «١» إلى ديارات مصر، حتى درست بها مقاماته التي لم يرو مثلها عن ذي القرنين، إلى حيث انتهى من أمر «٢» السدّين «٣»، فارتعدت فرائص السند وأخواتها، حذار بطشه وانتقامه، وخفتت بها نجوى الإلحاد، وطمست صوى «٤» الغي والعناد، فلله أبو تمام حيث يقول:

كرمت غزوتاك بالأمس والحي ... ل دقاق والخطب غير دقيق

حين لا جلدة السماء بخضرا ... ء ولا وجه شتوة بطليق [١٥٥ أ]

إن أيامك الحسان من الرو ... م لحمر الصبوح حمر الغبوق

معلمات كأنها بالدم المه ... راق أيام النحر والتشريق «٥»

ذكر عبور عسكر أيلك الخان [نحو خراسان] «٦»

قد كانت الحال في الألفة قائمة بين السلطان وبين أيلك الخان، إلى أن دبّت عقارب الفساد في ذات البين، واضطرب الحبل الساكن، واشتعل الجمر الهامد، وراعى أيلك فرصة المجاهرة «٧» بسرّ المكاشرة، حتى إذا صمد السلطان صمد الملتان، وغارت نحو تلك البلاد راياته، وخفّت «٨» عن أعيان رجاله ولاياته، سرّب سباشي تكين- صاحب جيشه وأحد أقربائه- «٩» إلى كور خراسان في معظم أجناده، وشحن بلخ بجعفر تكين وعدة

____

(١) وردت في ب: البر والبحر، والعبور عادة لعرض البحر، وليس للبر.

(٢) وردت في الأصل: بين.

(٣) اقتباس من قوله تعالى: حَتَّى إِذا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِما قَوْماً لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا. سورة الكهف، الآية ٩٣.

(٤) جمع صوّة: حجر يكون علامة في الطريق. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٤٧١ (صوي). فالمقصود إذن علامات الغي.

(٥) ديوان أبي تمام، ص ٤٠٤.

(٦) ساقطة في ب.

(٧) وردت في ب: المجاهزة.

(٨) وردت في ب: خلت.

(٩) وردت في ب: قراباته.

من أوليائه «١» وقواده. وكان والي طوس أرسلان الجاذب مقيما بهراة مأمورا بالانحياز إلى غزنة متى نجم ناجم «٢» عناد، أو نعق ناعق بفساد، فأسرع الانقلاب إليها، آخذا بوثيقة الحزم في ترك القتال، وتربصا بالحمل غاية الفصال. وورد سباشي تكين هراة فاستوطنها، وندب «٣» الحسين «٤» بن نصر للديوان [١٥٥ ب] بنيسابور، فرتّب الأعمال، وواصل الاستخراج «٥»، ومايلهم كثير من أعيان خراسان، لاستخفاء خبر السلطان من جانب الملتان، وتناقل الألسنة أهواء القلوب ونوازع النفوس أخابير زور، وأراجيف غرور.

و أمر الوزير أبو العباس الفضل بن أحمد بالاحتياط على الطرق بين غزنة وحدود الباميان «٦» وبنجهير «٧»، وسدّها بحماة الرجال على حصانة مداخلها، وصعوبة مراكبها، وطيّر البريد «٨» إلى السلطان بما انبثّ في أطراف البلاد، من حيّات العداة، وعقارب الغواة، فأعجلته بديهة البلاغ عن استتمامه، وأزعجته غلبة الحميّة عن مقامه، فركب ركوب العاصف أكثاف الجهام البارق، يطوي الأرض طيّ المهارق، بين إيضاع وإيجاف «٩»،

____

(١) ساقطة في ب.

(٢) وردت في ب: نجم.

(٣) وردت في ب: نصب.

(٤) أورده ميرخوند: الحسن. روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٩١.

(٥) مستخرج: البقايا المتأخرة على الوكلاء التي تستخلص منهم بالضرب والتعذيب. وديوان المستخرج: ديوان الأموال المستخلصة. والمستخرج: جابي الضرائب والمكلف بجباية المتأخر منها. استخرج منه: ابتزّ أمواله واغتصبها، ويقال أيضا: استخرج بأمواله. فالمعنى الأرجح: الجباية بأشد العنف. انظر: دوزي- تكملة المعاجم العربية، ج ٤، ص ٤٥، ص ٤٨ - ٤٩.
(٦) مدينة كبيرة من مدن بلخ. وهو اسم للكورة والقصبة. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٨٠؛ al Hudud -ﷺlam P, ١٠٩٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٢٩٦؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٥٥، ص ٢٠٢، ص ٢٠٧، ص ٢٧٨؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٦٠.
(٧) من مدن الباميان. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٨٠؛ al Hudud -ﷺlam P, ١٠٩٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٢٩٦؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٥٥؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٣٨٩، ص ٤٦٩.
(٨) وردت في ب: النذير.
(٩) الإيضاع، والإيجاف: الإسراع. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٣٩٨ (وضع)، مج ٩، ص ٣٥٢ (وجف).

و اهتداء واعتساف، وبين سهول وظراب «١»، وسهوب و «٢» شعاب، حتى ألقى عصا القرار بغزنة، وأقام العطاء لأبناء دولته، وأنشاء جملته. وملأ أيديهم بالعطايا والرغائب، وأزاح عللهم في المطايا والركائب، واستنفر الأتراك الخلجية أحلاس الظهور، وأبناء الصوارم الذكور، فنفر منهم:

جنّ على جنّ وإن كانوا [١٥٦ أ] بشر «٣» ... كأنما خيطوا عليها بالإبر

و جاش نحو بلخ، وبها جعفرتكين، فأسرع الكرّ إلى ترمذ «٤» إشفاقا من ضغمة الضيغم الخادر، واحتراسا من وثبة الأرقم الثائر. واستقر السلطان ببلخ، موفور الأنس والجذل، كما تجتلى صفحة الشمس من برج الحمل، وأمر بإتباع سباشي تكين [بأرسلان الجاذب، في زهاء عشرة آلاف من أبناء الكفاح، ومتحة «٥» الأرواح بأشطان «٦» الرماح.

و سارع [سباشي تكين] «٧» نحو الوادي للعبور، فلم ترعه إلا العاديات ضوابح، والموريات قوادح «٨»، فكّر على أدراجه حائرا عائرا «٩»، وعطف إلى مرو على أن ينسرح

---

(١) وردت في ب: ضراب. والظراب: الروابي الصغار. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٥٦٩ (ظرب).
(٢) وردت في ب: في.
(٣) أراد بالجن الأولى الفرسان لخفائهم بالأسلحة، وبالجن الثانية الأفراس لخفتها وسرعتها، فلا يراها أحد. وقد وردت في الأصل: بشرا، وفي ب: البشر.
(٤) وردت في ب: الترمذ.
(٥) الماتح هو المستقي من أعلى البئر. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٥٨٨ (متح).
(٦) جمع شطن وهو الحبل الطويل الشديد الفتل، يستقى به. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٢٣٧ (شطن).
و عبّر بهذا التركيب عن شدة المقاتلين.
(٧) إضافة من ب.
(٨) اقتباس من قوله تعالى: وَ الْعادِياتِ ضَبْحاً* فَالْمُورِياتِ قَدْحاً. سورة العاديات، الآيتان ١، ٢.
(٩) هائما على وجهه دون هدف واضح. ابن منظور- لسان العرب مج ٤، ص ٦١٨ (عور)، ص ٦٢٢ (عير).

منها إلى الشطّ «١» على سمت المفازة، فإذا الآبار مردومة، والمناهل مطمومة «٢»، وودیقة «٣» الصيف مسعورة، وأذيال السوافي على المعالم مجرورة، فانثنى إلى سرخس وبها الحسن «٤» بن طاق رئيس الأتراك الغزية، فأحدق به إحداقا سدّ عليه باب الهرب، وضيّق دونه وجه المجال والمضطرب، فمانعه ما قدر. ثم ظفر به سباشي تكين فقدّه بنصفين، بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة من الجانبين، وأعجله ارتداف «٥» أرسلان الجاذب إياه عن فضل المقام، وروح الاستجمام، فارتحل إلى أبيورد، ومنها إلى نسا، وبينهما مرحلة واحدة، كلما صدر هذا، ورد ذاك، ومتى [١٥٦ ب] ظعن ذاك «٦»، أناخ هذا، يتقاسمان أمداد الطلب والهرب جماما، ولا يردان المياه إلا لماما. وقد كان سباشي تكين قد حصّل صدرا من المال والأسلحة من نواحي هراة وغيرها، فصارت عقلة له دون الخفوف «٧»

في وجه النجاة، فهو يتيامن مرة ويتياسر أخرى، منكوسا على رأسه خوف العار من إسلام ما بردت به يداه «٨»، وأعياه الخلاص بحشاشة النفس آخريا إلا بإفرازه، وتفريغ الخاطر عن الشغل به.

و لما قرب أرسلان الجاذب من نسا، رحل «٩» متوجها نحو سيمبار «١٠»، وأزعجه الطلب نحو جرجان، فركب قلل تلك الجبال بين الآجام الملتفة، والغياض المحتفة،

____

(١) يقصد شط جيحون.

(٢) وردت في ب: مكلومة مطمومة.

(٣) شدة الحر. ابن منظور- لسان العرب، ج ١٠، ص ٣٧٢ (ودق).

(٤) وردت في ب، وفي د: المحسن. انظر: ص ١٩٤ من هذا الكتاب، هامش (٤).

(٥) وردت في الأصل: ارتدا من.

(٦) وردت في الأصل: ذلك.

(٧) أي أصبحت عائقا له دون السرعة والخفّة.

(٨) أي تسليم ما حصله.

(٩) سباشي تكين.

(١٠) وردت في ب: سينبار، وبهامشها: سمنقان. وهي قريبة من نسا وجرجان. انظر: لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٣٣.

و المخارق الضيقة، والمخارم المضطربة. وتسلّط الكراكلة «١» على أثقاله، وأفناء رجاله، حتى فشت نكايتهم فيه. واستأمن إلى شمس المعالي قابوس بن وشمكير طائفة «٢» من أهل جملته، لعدم المراكب، وذهاب الحرائب. وانفلّ هو على سمت دهستان حتى عاد إلى نسا، وجمع ما بقي عليه من تلك الأثقال، فأصدرها إلى خوارزمشاه أبي الحسن علي ابن مأمون يستودعه إياها «٣» أمانة لأيلك الخان، وحذره [١٥٧ أ] أن يمد إليها بغير الصيانة يده، وأصحبها رجّالة عسكره والعجزة منهم عن صحبته، واقتحم المفازة متوجها نحو مرو. وكان السلطان قد انحدر إلى طوس مراعيا ما يسفر عنه ركض أرسلان الجاذب على أثره، وإلصاقه الطلب الحثيث به، فلما بلغه ركوب سباشي تكين عرض المسافة، أسرى على طريق مرو معارضا له في مسيره، وناقضا عليه قوى تدبيره، فوصل إليه «٤» مخلصه «٥» عن وعثاء تلك البيداء، ورماه بأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الطائي زعيم العرب، وبسائر قواده، رجال «٦» يرون الملاحم ولائم، والوقائع نقائع «٧»، وسيوف الضراب عرائس، وصفوف الكماة فرائس، فكان كما قال سعيد بن حسان:

فررت من معن وإفلاسه ... إلى اليزيدي أبي واقد

فكنت كالساعي إلى مثعب ... موائلا من سبل الراعد

و أحاطت به السيوف حيث لا ماء إلا منابع الأفواه وهي عاصبة، ولا مرعى إلا شكائم اللجم وهي عاضبة. وأسر أخو سباشي تكين في زهاء سبعمائة من وجوه الأفراد،

____

(١) جماعة من اللصوص والأوباش وقطاع الطرق تجمعوا في منطقة كركيل من نواحي آمل طبرستان (و ليست آمل الشط). انظر: المرعشي- تاريخ طبرستان، ص ٤٩، ص ٧٦.

(٢) وردت في الأصل: طوائف.

(٣) وردت في الأصل: ايا، وفي ب: اياه، والتصحيح من د.

(٤) وردت في الأصل: إليها.

(٥) وردت في ب: تخلصه.

(٦) وردت في ب: رجالا.

(٧) جمع نقيعة: طعام يصنع للقادم من السفر. ابن منظور- لسان العرب، ج ٨، ص ٣٦٢ (نقع).

و رتوت القواد. [١٥٧ ب] وأمر السلطان بقراچوليّاتهم «١» فأفرغت قيودا لكعابهم، وجوامع لرقابهم، وحملهم إلى غزنة ليري أهلها حسن صنع الله فيمن شاقه، ونقض عهده وميثاقه.

و نجا سباشي تكين في خفّ من العدد بجريعة الذقن «٢»، فعبر جيحون إلى أيلك الخان «٣».
و قد كان أيلك «٤» عبّر جعفرتكين في زهاء ستة آلاف «٥» رجل إلى بلخ ثانيا لا ستفساد عزيمة السلطان في قصد سباشي تكين وإخراجه، فتهاون بهم حتى فرغ الخاطر من أمره، ووضع ما أنقضه من الشغل به عن ظهره، ثم ثنى العنان إليهم شدا أغصّ الهواء بغباره، واستغرق أوقات ليله ونهاره، فلم يرعهم إلا راياته بأجنحة النجاح طائرة، وخيوله في صهيل المراح سائرة. وكمن لهم السلطان، فلما رأوا الكمين، انفلّوا منهزمين، يختمون دعوة الخلاص بآمين آمين. وتبعهم صاحب الجيش أبو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين على ساحل جيحون، كاسعا لأدبارهم، ومثخنا في غمارهم، إلى أن عبروه، فسلمت خراسان من عيث سوادهم، وخلت عن مبثوث جرادهم.
و اضطرب أيلك حنقا لما جرى على عسكره من الضغطة الكبيرة، [١٥٨ أ] والصدمة المبيرة، فاستعان بقدر خان [بن بغراخان] «٦» لقرابة بينهما وكيدة، ولحمة وشيجة، واستجره بحفي مسألته إلى أخذ «٧» ثأره، مستظهرا «٨» بنصرته وإظهاره، فاستجاش أحياء الترك من مضانها، وحشر بني خاقان من أقصى بلادها، واستنفر دهاقين ما وراء النهر في جيوش تجلّ عن الحدّ والحصر، وسار في خمسين ألفا أو يزيدون، حتى عبر

(١) قراچور، قراچوري، قراچولي، قلاچوري: سيف. عميد- فرهنك عميد، ج ٣، ص ١٨٨٠؛ التونجي- المعجم الذهبي، ص ٤٤٢.
(٢) إضافة من ب.
(٣) إضافة من ب.
(٤) ساقطة في ب.
(٥) وردت في الأصل: الالف.
(٦) إضافة من ب.
(٧) ساقطة في ب.
(٨) وردت في ب: مستنصرا.

جيحون مدلا بعسكره المائج، وبطشه الهائج، ومعتضدا بقدر خان ملك الختن «١» ذي العدّة والعديد، والبأس الشديد، والأيد «٢» المتين، والبسطة والتمكين، في رجال كالبخاتي الفوالج «٣»، فوق البحور الموائج، عراض الوجوه، خزر العيون، فطس الأنوف، خفاف الشعور، حداد السيوف، سود الثياب من حلق الدروع، يحملون جعابا «٤» كخراطيم الفيول، محشوة بنبال كأنياب الغول. ولما سمع السلطان بعبوره في جمهوره، وهو إذ ذاك بطخيرستان «٥»، سبقه إلى بلخ، فاستوطنها قاطعا عنها طمعه، ومالكا عليه ممتاره «٦» ومنتجعه «٧».
و استعد للحرب، فخرج السلطان في عساكر الترك والهند والخلج والأفغانية والغزنوية، أنشاء «٨» الجدّ والصدق، [١٥٨ ب] وأبناء المشق والرشق، إلى معسكر له على أربعة «٩» فراسخ من البلد «١٠» يعرف بقنطرة چرخيان، وسيع المجال على الرجال، رحب الفضاء على الدهماء. وزحف أيلك إلى محاذاته في عدده الدّهم، وعسكره المجر،

(١) الختن من بلاد الترك وراء نهر سيحون، على حدود الصين. انظر: al Hudud -ﷺlam P, ٨٥٠ ؛ المقدسي- البدء والتاريخ، ج ٤، ص ٦٣؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٤٧؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٨ - ٢٠، ص ٢٥٨، ص ٢٨٧؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٥٣٠، ص ٥٣٢.
(٢) القوة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص 76 (أيد).
(٣) البخاتي هي الإبل الخراسانية، والفوالج الإبل ذوات السنامين. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٩ (بخت)، ص ٣٤٦ (فلج).
(٤) جمع جعبة وهي كنانة السهام. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٢٦٧ (جعب).
(٥) وترد أيضا طخارستان. ناحية في شرق بلخ، ممتدة بحذاء الضفة الجنوبية لنهر جيحون حتى حدود بذخشان.
و تحدها من الجنوب الجبال التي في شمال الباميان وبنجهير. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٧٨؛ al Hudud -ﷺlam P, ١٠٨٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٢٩٦؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٥٥ - ١٥٦؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٦٩.

(٦) ممتاره: المكان الذي تجلب إليه منه الميرة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ١٨٨ (مير).
(٧) المنتجع: المنزل في طلب الكلأ. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٣٤٧ (نجع).
(٨) وردت في ب: وانشاء.
(٩) وردت في الأصل: أربع.
(١٠) أي من بلخ.

فتطارد الفرسان، وتجالد الشجعان سحابة يومهم على رسم الطلائع، أمام الوقائع، إلى أن كفّهم حاجز الليل، وأصبح الناس على ميعاد الحرب، فعبأ السلطان رجاله صفوفا كالجبال الراسيات، والبحار الزاخرات، ورتّب في القلب أخاه صاحب الجيش نصرا، ووالي الجوزجان أبا نصر أحمد بن محمد الفريغوني، وأبا عبد الله محمد بن إبراهيم الطائي، في كماة الأكراد والعرب، وسائر جماهير الهنود، ومساعير الجنود. ورتّب في الميمنة حاجبه الكبير أبا سعيد التونتاش فيمن برسمه من أعيان الرجال، وفرسان الزحف والصيال. وندب للميسرة «١» أرسلان الجاذب فيمن تحت قيادته «٢» من نجوم الأبطال، ورجوم القتال. وحصّن الصفوف بزهاء خمسمائة من فيلته التي تميد الجبال من أثقالها، وترجّ لها الأرض بزلزالها.

و أقبل أيلك فشحن قلبه بخواص غلمانه، وأعلام فرسانه. وولّى [١٥٩ أ] قدر خان ميمنته في أتراك الختن، بين آجام العوامل والجنن «٣»، وشحن بجعفرتكين «٤» أخيه «٥» ميسرته بكل أليس «٦» كالشجاع المحرج «٧»، والحسام المرهف، بين وقايات الزّغف «٨» والجحف «٩». وتحامل بعضهم على بعض، فخيلت المعركة سماء غمامها مثار القسطل، وبروقها بريق البيض والأسل «١٠»، ورعودها صليل السلاح، ورشاشها صبيب الجراح.

---

(١) وردت في ب: للمسير.
(٢) وردت في ب: قياده.
(٣) جمع جنّة: الترس. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٩٤ (جنن).
(٤) وردت في ب: جعفرتكين.
(٥) ساقطة في ب.
(٦) شجاع. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٢١٠ (ليس).
(٧) الحرج: الذي لا ينهزم. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٢٣٤ (حرج). وقد وردت في ب: المخررج.
(٨) جمع زغفة: الدرع المحكمة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ١٣٥ (زغف).
(٩) الجحف: الضرب بالسيف. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٢١ (جحف).
(١٠) الرماح. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ١٥ (أسل).

و استنزل أيلك عن صهوات الخيول [إلى صعيد الأرض] «١» زهاء ألف غلام يفلقون الشعور أنصافا، وينصبون وسائط الأهداب أهدافا، فشكّوا بالنبال تجافيف الفيول، وشقوا بالنصال سرابيل الخيول.

و لمّا جدّ الأمر، واحتدّ الجمر، وأعضل الداء، واستفحل الأعداء، وزخر وادي الخطب بمدّه، وكاد يخرج بادي الشرّ عن حدّه، نزل السلطان إلى صعيد ربوة كان تشرّفها «٢» لتدبر عطفات «٣» الحرب، وتلافي نزقات ذلك المركب الصعب، فوضع لله خدّه، وعفّر شعره، وأرسل دمعه، وقدّم نذره، ودعا الله أن يحرس ملكه، ويحسن فلجه ونصره، ثم وثب إلى قعدته من فيلته المغتلمة، فحمل بها وبسائر خاصته [١٥٩ ب] على قلب أيلك، فأهوى الفيل إلى صاحب رايته، فاختطفه بها من سرجه، ورمى به في الهواء من فوقه، وتخلل الآخرين حطما بخرطومه، وشكا بأنيابه، ودوسا بأظلافه. وانثال أولياء السلطان على الآخرين بسيوف تلغ في الدماء، وترشف أحساء الأحشاء، فطارت قلوبهم هواء، واستحالت قواهم هباء، وولّوا على أعقابهم نافرين، وتبعهم الطلب بظبات القسر والقهر، إلى أن لفظتهم خراسان إلى ما وراء النهر. ولقد أحسن [أبو الحسن] «٤» السلامي في قوله، فكأنما وصف حاله، ومدح آثاره وأفعاله:

يا سيف دين الله ما أرضى العدى ... لو أن سيفك مثل عدلك يعدل
ما أن سننت لهم سنانا في الوغى ... إلا أطلّ عليه منهم أيطل «٥»

فالروض من زهر النجوم مضرّج ... والماء من ماء «٦» الترائب أشكل

____

(١) إضافة من ب.

(٢) أي صعد عليها.

(٣) وردت في ب: عصفات. عطف عليه: كرّ. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٢٥١ (عطف).

(٤) إضافة من ب.

(٥) الأيطل: الخاصرة. ابن منظور- لسان العرب، ج ١١، ص ١٨ (أطل).

(٦) وردت في ب: بين.

و النقع ثوب بالنسور مطرّز ... والأرض فرش بالجياد مخمّل

يهفو العقاب على العقاب ويلتقي ... بين الفوارس أجدل ومجّدل

و سطور خيلك إنما ألفاتها ... سمر تنقّط بالدماء وتشكل «١»

و امتدح عند ذلك السلطان يمين الدولة وأمين الملة أبو القاسم الحسن بن عبد الله المستوفي بقصيدة أولها: [١٦٠ أ]

ظهر الحق ثابت الأركان ... صاعد النجم عالي البنيان

و هوى للردى ذوو النكث والبغي ... وأهل الضلال والطغيان

ما الذي غركم بمحمود المحمود ... أنحاؤه بكل لسان

بأبي القاسم المعظم ظل الله ... في الأرض صفوة المنّان

من مناويه نهزة للمنايا ... غرض للحتوف والأحزان

بأنه ملك الأملاك ... طرا وتاج هذا الزمان «٢»

ملك صار من مضى من ملوك ... الأرض لفظا وجاء عين المعاني

نفر المشرقان بالحظ منه ... فاستطالا فاشتاقه المغربان

جمع الله فيه وهو قدير ... عالما للكمال في جثمان

ملك وهي في الحقيقة «٣» عندي ... ملك صيغ صيغة الإنسان

ملك عادل فأدنى ضعيف ... وأخوه في حكمه سيّان

أخذ الهند باليماني ويحوي ... يمنا إن أراد بالهندواني

سيفه والمنون طرفا رهان ... نحو حلق العدو يبتدران

خذ يميني بأن سيخضع حقا ... لليميني كل سيف يماني

____

(١) أوردها الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٤٩٧ (مع بعض الاختلاف).

(٢) هذا البيت ساقط في ب.

(٣) وردت في ب: الصنيعة.

لو عصا خروع تسمى اليمينية ... ظلت تحيك «١» في سندان [١٦٠ ب]

إنما سيفه الحسام «٢» عصا موسى ... بن عمران صاحب الثعبان

و قرا جوليّاتكم كيد سحر ... فإذا جاءت العصا فهو فان

غاب عن غابة «٣» الهزبر لغزو ال ... هند مستنزلا رضا الرحمن

فسبى واستباح واجتاح منهم ... وأحلّ النكال بالأوثان

و انثنى قافلا وقد ملأ الأيدي ... فيئا وفاز بالرضوان

فسطا بأسه بطاغية الترك ... وأهل الشقاق والعصيان

طلعت راية له فتولّوا ... كعباديد ثلة من ضأن

كم قتيل وكم جريح وغرقى ... وأسير في القدّ ذي رسفان

خطبوا الملك فاعترتهم خطوب ... جرّعتهم مرارة الحطبان

طار «٤» أيدي سبأ «٥» عساكر ظنوا ... أنهم ملكوا على البلدان

فبخوارزم في السجون ألوف ... وألوف تهيم في جرجان

و بمرو وفي القفار إلى ... جيحون قتلى مآكل الحيتان

جزر للسباع في كل فجّ ... طعم للنسور والعقبان

بارك الله ربنا في خميس ... ردّ عنّا خمسين ألف «٦» عنان

و كتب أبو الفضل الهمذاني البديع إلى الشيخ الوزير أبي العباس «٧»: [١٦١ أ]

____

(١) وردت في ب: تحبك. والحيك: التأثير. يقال: يحيك الفأس الشجرة. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٤١٩ (حيك).

(٢) وردت في ب: شبيه. وهذا البيت ورد في ب بعد أربعة أبيات من سابقه.

(٣) وردت في ب: غابت.

(٤) وردت في ب: سار.

(٥) متفرقين. الثعالبي- ثمار القلوب، ص ٣٣٧.

(٦) وردت في الأصل: ألد.

(٧) هو الوزير أبو العباس الفضل بن أحمد الإسفراييني. انظر عنه: كرماني- نسائم الأسحار، ص ٣٩؛ خواندمير- دستور الوزراء، ص ٢٣٥؛ وأخباره منتشرة في تاريخ البيهقي. وما سيأتي، مقاطع من رسالة طويلة كتبها في التهنئة بفتح الجابية بباب بلخ (مع اختلاف في بعض المفردات)، وهي آخر رسالة كتبها. انظر: رسائل بديع الزمان، ص ٢٩٥.

«هذا ورب الكعبة آخر ما في الجعبة، لقد أنصف من رامى القارة «١»، ومحا السيف ما قال ابن دارة «٢»، ثم لا نزوة بعدها للترك، ولا تحلم بعدها بالملك. لقد كاس «٣» السلطان إذ عفّر لله «٤» شعره، وعرض على الله فقره، وفوّض إلى الله أمره، وأخلص لله نذره، وناهض بالله خصمه، وسأل الله حوله، ولم يعجبه كثرة الملأ حوله، شدّ الله بذلك أزره، وقوّى أمره، وأعزّ نصره، وأقطعه عصره، وأطعمه ملكه، وأورثه أرضه، إن الظفر بأسبابه، والموفق يأتي الأمر من بابه.

و له فصل، منه:

إنه الجلاد، ثم البلاد، مَساكِنَكُمْ، لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ «٥»، كتب الله ليغلبنّ السلطان. وراءك، إن السيف أمامك وخلفك، إن الموت قدّامك:

و أرضك أرضك إن تأتنا ... تنم نومة ليس فيها حلم

إن المغازي قد عادت مخازي. ألا ربّ راكض «٦» نادم، وربّ صوت «٧» ظالم، وربّ عثور يؤدي «٨» إلى ثبور، وربّ طمع يهدي إلى طبع، ألا «٩» إن هذا الفتح فتح حفظ على الشريعة ماءها، وعلى السنّة ذماءها، وعلى النفوس دماءها، وعلى الأموال نماءها، وعلى الحرم غطاءها. أعاد الله به البلاد [١٦١ ب] خلقا جديدا، وأنشأ للناس نشأ حديثا، وعقد

____

(١) مثل يضرب لمن يطلب من الآخر أمرا هو من شأنه وعمله. فيكون منصفا. ويقصد أن الخانية أنصفوا السلطان حينما طلبوا منه الحرب، لأنها من شأنه وعمله. انظر: الأصمعي- كتّاب الأمثال، ص ١٩١.

(٢) من قول للكميت بن معروف:

فلا تكثروا فيها الضّجاج فإنه ... محا السيف ما قال ابن دارة أجمها

الأصفهاني- الأغاني، ج ٢١، ص ١٧٣. والمقصود إن سيف السلطان محا ما قاله أيلك الخان وتهدد به.

(٣) وردت في النسخ: كان. والتصحيح من رسائل بديع الزمان. كاس من الكياسة.

(٤) وردت في الأصل وفي ب: الله. والتصحيح من: د، ورسائل بديع الزمان.

(٥) سورة النمل، الآية ١٨.
(٦) وردت في النسخ: ركض، والتصحيح من رسائل بديع الزمان.
(٧) وردت في النسخ: شوط، والتصحيح من رسائل بديع الزمان.
(٨) ساقطة في ب، ود.
(٩) وردت في الأصل: إلى.

الملك عقدا طريفا، فما أولى يومه أن يتخذ عيدا، ويجعل في المتصرفات تاريخا جديدا، وليس العقد مع الله بأنشوطة، فأوفوا الله عهده، كما صدقكم وعده، وإنما عهده عند السلطان أن يحسن النظر، وعهده عند الشيخ الجليل أن يحسن المحضر. وهراة من البلاد شيعة هذه الدولة وعيبتها «١»، فإن حطّ عن حملها العلاوة، وأزيل عن عبرتها الإتاوة، فلله هذا النظر ما أحلى ثماره، وأكرم آثاره» «٢».

فلما وضعت هذه الحرب أوزارها، وأفاضت غرة النصر أنوارها، سنح للسلطان أن يكبح أعنّته إلى جانب الهند للإيقاع بالمعروف بنواسه شاه «٣» أحد أولاد ملوك الهند. كان نصبه ببعض ما افتتحه من ممالكهم لخلافته على سدّ ثغورها، وتحصين أطرافها وحدودها، إذ كان قد استحوذ عليه السلطان «٤» فارتدّ في حافرة الشرك، وانسلخ عن جلدة الإسلام، وراطن زعماء الكفار على خلع ربقة الدين، والانفصام عن عروة الحبل المتين، فصرف «٥» عنانه فوره [١٦٢ أ] إليه، وصبّ سيوفا تقطر من دماء مخالفيه عليه، ركضا بادر أفواج الرياح، واختصر أوقات الإظلام والإصباح، حتى نفاه عن مثواه، وملك عليه جملة ما حواه، وأعاد إلى تلك البقاع بهجة ملكه وسلطانه، وحصد نجوم الشرك عنها بحدي سيفه وسنانه، فذاك برهانان من الله في إعلاء دولته، وإشاعة دعوته، وإعزاز نصرته، وإفلاج حجته، ويسّر الله له الانقلاب إلى غزنة مظاهرا له بين نصرين يتجاذبان «٦» فخامة وجلالة، ويتباريان نباهة وجزالة، ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ، وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ «٧».

____
(١) وردت في ب: عبتها. والعيبة: موضع السر. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٦٣٤ (عيب).
(٢) انتهى ما أخذه العتبي من رسالة بديع الزمان، ويعود الكلام له.
(٣) وردت في ب: نواسي شاه. انظر: ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٩٣.
(٤) وردت في ب: الشيطان، وبالوجهين يتم المعنى.
(٥) وردت في ب: فعنّ.
(٦) في الأصل: يتحاويان.
(٧) سورة الحديد، الآية ٢١؛ سورة الجمعة، الآية ٤.

٢٦ ذكر غزوة «1» قلعة بهيم نغر

ذكر غزوة «١» قلعة بهيم نغر

قد كان السلطان يمين الدولة وأمين الملة بعد أن فتح الفتحين، واقتدح النجحين، عرّج على «٢» غزنة للاستراحة، والتفرّغ لشكر الله على النعم المتاحة «٣»، وأقام بها شاحذا عزيمته لغزوة أخرى ترتفع «٤» بها حدود الإسلام، وتتعفر لها «٥» خدود الأصنام، وتنتكس عندها رايات «٦» الشيطان، في رحل للغواية شدّه، وحبل للضلالة مدّه، إذ كان بعد همّته يسومه خلاف [١٦٢ ب] الطبائع البشرية في استخشان المضجع الوثير، واستحباب الشوك على الوتير «٧»، واختيار قرع الأسنّة والعوالي على نقر المثالث والمثاني «٨»، وترجيح حدود البيض القواضب على خدود البيض الكواعب. كل ذلك لمجد يبتنيه «٩»، وصيت يقتنيه، وعزّ يحويه، وسعي يتقرب إلى الله به وفيه، حتى إذا انسلخ شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة «١٠»، استخار الله في إتمام ما رامه، وإسراج ما تولى إلجامه، وسار متوكلا على الله الذي طالما أطعمه نصره، [و عرّفه صنعه] «١١»، حتى إذا انتهى السير به إلى شط «١٢» ويهند، لاقاه ابرهمن بال بن أنديال في جيوش تجيش بسود الرجال، في بيض الصفاح

____

(١) إضافة من ب.
(٢) وردت في ب: إلى. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٣٢١ (عرج).
(٣) وردت في الأصل: المناخة.
(٤) وردت في ب: يرتفع.
(٥) وردت في الأصل: بها.
(٦) وردت في ب: راية.
(٧) نور الورد. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٢٧٧ (وتر).
(٨) ربما قصد آلة موسيقية ذات وترين أو ثلاثة أوتار. وقد وردت في د: المثاني والمثالي.
(٩) وردت في الأصل: سسه.
(١٠) لم يتقدم في فتح هذه القلعة ذكر سنة معينة. لكن ابن الأثير ذكرها في أحداث سنة ٣٩٨ ه. الكامل، ج ٨، ص ٤٨.
(١١) إضافة من ب.
(١٢) إضافة من ب.

و زرق الرماح، وزهر الدروع، ودكن الفيول. وافترّت الحرب عن أنيابها العصل، وتوالت الحملات كما تتهاوى لوامع الشهب، وتترامى نوازع «١» السحب.

و دارت رحى الطعان والضراب، طاحنة كل ندب شجاع، وقرم مطاع. وامتدت الوقعة من طفولة النهار إلى كهولة الطفل «٢»، حتى اكتست الأرض لون «٣» الشقائق من دماء الطلى والعواتق. وكادت تدور للكفار دائرة لو لا أن الله أعان السلطان على حملة في خواص غلمانه، كسعت [١٦٣ أ] أدبارهم، ومحت عن مقاماتهم «٤» آثارهم، وأغنمه «٥» ثلاثين فيلا كأشخاص القصور، بل كأمواج البحور. وأقبل أولياؤه يحسونهم «٦» أنّى يثقفونهم من بطون الأودية والشعاب، وظهور الفيافي والهضاب، واقتفى السلطان بنفسه أثره بين تلك المهارب متنجزا «٧» وعد الله في نصرة دينه، وتلّ «٨» كل ذي نفاق وشقاق لجبينه، فأفضى به الطلب إلى بهيم نغر «٩» أحصن قلعة بنيت على حرف طود رفيع، خلال ماء منيع.

و قد كان ملوك الهند وأعيان أهلها [و جماعات النسّاك من ذوي الأملاك بها] «١٠» يدّخرونها مخزنة للصنم الأعظم، فينقلون إليها قرنا بعد قرن من أنواع الذخائر وأعلاق الجواهر، ما تخف أوزانه وتثقل عند السّوم قيمه وأثمانه، عبادة- بزعمهم- لما يفيدهم

(١) وردت في ب: تتواهى فوارع.
(٢) الطفل: المساء. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٤٠٣ (طفل). وأراد بكهولته أوسطه.
(٣) وردت في الأصل: من لون.
(٤) وردت في ب: ساقهم.
(٥) وردت في الأصل: اعيمته.
(٦) يقتلونهم. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٥٩ (حوس).
(٧) وردت في الأصل: منتجزا. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٤١٤ (نجز).
(٨) تلّه يتلّه تلا: صرعه. وتلّه للجبين: كبّه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٧٧ (تلل).
(٩) وردت في الأصل، وفي د: بهيم نغره. وفي ب: بهيم بغر.
(١٠) ساقطة في ب.

الحسنى، ويقرّبهم إلى الله زلفى. فصادف السلطان منها تمرة «١» الغراب، وزبدة الأحقاب، ما لا تقله ظهور الأجمال «٢»، ولا تسعه أوعية الأحمال، ولا تنسخه أيدي الكتّاب، ولا يدركه فكر الحسّاب. فحشر عليها جنوده، وضرب حواليها بنوده، وانبرى لقتال مستحفظيها بقلب جرئ، وأنف حمي، وعزم ذكي، وبطش [١٦٣ ب] قوي، ورأي بالصواب وري.

و لما رأى القوم غصص تلك الجبال بمغاوير الجنود، وتطاير النبال صعدا كشرر الوقود، استفزهم الرعب والوجل، وألوى بأحلامهم الخوف والوهل، فتخيلت أبصارهم تلك الرتوق فتوقا، وهاتيك السدود فروجا، والسكور بثوقا. وسحرتهم دولة السلطان، فهرّتهم «٣»

كلاب الإدبار والخذلان، وأعيتهم وجوه الأمن والأمان «٤» إلا من جانب الاستئمان، فتنادوا جميعا بشعار السلطان، وفتحوا باب القلعة، وجعلوا يتساقطون على «٥» الأرض للأمان «٦» كالعصافير أخرجتها البواشق، والغيوث جاد بها الغيوم البوارق. وفتح الله تلك القلعة على السلطان فتحا يسيرا، وأتاه من لدنه صنعا كبيرا، وأغنمه مل ء منفرج «٧» النفوس من بنات المعادن والبحور، وزاينات القمم والنحور.

و دخلها مع «٨» والي الجوزجان أبي نصر أحمد بن محمد الفريغوني وسائر خاصته، ووكّل حاجبيه الكبيرين: التونتاش وآسغ تكين «٩» بخزائن العين والورق، وسائر

____

(١) وردت في الأصل: تمرت، وفي ب: ثمرة. والتصحيح من د.

(٢) وردت في ب: الجمال. وبالوجهين يتم المعنى.

(٣) هرّ الكلب أو الذئب: نبح وكشر عن أنيابه. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٢٦١ (هرر).

(٤) ساقطة في ب.

(٥) وردت في ب: إلى.

(٦) وردت في ب: الامان.

(٧) وردت في ب: مقترح.

(٨) وردت في ب: في، وبالوجهين يستقيم المعنى.

(٩) وردت في ب: اسبع تكين.

ذوات الأخطار والقيم، وتوكّل بنفسه بخزانة «١» الجوهر، فنقل منها ما أقلته ظهور جماله «٢»، واستحمل سائرها أعيان [١٦٤ أ] رجاله. وكان مبلغ المنقول من الورق سبعين ألف ألف درهم شاهيّة، ومن الذهبيات والفضيات سبعمائة ألف وأربعمائة منّ «٣» وزنا، ومن أصناف الثياب التسترية، والدبابيج السوسية ما أنطق مشايخ الزمان، والطاعنين في الأسنان أنه لا عهد لهم بأمثالها صنعة «٤»، وتفويفا «٥»، وتوريقا «٦» وتلطيفا. وفي جملة «٧» الموجود بيت من الفضة البيضاء كفاء بيوت الأغنياء طوله ثلاثون ذراعا في عرض «٨» خمسة عشر «٩» ذراعا صفائح مضروبة مهيأة للطيّ والنشر، والنصب «١٠» والحط. وشراع من ديباج الروم أربعون ذراعا في عرض عشرين ذراعا، بقائمتين من ذهب، وأخريين «١١» من سبيكة فضة.

و وكل السلطان بتلك القلعة من ثقاته من يراعيها، ويؤدي أمانة الاستحفاظ فيها.

و كرّ عائدا إلى غزنة في ضمان النصر والإظهار، وقران اليسر واليسار. ولما مسّت عصاه جانب القرار بها، أمر بساحة داره ففرشت بتلك الجواهر، فمن درر كالنجوم الثواقب، قد سلمت عن «١٢» أيدي الثواقب، ومن يواقيت كالجمر قبل الخمود، أو «١٣» الخمر بعد

____

(١) وردت في ب: لخزانة.

(٢) وردت في ب: رحاله.

(٣) المن يساوي شرعا رطلين. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٤١٩ (منن)؛ هنتس- المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٤٥.

(٤) وردت في ب: صيغة.

(٥) رقيقة أو مخططة. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٢٧٤ (فوف).

(٦) وردت في ب: توزينا.

(٧) وردت في ب: جملت.

(٨) وردت في ب: ذرع.

(٩) وردت في الأصل: عشرين. ويبدو أنه خلط من الناسخ حيث ستأتي بعد قليل كلمة عشرين.

(١٠) إضافة من ب.

(١١) وردت في ب: اخرين.

(١٢) وردت في الأصل: على.

(١٣) وردت في الأصل: و.

٢٧ ذكر آل فريغون

الجمود، ومن زبرجد كأطراف الآس نضارة، أو «١» ورق الأقحوان غضارة، ومن قطاع «٢» الماس كمثاقيل الرمان في المقادير [١٦٤ ب] والأوزان. واجتمعت وفود الأطراف على إدراك ما لم يرو في كتب الأولين اجتماع مثله لأحد من صناديد القروم، وملوك العجم والروم. وحضر ذلك المشهد رسل طغان خان ملك الترك أخي أيلك، فرأوا ما لم تره العيون، ولم تبلغه الظنون، ولم يملكه قارون، صنع الله الذي أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ «٣».

ذكر آل فريغون

قد كانت ولاية الجوزجان لآل فريغون أيام آل سامان يتوارثها كابر عن كابر، ويوصي بها أول إلى آخر. أشراف النفوس والهمم، كرام الأخلاق والشيم، وطاء الأكتاف لنزاع الأطراف، خصاب الرحال لوفود الأمال، دأبهم إجلال قدر الآداب، ورفع درجات الكتّاب، واقتراض حقوق الأحرار، وإغلاء أسعار الأشعار، فكم من غريب آواه إحسانهم، ومن أديب أغناه سلطانهم، ومن كسير جبره إنصافهم، ومن حسير أنهضه عطفهم وإلطافهم. وكان أبو الحارث محمد «٤» غرّة «٥» تلك الدولة، وإنسان تلك المقلة، وجمال تلك الحلّة، وطراز تلك الحلّة، بما يؤتي من كرم خصيب، وكنف رحيب، وشرف رغيب، ومرتقى همّة بعيدة، ومستقى نائل قريب.

و كان الأمير ناصر الدين «٦» سبكتكين خطب إليه كريمته على السلطان يمين

____

(١) وردت في الأصل: و.

(٢) أي قطع. انظر: ابن منظور- لسان العرب، ج ٨، ص ٢٨٢ (قطع).

(٣) سورة يس، الآية ٨٢.

(٤) ورد في النسخ: أحمد بن محمد، والأصح ما أثبتناه. انظر: ص ٩٦ من هذا الكتاب، هامش (٨).

(٥) إضافة من ب.

(٦) ساقطة في ب.

الدولة [١٦٥ أ] وأمين الملة، ثم أوجب لولده أبي نصر أحمد بن محمد كريمة له، فاتّشجت اللحمة، واشتبكت العصمة، والتحمت الوثائق، واستحكمت الأواصر والعلائق. ولما مضى أبو الحارث لسبيله، ورثه أبو نصر ابنه، فأوجب السلطان إقراره على «١» ولايته، إيثارا له بفضل رعايته وعنايته إلى أن قضى نحبه في شهور سنة إحدى وأربعمائة.

و أقرأني أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني المعروف «٢» بالبديع كتابا له إليه، جعله مقدمة الوفود عليه، فنال به من رغائب الأيادي ما ملأ يديه. وهو «٣»:

«كتابي والبحر وإن لم أره «٤» فقد سمعت خبره، والليث وإن لم ألقه فقد تصورت خلقه، والملك العادل وإن لم أكن لقيته فقد لقيني صيته. ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره. وما زلت- أيّد الله الأمير- أسمع بهذا البيت القديم بناؤه، الفسيح فناؤه، الرحيب إناؤه، الكريم أبناؤه «٥». وأنشد من هذه الحضرة ضالتي، والعوائق يمنة ويسرة، تريني حسرة، والزمن العثور يقعد بي «٦» ويثور. فكم من عام عزمت وأبت المقادير، ونويت وعرضت معاذير، والآن لما وفقت لهذه الزورة، اختلفت عليّ أخبار الملك العادل «٧» في مستقره، واختلفت باختلافها مرة في قوس الطريق، ومرة في وتره على اقتفاء أثره، حتى بلغت مبلغي هذا. ثم وسوس إليّ الشيطان [١٦٥ ب] تقدير مقدّر أني أقصد هذه الحضرة طامعا في مال، أو طامحا إلى نوال. وعظم سلطان هذه الوسوسة حتى كاد يثنيني عن درك

____

(١) وردت في الأصل: له على.

(٢) إضافة من ب.

(٣) ساقطة في ب.

(٤) وردت في الأصل: أمره.

(٥) وردت في ب: الكريم أنباؤه، النجيب أبناؤه.

٢٨ ذكر أمير «6» المؤمنين القادر بالله وانتصابه منصب آبائه الراشدين بمدينة «7» السلام، واستقرار الإمامة «8» عليه، وانعقاد البيعة له بعد الطائع لله، وما اشتبك من الحال بين السلطان يمين الدولة وأمين الملة وبين بهاء الدولة وضياء الملة أبي نصر بن عضد الدولة في زمانه

(٦) ساقطة في ب.

(٧) وردت في ب: المؤيد العادل.

الحظ من طلعته، ولم أبعد ما ألقاه في خلدي أن يكون، ولأناشدنّ «١» الله الظنون أن تتصرف في قصدي إلا إلى معرفة أوقعها، أو خدمة أودعها، أو مدحة أسمعها، أو رجعة أسرعها، ثم أدّخر هذه الدولة لمملكة «٢» أغصبها، أو راية أنصبها، أو كتيبة أغلبها، أو دولة أقلبها. فأما الدرهم والدينار «٣» فدفعهما إليّ ونزعهما من يدي سواء لدي، لا أشكر واهبهما، ولا أشكو سالبهما، إن لي في القناعة وقتا، وفي الصناعة بختا، لا «٤» يبعد منال المال إذا أردته، ولا يحوجني إلى ركوب العقاب «٥» وسلوك الشعاب مهما قصدته، بل يجيئني فيضا. ويتطفل علي أيضا، وهذه الحضرة وإن احتاج إليها المأمون، ولم يستغن عنها قارون، فإن الأحب إلي أن أقصدها قصد موال، لا قصد سؤال، والرجوع عنها بحال [أحب إلي من الرجوع عنها بمال] «٦». قدمت التعريف، وأنا أنتظر الجواب الشريف، فإن نشط الأمير لضيف ظله خفيف، وضالته رغيف، فليزجر له بالاستقبال طائر الإقبال، والسلام» «٧».

و له فيه لما صدر عن فنائه مثقلا بنعمائه:

ألم تراني في سفرتي ... لقيت الغنى والمنى والأميرا [١٦٦ أ]

و لما تراءى شممت التراب ... وكنت امرأ لا أشم العبيرا

لقيت امرأ مل ء عين الزما ... ن يعلو سحابا ويرسو ثبيرا

لآل فريغون في المكرمات ... يد أولا واعتذار أخيرا

(١) وردت في ب: ولا انا انشد.

(٢) وردت في الأصل: لمملكته.

(٣) وردت في ب: الدراهم والدنانير.

(٤) وردت في ب مكررة.

(٥) ورد بهامشها في الأصل: الصعاب.

(٦) إضافة من ب.

(٧) هذه الرسالة وردت في: رسائل بديع الزمان، ص ٣٥٨؛ وبعض أجزائها جاءت عند الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٣١٥.

٢٨ ذكر أمير «6» المؤمنين القادر بالله وانتصابه منصب آبائه الراشدين بمدينة «7» السلام، واستقرار الإمامة «8» عليه، وانعقاد البيعة له بعد الطائع لله، وما اشتبك من الحال بين السلطان يمين الدولة وأمين الملة وبين بهاء الدولة وضياء الملة أبي نصر بن عضد الدولة في زمانه

إذا ما حللت بمغناهم ... رأيت نعيما وملكا كبيرا

فلا يعدم الملك ذا روعة ... يمنيّ المنى ويسرّ السريرا «١»

و لأبي الفتح البستي فيهم:

بنو «٢» فريغون قوم في وجوههم ... سيما الهدى وسناء السؤدد العالي

كأنما خلقوا من سؤدد وعلا ... وسائر الناس من طين وصلصال

من تلق منهم تقل هذا أجلّهم ... قدرا وأسخاهم بالنفس والمال

يا سائلي ما الذي حصلت عندهم ... دع السؤال وقم فانظر إلى حالي

أما «٣» ترى أن حالي كيف [قد] حليت ... بهم ألم تر «٤» حالي عند ترحالي

ذكر أمير «٦» المؤمنين القادر بالله وانتصابه منصب آبائه الراشدين بمدينة «٧» السلام، واستقرار الإمامة «٨» عليه، وانعقاد البيعة له بعد الطائع لله، وما اشتبك من الحال بين السلطان يمين الدولة وأمين الملة وبين بهاء الدولة وضياء الملة أبي نصر بن عضد الدولة في زمانه

قد كان بهاء الدولة وضياء الملة ينقم من الطائع لله أمورا لصدره فيها من غير وفاقه، [١٦٦ ب] وعدوله بها عن حكم استحقاقه، فدعاه ما توالى «٩» عليه من خلاف رضاه

---

(١) البيتان الأخيران وردا في ب معكوسين. انظر: ديوان بديع الزمان، ص ٧٤ (مع اختلاف في بعض الألفاظ).
(٢) وردت في ب: بني.
(٣) وردت في ب: ألا.
(٤) وردت في ب: بهم ألم تر اليوم.
(٥) الخولي- أبو الفتح البستي، ص ٢٩٩ - ٣٠٠. (مع اختلاف في بعض الألفاظ).
(٦) وردت في ب: الأمير.
(٧) وردت في ب: بدار.
(٨) وردت في ب: الامام.
(٩) وردت في الأصل: تولى.

إلى مراعاة مصلحة الدين والملك، باختيار من يرعى حق الإمامة، ويتولى حياطة الخاصة والعامة، ويعزل هوى النفس في اتباع الحق واستشعاره، ونصرة الدين وإظهاره «١»، وحماية الملك من أقطاره، وجعل يتلطف في التدبير عليه إلى أن تمكن منه، فخلعه واحتوى عليه وعلى ما كان جمعه، وذلك في شعبان سنة إحدى وثمانين وثلثمائة. وأرسل إلى البطائح وبها القادر بالله أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله فاستقدمه دار السلام لعقد البيعة له سدا للثلمة، ونظرا للأمة، وارتهانا للألفة، واجتلابا «٢» لمصلحة الجملة، فقدمها في شهر رمضان من «٣» هذه السنة. وتسارع الناس إلى مبايعته، وأصفقوا «٤» على طاعته، وتراضوا عن طيب النفوس بإمامته، وتناهبوا شكر الله على ما أتاحه لهم من بركات خلافته، ثقة بما اشتهر في الآفاق من مناقبه الغرّ وضرائبه الزهر، وفضائله المسطورة على صفحات الدهر، فقام بما قلّده الله من طوق الإمامة، مفوضا إليه أمره، ومتوكلا عليه وحده، فلم ير في مقرّه من سرير الخلافة أوفر منه حصاة، وأوقر أناة، وأصلب قناة، [١٦٧ أ] وأصدق تقاة، وأرضى سيرة، وأذكى بصرا وبصيرة، وأزكى علنا وسريرة، وأتم جزالة وجلالة، وأعم سياسة وحراسة. نعم، ولا أقوى منه جنابا، وأندى بنانا، وأجرى لسانا، وأعدل عقابا وإحسانا.

و عطفته عاطفة القربى على الطائع لله، فاستخصّه لمنادمته، واجتباه لمصاحبته، وألحفه جناح رعايته وحمايته، تفاديا من غضاضة تلحقه في زمانه، أو نكبة ترهقه في ظل سلطانه، وجانب أمانه، إلى أن فرّق بينهما الدهر المولع بالتفريق، وأخذ الرفيق عن الرفيق.

و رثاه أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى العلوي الرضي «٥» الموسوي بقصيدة

---

(١) وردت في الأصل: استظهاره.
(٢) وردت في ب: استجلابا.
(٣) وردت في ب: في.
(٤) صفق يده بالبيعة. تصافقوا: تبايعوا. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٢٠٠ (صفق).
(٥) ساقطة في ب.

أولها «١»:

إن كان ذاك الطود خ ... رّ فبعدما استعلى طويلا
موف على القلل الذوا ... هب في العلا عرضا وطولا
قرم يسدّد لحظه ... فيرى القروم له مثولا
و يرى عزيزا حيث ح ... لّ ولا يرى إلا ذليلا

كالليث إلا أنه ات ... خذ العلا والعز غيلا
و علا على الأقران لا ... مثلا يعدّ ولا عديلا
من معشر ركبوا العلا ... وأبوا عن الكرم النزولا
غرّ إذا نسبوا لنا ال ... غرر اللوامع والحجولا
كرموا فروعا بعدما ... طابوا وقد عجموا أصولا
نسب غدا روّاده ... يستنجبون له الفحولا [١٦٧ ب]
يا ناصر الدين الذي ... رجع الزمان به كليلا
يا صارم المجد الذي ... ملئت مضاربه فلولا
يا كوكب الإحسان أع ... جلك الدجى عنا أفولا
يا غارب النعم العظا ... م غدوت معمورا جزيلا
لهفي على ماض مضى ... أن لا نرى منه بديلا
و زوال ملك لم يكن «٢» ... يوما يقدّر أن يزولا
و منازل سطر الزما ... ن على معالمها الحؤولا
من بعد ما كانت على ال ... أيام مربأة نكولا
و الأسد ترتكز القنا ... فيها وترتبط الخيولا

____
(١) وردت في ب: منها.
(٢) وردت في ب: منكن.

من يسبغ المنن «١» الجسا ... م ويصطفي الحمد الجزيلا
من ينتج الآمال يو ... م تعود باللّيّان حولا
من يورد السمر الطوا ... ل ويكشف الخطب الجليلا «٢»
و تراه يمنع دوننا ... وادي النوائب أن يسيلا
عقّاد ألوية الملو ... ك على العلا جيلا فجيلا «٣»

و انثال خطباء العراق وشعراؤها على مجلس الخلافة كأعراف الجياد «٤» في امتداح القادر بالله أمير المؤمنين وذكره مآثر آبائه «٥»، ومفاخر أسلافه مرابيع الكرم، ينابيع الحكم، مصابيح الظلم، مجاديح الأمم، ليوث البهم، غيوث القحم «٦». وبلغني أن مقاماتهم مدونة بالعراق من بين منظوم ومنثور، وفقر وشذور، فلا حاجة بنا إلى تتبع ذكرها [١٦٨ أ] مع اشتهارها في ديارها.

و حكى لي أبو محمد عبد السلام بن محمد بن الهيصم أحد أعيان الكرّامية بنيسابور، قال: قمت في مجلس القادر بالله أمير المؤمنين خطيبا بحضرة بني هاشم ومشايخ بغداد وأعيان الحجيج، فقلت: الحمد لله ذي العزة القاهرة، والحجة الباهرة، والنعم المتظاهرة، الذي عم إحسانه، ودام سلطانه، ولطف شأنه، فلا رادّ لقضائه، ولا مانع لعطائه، ولا معقّب لحكمه، ابتعث محمدا صلى الله عليه وسلم «٧» من خير أرومة العرب

____
(١) إضافة من ب.
(٢) ورد في الديوان:
من يورد السمر الطوا ... ل ويطعم البيض النصولا
من يزجر الدهر الغشو ... م ويكشف الخطب الجليلا
(٣) ديوان الشريف الرضي، مج ٢، ص ١٩٤.
(٤) وردت في ب: كأعراف الجياد على مجلس الخلافة.
(٥) وردت في الأصل: تاثر أيامه
(٦) جمع قحمة وهي الشدة والمهلكة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٤٦٤ (قحم).

Shamela.org

٢٨ ذكر أمير «6» المؤمنين القادر بالله وانتصابه منصب آبائه الراشدين بمدينة «7» السلام، واستقرار الإمامة «8» عليه، وانعقاد البيعة له بعد الطائع لله، وما اشتبك من الحال بين السلطان يمين الدولة وأمين الملة وبين بهاء الدولة وضياء الملة أبي نصر بن عضد الدولة في زمانه

(٧) إضافة من ب.

مولدا، وأفضل جراثيمها محتدا، وأطولها «١» نجادا، وأرسخها في المكرمات أوتادا، فأيّده أحسن تأييد، وأكد أمره أفضل تأكيد، حتى استقل الدين ناهضا، واضمحل الشرك داحضا، وظهر أمر الله والمشركون كارهون، فعليه صلوات الله عدد الرمل والحصى، ما «٢» طلعت عليه شمس الضحى، وعلى آله الطيبين. ثم قيّض الله «٣» من بعده الخلفاء الراشدين، لتمهيد الدين، [و توكيد اليقين] «٤»، وتوهين كيد الملحدين، فبسطوا للإسلام بساطه، ونهجوا لأهل الآفاق صراطه، إلى أن تأدى الأمر إلى ذويه من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم «٥»، وبني صنو أبيه، فأقاموا الإسلام عن أوده، وأسندوا الأمر إلى مسنده، معتصمين بنصر الله، صادعين بأمر الله، معظمين لحرمات «٦» الله، و«٧» هلم جرا [١٦٨ ب] إلى أن تأكدت بيعة الخلافة بأمير المؤمنين القادر بالله، فبهر نوره العالمين، وشفى ذكره على المنابر صدور قوم مؤمنين «٨»، من بعد التواء من أظهر العناد، وانزواء من قصد الفساد. وأبى الله إلا «٩» نصرة الحق وإدالته، وقمع الباطل وإذالته «١٠».

و لقد حدثني محمد بن الفضل الحلواني، قال: حدثني الصولي عن المبرّد أن

---

(١) وردت في الأصل: أطوالها.

(٢) وردت في ب: وما.

(٣) إضافة من ب.

(٤) ساقطة في ب.

(٥) وردت في الأصل: صلع.

(٦) وردت في الأصل: بحرمات.

(٧) إضافة من ب.

(٨) وردت في الأصل: صدور المخلصين. والإضافة من ب، وهو اقتباس من قوله تعالى: ... وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ. سورة التوبة، الآية ١٤. وورد بعدها في ب: وسقى نشره على المنابر قلوب المخلصين.

(٩) وردت في الأصل: إليه إلى.

(١٠) إهانته. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٢٦١ (ذيل). وقد وردت في ب: ازالته.

العباس بن حمدون حدّثه أن سعيد الخطيب [قال:] لما بايع الفضل «١» بن مروان المعتصم بالله أمير المؤمنين، قام في الناس فقال:

بايعت منبسطا ولو «٢» لم تنبسط ... كفي لبيعته قطعت بنانها

من ذا إليه لا يمدّ يمينه ... قطع الإله يمينه فأبانها

و لوالدي «٣» في خدمة «٤» أمير المؤمنين «٥» ما يقارب هذا أو يشاكله، وذلك أنه أظهر بيعته لوارد كتابه على حين التواء من التوى بناحية بلخ، وقال فيها «٦»:

سبقت يميني نحو بيعة قادر ... بالله لما حالفته يد «٧» القدر

ما ضرّ بيعته التواء من التوى ... والله مبرمها بمكنون الزبر

و لقد أراه أحق من وطى ء الحصا ... بوراثة الشم البهاليل الغرر

فلأخلعنّ القلب مني إن أبى ... ولأقلعنّ العين إن زاغ البصر

و ها أنا قد ساعدني توفيق الله حتى وطئت بساط أمير المؤمنين شاكرا [١٦٩ أ] ما أنعم الله علينا بولي أمير المؤمنين محمود بن سبكتكين فإنه في رسمه كاسمه، والله نسأل أن يديم سلامة أمير المؤمنين، وأن يبلغه أمله في الأمير أبي الفضل ولي عهد المسلمين الغالب بالله ابن أمير المؤمنين، ويلحقه بسعادة آبائه الراشدين، وأسلافه الطيبين الطاهرين، والحمد لله رب العالمين، [و صلى الله على نبيه محمد وآله أجمعين] «٨».

---

(١) وردت في الأصل: فضل.

٢٨ ذكر أمير «6» المؤمنين القادر بالله وانتصابه منصب آبائه الراشدين بمدينة «7» السلام، واستقرار الإمامة «8» عليه، وانعقاد البيعة له بعد الطائع لله، وما اشتبك من الحال بين السلطان يمين الدولة وأمين الملة وبين بهاء الدولة وضياء الملة أبي نصر بن عضد الدولة في زمانه

(٢) ساقطة في ب.
(٣) القول لأبي محمد عبد السلام بن محمد بن الهيصم سابق الذكر.
(٤) وردت في ب: خدمت.
(٥) يقصد القادر بالله.
(٦) إضافة من ب.
(٧) وردت في الأصل: يدر.
(٨) ساقطة في ب.

قال «١»: فأمر القادر بالله أمير المؤمنين أن تنسخ الخطبة في جملة أخواتها المسطورة المخزونة.

و لما أرجت «٢» منابر خراسان بذكر القادر بالله أمير المؤمنين على ما أوجبته طاعة السلطان يمين الدولة وأمين الملة لأمر الله «٣» تعالى «٤» في اقتفار «٥» محجته، واقتفاء خليفته وحجته، كاتبه بما رآه من الإفضاء إلى ابنه أبي الفضل بعهده في ولاية المسلمين من بعده، وتلقيبه بالغالب بالله، ورسم توفيته واجب حقه، وإلحاق ذكره على المنابر باسمه، وطبع النقود على ذكر تلقيبه، فأوجب السلطان يمين الدولة وأمين الملة مطاوعته فيما أمر، ومتابعته في جميع ما رسم. فتقارن «٦» ذكراهما في الخطب، وترافق اسماهما على صفحات الفضة والذهب.

و سنعود إلى ذكر بهاء الدولة وضياء الملة من لدن استأثر الله «٧» بعضد الدولة [١٦٩ ب] وتاج الملة أبي شجاع فناخسرو إلى أن أفضى «٨» الأمر إليه، واستقر الملك عليه، وفيما نطق به كتاب الصابي المعروف ب (التاجي) من وقائع عضد الدولة مع بختيار إلى أن أظفره الله به، فقضى عليه بحد حسامه، وجرّعه كأس حمامه، واحتياله على أبي تغلب «٩» ناصره بعد انهزامه، إلى أن أمكنه التدبير عليه بابن الجراح «١٠» - أحد المتغلّبين من

____
(١) القول لأبي محمد بن الهيصم.
(٢) أرج الطيب إذا فاح. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٢٠٨ (أرج).
(٣) وردت في الأصل: إليه.
(٤) إضافة من ب.
(٥) الاقتفار: الاقتفاء. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ١١١ (قفر).
(٦) وردت في الأصل: فتقارب.
(٧) وردت بعدها في الأصل: بعد، حذفناها لعدم فائدتها.
(٨) وردت في الأصل: قضى.
(٩) وردت في ب: ثعلب بدون أبي. وأبو تغلب هو فضل الله بن ناصر الدولة الحمداني صاحب الموصل، وقد كان مناصرا لبختيار. انظر: ابن الأثير- الكامل، ج ٧، ص ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٥٠، ٣٨٤.
(١٠) انظر: مسكويه- تجارب الأمم، ج ٦، ص ٤٥٠؛ ابن الجوزي- المنتظم، ج ١٤، ص ٣٣٧؛ ج ١٥، ص ١٥، ص ٤٦، ص ٦٨.

الأعراب على حدود الشام- فقيّضه لا قتناصه بمبارّ أهداها إليه، وأطماع أكدها له، حتى اعتقله وقتله «١»، وحمل «٢» إليه علاوته «٣» ما يغني عن تجديده ذكره. ولما مضى عضد الدولة لسبيله، وذلك في شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة عند اشتغال أخيه مؤيد الدولة بويه بمحاربة حسام الدولة أبي العباس «٤» تاش، وعميدها «٥» فائق في عساكر خراسان، اجتمع أبناء دولته على ابنه صمصام الدولة وشمس الملة، فبايعوه متآزرين «٦»، وتوافقوا على طاعته متظاهرين. وأتاه الطائع لله أمير المؤمنين في حرّاقة «٧» على ظهر دجلة يعزيه عن أبيه، وقد ثار «٨» عوام الناس نظّارة له، حتى إذا قرب منه برز إليه صمصام الدولة فجشّم «٩» وجهه رسم الطاعة وحق الخلافة، وقال له الطائع [١٧٠ أ] لله: نضّر الله وجه الماضي «١٠»، وجعلك الخلف الباقي، وصيّر التعزية بعده لك لا بك، والخلف عليك لا منك، [و قضي الحقوق لك لا منك] «١١»، فأذرى على خديه دموع عينيه، وبادر إلى صعيد الأرض «١٢» شكرا

(١) وردت في ب: حتى تغفله.
(٢) أي ابن الجراح.
(٣) يقصد رأسه. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٨٩ (علا).
(٤) ساقطة في ب.
(٥) يقصد عميد الدولة.
(٦) وردت في النسخ: متوازرين.
(٧) ضرب من السفن فيها مرامي نيران يرمى بها العدو في البحر. الرصافي- الآلة والأداة، ص ٨٣.
(٨) وردت في ب: سار.
(٩) وردت في الأصل: فحشم. تجشّم الأمر: تكلفه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ١٠٠ (جشم).
(١٠) أي: جعل الله وجه الراحل نضرا، من قوله تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ. سورة القيامة، الآية ٢٢، ٢٣، ووردت في ب: نصر الله وجهه الماضي.
(١١) ساقطة في ب، ود.
(١٢) وردت في ب: الصعيد.
(١٣) ساقطة في ب، وتعود على صعيد الأرض.

و كان أخوه الأكبر أبو الفوارس شيرزيل بن عضد الدولة غائبا إلى مدينة كواشير «١» من أرض كرمان، فلما بلغه نعي أبيه، كرّ راجعا إلى فارس، وقبض بها على نصر بن هارون النصراني وزير أبيه، واستوفى عليه حواصل أموالها، وبقايا أعمالها. وامتد إلى الأهواز فملكها على أخيه أبي الحسن «٢» أحمد بن عضد الدولة، وغلب «٣» على البصرة معها، وذلك في رجب سنة خمس وسبعين وثلثمائة، ثم استعد لقصد بغداد طلبا لمكان أبيه، واستضافة لما في يد أخيه إلى سائر ما يليه. وسار حتى إذا وافاها، تلقّاه «٤» صمصام الدولة بما أوجبه حق سنّه عليه إجلالا ومهابة، ومداراة ومقاربة، تفاديا من ضرر استيحاشه، وعدوى مساءته «٥»، غير عالم «٦» بأن غمدا فردا لا يسع سيفين، ووترا واحدا لا يضم سهمين «٧». فقرّبه أبو الفوارس ورفع محله، ثم خلعه وكحله، وأمر به إلى قلعة كيوستان «٨» من [١٧٠ ب] أرض عمان «٩». واستولى على المملكة، ولقبّه الطائع لله

---

(١) وردت في الأصل، وفي د: واشير، وفي ب: واشهر. قال المقدسي: «فأما بردسير فإنها كورة من كرمان يسمونها بلسانهم كواشير». أحسن التقاسيم، ص ٤٦٠. وعنها، انظر: لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٣٤١.
(٢) ورد الحسين في: أبو شجاع- ذيل تجارب الأمم، ص ١٤٦؛ إقبال- تاريخ إيران، ص ٧٦؛ رفيع- تاريخ نهضتهاي ملي إيران، ص ١٨٤.
(٣) وردت في ب: غضب.
(٤) وردت في ب: تلقاها.
(٥) وردت في الأصل: مسآته، وفي ب: مساته. ساءه يسوءه مساءة: فعل به ما يكره. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٩٥ (سوأ).
(٦) وردت في ب: عالما بدون غير.
(٧) وردت في ب: سقمين.
(٨) وردت في ب: كتوستان.
(٩) الأصوب أنه اعتقل في قلعة بسيراف. قال أبو شجاع: «لم يعرف لصمصام الدولة خبر بعد ذلك الموقف حتى قيل: إنه حمل إلى فارس فاعتقل في القلعة». وأضاف: «فأخرج محمد الفرّاش لسمل صمصام الدولة ... فحصل الفرّاش بسيراف، والقلعة التي فيها صمصام الدولة كانت من أعمالها». ذيل تجارب الأمم، ص ١٦١، ص ١٧٩؛ وجاء ما يؤيد هذا القول عند ابن الأثير- الكامل، ج ٧، ص ٤٣٦ - ٤٣٧؛ لكن الذهبي يقول: « ... ثم خفي خبر صمصام الدولة، ثم أمسك، وأكحل». العبر، ج ٢، ص ١٤٧؛ وانظر:

٢٨ ذكر أمير «6» المؤمنين القادر بالله وانتصابه منصب آبائه الراشدين بمدينة «7» السلام، واستقرار الإمامة «8» عليه، وانعقاد البيعة له بعد الطائع لله، وما اشتبك من الحال بين السلطان يمين الدولة وأمين الملة وبين بهاء الدولة وضياء الملة أبي نصر بن عضد الدولة في زمانه

ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٦٢٢؛ إقبال- تاريخ إيران، ص ٧٨. ومما يجدر ذكره أن بسيراف جبل مشرف يسمى جم، وفي هذا الجبل قلعة عظيمة يقال لها سميران. الاصطخري- مسالك الممالك، ص ١١٩؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٢٩٤.

بشرف الدولة وزين الملة، فبقي على جملته سنين «١»، وبخئه «٢» حكم الله تعالى «٣» في جمادى الآخرة سنة تسع «٤» وسبعين وثلثمائة.

و قام شاهنشاه بهاء الدولة وضياء الملة أبو نصر بن عضد الدولة مقامه، وتجرّد لضبط الأمور المائرة، وتلافي الأحوال الحائلة، وكفل بالملك كفالة خبير بالتجارب، بصير بأعقاب العواقب. وتمالأ «٥» الأتراك بفارس على صمصام الدولة، فأبرزوه من معتقله، وحمله غلامه المعروف بسعادة على عاتقه منحدرا به، فملك فارس وما والاها، وتتّبع أموالها فجباها. ثم تنكروا له من بعد، وقدّموا أبا علي بن أبي الفوارس، وعقدوا له الرئاسة عليهم، ولقبّوه بشمس الدولة وقمر الملة، وتجرّدوا للدفاع عنه والدعاء إليه.

فانتدب «٦» لمواقعتهم، إلى أن هزمهم أقبح هزيمة، وغنمهم أبرد غنيمة، فخنسوا إلى بغداد صاغرين خاسرين.

و تحرك «٧» بهاء الدولة وضياء الملة لقتال صمصام الدولة، فتناوشا الحرب وصالا ككعوب الرماح، ما «٨» بين المساء والصباح، حتى خربت البصرة، وتلاها في الخراب أكثر كور الأهواز.

و قد كان أولاد بختيار محتبسين في حصار بناحية فارس، فاستنزلهم طائفة من الأكراد الخسروية «٩» عن [١٧١ أ] معتقلهم، مؤججين نار الفتنة باستنزالهم وفكّ عقالهم.

____

(١) وردت في ب: سنتين.

(٢) وردت في الأصل: محيه.

(٣) إضافة من ب.

(٤) وردت في الأصل: سبع. انظر: ابن الجوزي- المنتظم، ج ١٤، ص ٣١٧، ص ٣٣٨ (و عنده في جمادى الأولى)؛ ابن الأثير- الكامل، ج ٧، ص ٤٢٧، ص ٤٣٦.

(٥) تساعد وتعاون. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ١٦٠ (ملأ).

(٦) صمصام الدولة.

(٧) ورد بهامشها في ب: وتجرد.

(٨) ساقطة في ب.

(٩) نسبة إلى فناخسرو.

فناصبهم صمصام الدولة «١» الحرب مستكفا شرهم، ومستدفعا بأسهم وضرّهم، فاختلفت بهم الوقائع بين تلك الفتن الثائرة، والإحن الفائرة، وكانت «٢» عقباها أن أجلت عنه قتيلا.

و تذمر بهاء الدولة للحادثة عليه «٣»، فأرصد الجناة بطائلته حتى شرّدهم كل مشرد، وطردهم كل مطرد، وألجأ أولاد بختيار إلى الجلاء عن تلك الناحية، وزعيمهم يومئذ سالار بن بختيار الملقب بنور الدولة. وكان من أمره أنه انتبذ عنها مدحورا مثبورا، فاضطرته الحال إلى خفارة التجار في تجاراتهم، وإجازتهم «٤» على مراصد القطع ببضاعاتهم، على خرج «٥» يستعين «٦» به من جهتهم على مؤن معاشه ورياشه. واتبعه بهاء الدولة بجيش واقعوه بكواشير «٧» فغلبوه، ووصلوا إليه فقتلوه. وحمل غلام منهم «٨» رأسه إلى بهاء الدولة، فامتعض للرحم الدانية «٩»، واللحمة الحانية، من تشجعه على ملاقاته به «١٠»، فأمر بالغلام فسلخ جلده من قرنه إلى قدمه عبرة لمن أقدم على ملك بسفك دمه.

و بعث بعميد الجيوش الملقب بالصاحب إلى بغداد لمراعاة تلك الأعمال، واستيفاء حقوق [١٧١ ب] بيت المال، فاستدّت سيرته، واحتدّت «١١» في العدل بصيرته، وعمّ رفقه حجيج بيت الله الحرام [بالمنائح العظام] «١٢»، فانطلقت بشكره ألسنة الخاص والعام، إلى أن قبضه

____

(١) ساقطة في ب، ود.

(٢) وردت في الأصل: كان.

(٣) للحدث الذي وقع على أخيه صمصام الدولة.

(٤) أي السماح لهم بالجواز والمرور. ووردت في ب: واجاراتهم.
(٥) إتاوة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٢٥١ (خرج).
(٦) وردت في الأصل: تسعين.
(٧) وردت في الأصل: بواشير، وفي ب: بباواشهر. والتصحيح من د.
(٨) ساقطة في ب.
(٩) وردت في الأصل: الزانية.
(١٠) إضافة من ب.
(١١) وردت في ب: جدت.
(١٢) ساقطة في ب.

الله إليه، فسدّ مكانه بوزير الوزراء «١» زيادة في النظر للرعية، فأربى «٢» على عميد الجيوش في الإحسان إلى الكافة، إصلاحا لهم، ورفقا بهم، وطرحا عنهم. وصفت نواحي فارس وكرمان لبهاء الدولة مضافة «٣» إلى سائر أعماله. وقعدت الفتن القائمة عن سوقها في زمانه، فعمّ الأمن والسكون، وشمل الرفق والهدون «٤»، واستراح عباد الله مما كان يفدحهم «٥» من وطأة الجيوش، ويلحقهم من معرّة اختلاف السيوف.

و قد كان أبو علي بن إلياس قد ملك كرمان أيام عضد الدولة لآل سامان، وأقام بها مدة من الزمان، لا ينازعه فيها منازع، ولا يدافعه عنها مدافع. وكان حبس ابنه اليسع في بعض قلاع كرمان إشفاقا من معرته للوثة «٦» رآها في رأيه، واضطراب تبينه في وجوه شمائله وأنحائه، ولها «٧» عنه مدة من الزمان وهو يكابد بينها ضرا وبؤسا، وشدة وعبوسا «٨»، فاتفق أن أشرف سرب من نساء أبيه وجواريه عليه، فرثين [١٧٢ أ] لضيق مكانه، ودبّرن في وجه خلاصه، وعمدن إلى خمرهنّ فوصلن بعضها ببعض، وخلّصنه بها عن معتقله «٩». و تسامع أهل العسكر بخلاصه، وانحلال عقاله، فتجمعوا عليه، وانقطعوا بجملتهم إليه، ممالأة له على أبيه لجفوات «١٠» نقموها منه.

---

(١) أبي غالب فخر الملك محمد بن علي بن خلف، وزير بهاء الدولة. ابن خلكان- وفيات الأعيان، ج ٥، ص ١٢٤.
(٢) وردت في ب: فاذنى.
(٣) وردت في ب: مناصفه.
(٤) المصالحة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٤٣٤ (هدن).
(٥) وردت في الأصل، وفي ب: يقدحهم. والتصحيح من د، حيث إن الفدح: إثقال الأمر والحمل. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٥٤٠ (فدح).
(٦) الاسترخاء والبطء. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ١٨٥ (لوث).
(٧) تشاغل. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٢٥٨ (لها).
(٨) ساقطة في ب.
(٩) وردت في ب: معيد.
(١٠) وردت في الأصل: بجفوات.

و بلغ أبا علي خبر الحادثة، فأرسل إلى ذوي التحزّب والتألب باحثا عما دعاهم إليه، فأظهروا «١» الضجر بمكانه، والتبرّم بطول زمانه، وساموه مفارقة كرمان ليستقر الأمر على ابنه اليسع بطاعتهم له «٢»، وتوخيهم موافقته. فعرك أبو علي قولهم بجنب المداراة والاحتمال في عاجل الحال، ثم جمع ما قدر عليه من صنوف الأموال، وكرّ عائدا إلى بخارى مخليا بين اليسع وبين تلك الولاية. وأقام ثقتيه بسوّيه «٣» بن مهدي وترمش «٤» الحاجب على خدمة اليسع وكفالة أمره، إذ كانت حداثته تقتضي استخلاف مثلهما في دهائهما وقوة رأيهما على حضانة أموره، وتبصيره الرشد في وجوه تدبيره.

و لما وصل أبو علي إلى بخارى، بولغ في تعهده، وإكرام مورده «٥»، وإحلاله «٦» من الإيثار والإكبار محل مثله «٧»، إلى أن توفي بها في شوال سنة ست وخمسين وثلثمائة.

[١٧٢ ب] فأما اليسع فإنه ولي كرمان، فحمى أطرافها، وجبى أموالها. وكان أخوه سليمان مقيما بسيرجان «٨» واليا عليها، في أعماله

بسّويه «٩» بن مهدي به، وأشار عليه بمعاجلته قبل انتظام شمله، واستمرار حبله. فكتب إليه يستدعيه لمهم لا يستغني عن مفاوضته فيه،

____

(١) وردت في ب: فاضهروا.

(٢) ساقطة في ب.

(٣) وردت في الأصل: يسوء، وفي ب،: يسر، وفي د: بشر. قال مسكويه: «كان في جملة محمد بن إلياس رجل يعرف بعبد الله بن مهدي، ويلقب ببسّويه، شديد الغلبة عليه والتمكن منه». تجارب الأمم، ج ٦، ص ٢٩٠ - ٢٩١.

(٤) وردت في الأصل: تزمش. انظر: مسكويه- تجارب الأمم، ج ٦، ص ٢٩١.

(٥) وردت في ب مولده.

(٦) وردت في ب: اجلاله.

(٧) وردت في ب: مثله.

(٨) وترد أيضا الشيرجان. قصبة كرمان. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ١٥٩؛ al Hudud -ﷺP lam, ١٢٤٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٤٦٤؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٤٠، ص ١٨٨؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٣٣٨.

(٩) وردت في الأصل: بسوي، وفي ب: بسر. وفي د: بشر.

فامتنع عن الإجابة بعلل اخترعها، ومعاذير تمحّلها «١». وضاق «٢» اليسع به ذرعا، ولم يجد من مناجزته بدّا، فنهض إليه محاربا حتى هزمه، وغنم ماله. فوقع سليمان إلى بخارى، وأطمع اليسع نزق شبابه في مغالبة عضد الدولة أبي شجاع على بعض حدود عمله، فكان مثله مثل العير «٣» طلب قرنين فضيّع الأذنين، وذاك أنه لما بلغ الحدّين بين كرمان وفارس أتاه صاحب طليعته بطائفة من المستأمنة عن عسكر عضد الدولة أبي شجاع، فأحسن إليهم، وصبّ الخلع عليهم، ثم هرب نفر منهم راجعين وراءهم، فارتاب اليسع برفقائهم، وظنّ أن وراء استئمانهم حيلة أو غيلة، فأوسعهم تنكيلا، وعمهم بالعقاب قطعا وتمثيلا.

و استأمن عنه إلى عضد الدولة جملة من رجاله، فحملهم وحباهم، ووصلهم [١٧٣ أ] ومنّاهم، فلما رأى أصحابه تباعد ما بين الأمرين، تألّبوا عليه، وتمرّوا له، وتحزّبوا عنه، ونسل «٤» من جملتهم صفقة واحدة ألف رجل من وجوه الديلم إلى معسكر عضد الدولة وهو بناحية اصطخر. وفسا الظّربان «٥» بين الآخرين فجعلوا يتسللون لواذا، ويتفرقون جميعا وأشتاتا، حتى انفضّ عنه «٦» عامة أهل عسكره، وبقي في خاصة غلمانه وحاشيته، فاضطر إلى معاودة كواشير «٧»، وأسرع منها بعياله، وبما خفّ عليه حمله من أثقاله وأمواله «٨»، نحو بخارى لا يلوي على أحد دون الإغذاذ «٩» في السير، وطيّ بساط

____

(١) تكلفها. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٦١٨ (محل).

(٢) وردت في الأصل: ذاق.

(٣) الحمار. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٦٢٠ (عير).

(٤) أي خرج.

(٥) حيوان صغير منتن الريح، كثير الفسو، يسمى (مفرّق النعم) لأنه إذا فسا بينها وهي مجتمعة، تفرقت. وهو من أمثال العرب. انظر: الميداني- مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٩٠.

(٦) وردت في الأصل: عنهم.

(٧) وردت في الأصل: واشير، وفي ب: واشهر. وردت بعدها في الأصل: (فملكها)، وهذا سهو من الناسخ، إذ إن هذه الكلمة ستأتي بعد قليل، فحذفناها.

(٨) وردت في الأصل: أموالي.

(٩) الإسراع. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٥٠١ (غذذ).

الأرض بحوافر الخيل. فلما اتصل خبره بعضد الدولة، بادر على إثره إلى كواشير «١» فملكها «٢»، واستصفى أموال آل إلياس بها، ثم استخلف عليها كورتكين «٣» بن جستان ورجع عنها إلى فارس. ولما ورد اليسع ناحية خوست «٤» من حدود قهستان، خلّف أثقاله

وغلمانه بها، وركب الجمّازات «٥» نحو بخارى للاستنجاد وطلب الإمداد، فلما وافاها قرّب محله، ورعي له حقه، واستحضر مجلس الأنس تخصيصا بمزية الإكرام والأثرة، فلما قدر عليه سلطان الراح [١٧٣ ب] لم يتمالك أن قال مستبطئا: لو عرفت قعود الهمم بآل سامان عن إغاثة الراجين لها، واللاجئين إليها لطلبت غير هذه الحضرة ملاذا ومعتصرا.
فخشن مسّ هذا المقال منه، وأمر به فنفي إلى خوارزم. وبلغ أبا علي بن سيمجور حاله ومقاله، فبعث إلى خوست «٦» بمن قبض على غلمانه وأمواله، فنقلهم وإياها إليه غنيمة خالصة عن أيدي الاعتراض والاشتراك.
و أصاب اليسع بخوارزم رمد أقلقه وأكمده، واستنفد وسعه وجلده، وحمله «٧» الضجر بالألم على أن فقأ عينه الرمدة بيده، فسالت على خده، وكان ذلك سبب هلاكه وحينه. ولم يطر «٨» من أعقاب الإلياسية «٩» بحدود كرمان بعده أحد. وازداد باع

---

(١) وردت في الأصل: واشير، وفي ب: واشهر.
(٢) إضافة من ب.
(٣) ورد في الأصل: كورانكيز. وكوركير عند: مسكويه- تجارب الأمم، ج ٦، ص ٢٩٣؛ ابن الأثير- الكامل، ج ٧، ص ٣٢٢، ص ٣٢٥.
(٤) وردت في الأصل، وفي ب: خوس. وفي د: جوين. والأصح ما أثبتناه. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٧٤، ص ٢٨٦؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٠١؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ٢، ص ١٨٤ (وردت عنده خطأ: جوسف)؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٤٤ (وردت عنده: خوسف، وهو الاسم الأحدث)؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٠١.
(٥) الدواب السريعة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٣٢٣ (جمز).
(٦) وردت في ب: جوين.
(٧) وردت في الأصل: بان حمله.
(٨) يقترب. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٥٠٨ (طور).
(٩) أي بني إلياس أجداد اليسع.

٢٩ ذكر وقعة «10» ناراين «11»

عضد الدولة طولا، وعزة وارتفاعا وشمولا، إلى أن ورثه بهاء الدولة وضياء الملة، فأجرى أمورها بمجاريها الموروثة في حفظ الأطراف، وبسط العدل والإنصاف.
و لما ملك السلطان يمين الدولة وأمين الملة خراسان، افتتح سجستان، و «١» حصل بين ولايته وبين تلك الديار ذمار الجوار، فاتحه بهاء الدولة [و ضياء الملة] «٢» بكتبه خاطبا [١٧٤ أ] لكريمة ودّه، على صداق قلبه المغمور «٣» بموالاته، المقصور على طلب مرضاته.
و وصل ذلك «٤» بهدايا ومبارّ لاقت برحب صدره، وعلوّ همّته وقدره، فأجابه السلطان يمين الدولة وأمين الملة إلى ما خطبه، وأوجب له مثل ما أوجبه، وأتحفه بما رهن الوداد، وأكّد الاتحاد، وقضى حقّ المكافأة وزاد. وتشوّفت الحال بينهما إلى زيادة عصمة «٥» تحد بها البيوت والمرابع، وتشترك فيها الأرقاب والأباعد، فسفر «٦» مشايخ الدولتين «٧» في تشبيك اللحمة، وتوشيج أسباب القربة، إلى أن أتاح الله من ذلك ما عمّ القاصي «٨» والداني فائدته، وشمل الحاضر والبادي والطارئ والتانى ء «٩» نفعه وعائدته.
ذكر وقعة «١٠» ناراين «١١»
و نشط السلطان يمين الدولة وأمين الملة في سنة أربعمائة لغزوة في ديار الهند

---

(١) إضافة من ب.
(٢) إضافة من ب.
(٣) شبهه بإناء غمره الماء.
(٤) ساقطة في ب.
(٥) وردت في ب: عظيمة.
(٦) من السفارة.

(٧) وردت في الأصل: الدماليين. والمقصود بالدولتين، دولة يمين الدولة وأمين الملة، ودولة بهاء الدولة وضياء الملة.
(٨) وردت في الأصل: القاضي.
(٩) تنأ بالمكان: أقام وقطن. فالتانى ء: المقيم بالبلد. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٤٠ (تنأ).
(١٠) وردت في ب: غزوة. انظر: ص ٢٧٨ من هذا الكتاب، هامش (٣).
(١١) وردت في ب: نارين، وفي د: ناردين. وناراين هي بزانة، قصبة كجرات في غرب الهند الحالية، قريبة من الحدود الباكستانية. ويبدو أنها سميت باسم ناراين، وهو أحد معبودات الهنود. انظر: البيروني- تحقيق ما للهند من مقولة، ص ١٤٣، ص ٣٠١.

ينكأ بها قرح نكاياته «١» فيها، تقرّبا إلى الله تعالى، واحتسابا للمثوبة من عنده عز وجل «٢»، فنهض نحوها يحثّ الخيول، ويخترق الحزون والسهول «٣»، إلى أن توسط ديار الهند، فاستباحها وأذل لقاحها «٤»، ونكس أصنامها، وعرض على السيوف أغتامها. وسار على هينته «٥» نحو مقصده، وأوقع بعظيم العلوج وقعة أفاء الله [١٧٤ ب] بها عليه أمواله، وأغنمه خيوله وأفياله، وحكّم فيهم سيوف أوليائه، يحسونهم بها بين كل سهب «٦» وفدفد «٧»، ويجزرونهم عند كل مهبط ومصعد، وردّه بهم إلى غزنة فيما حواه من تلك الغنائم الموفورة، سالما غانما، وافرا ظاهرا.

و لما رأى ملك الهند ما صبّ «٨» الله عليه وعلى أهل مملكته من سوط العذاب «٩»، بوقائع السلطان [يمين الدولة وأمين الملة] «١٠» فيهم، ونكاياته في أقاصيهم وأدانيهم «١١»، وأيقن أنه لا قبل لهم «١٢» بثقل وطأته، وخشونة جانبه، أرسل إليه أعيان أقاربه وقرابينه «١٣»، ضارعا إليه في هدنة يقف فيها عند أمره، ويتسمّح بماله ووفره، ويتجرّد أوقات «١٤» دعائه إياه

(١) وردت في ب: نكايته.
(٢) وردت في الأصل: من عند الله تعالى.
(٣) وردت في ب: السهول والحزون.
(٤) قوم لقاح: لم يدينوا للملوك، ولم يصبهم سباء. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٥٨٣ (لقح).
(٥) أي متأنيا. ووردت في ب: هيئته.
(٦) الفلاة المستوية. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٤٧٦ (سهب).
(٧) الفلاة أو الأرض المستوية أو المرتفع. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٣٣٠ (فدفد).
(٨) وردت في ب: صاحب.
(٩) اقتباس من قوله تعالى: فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍ. سورة الفجر، الآية ١٣.
(١٠) إضافة من ب.
(١١) وردت في الأصل: قاصيهم ودانيهم.
(١٢) إضافة من ب.
(١٣) القربان: جليس الملك وخاصته ووزيره. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٦٦٤ (قرب).
(١٤) وردت في الأصل: افا مات.

٣٠ ذكر غزوة غور

لنصره، على أن يقود «١» إليه بادئ الأمر خمسين فيلا يعدّ آحادها بأضعافها ثقل أجسام وخفة أقدام، ويحمل معها مالا عظيم الخطر، كثير «٢» القدر، بما يضاهيه من مبارّ تلك الديار، ومتاع تلك البقاع. وعلى أن يناوب كل عام بين أفناء عسكره في خدمة بابه بألفي رجل بادئين وعائدين، إلى إتاوة معلومة يلتزمها كل سنة سنّة يتمسّك بها من «٣» يرث مكانه، ويقوم في كفالة الملك مقامه، فأوجب السلطان إجابته إلى ملتمسه، لعز الإسلام بذلّ طاعته، وإعطائه الجزية عن يده «٤». وبعث إليه من «٥» [١٧٥ أ] طالبه بتصحيح المال، وقود الأفيال. فنقد ما وعد، وقدّم الوفاء بما شرط، وبعث بمن ضمن تجهيزهم إلى بابه من خواصّ رجاله، على جملة الخدمة،

وإقامة «٦» رسم الطاعة. فانعقدت تلك الهدنة، ودرّت تلك الإتاوة «٧»، وتتابعت القوافل بين ديار خراسان وبلاد الهند، في ضمان الأمان، وجوار الحيطة والإحسان.

ذكر غزوة غور

قد «٨» اتفق للسلطان يمين الدولة وأمين الملة فكر في جبال الغور، وتمرّد أهلها، وتمنّعهم على عطلهم «٩» عن حلية الدين، وسمة الإسلام، وحصولهم في المقلة من عين حوزته «١٠»، والمركز من دائرة مملكته، وتأذّي المارة والسابلة بعيث أرصادهم، وعنت

____

(١) وردت في الأصل: يعود.

(٢) وردت في ب: كبير.

(٣) وردت في الأصل: ما.

(٤) من قوله تعالى: حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صاغِرُونَ. سورة التوبة، الآية ٢٩.

(٥) وردت في الأصل مكررة.

(٦) وردت في ب: اقام.

(٧) وردت في ب: الادوات.

(٨) وردت في ب: و.

(٩) وردت في الأصل: عطلتهم.

(١٠) يقصد أنهم في أوسط مكان من أملاكه.

قطعهم وإفسادهم، لا ستطالتهم بمناعة جبالهم الشواهق، ومجال مسالكهم «١» المتضايق، فأنف للدولة القاهرة من أن يخليها على غلق أقفالها، وشدة رتاجها، فصمّم العزم على تدويخ ديارهم، وتذليل رقابهم، وانتزاع نعرة الاستطالة من رؤوسهم، واستلال وحرة «٢» العصيان من صدورهم. وأجلب عليهم «٣» بخيله ورجله، معوّلا على صنع الله وفضله.

و قدّم أمامه والي هراة التونتاش الحاجب [١٧٥ ب] ووالي طوس أرسلان الجاذب، وسارا مقتحمين مضائق تلك المسالك، إلى أن أفضى بهما الدؤوب «٤» إلى مضيق قد غصّ بكماة الغورية ممن لفظتهم القرى القاصية، والمحال المتنائية «٥»، فتناوشوا الحرب تناوشا بطلت فيه «٦» العوامل، إلا الصوارم في الجماجم، والخناجر في الحناجر. وتصابر الفريقان على حرّ الكريهة حتى سالت نفوس، وطارت عن الهام رؤوس.

و بلغ السلطان خبر الفريقين، فلحقهم في خواص رجاله «٧»، وجعل يلجئهم إلى ما وراءهم شيئا فشيئا، ويملك عليهم ملاجئهم شعبا فشعبا، إلى أن فرّقهم في عطفات الجبال الشوامخ، وألحقهم بقلل الراسيات البواذخ، واستفسح «٨» المجال إلى عظيم الكفرة المعروف بابن سوري، فغزاه «٩» في عقر داره، وأحاط به من جوانب حصاره، وهي في قصبة تدعى آهنكران «١٠»، وشد عليه الحرب، وبرز الرجل في قرابة عشرة آلاف رجل

____

(١) وردت في ب: مسلكهم.

(٢) الوحر: الوغر. ابن منظور- لسان العرب، ج ٥، ص ٢٨١ (وحر).

(٣) ساقطة في ب.

(٤) وردت في الأصل: الدروب، وفي ب: الدوب، وفي د: الدؤب. الدؤوب: مصدر الفعل (دأب) أي جدّ وتعب.

ابن منظور- لسان العرب، ج ١، ص ٣٦٨ (دأب).

(٥) وردت في ب: المتنابية.

(٦) وردت في الأصل، وفي ب: فيها. والتصحيح من د.

(٧) وردت في ب: غلمانه.

(٨) وردت في ب: استفتح.

(٩) وردت في ب: فغزاهم.

(١٠) وردت في د: آهتكران. انظر: al Hudud -ﷺP lam, P ٣٣٣٠, ٣٤٣٠ ؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٥٤.

رجال، كأنما خلقت قلوبهم من حديد، وأكبادهم من جلاميد، يستأنسون بأهوال الوقائع استئناس الظماء بماء الشرائع، فصافوا عسكر السلطان مرعدين بالبطش والبأس، مبرقين بصوارم الأسياف. وجعلوا يهرّون في [١٧٦ أ] وجوههم هرير الكلاب أعياها الفرار، وأحرجتها الأجار، فأمر السلطان بمداركة الشدّ عليهم «١» على ما أوجبه حكم الاحتياط، إذ كانوا مستندين إلى معاقل «٢» وثيقة، ومعتصرين بخنادق عميقة، حتى إذا انتصف النهار على وقاحتهم في مغامسة الحرب، ومعامسة «٣» الطعن والضرب، أشار بتوليتهم الظهور على وجه الاستدراج والاغتيال، فاغترّوا بخدعة «٤» الانقلاب، وانفضّوا عن مواقفهم إلى فسحة الفضاء، لاغتنام فرصة الانهزام، فكّرت عليهم الخيول بضربات غنيت بذواتها عن أخواتها، فلم ترتفع واحدة منها إلا عن دماغ منثور، ونياط مبتور. وصرع في تلك المعركة الواحدة رجال كهشيم المحتظر، أو أعجاز نخل منقعر. وملك الأسر عظيمهم المعروف بابن سوري بأقربيه وذويه، وسائر خدمه «٥» وحواشيه. وأفاء الله على السلطان ما اشتمل عليه حصاره من ذخائر الأموال والأسلحة التي اقتناها كابر عن كابر، وتوارثها كافر عن كافر.

و أمر السلطان بإقامة شعار الإسلام فيما افتتحه من تلك القلاع والرباع، فأفصحت بذكره منابرها، واشترك في عزّ دعوته «٦» باديها وحاضرها. ورجع [١٧٦ ب] بعد ذلك عن وجهه على جناح اليسر والنجاح، والظفر المتاح. وحين رأى ابن سوري «٧» حصوله في ذلّ إساره، واستباحة السلطان ودائع حصاره، تبرّم بحياته، واستراح إلى برد وفاته، فامتصّ

____

(١) ساقطة في ب.

(٢) وردت في الأصل: معاقيل.

(٣) وردت في الأصل: مصابرة. والمعامسة: شدة الحرب. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ١٤٧ (عمس).

(٤) وردت في الأصل: بخده.

(٥) ساقطة في ب.

(٦) وردت في الأصل: دعوتها.

(٧) وردت في ب: ابن شوري.

٣١ ذكر القحط الواقع بنيسابور «3» في سنة إحدى وأربعمائة

سمّا كان أودعه فصّ خاتمه، فجاد للوقت «١» بنفسه، خَسِرَ الدُّنْيا وَ الْآخِرَةَ ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ «٢».

ذكر القحط الواقع بنيسابور «٣» في سنة إحدى وأربعمائة

وقع القحط بنيسابور خصوصا، وفي سائر بلاد خراسان عموما، فهلك بنيسابور وأطرافها دون غيرها [من الناس] «٤» مائة ألف أو يزيدون. وكم دفن منهم بأطمارهم لضيق الأكفان بهم، وعجز غسلة الأموات عنهم. كان الناس بين «٥» غلام وشاب، وكهل وشيخ، وفتاة وعجوز، يتداعون الخبز الخبز، ويذوبون على أنفسهم حتى تغور عيونهم، وتجب للموت جنوبهم، ورعوا نبات الأرض حتى استحكم اليأس «٦» الناس عن الزروع، وانقطعت الأطماع عن الريوع «٧». وضاق بهم الأمر، فجعلوا يتتبعون رمام العظام على رؤوس الكناسات تعللا بها. ومهما ذبح قصاب ذبيحة اجتمع عليه «٨» الفوج بعد الفوج يتقاسمون نجيعها بالكيزان والخزف تسكينا [١٧٧ أ] لحرّة الجوع، واجتزاء به عن القوت، ولم ينل منه أحد إلا سقط لحينه، وجاد عن كثب بنفسه. وعهدي بهم يتتبعون سقاطات حبّ الشعير عن الأرواث، وهيهات. إن الشعير لأعيا الأنام فكيف البهائم والأنعام؟! ثم تراقى «٩» الأمر إلى أن أكلت الأم ولدها، والأخ أخاه، والزوج زوجته. وظل

____

(١) وردت في الأصل: في الوقت.

(٢) سورة الحج، الآية ١١.

(٣) ساقطة في الأصل.
(٤) ساقطة في ب.
(٥) وردت في ب: من بين.
(٦) وردت في الأصل: ياس.
(٧) وردت في الأصل: الرتوع، وفي ب: الريوع. والأرجح ما أثبتناه. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ١٣٨ (ريع).
(٨) إضافة من ب.
(٩) وردت في الأصل: ترى في.

بعضهم يختلس بعضا من شوارع الطرق إلى الخرابات، فيطبخ منه ما شاء من الپاچات «١».

و حرّمت الأسمان على الناس لكثرة ما صهر عليها من لحوم البشر، فبيع في الأسواق.

و قبض على أقوام بلا عدد كانوا يغتالون السابلة، فيصهرونهم على هذه الجملة، ووجد في دورهم ما يغمر العدّ من رؤوس الناس قد أكلت لحومهم، وصهرت شحومهم. فأما الكلاب والسنانير فلم يبق منها إلا العدد اليسير. وهاب أوساط الناس وأرباب الحرف أن يخترقوا وقت العشاء محلة نائية «٢» عن واسطة البلد، إلا في عديد، وسلاح حديد.

و ذكر أن فقيها وجيها من أصحاب الحديث دخل على الإمام أبي الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصّعلوكي فسأله عن تطاول عهده به، فقال: ليأخذ الإمام عني أحدوثة عجيبة ردّ الله تعالى «٣» [١٧٧ ب] بها «٤» عليّ روحي، فضلا منه جسيما، وصنعا كريما، وذلك «٥» إني جعلت أمرّ ببعض العشيات وحيدا في شارع- أشار إليه- فلم يرعني إلا وتر صار في عنقي، وجذبت به جذبة ضيّقت علي مختنقي، فبينا أهمّ بمواتاة الجاذب، ومداناته للسلامة على ضيق «٦» التخنيق، إذ وثبت إلي من بعض تلك الأوبات امرأة، فضربت أنثيي بركبتها «٧» ضربة سقطت منها مغشيا علي، فلم أشعر بعدها بشي ء من مصارف أموري، إلى أن أفقت عن الحسّ ببرد ماء رشّ على «٨» وجهي وترائبي، فنظرت إلى قوم أجانب

____

(١) پاچه: كراع الماشية، وهي أكلة معروفة في العراق والمشرق الإسلامي. انظر: التونجي- المعجم الذهبي، ص ١٣٣. قال أبو الفتح البستي:

لي سيد أحمق هلباجه ... دعوته الكبرى بلا پاچه

الخولي- أبو الفتح البستي، ص ٢٣٦.
(٢) وردت في ب: ناجية.
(٣) ساقطة في ب.
(٤) وردت في الأصل: به.
(٥) ساقطة في ب.
(٦) وردت في ب: ضيقي.
(٧) وردت في النسخ: بركبتيها، والأرجح ما أثبتناه.
(٨) وردت في ب: رش به بين.

يخادعونني عمّا دهاني، ويكاتمونني صورة ما عراني، فإذا هم ساعة وجبتي «١» لجنبي، أدركوني عائدين إلى منازلهم، فهرب منهم من أشفى على قتلي، واستباحة دمي، وتركني برمقي «٢»، وخلى الوتر في عنقي، فصرت ساعة إلى أن استوفيت الإقامة، واستعدت القوة والطاقة، وعدت إلى المنزل، وسقطت من هول ذلك المصرع على الفراش عشرين يوما مدهوشا مبهوتا، وحرضا مسبوتا «٣» إلى أن منّ الله علي بأوائل الإقبال، وزوال أكثر ما مسّني من ألم الاعتلال، فبكرت يوم أحسست بالخفّة إلى المسجد [١٧٨ أ] لإقامة الفرض، وصعدت المئذنة على الرسم، فلم أستتم التكبير حتى اختطف عمامتي من رأسي وهق «٤» أراد صاحبه به رقبتي فأخطأها لما أراد الله من إنساء أجلي، واستبقاء مهلي، فعدلت عن الأذان إلى الصياح بطلب الأمان، وجعلت لله علي بعد ذلك أن لا أخرج مدة هذه الفتنة

من داري إلا والشمس بيضاء نقيّة، وألا «٥» أرجع إليها إلا وفي النهار بقيّة. فهذه هي التي ثبطتني عن الخدمة، وأقعدتني عن الرسم في مشاهدة الجملة. فقضى الحاضرون عجبا من تلك الداهية «٦»، وسألوا الله تعالى حسن السلامة والعافية «٧».

و حكي عن الأستاذ أبي سعيد عبد الملك بن عثمان الواعظ «٨»، أحد الصالحين من عباد الله الموقنين «٩»، والساعين في مصالح المسلمين أنه نقل إلى دار كان يسكنها

____

(١) الوجوب: السقوط والوقوع. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٧٩٤ (وجب).

(٢) وردت في الأصل: بدمعتي.

(٣) الحرض: المشرف على الموت. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ١٣٤ (حرض)، والمسبوت: العليل أو المغشي عليه. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٣٧ (سبت).

(٤) وردت في ب: اختطفت ... بوهق. والوهق: حبل الأنشوطة، ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٣٨٥ (وهق).

(٥) وردت في ب: لا.

(٦) وردت بعدها في الأصل: الدهياء.

(٧) وردت بعدها في الأصل: من العلاء.

(٨) عنه، انظر: السمعاني- الأنساب، ج ٢، ص ٣٥١.

(٩) وردت في الأصل: الموفين.

المرضى والزمنى من الفقراء وأبناء السبيل، في يوم واحد من أيام هذه السنة أربعمائة ميت عن برح الجوع والمخمصة، على أن يوعز بتكفينهم ودفنهم، فأتاه خبّازه الذي كان يقيم جرايات المذكورين من جهته، وهو في حيرته «١» يذكر أنه قد بقي في هذا اليوم بعينه مما كسد على البيع أربعمائة منّ خبزا «٢»، فسبحان من يقضي على من [١٧٨ ب] يشاء بالفناء مع إمكان الأقوات، ووجود «٣» الكفايات.

و قد أكثر الناس في ذكر ذلك «٤» الغلاء والبلاء «٥»، فمنه قول أبي منصور الزاوهي «٦» الكاتب:

قد أصبح الناس في غلاء ... وفي بلاء تداولوه

من يلزم البيت يؤد جوعا ... أو يشهد الناس يأكلوه

و لأبي محمد العبدلكاني الزوزني «٧»:

لا تخرجنّ من البيوت ... لحاجة أو غير حاجة

و الباب أغلقه عليك ... موثقا منه رتاجه

لا يقتنصك الجائعون ... فيطبخونك شورباجه «٨»

____

(١) وردت في الأصل: جيرته.

(٢) وردت في الأصل، وفي ب: منا خبز.

(٣) وردت في ب: وجوه.

(٤) ساقطة في ب.

(٥) إضافة من ب.

(٦) ورد في الأصل: أبي منصور الداري، وفي ب: أبي نصر الزاهي، وفي د: أبي نصر الذاهبي، وفي الترجمة الفارسية: أبو منصور زواهي، ص ٣١٧، وفي شرح اليميني: أبي نصر الزاوهي، ج ٢، ص ١٢٧. ولم أجد ما يمكنني من الجزم بإحدى القراءات. وربما، أقول: ربما كان المقصود أبو منصور بن أبي علي الشاعر والكاتب النيسابوري الذي ذكره الثعالبي- تتمة اليتيمة، ص ٢٠٧؛ أو الباخرزي- دمية القصر، ج ٢، ص ١٢٢٧.

و الزاوهي نسبة إلى زاوة من رساتيق نيسابور. السمعاني- الأنساب، ج ٣، ص ١٢٣؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ٣، ص ١٢٨.

(٧) عنه، انظر: الباخرزي- دمية القصر، ج ٢، ص ١٣٧١.

(٨) عجز هذا البيت ورد في ب: فيطبخوك بشور باجه.

٣٢ ذكر ما أفضت إليه أحوال الخانية بعد معاودة ما وراء النهر

و أمر السلطان يمين الدولة وأمين الملة بالكتب إلى عمّاله بصبّ الأموال «١» على الفقراء والمساكين، فاستبقى الله بها مهجات قوم قد أشرفت على الهلاك، وافتكّهم من حنك «٢» الاحتناك، وبقيت «٣» تلك السنة على حالها إلى أن أدركت غلات سنة اثنتين وأربعمائة، فمنّ الله بإزالة تلك الشدة، وإطفاء تلك النار المتّقدة «٤»، وتدارك عباده بعد استحكام اليأس منهم بالغيوث الهامية، والريوع الزاكية النامية، ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَها وَ ما يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ «٥».

ذكر ما أفضت إليه أحوال الخانية بعد معاودة ما وراء النهر

قد كان السلطان يمين الدولة وأمين الملة بعد انكشاف عسكر «٦» [١٧٩ أ] الترك عنه يراعي ما يسفر عنه تدبير أيلك الخان، وأخيه الكبير طغان خان، إذ كان أخوه يمالى ء السلطان عليه لأيمان يزعم أخيه لزومها إياه، ومواثيق يدّعي انعقادها عليه، ويظهر البراءة على ألسنة رسله من فعلات أخيه «٧» أيلك في منابذته ومكاشفته، والتخطي إلى حدود مملكته. ويورك «٨» أيلك «٩» الذنب عليه في إغرائه بما أتاه، ومكاتبته في البعث على ما جناه. ولما ظهر لأيلك أن أخاه طغان خان قد جعله عرضة للجناية، وقلّده طوق تلك المكاشفة براءة منه «١٠»، وخذلانا إياه، وشقّا لعصاه، وإسلاما له بما كسبت يداه، رأى أن

---
(١) إضافة من ب.

(٢) وردت في ب: من بين حنك. عبّر بالحنك عن الفم. والاحتناك مصدر احتنك. يقال: احتنك الجراد الأرض أي أتى على نبتها وأكل جميع ما عليها. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٤١٦ (حنك).

(٣) وردت في الأصل، وفي ب: فبقيت.

(٤) وردت في الأصل: النائرة المتقدمة.

(٥) سورة فاطر، الآية ٢.

(٦) وردت في الأصل: لشلر.

(٧) ساقطة في ب.

(٨) ورّك الذنب عليه: حمله. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٥١٢ (ورك).

(٩) ساقطة في ب.

(١٠) إضافة من ب.

يبتدى ء به، فيحسم داء قرابته، ويغسل بسيفه وضر جنايته. فجمع جيوش ما وراء النهر لقصده، واستدفاع مكره «١» وغدره. وسار حتى إذا جاوز أوز كند نحوه، سقطت ثلوج سدت عليه مسالك العقاب المفضية إليه، فارتد عن وجهه إلى قابل «٢»، حتى طاب الهواء، وانحسر الشتاء، وخفّت «٣» الأنداء، فكّر عائدا على ثأره، لفت المشير موهنا بناره «٤». وكان ورد رسلهما في التنازع الذي تقدم ذكره، فتراجعا القول في البراءة عن جناية العبور، وإحالة بعضهم على بعض في نقض [١٧٩ ب] المواثيق والعهود، فخلاهم السلطان في لغط «٥» القول، حتى وصلوا بحرّ النفار «٦» إلى برد الاشتفاء. وأراد السلطان يمين الدولة وأمين الملة بعد ذلك قراهم، فأمر بتعبئة جيوشه، وتغشية فيوله، فرتب العسكر سماطين عن جنبتيه في هيئة لو رآها قارون، لقال: يا ليت لي مثل ما أوتي محمود، إنه لذو حظ عظيم.

و صفة مقامه أنه اصطف من غلمانه على التقابل قرابة ألفي غلام من عقائل الترك في ألوان الدبابيج من بين سود وبيض وحمر وخضر «٧» وكهب «٨» وصفر. وفيما [يقرب من موقفه] «٩» خمسمائة غلام من خاصته على ترتيبهم في مثقلات الروم، بمناطق من ذهب

---
(١) وردت في الأصل مكررة.

(٢) هي كابل عاصمة أفغانستان الحالية. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٨٠؛ al Hudud -ﷺP lam, ١١١٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٠٤؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٤٢، ص ٢٦١؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٣٨٧ - ٣٨٩.
(٣) وردت في الأصل: جفت.
(٤) الوهن: جزء من الليل. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٤٥٥ (وهن). والمقصود أنه عاد للأخذ بثأره كما يرجع موقد النار في وهن الليل أضيافه كي يهتدوا بها له.
(٥) وردت في ب: لفظ.
(٦) وردت في الأصل: الاشفاء.
(٧) ساقطة في ب.
(٨) لون مشتق من الحمرة أو الغبرة أو الدّهمة. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٧٢٨ (كهب).
(٩) إضافة من ب.

مرصّعة بالجواهر، وأعمدة [من جنسه فوق الأكتاف و] «١» العواتق، وقد أطاف بهم من عظام الفيلة «٢» أربعون فيلا على المحاذاة، غواشيها دبابيج الروم بعصا [ئب ومعاليق من] «٣» الذهب الأحمر، المرصعة بكل جوهر ثمين، وياقوت وزين. ووراء السماطين سبعمائة فيل في تجافيف مشهرة «٤» بألوان، متسوّرة بالحراب والمرّان. وعامة العسكر في سرابيل قد كدّت القيون «٥»، وردّت عن اجتلائها العيون. ورتب «٦» الرجّالة أمام الخيول في الترسة الواقية، والجنن الحامية، والسيوف المرهفة، والعوامل المختلفة. وقام بين يديه [١٨٠ أ] حجّابه كالبدور في ظلم الديجور، قابضين على قبائع سيوفهم، هائبين قدره، وناظرين أمره.

و أذن لهؤلاء الرسل على هذه الهيئة حتى لقوه، وأقاموا «٧» من رسم الخدمة ما افترضوه. ثم عدل بهم إلى الموائد في دار قد فرشت بما لم يحك غير الجنة، مزيّنة للمتقين، معرّفة للعارفين. وفي كل مجلس دسوت «٨» من الذهب الأحمر بين جفان كأحواض، وأطباق كبار قد نضد بها من صدره إلى قدمه بما يشاكله من الأواني الفائقة، والآلات الفاخرة الرائقة. وهيء لخاص مجلسه طارم «٩» قد جمّعت ألواحه وعضاداته بضباب «١٠» الذهب، وصفائحه وثقت «١١» بمسامير من جنسه، وفرش من الدبابيج المثقلة بما

(١) إضافة من ب.
(٢) وردت في ب: الفيول.
(٣) إضافة من ب.
(٤) وردت في الأصل: مشهورة.
(٥) القيون جمع قين وهو الحداد. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٣٥٠ (قين). والمقصود أن هذه السرابيل قد أجهدت صناعتها الحدادين.
(٦) وردت في الأصل: ترتب.
(٧) وردت في ب: قاموا.
(٨) جمع دست وهي كلمة فارسية تعني أشياء كثيرة منها الملابس والوسائد والمجموعات. انظر: أدي شير- معجم الألفاظ، ص ٦٣؛ الرصافي- الآلة والأداة، ص ٩٨؛ التونجي- المعجم الذهبي- ص ٢٦٧.
(٩) معرب تارم الفارسية، وتعني بيتا كالقبة من خشب. أدي شير- معجم الألفاظ، ص ١١٢.
(١٠) الضبّ والتضبيب: تغطية الشئ ودخول بعضه في بعض. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٥٤٠ (ضبب).
(١١) وردت في ب: ووثقت.

لا تدرك الأبصار منه غير حمرة الذهب، وفي الصدر منقلة مقسومة ببيوت مضلعة ومستديرة، يشتمل كل منها على نوع من الجواهر التي أعيت أمثالها أكاسرة العجم، وقياصرة الروم، وملوك الهند، وأقيال العرب. وحوالي المجلس أطباق ثخان من الذهب مملوءة بالمسك الأذفر، والعنبر الأشهب، والكافور العطر، والعود العبق، وهلمّ جرّا إلى ما يملأ الأبواع «١» والأيدي من أترجّات [مصوغة، ونارنجات] «٢» مصنوعة، وما يشبه الفواكه من عقيان وبذخش «٣» وبهرمان «٤»، إلى أوان [١٨٠ ب] لم يسمع بمثلها رقّة أجسام، ودقّة

صنعة وإحكام.
و طاف على الرسل ولدان كالدرّ المنثور «٥»، واللؤلؤ المكنون، براح كالماء المعين، ورضاب الخرد العين، إلى أن أشفقوا من عثرات العقول «٦»، فاستأذنوا للقفول، وصرفهم السلطان يمين الدولة وأمين الملة بعد هذه المأدبة، ورآهم بما أوجبته همّته من تحقيق أمانيهم، ورعاية حق الصلح «٧» فيهم. وبقي الأخوان على جملتهما في المنافرة والمناورة «٨»، والمكاوحة والمكالحة، إلى أن توسط السفراء بينهما، ففصلوا الأمر على ما كف كلا منهما عن صاحبه، على ما سنورد ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى.

---

(١) الباع والبوع والبوع: مسافة ما بين الكفّين إذا بسطتهما. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٢١ (بوع).
(٢) إضافة من ب.
(٣) حجر كريم أحمر شفاف مضي ء، يشبه الياقوت. سمي بهذا الاسم نسبة إلى موطنه بذخشان (بلدة في طخارستان). انظر: البيروني- الجماهر، ص ٨١؛ ياقوت- معجم البلدان، ج ١، ص ٣٦٠؛ ابن الأكفاني- نخب الذخائر، ص ١٤.
(٤) أحد أجود أصناف الياقوت. انظر: البيروني- الجماهر، ص ٣٣؛ ابن الأكفاني- نخب الذخائر، ص ٢.
(٥) اقتباس من قوله تعالى: وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ إِذا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً. سورة الإنسان، الآية ١٩.
(٦) أي زلات العقول، ويقصد أنهم خافوا من إثارة شهواتهم.
(٧) وردت في ب: الملح.
(٨) وردت في ب: المناقرة.

٣٣ ذكر فتح قصدار

ذكر فتح قصدار
قد كان السلطان يمين الدولة «١» وأمين الملة يراعي ما يتجدد من أخبار الأخوين أيلك وطغان خان فيما تنازعاه من الأمر، فلما بلغه اشتجار ذات بينهما، استخار الله في قصد قصدار إذ كان صاحبها قد ألمّ بجانب المجانبة، وأخلّ بحمل مال المقاطعة، اعتزازا بمناعة مملكته، واغترارا بحصانة «٢» الطرق المفضية إلى حلته.
و فصل السلطان عن غزنة إلى بست [في جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعمائة] «٣» مورّيا «٤» بقصد هراة، حتى انتشرت الأخبار بعزمه، واستفاضت الأحاديث بظاهر أمره. ثم [١٨١ أ] ركض إلى ناحية قصدار في المغلّب الغلب «٥» من رجاله، ركضة طوت تلك الجبال الوعرة، والمسالك الصعبة، فلم يشعر صاحب قصدار إلا بغلمان السلطان حول داره، قبل أن يكتحل بضوء نهاره، أو يحفل «٦» بشدّ «٧» إزاره. فنادى الأمان الأمان، وبرز لخدم السلطان. وألزمه السلطان [ب] خمسة عشر ألف ألف درهم من جملة ما كان ألظّ «٨» به من أموال عمله، فالتزمها، ونقد أكثرها.
و قبض السلطان على عشرين فيلا ضخاما «٩» هائلة كان اعتقدها «١٠» ليومي بؤسه

---

(١) وردت في الأصل: الدودلة.
(٢) وردت في ب: بحاصنة.
(٣) ساقطة في ب.
(٤) أي مموها. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٣٨٩ (وري).
(٥) وردت في ب: الغلب الغلب.
(٦) وردت في الأصل: يحتفل. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ١٥٧، ص ١٥٩ (حفل).
(٧) وردت في ب: لشد. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ١٥٩ (حفل).
(٨) ألظّ فلان بفلان إذا لزمه، والإلظاظ: لزوم الشي ء والمثابرة عليه. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٤٥٩ (لظظ).
(٩) وردت في الأصل: ضخام.

(١٠) أي ادّخرها.

٣٤ ذكر الشارين «4» الوالد أبي نصر [محمد بن أسد] «5»، والشاه ابنه محمد «6» وما أفضى إليه أمرهما

و بأسه. ووكّل به من استوفى المال عليه، ورجع عنه بعد أن رعى حق «١» طاعته وضراعته باستخلافه على ما كان يليه، وبسط يده في أطراف عمله ونواحيه. [و رجع عنه] «٢» إلى غزنة ظاهرا نجحه، فائزا قدحه، واريا زنده، عاليا يده «٣»، صنعا من الله تعالى لمن يجتبيهم من خيار خلقه لعمارة أرضه، وإنارة حقه، والله يعطي ملكه من يشاء والله عزيز حكيم.

ذكر الشارين «٤» الوالد أبي نصر [محمد بن أسد] «٥»، والشاه ابنه محمد «٦» وما أفضى إليه أمرهما

قد كان يلقب كل من يلي أمر غرشستان بالشار سمة مصطلحا عليها [١٨١ ب] تنبي ء عن معنى التمليك، ورتبة الإجلال والتعظيم.

وكان الشار أبو نصر واليها إلى أن أدرك ولده الشاه وفيه لوثة مشهورة، فغلبه على الأمر بقوة شبابه، واستظهاره بمن شايعه من أصحابه، فاعتزل أبوه مخليا بينه وبين ما كان يليه، ويتفرّد بالنظر والتدبير فيه، ومقتصرا على دراسة الكتب ومطالعة الأدب، إذ كان بها مولعا، وبلذّتها دون سائر اللذات مقتنعا «٧».

و كان منتجع الأفاضل من أعماق البلاد، ينتابه منهم كل مبدع خطا وبيانا، أو مبدع به بلوى وامتحانا، فلم ينشب بعد أن ينتابه ويشهد بابه حتى يستخصب جنابه، ويستجزل برّه وثوابه.

و كان صاحب الجيش أبو علي محمد بن محمد بن سيمجور لما افتتح باب الاستعصاء على الرضا نوح بن منصور رام أن يستضيف ولاية الغرش إلى ما يليه، وأن

---

(١) وردت في الأصل: حقه.
(٢) إضافة من ب.
(٣) وردت في ب: عاليا يده، واريا زنده.
(٤) مثنى (الشار): لقب ملوك غرشستان. انظر: ص ١٠٨ من هذا الكتاب، هامش (١).
(٥) إضافة من ب
(٦) وردت في ب: محمد ابنه.
(٧) وردت في ب: مقتطعا.

يجد من جانب الشارين طاعة له في أوامره ونواهيه. فأظهرا «١» التمرد «٢» عليه كراهة لاختياره على أرباب الملك الذين أعطوهم المقادة قديما، وسلموا لطاعتهم «٣» تسليما، وإدلالا «٤» بحصانة صياصيهما [١٨٢ أ] وقلاعهما، ومناعة حواشيهما وأشياعهما، ومحاماة للرضا «٥» على حقوق طاعتهما وسوابق حرماتهما، إذا «٦» همّ أبو علي [بمنازعتهما ملكا ورثاه، أو طمع في فضل مال اقتنياه، فلم ينهنه «٧» أبو علي] «٨» أن جرّد إليهما أبا القاسم الفقيه- أحد أنياب دولته وأركان دعوته- في جيوش كثيفة، وخيول على الآلاف منيفة، فناهضهما في عقر دارهما، متوقّلا «٩» إليهما فوارع تصافح السماء، وشوامخ تناطح الجوزاء، ومتوغّلا مخارم تمرّد على السلوك مرود السموم على غلاظ السلوك «١٠». يناجزهما في تلك المقامات التي يدار «١١» عندها بالرؤوس، ويغشى على النفوس، ويلجئهما من مضيق إلى مضيق، ويفجعهما «١٢» بفريق بعد فريق، حتى أجلاهما عن قرارة بيتهما «١٣» إلى قلعة «١٤»

---

(١) وردت في النسخ: فاظهر. والأصح ما أثبتناه.
(٢) وردت في الأصل: تمرد.
(٣) وردت في ب: لطاعته.
(٤) الإدلال: الامتناع. وقد وردت في ب: اذلالا.
(٥) وردت في الأصل: الرضى.

(٦) وردت في ب: ان.
(٧) النّهنهة: الكف. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٥٥٠ (نهنهة).
(٨) ساقط في الأصل.
(٩) صاعدا. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٧٣٣ (وقل).
(١٠) يقصد صعوبة اجتياز طرق الجبل كصعوبة ولوج السلك وهو الخيط الغليظ في سم الإبرة وهو ثقبها.
(١١) وردت في ب: نذار.
(١٢) وردت في الأصل: يفجعها.
(١٣) وردت في ب: بينهما.
(١٤) ساقطة في ب.

ورثاها «١» أباهما «٢» في أخريات هاتيك الجبال، تزلّ عن أعاليها أقدام الغيوم، وتحلّق دون مبانيها «٣» كرام الطيور.

و ملك عليهما حصون «٤» جبالهما، وسهول ديارهما ومحالهما، يجبيها ويتتبع «٥» ما ينسب إلى كل واحد منهما فيها، إلى أن صمد الأمير ناصر الدين سبكتكين صمد أبي علي فاسترد أبا القاسم الفقيه شغلا بالبازل «٦» القرم عن الثني «٧»، وبالعقاب المنقضّ عن «٨» الكركي، و[علم] أن قد أتى «٩» الوادي فطمّ على [١٨٢ ب] القرى.

و انضم «١٠» الشاران إلى الأمير سبكتكين في نصرة الأمير الرضا «١١» نوح بن منصور «١٢»، فانتقما من أبي علي حين «١٣» ولّى هزيما، وتعرّى عما تولّاه واقتناه حديثا وقديما، وأجفل «١٤» نحو جرجان لا يملك رأيا ولا عزيما. ولم تزل بعد ذلك حالهما على جملتهما في الأمنة والسكون، والجاه المصون، إلى أن ورث السلطان يمين الدولة وأمين

____

(١) وردت في الأصل: ورثاهما.
(٢) ساقطة في ب.
(٣) وردت في ب: مناكبها.
(٤) وردت في ب: صحون.
(٥) وردت في الأصل: يحتثها وسببثع.
(٦) يقال للبعير إذا استكمل السنة الثامنة بازل. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٥٢ (بزل).
(٧) البعير إذا استكمل السنة الخامسة، والكبش والتيس إذا دخلا السنة الثالثة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ١٢٣ (ثني).
(٨) وردت في الأصل: على.
(٩) وردت في ب: وأتى.
(١٠) وردت في الأصل: وانظم.
(١١) ساقطة في ب.
(١٢) ساقطة في ب.
(١٣) إضافة من ب.
(١٤) وردت في ب: انجفل.

الملة خراسان حكما لله في أرضه يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ «١».

و لما أذعن ولاة الأطراف للطاعة، والتزام حكم التباعة، وإعطاء صفقة البيعة وفرع المنابر بإقامة الخطبة، وكلهم سمع وأطاع، وبذل في الخدمة والقربة المستطاع، أنهضت إلى الشارين في أخذهما بإقامة الخطبة له أسوة أمثالهما من ولاة الأطراف وضمناء الأعمال، فتلقياني بمفروض «٢» الطاعة، والحرص على الاقتداء بالجماعة، وأمرا بالخطبة، فأقيمت باسم السلطان بكورة «٣» الغرش في شهور سنة تسع وثمانين وثلثمائة.

و ورد على الشارين كتب المنحازين إلى بخارى عن هزيمة [١٨٣ أ] مرو يذكرون أنهم على الاستعداد والتجرد للمعاد «٤» فلينظراهم

عن قريب، وليأخذا من الانتصار ودرك الثأر بنصيب، فبعث الشار أبو نصر بها إليّ درج رقعة أفردني بها يسألني تأملها وإنفاذها بأعيانها «٥» إلى السلطان ليقرر حاله في الموالاة، ومخالفة ذوي المناوأة «٦» والمعاداة، فكتبت إليه في جواب رقعته:

«تأملتها- أطال الله بقاء الشار- فوجدتها تدل على خدود قد عمل فيها صيقل الوقاحة، كمجدّل «٧» يتوعد صاحبه بأن يضرب فكيه إن لم يكف عنه كفيه، وما نحن في هذا المعنى وفيما أولى الله مولانا السلطان من الحسنى إلا كما قال المتنبي:

و لله سرّ في علاك وإنما ... كلام العدى ضرب من الهذيان «٨»

____

(١) سورة الأعراف، الآية ١٢٨.

(٢) وردت في ب: بفروض.

(٣) وردت في الأصل، وفي د: بكور. والغرش كورة تحوي قرى وليست كورا. في تعريف الكورة، انظر: ياقوت- معجم البلدان، ج ١، ص ٣٦.

(٤) وردت في الأصل على المعاد. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ١١٧ (جرد).

(٥) يقصد إرسال الكتب عينها أي نفسها، وليس نسخا منها. وقد وردت في ب: باغتابها.

(٦) وردت في ب: المباداة.

(٧) المجدّل: الصريع الواقع على الأرض. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ١٠٤ (جدل).

(٨) ديوان المتنبي، ج ٤، ص ٣٧٣.

و أما قولهم: إنا على الانتصار وطلب الثأر، ف تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ قُلْ هاتُوا «١» بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ «٢». على أنا نقول:

لئن كان أعجبكم عامكم ... فعودوا إلى حمص في القابل

فإن الحسام الخضيب الذي ... قتلتم به في يد القاتل «٣»

فإن قالوا: كان «٤» العود أحمد، فذاك «٥». ولكن «٦» لمن حمد البدء «٧» لا لمن [١٨٣ ب] ذمّ، وصادف فيه ما سرّ لا ما ساء وغمّ، وقد رأوا في بدء «٨» لقائهم كيف شرقت السيوف بدمائهم، وتحكمت النسور في أشلائهم، فإن نشطوا ثانية فهاتيك الصوارم ماضية، والقشاعم ضارية، وما أشبه حال القوم بما قام به «٩» ابن الأشعث «١٠» خطيبا في قومه، فقال:

يا قوم، إنه ما بقي من عدوكم إلا كما يبقى من ذنب الوزغة «١١»، تضرب به «١٢» يمينا وشمالا فما تلبث أن تموت، وكذا المصباح إذا قارب انطفاؤه «١٣» توهجّ قليلا، ثم لم يغن ذلك من حينه فتيلا.

فالحمد لله الذي جعل سيوف مولانا تخطب على منابر الرقاب، إذ جعل ألسنة

____

(١) وردت في الأصل، فاهاتوا.

(٢) سورة البقرة، الآية ١١١.

(٣) البيتان للمتنبي. ديوان المتنبي، ج ٣، ص ١٥٩ (مع اختلاف في بعض المفردات).

(٤) ساقطة في ب.

(٥) وردت في ب: فذلك.

(٦) ساقطة في ب.

(٧) وردت في الأصل: البدءى.

(٨) وردت في الأصل: بدو.

(٩) ساقطة في ب.

(١٠) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي (ت ٨٤ ه). عنه، انظر: الذهبي- سير، ج ٥، ص ١٩١.

(١١) ما يعرف في بعض البلدان العربية بأبي بريص، وهو كنية الوزغة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٦ (برص).

(١٢) وردت في ب: بها.

(١٣) وردت في الأصل: انطفاه.

أعدائه تخطب فوق أسرة الأذقان، وإليه الرغبة في أن يطيل بقاء مولانا ما «١» طلع يوم من حجاب أمس «٢»، وطلع نفس من قرار نفس، منصورا على من نابذه وناوأه، ليودعه من بطن الأرض ملحده ومثواه، وعن كثب سيرى الشار كيف يفعل الله بالغاوين، ويلبسهم خزي الباغين، ويردهم أسفل سافلين «٣»، وقبل وبعد الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ «٤» «٥».

فكان الأمر على ما حدست وتفرّست، فإن أيلك انحدر إليهم، فملك عليهم دار الملك بجارى [١٨٤ أ] وأخذ معظم القوم أسارى، وشرّد الباقين في الأرض حيارى.

نعم، وطالعت الحضرة بصورة أمر الشارين في الطاعة، حتى حظيا من الإكرام بما توقّعاه، وحليا من الإعزاز والإكبار «٦» بأكثر «٧» مما تطلّعاه. وحضر الخدمة بعد ذلك الولد المعروف بشاه شار، فصادف ما استحقه من ترحيب وترتيب، وحظ من الإيجاب والإيثار رغيب.

و غبر مدة على هذه الجملة، وهو بين نخوة الاغترار بسمة الملك ولوثة في الطبع قلما «٨» يسلم «٩» أمثالها عند الملوك من «١٠» الهلك، وهو على كل ذلك محتمل، وبلطف القبول والإقبال مقتبل. واستأذن من بعد للانصراف وراءه «١١»، فصادف إذنا بالمبارّ الكريمة

---

(١) إضافة من ب.

(٢) وردت في ب: ما طلع نور من حجاب شمس.

(٣) وردت في الأصل: السافلين، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ. سورة التين، الآية ٥.

(٤) سورة الفاتحة، الآية ٢؛ سورة الأنعام، الآية ٤٥؛ سورة يونس، الآية ١٠؛ سورة الصافات، الآية ١٨٢؛ سورة الزمر، الآية ٧٥؛ سورة غافر، الآية ٦٥.

(٥) انتهى جواب العتبي.

(٦) وردت في ب: الأيثار.

(٧) ساقطة في ب.

(٨) ساقطة في ب.

(٩) وردت في ب: يستلم.

(١٠) وردت في ب: الى.

(١١) إضافة من ب.

مشفوعا، وإلى الخلع الشريفة فوق الهمة المنيفة مجموعا، وعاد إلى أفشين «١» قرارة بيته ومثابة عزّه، إلى أن عنّت للسلطان غزوة أحب أن يحتشد لها فضل احتشاد، ويستظهر فيها بما حواه «٢» من قوة وعتاد، وأمراء جيوش وقواد. وأمر بالكتّاب إليه في استنهاضه أسوة أمثاله، ثقة بخصوص حاله وثمرة ما أفاض عليه من سجال أفضاله، فلزّ به الخذلان [١٨٤ ب] عن المكان، ولقّنه معاذير واهية الأركان، وظل يتردد بين الحران «٣» والإذعان، إلى أن حقّت عليه كلمة العصيان، فأعرض السلطان عند ذلك عن تدبيره، وأقبل على ما أهمه من أمر مسيره، حتى إذا دان له ما قصد، وظفر بمن كند «٤» و«٥» تمرّد، و«٦» عاد بالفتح خافقا لواؤه، والنجح شارقا ضياؤه، جدّد مكاتبته إيمانا له من خيفة إن أوجسها، وإيناسا «٧» من وحشة إن لابسها، واستبقاء للصنعية عنده من أن يختضد أشاءها، أو يقتطع دون الماء رشاءها، فلم يزدد إلا نفورا وكفورا «٨»، وكان أمر الله قدرا مقدورا. وعند ذلك جرّد السلطان حاجبه الكبير أبا سعيد التونتاش، وفتاه والي طوس أرسلان الجاذب فيمن ضمهم «٩» إلى جملتهما، ورسم لهم «١٠» المسير تحت رايتهما لمناهضة الشارين، وامتلاك الغرش «١١» عليهما، وإحاقة وبال العصيان وكفران الإحسان بهما. فنهضا في العدة والعديد،

---

(١) إحدى مدينتي غرشستان، وترد أيضا أبشين أو بشين. وهي على غلوة من الضفة الشرقية لأعلى نهر مرغاب، وعلى أربع مراحل فوق مرو الروذ. لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٥٨.

(٢) وردت في ب: خوله.

(٣) وردت في ب: الحوار.

(٤) كفر النعمة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٣٨١ (كند).

(٥) وردت في ب: او.

(٦) إضافة من د.
(٧) وردت في الأصل: ايناء.
(٨) وردت في ب: كفورا ونفورا.
(٩) إضافة من ب.
(١٠) وردت في ب: ووسمهم.
(١١) وردت في ب: الفرش.

و البطش الشديد، واستلحقا «١» أبا الحسن المنيعي «٢» الزعيم بمرو الروذ لمكانه من العلم بمعاطف تلك السبل، ومخارم تلك الشعاب والقلل، فسارا إليهما في رجال قد [١٨٥ أ] كدمتهم «٣» التجارب، ونيّبتهم النوائب، يعجمون بأطراف الثنايا على الزبر، ويدخلون ولو خرت الإبر. ودمّرا على الشارين تلك الناحية، فأما الشار الكبير الوالد أبو نصر فاستشف أستار العاقبة، واغتنم شعار العافية، ولاذ بالأمان إلى الحاجب الكبير «٤» التونتاش مظهرا البراءة من فعل ولده، وصادعا بما اشتهر في الخاص والعام من عقوقه وتمرده، وتحمل بشفاعته إلى السلطان في ملاحظته بعين من لم يرتكب جريرة، ولم ينغل سريرة، ولم يبدل في الطاعة والإخلاص سيرة. فحدره إلى هراة بين ترفيه اقتضته طاعته، واحتياط أوجبه خلاف الابن وممانعته. وكتب بحاله إلى السلطان، فورد في الجواب ما آمنه رهق المؤاخذة وعنت المعاقبة.

و أما ابنه الشاه فتحصن بالقلعة التي أواها أيام السيمجورية، وهي التي سبق وصفها في عزة الجوانب، ومناعة المناكب، وصعوبة المصاعد، والسمو على متون الغيوم الرواكد. واستصحب إليها خواص غلمانه وحزانته «٥»، وسائر حاشيته وبطانته، فقصده الحاجب [١٨٥ ب] أبو سعيد التونتاش «٦» وأبو الحارث أرسلان الجاذب في الجمّ الغفير من أعيان القواد وأبطال «٧» الأفراد، وتقاسما أركان الحصار قذفا بالمجانيق المنصوبة، والعرادات الموضوعة، ومناوشة للحرب من جهات كادت حشاشات النفوس

____
(١) وردت في ب: استخلفا.
(٢) وردت في ب: المنيقي.
(٣) وردت في الأصل: كرهتم. كدمتهم التجارب: عضتهم وأثرت فيهم. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٥٠٩ (كدم).
(٤) إضافة من ب.
(٥) وردت في الأصل، وفي ب: خزانته، والتصحيح من د، بدلالة تجانس المعدود. فحزانة الرجل: عياله.
ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ١١٢ (حزن).
(٦) إضافة من ب.
(٧) وردت في ب: الأبطال.

من هول المقام أن تذوق كؤوس الحمام قبل ذوقها بوقع السيوف والسهام.

و واصلا صبوح تلك الحروب بالغبوق، حتى هدما أحد أسوار الحصار، فوضعاه بالحضيض من وقع الجلاميد وصدم المجانيق. وتسلقها أهل العسكر منحين على سائر الأسوار كالعصم «١» واقلة في شمّ الهضاب، أو الأرانب هاربة من غضف «٢» الكلاب.

و اشتبكت الحرب على تلك الحال ضربا بالسيوف القواضب، وأخذا باللحى والذوائب، حتى سالت المذانب من دفع النحور، واحمرّت المتالع من علق الصدور. ورأى «٣» الشاه عند ذلك من هول المطّلع ما لم يكن ثم كان، فدعا الأمان الأمان. هيهات، إن غضاب النفوس إذا صادفت نجح المرام ووجه التشفي بالانتقام لموقورة «٤» الآذان، أو تفعل أفعالها، وتنال من درك الثأر منالها. وما زالت تلك دعواه وهذه حالهم [١٨٦ أ] حتى أخذوه أسرا، واستنزلوه عنوة وقسرا، واستبيح ذلك الحريم بما حواه من درهم ودينار، ومال واستظهار.

و أخذ حاجبه ووزيره، بل نديمه وسميره، بل قليله وكثيره، فوضع عليه الدّهق «٥» حتى أعفى بما عرفه من ذخائره، وخبره من ودائعه، وحلب عامة أوليائه وعماله والمتصرفين «٦» في أمور أمواله، حتى عروا عن لباس اليسار، وعزّت أخلافهم دون الاستدرار. وقوطع أبو الحسن المنيعي «٧» عن ارتفاعات الغرش «٨» على ما علم ارتفاعاته منه قبل للشار،

____

(١) العصم جمع أعصم وهو الوعل. ابن منظور- لسان العرب، ج ١٢، ص ٤٠٥ (عصم).
(٢) الغضف: كلاب الصيد. وكلب أغضف إذا صار مسترخي الأذن. ابن منظور- لسان العرب، ج ٩، ص ٢٦٧ (غضف).
(٣) وردت في الأصل: راه.
(٤) وردت في ب: بموقورة.
(٥) الدّهق: شدة الضغط، ومتابعة الشد. والدّهق: خشبتان يغمز بهما الساق. ابن منظور- لسان العرب، ج ١٠، ص ١٠٦ (دهق).
(٦) وردت بعدها في الأصل: كانوا.
(٧) وردت في ب: المنيقي.
(٨) وردت في ب: الفرش.

فتمكن منها، واستخلف هناك من تقوى يده في عمله، وشحن الحصار بكوتوال «١» يوثق بأمانته وجلده، وبعث السلطان بعض خواص غلمانه «٢» لنقل الشار المأسور إلى حضرته، على سبيل إرفاق له من جهته، فلما سلم إليه، حمله في وثاقه نحو غزنة.

و سمعت بعض الثقات أنه اتفق للغلام أن يكتب إلى أهله بخبره، وما لقيه في حالتي ورده وصدره، ويبشّرهم بمنصرفه، فاستدعى الشار في عقاله، وأمره بتولي «٣» ذلك بخط يده، فأنعم تفكرا، ثم أظهر تشكرا، وكتب ما هذا معناه:

«أيتها القحبة الرحبة «٤»»، أترينني أغفل عما أحدثته [١٨٦ ب] بعدي من خيانتي في الفراش؟! وتمزيق ما خلفته عليك من مالي وتحيقه في كل [أنواع الفساد. لقد أنهي إلي جميع ما ركبتيه من فجور، وشربتيه من خمور، وضيعتيه من مالي] «٥» في كل منكور ومحظور. وها أنا عائد إليك، وأيم الله لأضعنّ عليك الدّهق وعلى والديك، ولأدقّن يديك على رجليك، ولأجعلنّك عظة لربات الخدور في الدور، يا كذا وكذا ... ».

و استأنف الشتم حتى علم أنه قد اكتفى واشتفى. ثم طوى الكتّاب ودفعه إلى الغلام فطيّر به بعض ثقاته، فقامت القيامة على أهله، وخفن عدوا سعى بهنّ، وحرّف من صورتهن، وفكّرن في أمورهن «٦»، فوجدن أصوب الآراء تفريغ الدار، وتقديم الاستتار.

و فعلن ذلك دائبات «٧» على القلق، ثابتات «٨» على الجوى والأرق. فلما وصل الغلام إلى

(١) كوتوال: حامي القلعة. التونجي- المعجم الذهبي، ص ٤٨٢.
(٢) وردت في ب: بعض خواصه.
(٣) وردت في ب: ان يتولى.
(٤) كناية عن الاتساع.
(٥) إضافة من ب.
(٦) وردت في ب: امرهن.
(٧) وردت في ب: رابيات.
(٨) وردت في ب: بآتات.

الدار، فإذا «١» هي كالقاع القرق «٢» لا يلمّ بها نافخ ضرمة «٣»، ولا معلق وذمة، فبقي حيران وسأل الجيران، فأخبروه بصورة الكتّاب، وما خيف من الفضيحة بالعقاب، فدعا وا ويلاه، ولعن [الكاتب ومن والاه، و] «٤» الكتّاب ومن أملاه. واحتال في ردّ العيال بضمان أكّده، وإحسان جدّده.

و بلغ الخبر السلطان، فضحك لا حتيال الشار عليه، وقال: كذا حقّ مثله ممن يستخدم الشار «٥» كاتبا، ووضع حرمته بالأمس جانبا. ولما حمل هو إلى «٦» الباب، تقدم السلطان بتجريده للسياط تأديبا له على ما [١٨٧ أ] أغفله من حق النعمة، وهتكه من ستر الحشمة، فجرد لها، وأخذته عذبات العذاب، فأكثر الضراعة والاستكانة، وشكا الذلّ والمهانة. فلما استوفى التأديب حقه، دون أن يبلغ النكير منتهاه، والعقاب أمده ومداه، أمر بإنزاله، واعتقاله في موضع يصلح لأمثاله، وأمر بمواساته والتوسيع عليه في أقواته، [و مداواة جراحاته] «٧» من حيث لا يشعر بإذنه فيه «٨»»، وفيما أباحه له من الترفيه، كما سرى في تضاعيف مزاجه ولا سراية «٩» الخمر في عروق البشر، والماء في أصول الشجر.

و التمس إسعافه بغلام «١٠» كان حظيا عنده، فرد عليه، وأعيد بعض ما يصلحه إليه.

____

(١) وردت في الأصل: اذا.

(٢) المكان المستوي. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٣٢١ (قرق).

(٣) الضّرمة: الجمرة. وتقال هذه العبارة عند المبالغة في الهلاك، فلا يبقى من ينفخ في النار. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٣٥٥ (ضرم).

(٤) إضافة من ب.

(٥) إضافة من ب.

(٦) وردت في الأصل: حوالي.

(٧) ساقطة في ب.

(٨) إضافة من ب.

(٩) ساقطة في ب.

(١٠) هذه العبارة وردت في الأصل مكررة.

٣٥ ذكر وقعة ناردين «7»

فأما أبوه المقيم بهراة فأذن له في ورود الباب، ولوحظ بعين الإيجاب. وابتاع السلطان منهما خاص ضياعهما بالغرش «١» حلا لها عن عقدة السّرّية «٢»، واستضافة إياها إلى جملة ضياعه الملكية، وأمر لهما بأثمان ما باعاه «٣» نقدا، صيانة لهما من مس الفاقة وذل الحاجة.

و رفرف الشيخ الجليل «٤» على الشار أبي نصر بجناح الإكرام والرعاية، حتى أتاه الداعي «٥»، وقام «٦» به الناعي، وذلك في سنة ست وأربعمائة.

ذكر وقعة ناردين «٧»

قد كان السلطان يمين الدولة وأمين الملة لما استصفى نواحي الهند إلى حيث لم تبلغه في الإسلام راية، ولم تتل بها قط سورة أو آية، فرحض عنها أدناس الشرك، وقشع دونها أغباش الكفر، وبنى بها مساجد يقوم فيها دعاة الله بالأذان الذي هو شعار الإيمان، رأى أن يطوي تلك الديار إلى واسطة الهند منتقما لله ممن يجحد توحيده، ويضع لعبادة الأنداد من دونه تعالى خده و «٨» وريده، ومحكّما فيه سيوفا طبعت على غرار «٩» الإسلام، وسقيت بماء الإيمان، وصينت في قراب دين الله، وانتضيت «١٠» بأيدي الأخيار والأبرار من أولياء الله. فندب الرجال، وفرّق الأموال، وأخلص اليقين، واستنصر الواحد المعين.

____

(١) وردت في ب: بالفرش.

(٢) خاص المال وأحسنه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٣٧٨ (سرا). وقد وردت في ب: شبه.

(٣) وردت في الأصل: باعه.

(٤) المقصود به الوزير شمس الكفاة أحمد بن الحسن الميمندي.

(٥) أي داعي الموت. ووردت بعدها في الأصل: به.

(٦) وردت في الأصل: أقام.

(٧) انظر: مستوفي- نزهة القلوب، ص ٢٥٩.

(٨) ساقطة في ب

(٩) الحد. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ١٦ (غرر).

(١٠) نضا السيف من غمده: أخرجه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٣٣٠ (نضا).

و نهض في الطمّ والرمّ، والليل المدلهمّ، [و ذلك في سنة أربع وأربعمائة] «١».

و سار في أخريات الخريف ثقة بطيب الهواء من جانب الجنوب، فاتفق عند اقتحامه تلك الديار أن سقطت ثلوج لم يعهد قبلها مثلها، فسدّت مخارق تلك الجبال، وسوّت بين الأباطح والتلال، وكلح وجه الهواء كلوحا أثّر في الحوافر والأخفاف، فضلا عن المحاسر «٢» و[١٨٨ أ] الأطراف، وضلّت مهايع «٣» الطرق فلم تعرف الميامن من المياسر، ولا المقادم من المآخر. واضطرت الحال إلى الانعطاف إلى أن يأذن الله ثانيا في الانصراف، ولكل شي ء حدّ محدود، وأمد ممدود.

و أقبل السلطان على استئناف «٤» العدة والعتاد، واستكمال الميرة والأزواد، واستدعاء «٥» أعيان الغزاة من أطراف البلاد، حتى إذا تمت العدة والعديد، وباهى العقد بأخواته الفريد، وتضامّ الناس كقزع «٦» الخريف من كل وجه منشورا، وعن كل أوب محثوثا ومحشورا، وأقبل الربيع بطيب المقيل، واعتدال برد الغداة والأصيل، استخار الله في الرحيل، وسار كالبحر الأخضر تضربه الأعاصير، والأمر الحتم تجنبه المقادير. فغدت وحوش الأرض مأسورة، وطيور الجوّ مقهورة، ولو أحست الأرض لرنّت من ثقل الحديد، والمشي الوئيد. وحثّ الأبطال فوق القبّ القياديد «٧»، وساق أمامه أدلة «٨» يهتدون «٩»

____

(١) إضافة من ب.

(٢) يقصد الأعضاء المكشوفة. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ١٨٧ (حسر).

(٣) جمع مهيع: الطريق الواسع الواضح. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٣٧٩ (هيع).

(٤) وردت في الأصل: استناف.

(٥) وردت في الأصل: استدعى.

(٦) القزع: قطع متفرقة من السحاب الرقيق. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٢٧١ (قزع).

(٧) القب جمع أقب وهو الضامر من الخيل. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٦٥٨ (قبب). والقياديد جمع قيدود: الطويل الظهر. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٣٤٦ (قدد).

(٨) وردت في ب: أدلاء، وبالوجهين يستقيم المعنى. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٢٤٩ (دلل).

(٩) وردت في الأصل: يهدون.

أعماق تلك البلاد، ولا الشمس عليها طالعة، ولا النجوم بينها «١» مستقيمة وراجعة. وحث الركائب شهرين بين أنهار عميقة الأغوار، بعيدة ما بين الأقطار، وبواد تضل في أرجائها أسراب اليعافير، وتحار في دهنائها «٢» أفواج العصافير، حتى إذا قارب المقصد [١٨٨ ب] عبأ الخيول كتائب، وميزها عصائب، ورتبها كواكب، وقسّمها مناسر ومقانب. ونصّب أخاه الأمير نصر بن ناصر الدين في الميمنة في كماة القواد، وحماة الأفراد. وأرسلان الجاذب في الميسرة في البهم الذكور، والبزل الفحول. وجعل أبا عبد الله محمد بن إبراهيم الطائي على المقدمة في مساعير العرب، أحلاس الظهور، وأبناء الصوارم الذكور. ورتّب في القلب الحاجب التونتاش وسائر خواصه وغلمان داره، رجال إذا اصطفوا فالجبال الشواهق، أو زحفوا فالسيول الدوافق. ونذر بهم عدو الله ملك الهند، ففزع من فاجى ء الفزع إلى من حوله من تكاكرته «٣»، وأعيان جيوشه وناصرته، ولجأ إلى شعب جبل لحج «٤» المدخل، خشن المتوغل، صعب المرتقى والمتوقل، مستعصما بالاحتجاز عن البراز، وبالاحتراس من وقع البأس. وسدّ مفغر الجبلين بفيلة له يراها الراؤون هضابا نابتة، وجبالا ثابتة. وبثّ النفير في أطراف «٥» مملكته يستنهض من يحمل حجرا، فضلا عمن يلقم القوس وترا، أو يحسن بالسيف أثرا. ومدّ في طول المطاولة كي يلقى [عسكر السلطان] «٦» بقوة وافية، وعدة متوافية، أو يلجى ء أولياء الله إلى الإخلال من فرط الملال، أو النفور من ضيق الصدور، ولم يعلم أن الله [١٨٩ أ] من وراء المؤمنين، وَ أَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكافِرِينَ «٧».

____

(١) وردت في الأصل: فيها.

(٢) وردت في الأصل: دهمائها. والدهناء: الفلاة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ١٦٣ (دهن).

(٣) انظر: ص ٣٠ من هذا الكتاب، هامش (٤).

(٤) وردت في الأصل: الحج، وفي ب: لجج. ولحج: ضيق. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٣٥٧ (لحج).

(٥) وردت في ب: اقطار.

(٦) إضافة من ب.
(٧) سورة الأنفال، الآية ١٨.

و لما علم السلطان من نيته في إرجاء القتال وتأخير النزال، دلف إلى عدو الله عز وجل «١» بقلوب قد صقلها التوحيد، وبشّرها الوعد وأنذرها الوعيد، ورماهم بالصّيلم «٢» من رجّالة الديلم، وبالشياطين من الأفغانية المطاعين، رجال كالآجال مطوحة بالنفوس، مذللة للأعين الشوس، أو كالليوث «٣» أخرجها الجوع، وأعياها «٤» إلى أشبالها الرجوع، ينفذون في الأسداد «٥» نفوذ المثاقب في العيدان، أو البيارم «٦» في الحيطان، ويفرعون البواذخ كالوعول، وينزلون عنها كمنحدر السيول. وواصلها عليهم أياما تباعا، يجذبهم بصدق البراز إلى البراز «٧»، جذب النار للسّليط «٨»، والمغناطيس للحديد، فكلما فارقوا تلك المضائق، التقطهم الفرسان كما تلتقط الأفراس بيادق، ولم تزل هذه حالهم حتى انضمّ إلى اللعين أكثر من والاه، ولبّاه معظم من دعاه، وعند ذلك «٩» احتشد للبروز مستندا إلى الجبل، من حوله الأفيال كالقلل، فجدّ المصاع، واحتدّ القراع، وحمي الوطيس، واستوى المرؤوس والرئيس، وصار اللقاء كفاحا، فمن آخذ بالتلابيب «١٠»، ومناقر كاليعاقيب «١١»، ومضارب ما بين الرؤوس إلى العراقيب، [١٨٩ ب] وكلما أشليت «١٢» الفيلة للتهويل والتفخيم، والحطم

---

(١) إضافة من ب.
(٢) الداهية. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٣٤٠ (صلم).
(٣) وردت في ب: والليوث.
(٤) إضافة من ب.
(٥) جمع سد وهو الجبل والردم والحاجز. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٢٠٧ (سدد).
(٦) جمع بيرم وهي عتلة النجّار. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٤٥ (برم).
(٧) البراز: المبارزة. والبراز: المكان الفضاء البعيد الواسع. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٣٠٩ (برز).
(٨) السّليط: ما يضاء به، مثل الزيت. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٣١ (سلط).
(٩) وردت في ب: وعنده.
(١٠) أخذ بتلبيبه إذا جمعت ثيابه عند نحره وصدره، ثم جررته. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٧٣٤ (لبب).
(١١) جمع يعقوب: ذكر الحجل والقطا. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٦٢٢ (عقب).
(١٢) دعيت وأغريت. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٤٤٣ (شلا).

بالأظلاف والخراطيم، مطرتها سحائب الزانات «١» متلوّية كالأراقم، منسابة إلى حدق العيون أو ثغر الحلاقم. ورأى الكافر موقع أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الطائي من الغناء، وضراوته بإسالة الدماء، فانتحاه بأخشن من في جملته شوكة، وأعظمهم شكة، حتى أثخنوه ضربا على الهام، وحطما من خلف وقدام، وهو كالحرون ثابت لا يمل شرف مقامه، ولا يكل دون الضرب بحسامه، متسمحا بالروح في نصرة الدين وطاعة رب العالمين.

و رأى السلطان إنحاء الكفرة عليه، فأمده بكوكبة من خواصه لا ستخلاصه، فاستنقذوه إلى السلطان ممشوقا بالسيوف، منقوطا بالأسنة كالحروف، فأمر له بفيل يستريح إلى سعيه عن ألم الجراح بجوارحه، فصار ملكا له يتميز به عن أعيان أهل عسكره.

و لم تزل الحرب على حالها حتى أهبّ الله ريح النصر لأوليائه، وأدار دائرة السّوء على أعدائه، فأخذتهم سيوف الحق تحسمهم «٢» بين كل مصاد ومنعطف واد «٣»، ومدّخل ومغار، ومعتسف ومنار. وملكت عليهم الفيلة التي كانوا «٤» أعدوها حصونا واقية، فصارت عليهم عباقية «٥» باقية. [١٩٠ أ] وأفاء الله على السلطان وأوليائه غنائم رحضت الصدور عن رين «٦» الحسد، لا شتراك الكافة في الغنى المقصود، واستوائهم في كفاية الموجود. وفتح الله ناردين «٧» فتحا طرّز به شعائر «٨» الإسلام إذ لم تبلغه راية الحق من لدن عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى زمان السلطان يمين الدولة وأمين الملة، عزا كتب الله له على يده،

---

(١) وردت في ب: المزانات.
(٢) وردت في ب: تحسمهم.

(٣) وردت في الأصل: وواد.
(٤) إضافة من ب.
(٥) العباقية: الداهية. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٢٣٤ (عبق).
(٦) الرّين: الطبع والدنس، وقيل: الصدأ. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ١٩٢ (رين).
(٧) وردت في ب: نارين.
(٨) وردت في ب: شعاب.

٣٦ ذكر وقعة تانيشر «7»

و صنعا أتاح الله «١» التوفيق والتيسير له من عنده.
و وجد في بيت صنم «٢» عظيم حجر منقور دلّت كتابته على أنه مبني منذ أربعين ألف سنة، فقضى السلطان من جهل القوم عجبا، إذ كان أهل الشريعة الغرّاء، والحق المنزل من السماء، على أن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنّا منها في الألف الأخير، وكل ما تساندت به الأخبار من أمارات الساعة موجود، وبأبصار العيون وبصائر القلوب مشهود. واستفتى فيه أعيان الفقهاء و «٣» العلماء، فكل أجمع على إنكار [ما فهم من] «٤» ذلك المنقور، وعلى تزييف مثلها من شهادات الصخور.
و عاد السلطان وراءه بتلك الغنائم العظيمة، فكاد عدد الأرقّاء من العبيد والإماء يزيد على عدد الدهماء، ورخصت قيم المماليك فصار أصحاب المهن الخاملة فضلا عمن [١٩٠ ب] فوقهم من السوقة يعتقدون عدة من تلك المماليك «٥» الروقة، وذلك فضل الله الذي أعز به الدين، وأذل الإلحاد والملحدين، والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ «٦».
ذكر وقعة تانيشر «٧»
كان قد «٨» أنهي إلى السلطان يمين الدولة وأمين الملة أن بناحية تانيشر «٩» فيلة من

---
(١) ساقطة في ب.
(٢) وردت في ب: بد، وبالوجهين يستقيم المعنى، فالبد صنم. انظر: الجواليقي- المعرّب، ص ٨٣.
(٣) ساقطة في ب.
(٤) ساقطة في ب.
(٥) ساقطة في ب.
(٦) سورة الفاتحة، الآية ٢؛ سورة الأنعام، الآية ٤٥؛ سورة يونس، الآية ١٠؛ سورة الصافات، الآية ١٨٢؛ سورة الزمر، الآية ٧٥؛ سورة غافر، الآية ٦٥.
(٧) وردت في الأصل، وفي د: تانيسر. ذكرها البيروني (تانيشر) وقال: إنها بين نهري كنگك وجون. وإنها إحدى مدن الهنود المقدسة، يقصدونها من كل مكان. تحقيق ما للهند من مقولة، ص ١٤١، ص ١٤٦، ص ٢٣٦، ص ٢٤١، ص ٣٩٠، ص ٤٢٢، ص ٤٢٣؛ وانظر: الكرديزي- زين الأخبار، ص ٢٩٠.
(٨) وردت في ب: قد كان.
(٩) وردت في الأصل: تانيسر.

جنس فيلة الصيلمان الموصوفة في الحروب، وأن صاحبها غال بها في الكفر والجحود، وغير آل جهدا «١» في الطغوى والعنود، وأنه محتاج إلى ذوقة من كأسه، وحرقة من جمرات بأسه، ليعلم أن عزّ الإسلام عامّ «٢»، وأن له من سطوة الله سهما كما لسائر أفيال الهند سهام. فعزم السلطان على غزوة إليه يرفع بها راية الإسلام، وينسخ معها ولاية الأصنام، ويدع الكفر عليها مجبوب الغارب والسنام. وسار في أولياء الله الذين قد نشأوا «٣» على القراع، نشأ الأطفال على الرضاع، وضروا بدماء الكفار ضراوة الصقور ببغاث الأطيار. وقطع إلى المذكور أودية لم يقطعها غير طائر، أو حيوان عائر. وخرق سباسب لم يطأها نعل ماش، ولا خف «٤» حافر.

و جهدهم في تلك القفار علالات [١٩١ أ] الشفاه، وبلالات الأفواه، فضلا عن سائر الأقوات حتى صنع الله لهم بأن بدوا منها إلى فضاء يفضي إلى ناحية المقصود، ودونه نهر صخّاب، أرضه ظراب، وصفاح كظبي السيوف حداد، يلقي بشاطئه شعب جبل قد استند إليه الكافر مستظهرا بفيوله، ومتكثرا بأفناء رجاله وخيوله. واحتال السلطان لفتّاك «٥» عسكره، في مجاوزة النهر إلى أعداء الله الكفرة الفجرة، حتى عبروه من طريقين، وشغلوهم باليأس «٦» من كلا «٧» الجانبين. ومهما جدّ الكفاح بين الفريقين، أمر السلطان بحملة على الكفار في مخاضات النهر الهائل، والماء الصخب الشائل «٨»،

---

(١) وردت في الأصل: بجدا.
(٢) وردت في ب: عاد.
(٣) وردت في الأصل: نشؤا.
(٤) وردت في ب: نعل.
(٥) يقصد أعداء عسكره، وقد وردت في ب: لقتال.
(٦) وردت في ب: بالناس.
(٧) وردت في ب: كلى.
(٨) الشائل: المرتفع. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٣٧٥ (شول). وورد في ب: السائل.

تزعجهم عن طرف الساحل، وتقحمهم «١» أشداق تلك الشعاب والمداخل «٢».

و اشتدت الحرب ضربا بالخناجر في الحناجر، وبالقواضب في المناكب، وأولياء الله في كل حال ظاهرون، والكافرون هم الصاغرون، حتى إذا كاد يهرم شباب النهار، حمل المسلمون من جميع الجهات حملة أو جرت بهم لهوات تلك المخارم مضطرين، فخلفوا الفيلة التي كانوا بها مغترين. وتبعها «٣» أولياء الله يردّون الأعظم [١٩١ ب] فالأعظم منها إلى موقف السلطان، فلم يفتهم إلا ما جدّ به في الهرب، أو ضاق دون اقتناصه مجال الطلب، وصب من ماء أولئك الأرجاس ما نجس به النهر الحاجز على طهارته، وامتنع من الشرب على غزارته. ولو لا أن الليل ستر أثرهم، لا ستلحم القتل أكثرهم، صنعا من الله لدين بعث به رسوله «٤» المصطفى صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الذين ارتضى، مظهرا له على الدين كله ولو كره المشركون «٥»، فهو على الازدياد إلى يوم التناد «٦».

و انصرف السلطان بأولياء الله غانما موفورا، وظاهرا منصورا، ومحمودا كاسمه مأجورا، وقد غنم ما يكلّ عن ذكره أنامل التحرير، ويضيق عن إثباته أدراج الأضابير.

و تطايرت البشائر به «٧» في الآفاق، وخفقت عليها أجنحة الغروب والإشراق، والحمد لله رب العالمين، على عزّ الإسلام والمسلمين.

---

(١) وردت في ب: تقتحمهم.
(٢) وردت في ب: المسائل.
(٣) وردت في الأصل: معها.
(٤) وردت في الأصل: رسول الله.
(٥) من قوله تعالى: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ. سورة التوبة، الآية ٣٣؛ سورة الصف، الآية ٩.
(٦) وردت في الأصل: التنادي. ويوم التناد هو يوم القيامة، قال تعالى: وَ يا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ. سورة غافر، الآية ٣٢.
(٧) ساقطة في ب.

٣٧ ذكر الوزير أبي العباس الفضل بن أحمد وما انتهت إليه حاله إلى أن مضى لسبيله

ذكر الوزير أبي العباس الفضل بن أحمد وما انتهت إليه حاله إلى أن مضى لسبيله

قد كان الوزير أبو العباس الفضل بن أحمد من خاصة فائق الملقب بعميد الدولة ومن كفاة بابه، وثقات أصحابه. وكان على البريد [١٩٢ أ] بمرو أيام سالارية السلطان بنيسابور، فنمي إلى «١» ناصر الدين سبكتكين خبر قوته وأمانته، فكتب إلى الرضا يستوهبه لوزارة السلطان، وكفاية أعماله، وتدبير «٢» أمور أمواله ورجاله «٣»، فأوجب إجابته إلى ملتمسه، وخوطب بالبدار إلى نيسابور على مقتضى مثاله، فاعتمده السلطان للوزارة، واستكفاه مهمات الإمارة، بعد أن كان يرى مقام الشيخ الجليل شمس الكفاة «٤» أبي القاسم أحمد بن الحسن في الكفاية كتابة وحسابة، وأصالة وإصابة، وهداية ودراية، وحماية وجباية، إذ لم يكن على طراءة «٥» شبابه بين لداته «٦» أغنى منه غناء، وأمضى مضاء، وأذكى ذكاء «٧»، وأدهى دهاء، غير أن الأمير سبكتكين جنى عليه في أبيه عند اعتماده لوزارة بست وتدبير أعمالها وأموالها جناية سبق السيف فيها العذل، إصغاء منه إلى عداته فيما شققوه فيه من رفيعة، ولفّقوه عليه من سعاية ووقيعة، فاستوحش منه استيحاشا من بادرة فعله. والمسىء نفور، والقلوب عن ذوي الإساءة صور «٨». وكره السلطان الاستبداد على أبيه في انتصابه حسب ارتضائه و [١٩٢ ب] استكفائه وفق المخبور من وفائه، طاعة له في اختياره، واتباعا لفلك رأيه تحت مداره.

---

(١) ساقطة في ب.

(٢) وردت في ب: تدبر.

(٣) وردت في ب: رجاله وأمواله.

(٤) وردت في ب: الكفات.

(٥) وردت في ب: طراية.

(٦) أترابه. فاللديدان: جانبا الوادي، وصفحتا العنق. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٣٩٠ (لدد).

(٧) وردت في ب: ازكى زكاء.

(٨) جمع أصور: مائل. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٤٧٤ (صور).

و قضى الله بأن يكون ما يليه حتى يعترف خراسان «١» بأنه عذيقه المرجّب «٢» وجذيله المحكّك «٣»، يتتبع ما يفسده الغير بالاستصلاح، ويستدرك ما أحرضته أيدي الاجتياح، ويداوي كل حال بدوائه، ويرد غائر الماء إلى لحائه، فأجرى الوزير أبو العباس الأمور مجاريها «٤» على جملة لم يعرف فيها غير الجباية والاستدرار، وقصد التوفير دون الاستعمار «٥»، حتى جبى مالا عظيما، سنين عدة. إذ كانت خراسان بعد مكسوعة بأغبارها «٦»، لم تنتزف منها دواعي اللبن، ولم ينتزع عنها كواسي السمن. فلما احتلبها انتزافا، واستنفد ما في ضرعها إسرافا، ومن قبل ما قد حال بينها وبين خصب المراتع، وبرد الموارد والمشارع، وضعت «٧» له ما على ظهورها من فضول دسم، وسمحت بما وراء عظامها من نقي مقتسم، حتى صارت من فرط الهزال والعجف، كالأهلة المحنيّة، بل الأخلّة «٨» المبريّة.

و تداعى بالخراب معظم الضياع، ووقعت القني بين القصور والانقطاع، وشرّد في البلاد أكثر الأكرة والزرّاع. فعندها أخذ الجار بذنب [١٩٣ أ] الجار، وألزم القارّ مؤونة الفارّ، حتى تمت البلوى، وعمت الشكوى، وشملت خراسان نوائب البؤس، وذهبت حرائب

---

(١) أي أهل خراسان.

(٢) عذيق: تصغير عذق وهو النخلة، وهذا تصغير تعظيم. والترجيب أن تدعم النخلة إذا كثر حملها لئلا تتكسر أغصانها. ومنه حديث السقيفة: أنا عذيقها المرجّب. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٤١٢ (رجب)، مج ١٠، ص ٢٣٨ (عذق).

(٣) الجذيل: أصل الشجرة تحتك به الإبل فتشتفي به من جربها. ومنه الجذل: العود الذي ينصب للإبل الجربى. ومنه حديث السقيفة: أنا جذيلها المحكك، أي جرّبتني الأمور، ولي رأي وعلم يشتفى بهما كما تشتفي هذه الإبل الجربى بهذا الجذل. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ١٠٧ (جذل). وانظر: الأصمعي- كتاب الأمثال، ص ٦٧.

(٤) وردت في ب: على مجاريها.

(٥) أي عمارة البلاد.

(٦) كسع الناقة بغبرها: ترك في ضرعها بقية من اللبن. وغبر اللبن: بقيته، وجمعه أغبار. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٣ (غبر)، مج ٨، ص ٣١٠ (كسع).

(٧) خراسان.
(٨) جمع خلال وهو العود الذي يتخلل به. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٢١٤ (خلل).

النفوس. وصدمتهم سنة القحط بعقبها «١»، فصار الغني محسورا، والمتوسط مفقورا، والفقير مقبورا، وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً «٢».

و بقيت في رقاب خراسان بقايا كل متعذر ومتكسر، وتاو «٣» ومتحير، لو أذيبت عن آخر فقرة منها لم يف ببعضها، فضلا عما جمعته أقلام الاستيفاء منها، فأظهر السلطان ضجرا من نحير الأموال وتراجع الارتفاعات، فطالب الوزير منها بما اقتطعه، وأتواه «٤» وضيّعه، وهو يرجع القول على سبيل الدالة بين البراءة والإحالة «٥»، فمهما عضّه العتب بثقافه أظهر الاستعفاء، وجلب إلى نفسه البلاء. وأسلم النفس اختيارا، وآثر الحبس قرارا.

و توسط الملأ بين السلطان وبينه على أن يجبر بعض المنكسر من خاص ماله مما استفضله طول وزارته من مرافق أعماله، فأبى أن ينزل عن درهم إلا بعزله وحبسه أنّى شاء من قلاعه، صنيع المتبرّم بالعمل، المتنغّص بالأمل، المستسلم للبليّة، المتحكك بالمنيّة.

و اختار عند ذلك السلطان الدهقان أبا إسحاق محمد بن الحسين وهو إذ ذاك رئيس بلخ لصحابة الديوان، [١٩٣ ب] واستنظاف «٦» البقايا على العمال والسكان.

و أنهضه إليها سنة إحدى وأربعمائة. فانحدر إلى هراة، وجبى من الأموال ما درت أخلافه، ولانت على المسّ أعطافه. ولم يلبث إلا يسيرا حتى حمل حملا كثيرا، والوزير أبو العباس بعد في صدر الوزارة، والشيخ الجليل أبو القاسم يسعى بينه وبين السلطان على سبيل السفارة، يروم انتصاحه إياه «٧» كي ينسدّ به مكانه، ويستند إلى عرض الاستقامة

---

(١) وردت في ب: بعقيبها.
(٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٨.
(٣) هالك: ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ١٠٦ (توا).
(٤) أذهبه وأهلكه وضيّعه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ١٠٦ (توا).
(٥) وردت في ب: الإجالة.
(٦) استنظف الشي ء: أخذه نظيفا كله. واستنظاف الخراج: استيفاؤه. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٣٣٧ (نظف).
(٧) إضافة من ب.

شأنه، وهو يأبى سوى اللجاج في إلقاء القول عن حدة المزاج، حكما من الله تعالى لم يسع ردّه، وقضاء سابقا أعيا العالمين صدّه. وما زالت هذه حاله لزوما للصدر، على ما به من ضعة القدر، إلى أن ركب بنفسه إلى قلعة غزنة مستروحا بزعمه إلى الاعتقال عما تولاه، ومتسمحا بجملة ما حواه واقتناه، فلم يسمع بمثله رجلا يشتري الحبس اختيارا، ويستقبل صرف الزمان بدارا. وغاظ السلطان ما أتاه، فاستبذله الخطّ بغرامة ما جناه على أمواله ورعاياه «١»، فبذل خطه بمائة ألف دينار. ثم لم يزل يستدّر «٢» إلى أن عرض حال الفاقة «٣»، وعدم الطاقة. ثم استحلفه السلطان بحياة رأسه على ظاهر إفلاسه، [١٩٤ أ] وعلى إغلاق «٤» دمه إن وجد له على الطلب مال مفرقا ومجمعا، ومدفونا ومستودعا. وبقي على جملته «٥» ينتابه أولاده معفى عن الإرهاق والتعنيف، مصونا عن التحامل والتكليف، إلى أن ظهر على ما ذكر له مال عند بعض التجار ببلخ وديعة فأخذوه، وأمر بوضع الدهق عليه لا ستصفائه، واستخراج ما وقاه بنفسه وذمائه، وما بقي من رمق جاهه ومائه.

و اتفقت للسلطان غزوة حالت بينه وبين مشاهدة حاله، واستبراء ما يصدق أو يكذب من مقاله، والدهق يستمر به على الدوام، وينال منه يوما بيوم، حتى أتاه أجله، وحاق به ما كان يستعجله، وذلك في سنة أربع وأربعمائة.

و لما عاد السلطان وراءه، ساءه ما سمع فيه، وهيهات أين من المساءة روح مطموسة، ونفس بين أطباق الثرى مرموسة؟! كذلك من آثر «٦» المخلوق «٧» على الخالق، ولم يعتبر بالماضين في الزمن السابق.

---

(١) أي استكتبه صكا بما أخذه.
(٢) أي لم يزل السلطان يستزيد.

(٣) أي أصبح فقيرا.
(٤) وردت في الأصل: اغلاقه. والغلق: الهلاك. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٢٩٣ (غلق). والمقصود إباحة دمه.
(٥) وردت في ب: جملة.
(٦) وردت في ب: آثار.
(٧) وردت في الأصل: الملحوق.

و قد كان أدرك له ولد في صدر وزارته يعرف بأبي القاسم محمد بن الفضل، فبرع على ميعة الشباب، في وجوه الفضائل والآداب، حتى استطار ذكره، واستطال قدره، واستفاض نظمه ونثره. فمن شعره قوله في أبيه من قصيدة: [١٩٤ ب]

لقد أربى أبو العباس جودا ... على جود الربيع لمعتفيه

ففي إحدى يديه ممات قوم ... وفي أخرى الحياة لمرتجيه

لقد خضعت لك الدنيا ودانت ... فهل مرقى سواه فترتقيه

و أقبل نحوك الإقبال حتى ... غدا بصرا وأنت النور فيه

فنورز ألف نيروز سعيدا ... رفيع الجد في عيش رفيه

و له أحجية «١»:

و زنجية قادت إلى القوم بضة ... لينكحها من كان يعشقها قدما

فقام إليها واحد بعد واحد ... ولم نر ذما فعلهم لا ولا إثما

و أدركته حرفة الأدب «٢».

و اختطفته يد المنية أنضر ما كان عودا، وأثبته عمودا، وأبهره سعودا، وأحمده قياما وقعودا.

و حكى لي بعض أصحابه أنه أصبح ذات يوم يروي بيتين «٣» تلقنهما «٤» في المنام وهما «٥»:

أرى الدنيا وزخرفها ككأس ... تدور على أناس من أناس

فلا تبقي على أحد كمالا ... يدوم بقاؤها «٦» في كف حاس

____
(١) وردت بعدها في ب: لغز.
(٢) وردت في الأصل: الا.
(٣) وردت في الأصل: أبياتا، وفي ب، ود: بيتا.
(٤) وردت في الأصل: تلقنها، وفي ب: تلقنه، وفي د: تلقفه.
(٥) وردت في الأصل: وهي، وفي ب، ود: وهو.
(٦) وردت في الأصل: بقاءها.

[فتطير منه. ولما قضى نحبه، زاد أبو الحسن المؤملي «١» الكاتب فيه أبياتا وهي:

أبعد محمد بن الفضل أرجو ... أمانا لي من الدهر العماس

أساس الفضل كان به فأودى ... وأبقى الفضل منهدم الأساس

فتى في نثره والنظم أربى ... على ابن ثوابة «٢» وأبي نواس

رأى في النوم معجزة جرير ... يقصر دونها وأبو فراس] «٣»

سأحفظ عهده مادمت حيا ... وحفظ العهد من كرم النحاس

و رثاه بعض أهل العصر بقوله «٤»:

يا عين جودي بدم ساجم ... على الفتى الحرّ أبي القاسم

قد كاد أن يهدمني فقده ... لو لا التسلي بأبي القاسم

و سدّ الله مكان [١٩٥ أ] الماضيين «٥» بأبي الحسن علي بن الفضل «٦» المعروف بالحجاج بفضل ساطع نوره، وعلم جامع سوره «٧»، وحلم ثابت طوره، وجود موكل بإنشار آمال الأحرار صوره «٨»، فتي السن في حصافة الكهول، جبان الرأي في شجاعة السيول، أدهم البأس في غرّة السّجاحة «٩»، فدم الحياء في ذلق الفصاحة. ندب لأعمال الجوزجان فدرّت على إبساس ولايته، ونقل إلى أعمال نسا فضاقت عن فضفاض كفايته، يصون الأعمال صيانة عرضه عما يصديه، ويحيي الآمال إحياءه «١٠» شرف أبيه، ويميت بدع الرسوم إماتته ذكر أياديه:

---

(١) ورد: الموصلي. انظر: ص ٢٧٦ من هذا الكتاب، هامش (٥).
(٢) يقصد أحد أفراد بني ثوابة، وكلهم من البلغاء والفصحاء، وتولوا ديوان الرسائل. انظر: ياقوت- معجم الأدباء، ج ١، ص ٦٢٨، ج ٢، ص ٣٨٩، ج ٥، ص ٢٧٦.
(٣) إضافة من ب.
(٤) إضافة من ب.
(٥) المقصود الوزير أبو العباس وابنه أبو القاسم.
(٦) ابن آخر للوزير أبي العباس.
(٧) وردت في ب: سروره.
(٨) الصور الذي ينفخ فيه يوم النشر.
(٩) السّجاحة: لين الخلق، وسهولة الطبع. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٤٧٥ (سجح).
(١٠) وردت في ب: جياءه.

٣٨ ذكر وزارة الشيخ الجليل أبي القاسم أحمد بن الحسن

تسمو الرجال بآباء وآونة ... تسمو الرجال بأبناء وتزدان
كم من أب قد علا بابن له «١» شرف ... كما علا برسول الله عدنان «٢»

ذكر وزارة الشيخ الجليل أبي القاسم أحمد بن الحسن

قد كان الشيخ الجليل أبو القاسم يلي ديوان الرسائل للسلطان أيام سالاريته بخراسان. وهو الكريم نسبا، العظيم حسبا، العريق مجدا وحرية، الوثيق رأيا وروية. تنادي عليه أقطار الأرض بفصاحة القلم، وسجاحة الشيم، ونفاسة الهمم، واحتقار الدنيا والدرهم. ودرّجه وفاؤه للسلطان على [١٩٥ ب] تصاريف الأحوال به إلى أن ولّاه عرض عساكره «٣» في أقطار مملكته «٤»، وزاده أعمال بست والرّخّج وما والاهما بأموالها وارتفاعاتها علاوة على ما ولاه، فقام بجميع ما تولاه، قيام من وفّقه الله. وحدا عليه جوده بني الآمال من أطراف البلاد، فوسعهم جداه «٥»، وغمرهم نداه، وكتبت لهم أمانا من الفقر يداه. فأما مروءته فما يؤمن بالمعجزة الصادعة منها إلا من شاهدها عيانا واستفتى عدول إحساسه عليها سيرا وامتحانا.

و كان الوزير أبو العباس لا يصدر إلا عن رأيه، ولا يحتشم غيره في تصاريف عزماته وأنحائه، لفخامة شأنه، ومكانته المعمورة من سلطانه. ووساطته بينهما «٦» في معظم ما يزجيه ويرجيه، ويحييه ويفنيه، ويبقيه ويرديه «٧»، ويذره ويأتيه، ويقدره «٨» ويفريه.

---

(١) وردت في ب: ذوي.
(٢) ديوان ابن الرومي، ج ٣، ص ٤٨٥ (مع بعض الاختلاف).
(٣) أي ولاه وظيفة العارض، ومهمته عرض العسكر على الأمير متى طلب منه، ومعرفة الجند، وحفظ أرزاقهم، وتوصيلها إليهم. انظر: السمعاني- الأنساب، ج ٤، ص ١٠٩؛ الثامري- التاريخ الحضاري لمدينة بخارى، ص ١١٤.
(٤) وردت في الأصل: ممالكه.
(٥) الجدا: العطية. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ١٣٤ (جدا).

(٦) أي بين السلطان، وأبي العباس.
(٧) ساقطة في ب.
(٨) وردت في الأصل: يقلده.

و لما وهت عليه قوة أمره، وانكسرت سورة خمره، واتفق للسلطان أن يرحل نحو ناردين «١» في الغزوة التي تقدم ذكرها، استخلف الشيخ الوزير أبا القاسم «٢» على مهمات بابه، وإمداد صاحب الديوان فيما يليه ويجبيه بصواب رأيه، وبعثه «٣» على مواصلة الحمول «٤» عن «٥» فرط جدّه وغنائه. فهو متّسم بالوزارة غير متسمّ بها، إلى أن اتفق للسلطان [١٩٦ أ] استدعاء صاحب الديوان في عمال خراسان لرفع «٦» الحسبانات، وتقرير المعاملات. فنهض إليه كل رئيس ومرؤوس، وشريف ومشروف، ومستعمل ومعزول، وسمين ومهزول، قد اتخذوا الطّعم والغمض حراما «٧»، ووضعوا الأرواح على الراح توكلا واستسلاما «٨».

و وافق وصولهم ركضة عزمها السلطان إلى الهند، فسبّب عليهم لأذناب «٩» أهل عسكره بما «١٠» رآه ووكلهم باستخراجه في مدة يومين لإهمام الركض، وضيق رقعة الوقت، فعصبوا عصب السلم، وسلخوا سلخ الغنم، وأقيموا على جمرة الضرم، ونكسوا على الهام والقمم، حتى اعتصر «١١» ذلك منهم عن تضاعيف اللحم والدم. وعندها صبّ السلطان على الشيخ الجليل خلعة الوزارة، وفوّض إليه مهمات الإمارة، وأمره «١٢» بمحاسبات العمال، ومطالبتهم بما صار في ذممهم من الأموال، محكما في الحل والعقد، مخيرا بين الأخذ والردّ.

____
(١) وردت في ب: نارين.
(٢) إضافة من ب.
(٣) وردت في الأصل: بعينه.
(٤) الأموال التي تحمل إلى بيت المال. الخوارزمي- مفاتيح العلوم، ص ٨٨.
(٥) وردت في الأصل: من.
(٦) وردت في الأصل: لدفع.
(٧) يقصد حرموا على أنفسهم الطعام والنوم جدا في كسب رضا السلطان.
(٨) وردت في ب: استلاما.
(٩) وردت في الأصل: الأذناب.
(١٠) وردت في الأصل: ما.
(١١) وردت في ب: اعتصروها.
(١٢) وردت في الأصل: أمر.

و سار السلطان نحو مقصده، وأقبل الشيخ الجليل على ما جعل بصدده، فهذّب الأمور، ونظم المنثور، ووظّف الأموال، وصرف العمال، وردّ صاحب الديوان أبا [١٩٦ ب] إسحاق على جملته إلى خراسان مستوفيا عليهم ما يلزمهم من حاصل وباق، وعتيق وناض «١». وقعد في الدّست «٢» كالبدر المنير، والسيف الشهير، منفردا بالتدبير، محتشدا لروعة الملك وهيبة السرير. فلما اتفق عود السلطان إلى قرار غزنة «٣»، وشاهد الأمور في كنف وزارته منظومة العقود، مضبوطة الحدود، والأموال وافرة الريوع، حافلة الضروع، رسم له بأن ينحدر إلى خراسان، مستنظفا ما وهى أو وهن صاحب الديوان في جبايته واستيفائه، وقصر أو قصّر عن تبرّضه «٤» وامترائه «٥». فانحدر إلى هراة، وهيبته تأخذ النفوس بمخنقها، وتختلج القلوب عن معلقها. ويكاد ينطق له كل مال مخزون، ويلفظ إليه كل درهم مدفون، فجمع «٦» عن تسمح «٧» النفوس بما جمعته، واستكراهها عما منعته، مالا لم «٨» يسمع بمثله محمولا من خراسان أذهابا وأوراقا، وقصبا «٩» رقاقا، وغلمانا «١٠» رشاقا، وأفراسا عتاقا. وتلاقت الرفائع «١١» على صاحب الديوان بما ناله من صنوف المنافع، ووجوه

____
(١) ربما قصد الدرهم والدينار. انظر: الفيروزآبادي- القاموس المحيط، ج ٢، ص ٣٤٦ (نضض).

(٢) صدر المجلس. ادي شير- معجم الألفاظ، ص ٦٣.
(٣) وردت في ب: قرارة عزه.
(٤) تبرّض حاجته: أخذها قليلا قليلا، أو شيئا بعد شي ء. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ١١٦ (برض).
(٥) الامتراء: الاستخراج والاستدرار. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٢٧٧ (مرا).
(٦) ساقطة في ب.
(٧) وردت في الأصل: التسمح.
(٨) وردت في الأصل: لا.
(٩) وردت في ب: عصبا.
(١٠) وردت في الأصل: غملمانا.
(١١) الرفائع أو الارتفاعات ما يرتفع من البلدان أي ما تنتجة تلك البلدان. وهذا مستعمل عند كثير من البلدانيين المسلمين. انظر على سبيل المثال: المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٢٣.

المطامع. فسامه «١» السلطان تصحيحها تسبيبا، وحملا إلى بيت المال قريبا. فاعتزل العمل، ونزل [١٩٧ أ] عن كل ما حصّل، وفزع من بعد إلى خاص أملاكه وضياعه، ومواشيه وكراعه، وتجمّله وأثاثه، حتى حلي إناثه، فحلّ ما اعتقده منها على مال مصادرته، وما جمع عليه من بقايا عمله.

و كان الوزير أبو العباس قليل البضاعة في الصناعة، لم يغن «٢» بها في سالف الأيام، ولم يرض بنانه بخدمة الأقلام، فانتقلت المخاطبات «٣» مدة أيامه [من العربية] «٤» إلى الفارسية، حتى كسدت سوق البيان، وبارت بضاعة الإجادة والإحسان، واستوت درجات العجزة والكفاة، والتقى الفاضل والمفضول على خطي الموازاة. فلما سعدت الوزارة بالشيخ الجليل [أبي القاسم] «٥» أسعد الله به «٨» جدود الأفاضل، وورّد بمكانه خدود الفضائل، ورفع ألوية الكتّاب، وعمر أفنية الآداب، فجزم على أوشحة «٩» ديوانه أن يتنكّبوا «١٠» الفارسية إلا عن ضرورة من جهل من يكتب إليه، وعجزه عن فهم ما يتعرب به عليه، وطارت توقيعاته في البلاد [بالعربية] «١١» ولا شوارد الأمثال، وأبيات المعاني من القصائد الطوال، ففي كل ناد نداء بألحانها، وفي كل مشهد شهادة باستحسانها «١٢». فأما الشعر فقد

____
(١) كلّفه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٣١٢ (سوم).
(٢) وردت في ب: يقن.
(٣) وردت في ب: المخاطبان.
(٤) ساقطة في ب.
(٥) إضافة من ب. والمقصود به الوزير الميمندي.
(٨) وردت في ب: اسعده الله واسعد به.
(٩) وردت في ب: اوحشه. والأوشحة جمع وشاح وهو من حلي النساء. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٦٣٢ (وشح). ولعل المقصود هنا تشبيه للكتّاب بأنهم زينة الديوان.
(١٠) وردت في الأصل: يكتبوا. والتنكّب: العدول والتجنب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٧٧٠ (نكب).
(١١) ساقطة في ب.
(١٢) وردت في الأصل: باستسحانها.

٣٩ ذكر قابوس بن وشمكير الأمير شمس المعالي «9» [و ما ختم به أجله] «10» وتنصيب «11» ولده الأمير فلك المعالي أبي منصور منوچهر منصبه ووراثته مملكته [و اتّشاج الوصلة بينه وبين السلطان يمين الدولة وأمين الملة] «12»

نشر عليه [١٩٧ ب] ملحوده «١»، وسعد به جدوده، وفتق بالعذب الرواء صيخوده «٢»، فأربابه كالعنادل «٣» تغريدا بمناقبه، والقماري تسجيعا على الضّرب «٤» الماذي «٥» من ضرائبه، وهو بعد له في الناس غياث ورحمة، وبفضله لأهل الفضل ثمال «٦» وعصمة. وانفرد بتدبير البلاد والعباد بناء على الأساس، وحلبا على الإبساس، وإخافة على «٧» الإيمان، ومكافأة بالإساءة والإحسان. وأسوا لجراح القلوب بمراهم الترغيب، وإنكارا بمعروف العمارة سابق التخريب، واشارة على السلطان في أمور مملكته بما يفيده عاجل التوفير، وآجل الثواب الغزير، لا جرم أنه استتّبت الأمور بغنائه «٨»، وانسدّت الثغور على آرائه، وكذلك من كان على العلم إيراده وإصداره، وعلى البصيرة إرجاؤه وبداره.

ذكر قابوس بن وشمكير الأمير شمس المعالي «٩» [و ما ختم به أجله] «١٠» وتنصيب «١١» ولده الأمير فلك المعالي أبي منصور منوچهر منصبه ووراثته مملكته [و اتّشاج الوصلة بينه وبين السلطان يمين الدولة وأمين الملة] «١٢»

قد كان ذلك الأمير على ما خصّ به من المناقب، والرأي البصير بالعواقب،

____

(١) أي مقبوره. من اللحد.

(٢) الصّيخود: الصخرة العظيمة الصلبة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٢٤٥ (صخد).

(٣) جمع عندليب، وقد وردت في الأصل: عناديب، وفي ب، ود: عنادب، والأصح ما أثبتناه. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٤٨٠ (عندل).

(٤) العسل الأبيض الغليظ، أو عسل البر. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٥٤٦ (ضرب).

(٥) العسل الأبيض أيضا. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٥١١ (موذ).

(٦) الثمال: الملجأ والغياث. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٩٤ (ثمل).

(٧) وردت في ب: مع.

(٨) إضافة من ب.

(٩) وردت في الأصل: معالي.

(١٠) إضافة من ب، ود. وورد بدلها في الأصل: وجعله عن الملك.

(١١) وردت في د: انتصاب.

(١٢) ساقطة في ب، ود.

و المجد المنيف على النجم الثاقب، مرّ السياسة، [١٩٨ أ] لا يستاغ كأسه، ولا يؤمن بحال سطوته وبأسه. يقابل زلة القدم بإراقة الدم، ولا يعرف في أدنى درجات العثار، وإن لم يقصد إليه مراد، ولم يشترك في كسبه اعتقاد، غير حر الانتقام «١» بحد الحسام، والتفليق «٢» عن مركّب الهام، لا يذكر العفو عند الغضب، ولا يعرف معنى السوط والخشب، ولا يرى الحبس إلا ما بين الصفائح والترب. وهلك على خشونة هذا المش «٣»، وصعوبة هذا البطش، فثام من حاشيته لو كان «٤» استبقاهم على خفة أجرامهم، لكان أشبه بالجلالة، وأليق بالأصالة والعدالة.

فما زالت هذه حاله «٥» حتى استوحشت النفوس منه، وانقلبت القلوب عنه، وشحنت الصدور عليه، ومالت عنه «٦» الأهواء المائلة إليه، إذ كان أحد لا يأمن العثرة، ولا يملك العصمة. ومتى كان العقاب ملحقا بالخطأ اليسير صارت النفوس مجتاحة، والأرواح مستباحة، والمرء من البشر لا من ورق الشجر، فهو إذا مات فقد فات، وليس مما يعود بعد ما عري «٧» العود.

و اتفق أن حاجبا له كان «٨» يعرف بحاجب نعيم- وهو [١٩٨ ب] أحد الكراكلة «٩»

____

(١) وردت بعدها في الأصل: والتفليق.
(٢) وردت في الأصل: التعليق، وفي ب: التلفيق، وفي د: التغليق. والتفليق: الشق. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٣٠٩ (فلق).
(٣) وردت في ب: المس. والمش: الحلب باستقصاء، أو الخصومة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٣٤٦، ٣٤٧ (مشش). والمقصود خشونة أسلوبه في المعاملة.
(٤) ساقطة في ب.
(٥) ساقطة في ب.
(٦) وردت في ب: إليه.
(٧) وردت في ب: ذرى.
(٨) وردت في الأصل: كان له.
(٩) انظر: ص ٢٨٩ من هذا الكتاب، هامش (١).

في حدود جرجان- عديم الغائلة والعادية «١»، سليم الناحية من بين أفناء «٢» الحاشية، وكان اعتمده لضبط استراباذ وسياستها، رفع «٣» إليه «٤» أنه طمع في بعض رعاياها في منال، أو مال إلى الانتفاع منه «٥» بمال، فأمر بقتله وتعليقه عن خيط رقبته وهو يستغيث مفصحا ببراءة «٦» ساحته، ونقاء جيبه وراحته، وقصور ما سعي به عليه لو صحّ إسناده عن إفاتة نفسه وإراقة دمه. فزاد قتله في إيغار الصدور، وإضغان القلوب. وتآمر «٧» عند ذلك أعيان العسكر على خلعه، ونزع الأيدي عن طاعته، وكفاية النفوس شغلها بثقل وطأته وخشونة سياسته.

و وافق هذا التدبير منهم «٨» غيبته عن جرجان إلى المعسكر بجناشك، استبدالا بهوائها عن لفح الحرور عند طلوع الشعرى العبور «٩»، فعمي عليه وجه الصورة، وشذ عنه علم تلك المشورة، فلم يرعه ذات ليلة غير زحام العسكر بباب القلعة التي اعتصر بها، وانتهابهم أمواله وأفراسه وبغاله، ومرامهم قسره واستنزاله، فهرّ «١٠» في وجوههم من كانوا نزولا بفنائه، محامين من ورائه، حتى انكشفوا عنه [١٩٩ أ] صاغرين، وولّوا على أعقابهم داخرين. ومالوا إلى جرجان فتملكوها عليه معلنين شعار العصيان، لا بسين غيار الكفران.

و بعثوا إلى الأمير أبي منصور منوچهر بن قابوس وهو بطبرستان، يستحثونه على الورود

____
(١) وردت في ب: العارية.
(٢) وردت في الأصل: اقبال.
(٣) وردت في ب: ورفع.
(٤) وردت في الأصل: عليه.
(٥) وردت في الأصل: منها.
(٦) وردت في الأصل: ببرائة، وفي ب: ببرآة. والتصحيح من د.
(٧) وردت في النسخ: وفي ب: توامر.
(٨) إضافة من ب.
(٩) الشعرى العبور، والشعرى الغميصاء من الكواكب النيرة. وهما الشعريان. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٤١٦ (شعر).
(١٠) الهرير في الأصل للكلب إذا نبح وكشر عن أنيابه. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٢٦١ (هرر). واستخدمه هنا من باب المجاز.

لعقد البيعة له، وزفاف الملك إليه؛ فطار إليهم بقوادم العقاب، استعظاما للحادث بأبيه، وإكبارا لما نفذ من المكيدة فيه، وطمعا في تدارك الخطب وتلافيه. فلما دنا منهم مضربه توافقوا على طاعته إن خلع أباه، وابتزازه رداء الملك إن أباه. فلم يجد في عاجل الحال غير المداراة، ضبطا لما انتشر، ورشّا على ما استعر، وصونا لستر الحشمة من الانخراق، وإبقاء على سكر الفساد من الانبثاق، وإشفاقا على البيت من الضياع، وعلى الملك من التخطف والانتزاع.

و قد كان شمس المعالي لما سمع بنبأ القوم واجتماع كلمتهم على الخلع، عطف بمن وما «١» كان معه من رجال ومال إلى ناحية بسطام،

Shamela.org

ناظرا ما يسفر عنه عاقبة التحزب، وينتهي إليه ثائرة التغلّب والتوثّب. فلما تسامعوا «٢» بنبئه «٣» حملوا الأمير منوچهر على قصده، وإزعاجه عن مكانه أو ردّه؛ فسار معهم إليه مضطرا، ودافعا [١٩٩ ب] بالشرّ شرا، كالجمل الأنف إن قيد انقاد، وإن أنيخ على صخرة استناخ. فلما وصل إلى أبيه، أذن له دون من يليه من أتباعه وحواشيه، إذ قام دونه من خاصته، رجال يرون الموت شهدا دون خذلانه، والروح وقفا على شكر إحسانه. فلما وصل إليه كفر طاعة وخضوعا، وأسال أردية الشؤون دموعا. وتشاكيا صورة الحادث، وتذاكرا حقّي المورّث والوارث، وغرض الأمير منوچهر أن يكون حجابا بينه وبين أعاديه، وإن ذهبت نفسه فيه.

و رأى شمس المعالي قابوس أن العارض قصارى أمره، وختام عمره، وأنه أحق بوراثة ملكه، وولاية الأمر من بعده، وسلّم خاتم الملك إليه من يده، واستوصاه الخير به مادام في فسحة من «٤» أمده. وتواضعا «٥» على أن ينتقل هو إلى قلعة چناشك متفرغا للعبادة

____

(١) وردت في الأصل: بما ومن.

(٢) وردت في الأصل: سمعوا.

(٣) وردت في ب: بنبائه.

(٤) إضافة من ب.

(٥) اتفقا. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٣٩٧ (وضع).

إلى أن يأتيه يقينه، فيسلم له نفسه ودينه، وأن يتفرد الأمير منوچهر بن قابوس «١» بتقرير الملك فريا «٢» وتقديرا، وتقديما وتأخيرا. وقدمت إليه عمّارية على هذه الجملة، فانتقل إلى القلعة المذكورة مع من رضيه لخدمته، ومعونته على ضروب مصلحته.

و عطف الأمير منوچهر [٢٠٠ أ] إلى جرجان فولي الصدر، وضبط الأمر، وأخذ يداري القوم ترغيبا وتطميعا، ويمنّيهم الإحسان جميعا، وهم على جملة النفور، خيفة الثبور، ما دام شمس المعالي في فسحة البقاء، وزمرة الأحياء. وما زالوا في الاحتيال عليه «٣»، حتى فرغوا من «٤» أمره، وسلموا كما زعموا من عادية شرّه. ولم يرضوا به وهو في صوان الأموات، حتى كشفوا عن محياه رداء رداه؛ فطابوا نفوسا حين عدموا شمس المعالي قابوسا، ووراوه في مقبرة كان ابتناها لنفسه بظاهر «٥» جرجان، على سمت خراسان. وغدا الناس في معناه كما قال مهلهل «٦»:

نبئت أن النار بعدك أوقدت ... واستبّ بعدك يا كليب المجلس

و تفاوضوا في أمر كل عظيمة ... لو كنت شاهدهم بها لم ينبسوا «٧»

و عقد الأمير منوچهر «٨» المأتم ثلاثة «٩» أيام على رسم الجيل في حسر الرؤوس، وضرب النفوس، ورفض المنام، وهجر الطعام. ولما قضى أيام المعزى، نسي المقبور،

____

(١) ساقطة في ب.

(٢) قطعا. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ١٥٣ (فرا). وقد وردت في الأصل: فرياذا.

(٣) إضافة من ب.

(٤) وردت في الأصل، وفي ب: عن. والتصحيح من د. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٤٤٥ (فرغ) والمقصود فرغوا من أمر قابوس.

(٥) وردت في ب: بظهر.

(٦) المهلهل شاعر جاهلي اسمه عدي بن ربيعة. سمّي مهلهلا لأنه هلهل الشعر أي أرقّه. ابن قتيبة- الشعر والشعراء، ص ١٣٤.

(٧) أوردهما: المرزوقي- شرح ديوان الحماسة، ق ٢، ص ٩٢٨.

(٨) وردت في الأصل: المنوجهر.

(٩) وردت في الأصل: بلبه.

و استؤنف السرور «١»:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر «٢»

و لما سمع القادر بالله أمير المؤمنين بخبر شمس المعالي، واستئثار قضاء الله به، خاطب الأمير منوچهر [٢٠٠ ب] معزّيا ومسلّيا، ولقّبه ب (فلك المعالي) مشرّفا «٣» ومحلّيا.

و عزم الله له على الصواب في اختياره، والرشد في إيثاره، ففزع إلى السلطان يمين الدولة وأمين الملة معتصما بحبله، معتصرا بظله، مستظهرا بطاعته، مستبصرا «٤» في مشايعته، مستغشيا رداء عنايته، متلافيا وهن المصاب بقوة إشباله ورعايته. وأنهض عدة من ثقات بابه بمبارّ موفورة، ونفائس مذخورة، ورسائل على صدق الإخلاص وصفو الإمحاص «٥» مقصورة؛ فصادف ما رجاه رغبة في موالاته، وحرصا على تقمّن «٦» مرضاته.

و تردّد السفراء بينهما على ربابة هذه الحال، وتوكيد عقدة الوصال.

و احتكم السلطان عليه في إقامة الخطبة له على منابر ولاياته «٧»، امتحانا لمصدوقة عقده في موالاته. وأنهض إليه أبا محمد الحسن «٨» بن مهران أحد ثقاته بما رأى أصحابه من نفائس خلعه وكراماته، فصادف منه قريبا مجيبا، وسميعا مطيعا، وأمر بإقامة الدعوة باسمه على منابر جرجان وطبرستان وقومس ودامغان، والتزم في السنة خمسين ألف دينار

____

(١) وردت في ب: استونف على البيعة السرور.

(٢) هذا البيت لمضاض بن عمرو الجرهمي، وقيل للحارث بن عمرو بن مضاض. الأصفهاني- الأغاني، ج ١٥، ص ١٠.

(٣) ورد بعدها في الأصل: يمين الدولة وأمين الملة. وهو وهم من الناسخ كما سيتبين.

(٤) وردت في الأصل: متبصرا.

(٥) وردت في ب: الامحاض. والإمحاص: خلوص الشي ء من كل عيب. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٩٠ (محص).

(٦) توخّي. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٣٤٨ (قمن).

(٧) وردت في الأصل: ولايته.

(٨) وردت في الأصل: الحسين. انظر: رفيع- تاريخ نهضتهاي ملي إيران، ص ١٣١.

إتاوة، وعلى عكمي «١» الطاعة والإخلاص [٢٠١ أ] علاوة «٢».

و استدعى السلطان على تفيئة «٣» ذلك، وقد عزم على غزوة ناردين «٤» إنجاد حشمه بطائفة من الجيل والديلم «٥» يحسنون حروب المضائق، ويغنون غناء الكماة البطارق، فسرّب إليه ألفي رجل من خلّص الجيليين إن راموا الوعور فوعول، أو قصدوا السهول فسيول. وقد أمر بإزاحة عللهم في أعطياتهم، ونصب لهم من يقيم أود حاجاتهم، ويطلق لهم مدة الحاجة إلى غنائهم واجب أرزاقهم واستحقاقاتهم. ولما استحق على السلطان بآثاره في القربة مزيد الرتبة، وبمساعيه في الطاعة قضاء الحاجة، أنهض رئيس جرجان أبا سعد الجولكي «٦» المقدم فضلا وأدبا، المحتشم حسبا ونسبا لا قتضاء مزيد الحال بوصلة تقوم الكفاة بخطبتها عنه، والطاعة باستيجابها له، فنهض و«٧» خفارة الأدب تهديه، وكفالة الرفق فيما يذره ويأتيه. ولم يزل يأتي الأمر من بابه، ويستطلع المراد من حجابه، حتى أسمحت قرونة السلطان لما استدعاه، وأوجب الإسعاف بما توخّاه.

و لما انكفأ الفاضل أبو سعد وراءه بصورة [الحال في] «٨» الإيجاب، وما صادفه من هزة «٩» المجد للإطلاب، جشمه الأمير فلك المعالي معاودة [٢٠١ ب] الحضرة مع

____

(١) العكم: العدل ما دام فيه متاع. والعكمان عدلان يشدّان على جانبي الهودج. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٤١٥ (عكم).

(٢) كل شي ء ما زاد عليه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٨٩ (علا).

(٣) على تفيئة ذلك أي على أثره. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ١٢٧ (فيأ).

(٤) وردت في ب: نارين.

(٥) مكررة في ب.

(٦) وردت في الأصل: أبا سعيد الشواكي، وفي ب: أبا سعيد الشولكي، وفي د: أبا سعيد الجولكي. والتصحيح من: السهمي- تاريخ جرجان، ص ٤٥٣؛ السمعاني- الأنساب، ج ٢، ص ١٢٤.

(٧) وردت في الأصل: في.
(٨) ساقطة في ب.
(٩) وردت في ب: همزة. والهزة: الارتياح. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٤٢٤ (هزز).

القاضي بجرجان وهو شيخ العلم وراوية «١» الحديث، ورضيع أخلاف «٢» التدرّب والتجرّب «٣» لتنجز النجاح، وتأريب عقدة النكاح، فنهضا إلى حضرة السلطان مقيمين رسم الخدمة، وخاطبين ضم السّدى إلى اللحمة، فرأى السلطان تحقيق مبذول العدة، وعصيان سلطان النفس «٤» طاعة لرب العزة. وفلذ «٥» للأمير فلك المعالي خلبا «٦» من كبده، وسمح له بزهرة الأرض من نجوم ولده، وأي نجم كان في فلك المعالي مداره لم تبعد داره، أنّى ومدار النجوم الأفلاك؟! وأزواج الملكات «٧» الأملاك؟!

و جرى من الاستبشار باتحاد النفوس والديار، وصبّ النثار، وصوب المبارّ كالغيوث الغزار، ما أرّخ به كتّاب الدهر، ووسم بذكره سالفة العصر.

و عاد الرسولان بدرك النجح الموقوت، ولا السعدان يقترنان في الحوت، وعندها تكلّف الأمير فلك المعالي- حرمة للقربى، ونحلة بين يدي النجوى- مالا تبيّن «٨» من رآه على اختلاف أصنافه، وأغراب نقوشه وأفوافه أن له همة إلى قمة الجوزاء مرفوعة، ونية على صدق الولاء مطبوعة. ولم يبق أحد من أركان الدولة وحواشيها، والراتعين حول مراعيها، لم «٩» يضرب بسهم من سهام اللطف، ولم يشترك في البر المعقود بالشرف، لا جرم [٢٠٢ أ] إن السلطان رعى حرمة قرباه، وجزاه عمّا سمحت به يمناه، وأفرد كلا

---

(١) وردت في ب: رواية.
(٢) وردت في الأصل: أخلاق.
(٣) وردت في ب: التجريب.
(٤) وردت في الأصل: الغيرة.
(٥) قطع. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٥٠٢ (فلذ).
(٦) وردت في ب: فلذة. وبالوجهين يستقيم المعنى، حيث إن الخلب قطعة أو جزء من الكبد أو الكبد نفسه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٣٦٣، ص ٣٦٥ (خلب).
(٧) وردت في الأصل: المكان.
(٨) وردت في ب: يتبين.
(٩) وردت في ب: من لم.

من «١» قواد جيوشه وأفراد رجاله بخلع علّمت أجانب الملوك كيف شريطة الجود، والسماحة بالموجود، وتقصّي «٢» المجد بعفو الرأي دون المجهود، فأمّا ما صحب درة الصدف، وياقوتة الشرف، فمال طال عهد الدهر بمثله مجموعا في مكان، محمولا من خراسان. ولا غرو فالشمس تغني «٣» البدر نورا، والبحر يدع الخليج مسجورا.

و قد كان الأمير فلك المعالي بعد أن استتبّ له أمره، واشتدّ بمظاهرة السلطان ظهره، دمر «٤» على أعيان عسكره المشتركين في دم أبيه، فصدع ذات بينهم بوجوه الحيل وأنواع العلل، حتى أباد خضراءهم، وسقى ظماء الأرض دماءهم.

و أحس خركاش «٥» - وهو القريب العاق، والنسيب المشاق- بالداهية الدهياء، فانسلّ تائها بين سمع الأرض وبصرها، تأباه الرعان والأباطح، وتلفظه القيعان والصحاصح، فهما مسّ جانب القرار، طلبته هامة الماضي بالثأر، فهام على وجهه ولا فقيد ثقيف «٦»، بين تشريق وتغريب، وتصعيد وتصويب.

و كان أحد من أثار ذلك الشرّ «٧» على شمس المعالي على ما تشاهدت به الأخبار «٨» أبو القاسم الجعدي وكان صاحب جيشه، فانحدر إلى رأس الحد [٢٠٢ ب] كباز على قفّازيرى كل صيحة عليه، وكل حشيش سهم أقواس بين جنبيه «٩». فأمهله فلك المعالي زمانا، حتى ظن أن له دون شؤون الآخرين شأنا، ثم اطّباه «١٠» بتطميعه وترغيبه، حتى

---

(١) وردت في ب: منه ومن.
(٢) وردت في ب: تقضي.

(٣) ورد بهامشها في ب: تعير.
(٤) مقت أو أهلك. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٢٩١ (دمر).
(٥) وردت في الأصل: ابن جزكاش، وفي ب: ابن جركاس. انظر: ص ٢٣٢ من هذا الكتاب، هامش (٣).
(٦) من أمثال العرب. انظر: الميداني- مجمع الأمثال، ج ١، ص ١٩٩.
(٧) وردت في ب: الشن.
(٨) وردت في الأصل: الأخبار به.
(٩) وردت العبارة في ب: وكل حشيش سهما يمسّ أقواس جنبيه.
(١٠) دعاه واستماله. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٣ (طبي).

أعلقه «١» حبالة «٢» الاقتناص، وآيسه من الطمع في الخلاص، وأن لله حكما في أمور عباده معلقا «٣» بآماد معلومة، وغايات محدودة، فليس قبلها مستقدم لما تأجّل، ولا بعدها مستأجل لما تعجّل. فاحتال أبو القاسم حتى انسلّ هاربا، واعتسف البيد جانبا ثم جانبا. ومازال على حاله واحتياله، حتى ورد نيسابور يظن- وبَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ «٤» - أن انقطاعه إلى السلطان يمين الدولة وأمين الملة- على نغل دواخله، وارتهانه بسالف فعله وقابله، مع ما تمهد في ذات البين من عقود، وتأكد من عهود، واشترك «٥» فيه من طارف ومتلود- يحلّ عنه «٦» عقال آثامه، ويكفّ عنه ما حقّ عليه من بأس الله وانتقامه، كلا إن سوء الفعل خذول «٧»، والقاتل لا محالة مقتول. وشرّ المحن ما أومض بالخلاص قبل إبّانه، واستيفاء مدة النضج على بحرانه، أنه ليوهم الفكاك ثم يعقب الهلاك، كالهرة تطمع الفأرة في الخلاص، حتى إذا كانت منها على غلوة «٨»، لحقتها [٢٠٣ أ] بعدوة. لا جرم إن السلطان لما أنهي إليه صورة حاله، ومن قبل ما سمع بسوء فعاله، أمر بردّه وراءه في عقاله. ولقد أحسن ابن الرومي في مقاله:

الخير مصنوع بصاحبه ... فمتى فعلت الخير أعقبكا
و الشر مفعول بفاعله «٩» ... فمتى فعلت الشر أعطبكا «١٠»

____
(١) وردت في ب: اغلقه.
(٢) وردت في الأصل: بحبالة.
(٣) وردت في ب: معلقة.
(٤) سورة الحجرات، الآية ١٢.
(٥) وردت في ب: اشتركا.
(٦) وردت في الأصل: عليه.
(٧) وردت في ب: مخذول.
(٨) قدر رمية سهم. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ١٣٢ (غلا).
(٩) وردت في الأصل: بصاحبه.
(١٠) ديوان ابن الرومي، ج ٣، ص ٢٦ (مع بعض الاختلافات).

٤٠ ذكر دارا «1» بن شمس المعالي قابوس بن وشمكير

ذكر دارا «١» بن شمس المعالي قابوس بن وشمكير
قد «٢» كان دارا «٣» بن قابوس «٤» بعد استئمانه من جانب أبي علي محمد بن محمد «٥» بن سيمجور إلى الأمير نوح بن منصور الرضا، مقيما على خدمته، سهيما لعيبته «٦» في نعمته وفي جملته، إلى أن فتح الله على أبيه جرجان وطبرستان، فانحاز إليه مستغنيا بخدمته عن خدمة غيره «٧»، وصادف من الإشبال والإقبال ما اقتضاه حكم الأبوّة والبنوّة، ثم حدره «٨» شمس المعالي إلى طبرستان فأقام بها سدّا دون مخالفيه، وذماما على أوليائه ومعامليه.

و استنهضه منها على قريفة «٩» ألقيت إليه، فأتاه وهو «١٠» باستراباذ يريه صحة أديمه، واستواء حديثه بقديمه «١١». فأحسن استقباله وإنزاله، ثم دعاه في وقت ارتاب به، فركب على قصد مجلسه، ثم عطف عطفه الليث الخادر نحو خراسان، [٢٠٣ ب] بين غياض تشكوا الأراقم بينها ضيق المجال والمضطرب، وصعوبة المنساب والمنسرب.

و استصحب من رافقه ووافقه من غلمانه وأهل الثقة به، إلى أن عرف شمس المعالي خبره، واستركب لاقتناصه عسكره، بعد «١٢» ما قد طار به الركض. وحالت دون مناله

---

(١) وردت في الأصل: داراء.

(٢) وردت في الأصل: وقد.

(٣) وردت في الأصل: داراء.

(٤) وردت في ب: شمس المعالي.

(٥) وردت في ب: محمود.

(٦) وردت في ب: نعمته، مكررة.

(٧) وردت في الأصل: عير.

(٨) وردت في الأصل: حذره.

(٩) أي بسبب تهمة أو ذنب اقترفه. انظر: ابن منظور- لسان العرب، ج ٩، ص ٢٨٠ (قرف).

(١٠) إضافة من ب.

(١١) وردت في الأصل: وقديمه.

(١٢) ساقطة في ب.

الأرض. ولما شافه حدّ خراسان، رفرفت الأمنة عليه بجناحها، إلى أن ورد حضرة السلطان يمين الدولة [و أمين الملة] «١»، فقبله أحسن قبول، ولقاه حسن مقول ومفعول. ومازال يرفع منه تمويلا وتخويلا، وتفخيما وتبجيلا، حتى اغترّه فضل الانبساط وعزّ الانتساب بما هدّ قربته، وهدم رتبته، واستوحش من عارض الإعراض، وأشفق من رهق التغير والانقباض، فلاذ بظلّ الليل هربا، وبات يطوي الأرض تقريبا وخببا. وأمر السلطان بطلبه «٢»، واتّباعه في وجوه «٣» مهربه، فألحق حيث قامت الخيول تعبا، ولم تجد السيوف عليه مضربا. ففرّ «٤» على وجهه ملتجئا إلى الشار المعروف بالشاه، لحال بينهما في الصفاء معمورة، وأصول ود بالوفاء مأبورة «٥». فلما استقر به المكان، وخبر حاله السلطان، [٢٠٤ أ] كتب إليه السلطان فاستردّه وخوّفه أن يأتي عليه ما بعده، فاضطر إلى ردّه وإسلامه عن يده.

و بقي في الحبس «٦» مدة، يكابد بؤسا وشدة، إلى أن وجد فرصة الانفصال، عن رقّ العقال، ففارق معتقله من حيث لم يطمع فيه أحد، ولم يكن ليغني عنه لو لا المقدور رأي ولا جلد. وأبت عليه لجاجة «٧» المحنة أن يتم خلاصه، ويستتب مناصه، فأعثرت عليه حتى أعيد في وثاقه، وزيد في إرهاقه، إلى أن شرح الله «٨» صدر السلطان لإطلاقه، فأنشأه «٩» نشأة ثانية، وأنبت ريشه قادمة وخافية، وأعاد حاله بالإحسان حالية، ويده على أيدي الأضراب عالية. ووجّهه لولاية جرجان وطبرستان معضودا بأبي الحارث أرسلان

---

(١) ساقطة في ب.

(٢) إضافة من ب.

(٣) وردت في ب: وجه.

(٤) وردت في ب: ففر هو.

(٥) أبر النخل: أصلحه. فالمأبورة: الملقحة. ابن منظور- لسان العرب، ج ٤، ص ٣ (أبر).

(٦) وردت في الأصل: المجلس.

(٧) وردت في ب: لجاجة.

(٨) وردت في الأصل: إليه.

(٩) وردت في الأصل: فانشأ.

الجاذب، وذوي النجدة من كماة الرجال، وكفاة الأبطال. لو لا أن الأمير فلك المعالي منوچهر سبق تمام الرأي بإظهار الطاعة، وعرض ما وراء الوسع والطاقة، ولما حالت حرمة التقرب دون الاختيار عليه، واستردّه السلطان إلى حضرته فجرى مجرى أركان دولته، وأخدان «١» العشرة لا يفارقه في حفلة، ولا يزايله [٢٠٤ ب] في خلوة، ولا يقعد عنه في وقت ركوب، ولا ينفرد دونه «٢» بدور كوز ولا «٣» كوب، إلى أن ورد الأمير أبو الفوارس بن بهاء الدولة حضرة السلطان منزعجه عن كرمان، لقصد عسكر أخيه إياه مستظهرا به على معاودة مملكته، وارتجاع «٤» بيته ونعمته، فجمعهم ليلة مجلس دارت فيه الكؤوس، وطابت النفوس، وجرى حديث السلف والخلف، وإعراق من أعرق منهم في الشرف. فنطق دارا «٥» بما لو سكت عنه لكان أشبه بحق الخدمة، وحكم الحشمة، ووقت الاجتماع على رضاع العشرة. وحمله رمز الإنكار عليه على قصد المرادة، وركوب المحاقّة «٦»، حتى تأدى به الأمر إلى إزعاجه عن مكانه، وإشجائه بغصّة المدلّ «٧» على سلطانه. وأمر به في غد، فردّ في العقال، وحمل إلى بعض القلاع. وقبض على ضياعه؛ فأجريت مجرى الحوزيات «٩»، تستغل أسوة سائرها، إلى أن سأل الشيخ الوزير في بابه، فأمر بردّها عليه، معونة له على مصلحة حاله، ومؤونة اعتقاله، وذلك في المحرم سنة تسع وأربعمائة.

____
(١) جمع خدن: الصديق. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ١٣٩ (خدن).
(٢) وردت في ب: عنه.
(٣) ساقطة في ب.
(٤) وردت في الأصل: واتجاع.
(٥) وردت في الأصل: داراء.
(٦) ادّعاء الحق. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٥٣ (حقق).
(٧) وردت في الأصل: المذل.
(٩) ربما قصد أنها صودرت، وعوملت كأملاك خاصة.

٤١ ذكر مجد «1» الدولة [أبي طالب بن فخر الدولة] «2»

ذكر مجد «١» الدولة [أبي طالب بن فخر الدولة] «٢»

قد كان فخر الدولة كتب إلى حسام الدولة أبي العباس تاش وهو «٣» بجرجان منحدره إليها عن [٢٠٥ أ] خراسان على لسان الصاحب «٤» يبشّره بولادته، وإجراء الله إياه في الصنع به «٥» على كريم عادته. وكان مما كتب إليه «٦»:

«و قد رزقني الله ولدا كنيته أبا طالب طلبا للسلامة في مدته، وسمّيته رستم لأنه من أسماء نصابه وأرومته».

فلما اخترمته المنيّة، بايع الناس مجد الدولة، إلا أن التي قامت عنه «٧» كانت أختا للاصبهبذ بفرّيم وسائر مملكة الجيل «٨». وهي في منعة من أهلها، وعزة من جانب أرضها، فتملّكت عليه «٩» الديلم، واستأثرت بالأمر والنهي، والحل والعقد، وجرت بينه وبينها مكاوحات «١٠» تأدت بها إلى استنهاض بدر بن حسنويه إليه، وامتلاك الريّ عليه. وجرت بينهم مناوشات أفضت بالديلم أولا، وبأهل الريّ ثانيا إلى بؤس وفاقة، ودماء مهراقة، وفتن ليس فيها قدر فواق «١١» من إفاقة. وعن قريب يعود سقب «١٢»

____
(١) وردت في الأصل: فخر.
(٢) إضافة من ب.
(٣) إضافة من ب.
(٤) يقصد ابن عباد.
(٥) وردت في ب: له.
(٦) ساقطة في ب.
(٧) يقصد والدته.

(٨) وردت في النسخ: الجبل.
(٩) وردت في ب: على.
(١٠) وردت في ب: مناوشات ومكاوحات.
(١١) الفواق (بالضم أو بالفتح): ما بين الحلبتين من الوقت، لأن الناقة تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٣١٦ (فوق).
(١٢) ساقطة في ب. والسّقب: ولد الناقة ساعة تضعه إذا كان ذكرا. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٤٦٨ (سقب).

الخلاف جذعا «١»، وحبل الصلاح منقطعا، فتنتج عنه إبادة الرجال، واستباحة الأموال، وشرود الصلحاء في البلاد، وضراوة السفهاء بالإفساد.

و لما غرض «٢» مجد الدولة بالأمر، وبما ينقدح على الدّوم من شرر الشرّ، آثر البرّ في الاعتزال عن «٣» سمة الإمارة «٤». و«٥» [٢٠٥ ب] حمله الاعتراف لها بالطاعة على العقوق المفضي بمن تحت ولايته ورعايته إلى خطة الاحتناك، المشفي بهم على خطة الاجتياح والاستهلاك، فلزم البيت منفردا بالكتب والدفاتر، ومبيضا وجه الفضل بسواد المحابر.

و انفرد أخوه شمس الدولة «٦» بولاية همذان وقرميسين «٧» وما والاهما إلى حدود بغداد. وورث «٨» بدر بن حسنويه أموالا عظيمة طالما حفظتها صدور القلاع مكتومة، وخنقتها خيوط الأكياس مختومة، ولم يلبث إلا قليلا حتى استغرقتها صلات الرجال، واستنفدتها حقوق الآمال، شيمة له في التحقق بالفضل، والتخرق في البذل.

و قد كان ابن فولاذ نخم «٩» في دولة آل بويه أمره، وارتفع قدره، وانتشر صيته وذكره. والتفّت عليه صناديد الديلم، ومشاهير الأكراد والعرب، فسأل مجد الدولة والكافلة بالتدبير أن ينزلا له عن قزوين طعمة له ولمن معه، ليتفرد بولايتها وجبايتها، ركنا من أركان دولتهما، وظهرا من ظهور حوزتهما، يذبّ عنهما بسيفه وسنانه متى دهاهما

____
(١) ولد الناقة إذا استكمل أربعة أعوام، ودخل في سنته الخامسة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٤٣ (جذع).
(٢) ضجر وملّ. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ١٩٤ (غرض).
(٣) وردت في الأصل: على.
(٤) وردت في الأصل: الإمادة. والمقصود أنه آثر البر بوالدته والاعتزال عن الإمارة.
(٥) الواو مكررة في الأصل.
(٦) وردت في الأصل: المعالي الدولة.
(٧) وترد قرماسين أيضا. إحدى أهم مدن إقليم الجبال، بالإضافة إلى همذان والري وأصفهان. وهي كرمانشاه الايرانية حاليا. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ١٩٦، ص ١٩٧؛ al Hudud -P lamﷺ, ١٣٢٠ ؛ المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٨٤، ص ٣٩٣؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٠٨؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٢٢١.
(٨) وردت في ب: إذ ورث.
(٩) أي صار عظيم القدر والمكانة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٤٤٩ (نخم).

خطب، أو دخن على نارهما حطب رطب. فضنّا [٢٠٦ أ] عليه بها لضيق رقعة الملك، وبكوء درة الدّخل «١». وأدليا إليه بظاهر العذر، فقصد «٢» أطراف الريّ على جملة العصيان، يفسد ويغير، ويقطع دون أهلها سبيل من يمير. وملك عليهما ما يلي جانبه من قرى وضياع، وريع وارتفاع، إلى أن استعانا بالاصبهبذ المقيم بفرّيم، فأتاهما في رجراجة «٣» نخمة من الجيلية، أولي البأس والحمية، فناوشوه القراع، وصدقوه المصاع. وجرت بينهما في دفعات ملاحم استلحمت كثيرا من الفريقين. وأصاب ابن «٤» فولاذ في ساقه نشّابة أثخنته، فولى فيمن معه «٥» إلى سمت الدامغان، حتى ألمّ بها؛ [فضمّ النشر] «٦»، ورمّ الرثّ، وعالج المرتثّ، وكتب إلى فلك المعالي منوچهر يستمده على عسكر الريّ، على أن يقيم له الخطبة، ويظهر الطاعة، ويلتزم الإتاوة، فأمدّه بألفي رجل يوزن آحادهم بآلاف، وأفرادهم بأضعاف، يرون الشرف فرضا لمن مات تحت المشرفيات «٧»، والتثريب حقا على من حاد عن اليثربيات «٨». ووصل جناحهم «٩» بمال قضى به حق انقطاعه إليه، واعتماده عن «١٠» ظهر الثقة «١١» عليه. ونهض نحو الريّ حتى أناخ

بظاهرها، فأعاد الإغارة،

---

(١) البكوء: قلة لبن الناقة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٣٥ (بكأ). والدّرة: اللبن. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٢٧٩ (درر). والدخل: الناقة المهزولة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٢٤١ (دخل).

(٢) وردت في الأصل: ومصدر.

(٣) الرّجراجة: الكتيبة التي تموج من كثرتها. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٢٨٣ (رجج).

(٤) وردت في الأصل: ان، وفي ب: بن.

(٥) وردت في ب: تبعه.

(٦) ساقطة في ب.

(٧) سيوف منسوبة إلى المشارف وهي قرى من أرض اليمن، وقيل: من أرض العرب تدنو من ريف العراق. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ١٧٤ (شرف). وانظر: ياقوت- معجم البلدان، ج ٥، ص ١٣١؛ القلقشندي- صبح الأعشى، ج ٢، ص ١٤٠.

(٨) سهام أو نصال تعمل في يثرب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٢٣٥ (ثرب).

(٩) وردت في الأصل: جناحه.

(١٠) وردت في الأصل: من.

(١١) وردت في ب: المقة.

و منع المائرة والمارّة. [٢٠٦ ب] وغادر «١» الديلم في ضنكة البلاء، وضيقة اللأواء «٢»، حتى اضطر مجد الدولة، ومن وليت التدبير إلى إيثاره بأصبهان «٣»، فعقد له عليها، وخلي بينه وبينها، استمالة لقلبه، واستعاذة من شرّه. فطارت عند ذلك نعرة الخلاف عن رأسه، ورحلت وحرة العناد من صدره. وأقبل يروض عسكره على رشاد وسداد، ويغلّ أيديهم دون امتداد إلى فساد. وصرف عسكر الأمير منوچهر وراءهم يذكر «٤» صلاح حاله، واستغناءه عن رجاله. وعطف إلى أصبهان خاطبا لمجد الدولة على منابرها وذلك في سنة سبع وأربعمائة.

و كان نصر بن الحسن بن فيروزان قد انقطع إلى السلطان يمين الدولة وأمين الملة، وأقام على خدمته، إلى أن جعل ناحية بيار وجومند باسمه «٥» ورسمه، فنهض إليها، وأقام بها يستغلها، ويتوفر عليه دخلها، إلى أن دعاه مجد الدولة من الريّ، فاعتسف البيد إليها إشفاقا من عسكر شمس المعالي قابوس ومكائده، وعيون ربايائه «٦» ومراصده. فلما وصل إليها، عرف له حق قرابته، وقوبل بما اقتضاه حكم طاعته واستجابته، فبقي هناك سنين مرجوعا إليه في الرأي والتدبير، [٢٠٧ أ] وموثوقا «٧» به في التقديم والتأخير، إلى أن عثر منه على ممالأة لبعض المخالفين، فقبض عليه وحبسه في قلعة أستوناوند. وما زال بها محصورا، وفي مخلب الامتحان مأسورا، حتى عفي عمّا جناه، وردّ ثانيا إلى ما تولاه.

و وافق مآبه خلع الديلم لجام الهيبة لعدم السياسة، وانفراد «٨» مجد الدولة في بيته

---

(١) من هنا، إلى (و استمالة لقلبه) جاءت مكررة في الأصل.

(٢) وردت في الأصل: اللواء.

(٣) وردت في ص ١٩٨: أصفهان.

(٤) أي يذكر صلاح حاله في رسالة بعث بها إلى منوچهر.

(٥) ساقطة في ب.

(٦) جمع ربيئة وهي الطليعة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٨٢ (ربأ).

(٧) وردت في ب: موثقا.

(٨) وردت في ب: انفرد.

٤٢ ذكر بهاء الدولة وما أفضى إليه أمره

بالدراسة. وتبسط الديلم فيما شاءوا «١» من غصب وقطع ونهب وكبس ونقب، لا يرتدع منهم إلا من أشعره الله المخافة، وأودع صدره الرحمة والرأفة، فانبرى نصر بن الحسن لقمع أولئك الضلّال، فاجتاح منهم فريقا، وأوسع آخرين تفريقا وتمزيقا. فلما رأى القوم ما دهاهم في أضرابهم من حصده واستئصاله، تجمعوا على قصده وقتاله وأحاطوا بداره، فواقعهم «٢» بخاصته مليّا، ثم انثنى «٣» منهزما، وغادر ملكه في الدار منهوبا ومغتنما. وما زال يضطرب في محنته إلى آخر مدته.
ذكر بهاء الدولة وما أفضى إليه أمره
[٢٠٧ ب] قد كان بهاء الدولة وضياء الملّة بعد أن فتح الله على السلطان سجستان راغبا في موالاته «٤»، خاطبا لمصافاته، مؤثرا لمكاتبته، حريصا على مقاربته بحكم الجوار الواقع بين الدولتين، والصقب الحادث بين المملكتين. ووافق ذلك من السلطان رغبة في مثله من جهته، لشرفه بنفسه وسلفه، ولما حيز «٥» لهما من الكفاءة في الملك، والملاءة في سعة الملك. فسفر بينهما السفراء على إلحام سدى القربة، وإحصاد «٦» قوى المودة، حتى خلصت القلوب، ونقيت الجيوب، وتأكدت العهود، وتأحدت الحدود.
و عندها أحب السلطان أن يجعل المصافاة مجاهرة، والموالاة مصاهرة، فأنهض القاضي أبا عمرو «٧» البسطامي شيخ الحديث بنيسابور إلى فارس، وهو النبيه فضلا، والوجيه محلا، والإمام علما وتحقيقا، والحسام لسانا فصيحا ورأيا وثيقا. وصادف من إجلال بهاء الدولة

____

(١) وردت في الأصل: شابوا.
(٢) وردت في ب: فدافعهم.
(٣) وردت في ب: انثنى عنهم.
(٤) وردت في الأصل: موالته.
(٥) وردت في الأصل: خير.
(٦) إحكام. ابن منظور- لسان العرب، ج ٣، ص ١٥٢ (حصد).
(٧) وردت في ب: أبا عمر. وهو أبو عمرو محمد بن الحسين الفقيه. انظر: نيشابوري- تاريخ نيشابور، ص ١٨١.

و إكرامه، وإظهار التلطف «١» عليه في مرامه، ما اقتضته جلالة من أصدره، ومساعدة القدر له في كل ما قدّره. وأقام عليه منقولا من مجلس الإيجاب إلى متوسد الإكرام، ومن راحة الإشبال إلى عاتق الإكبار. غير أن بعيد طلوعه عليه وافق [٢٠٨ أ] منه علة أحدثها سوء المزاج بين ألف الراحة والراح، فأعياه تنجز المراد على العارض العائق.
و قد كان فخر الملك «٢» مقيما ببغداد، وهو الوزير والنصير ومن إليه الرأي والتدبير، فجشم القاضي إلى ما قبله ليتفاوضا فيما يوجب صرف الرأي إليه، وتأريب العقد عليه، فاتفق مع وصوله استئثار قضاء الله تعالى ببهاء الدولة، وانتقال روحه إلى جوار ربه. وبايع الناس ولده الأمير أبا شجاع، ولقّبه القادر بالله أمير المؤمنين، بسلطان الدولة. واستتبّ له طرق الأمر، واعتدل عليه عمود الملك، وجرى له الطير بالإقبال وحسن الفأل. ولما عاد القاضي إلى ما قبله، لم يملك له من ذاته جوابا يغنيه، ولا حوارا يشفيه، إذ كان دونه رسولا إلى أبيه، فصرفه محملا من رسالته في وراثة الود، والوفاء بسالف العهد، واشتراء الخلوص بقاصية الجهد، ما اقتضاه حكم الابتداء بغرس الوداد، واستثمار الوفاء على ظهر البعاد.
و قد كان الأمير أبو الفوارس أخو الأمير سلطان الدولة مقيما بكرمان، فشجر بينهما خلاف اقتضى سلطان الدولة تجريد الجيوش لقصده، واستصفاء تلك النواحي واستخلاصها من يده؛ فنهض هو لمقاومتهم، وكف [٢٠٨] عاديتهم. وأوقدوا بينهم حربا، أفنت الرجال أكلا وشربا، واجتاحت الأرواح طعنا وضربا. واستمرت الكشفة بأتباع الأمير أبي الفوارس فانقلبوا منهزمين، وأقبل هو نحو سجستان يؤم حضرة السلطان يمين الدولة وأمين الملة ممتطيا رجاءه، ومستنهضا كرمه لردّه وراءه. وقد كان أنهي إلى السلطان خبر إقباله؛ فأمر أبا منصور نصر بن إسحاق النائب عن الأمير أبي المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين بخدمة استقباله، وتكلّف الواجب من أنزاله، وأنزال من

____

(١) وردت في ب: التطفل.
(٢) وزير الوزراء محمد بن علي بن خلف. انظر: ص ٣١٦ من هذا الكتاب، هامش (١).

معه من طبقات رجاله، ونثر «١» عشرة آلاف دينار من خاص ماله، فبلغ من ذلك مبلغا شهد من كان شاهدا بسجستان من قرّائها «٢» وطرّائها «٣» إلى أحدا من ملوك هذه الأقاليم لم يتكلف مثله لأحد من أولاد الملوك، ولم يخل «٤» أن مثله «٥» يسمح به تيار البحور، فكيف أقطار الصدور؟!

و اكتسب أبو منصور بذلك لنفسه ذكرا عقد بالنجوم «٦» ضفائره، وأفاض على الشرق بعضه وعلى الغرب سائره. ولما وصل إلى حضرة السلطان، أوجب قضاء حق مقدمه بالاستقبال، وتلقي عظيم قدره «٧» بالإجلال، وحمل إليه من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام، والإنعام «٨» بكل ما ينتمي إلى قبيل [٢٠٩ أ] الإكرام، ما وقع عند الخاص والعام موقع الاستعظام، ما خلا الهمة «٩» التي ترى الدنيا خارجة عن ملكها شعرة من أبشارها، وصوفة من أوبارها، وغرفة من بحارها، بل قطرة من أمطارها.

و أقام عنده «١٠» قرابة ثلاثة أشهر ضيفا لا يتميز عن الأدنين «١١» أرحاما وشيجة، وأنسابا قريبة، حتى إذا نشط للانصراف، والتمس معونته على عارض الخلاف، ارتاح السلطان لما استدعاه، فأعطاه فوق رضاه، أموالا أحفت أقلام الكتّاب، وأوهت أنامل الحسّاب.

____

(١) وردت في ب: نظر.
(٢) يقصد المستقرين أو سكان القرية. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٨٤ (قرر)، مج ١٥، ص ١٧٨ (قرا).
(٣) جمع طارى ء وهو القادم من بلد آخر. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ١١٤ (طرأ).
(٤) أي لم يظن. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٢٢٦ (خيل).
(٥) ساقطة في ب.
(٦) وردت في ب: بالنجم.
(٧) وردت في ب: خطره.
(٨) إضافة من ب.
(٩) أي همة السلطان.
(١٠) وردت في الأصل، وفي ب: عليه. والتصحيح من د.
(١١) وردت في ب: الأذنين.

و أنهض في صحبته ونصرته وإقامة خدمته أبا سعيد عبد الرحمن بن محمد «١» الطائي أحد مشايخ بابه، وأفاضل كتّابه، في رجال قد تعودوا «٢» النصر منذ خدموا رايته، فلم يعرفوا وجه الانقلاب [إلا بالأنفال] «٣» على الأكفال:

تحملت صهوة أخرى شواكلها ... من طول ما احتملت «٤» سبيا على الكفل

و توجه الأمير أبو الفوارس فيهم وفي سائر خاصته نحو كرمان، فجلا عنها من كان ولي عليها علما بعجزه عن المقاومة، وافتضاحه إن تعرّض للمحاكمة «٥»، فملك تلك «٦» النواحي ملكه إياها من قبل. وأقام بها أبو سعيد إلى أن قرّت تلك الأمور، ودرّت للجبايات الشطور. [٢٠٩ ب] ثم كرّ «٧» وراءه فيمن كانوا برسمه وتحت قيادته، وأتت «٨» على ذلك مدة من الزمان تمنع حشمة السلطان يمين الدولة وأمين الملة، وحرمة الناهضين من أتباع رايته في أمر وسمه بعز عنايته أن يقصد بما يوهم خلافا عليه، حتى إذا عاودت تلك الجيوش، وانفرد الأمير أبو الفوارس بالتدبير، وارتاش بعد التحسير، سرّب سلطان «٩» الدولة عسكرا ثانيا لمواقعته، واستخلاص تلك الناحية عن يده، فتلاقيا على حرب أشابت القرون تحكيما لظبى الصفاح في مخارج الطلى، وتحويما لشبا الرماح على موارد الكلى، حتى تشقّرت الأرض من صبيب الأوراد، وتمغّرت «١٠» من رشاش الأكباد. وعندها زلّت قدم الأمير أبي «١١» الفوارس فولّى كسيرا، لا يعرف قبيلا ولا دبيرا. وانتهى به

____

(١) وردت في الأصل: محمود.
(٢) وردت في الأصل: تعودا.
(٣) إضافة من ب.

(٤) وردت في ب: حملت.
(٥) وردت في الأصل: للمحامكة.
(٦) وردت في الأصل: ملك.
(٧) وردت في الأصل: كروا.
(٨) وردت في ب: أنت.
(٩) وردت في الأصل: السلطان.
(١٠) صارت بلون المغرة وهي الطين الأحمر. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ١٨١ (مغر).
(١١) وردت في ب: أبو.

٤٣ ذكر أيلك الخان وما انتهت إليه حاله

الركض إلى همذان حضرة شمس الدولة بن فخر الدولة، فقضى فيه حق القرابة إعظاما لقدره، واهتماما بأمره، واغتناما لشكره، واستعدادا لنصره. وأقام مدة مديدة على هذه الجملة، حتى استشعر أو أشعر أنه مغرور ومقصود، وإلى الأمير سلطان الدولة مردود، فنفر نفار الأيّم «١» من ضربة القاتل، والوحش من كفة الحابل. وفارق مظنته «٢» قاصدا [٢١٠ أ] قصد بغداد. وسنشرح إن شاء الله تعالى من بعد حاله، وما انتهى إليه أمره، مما كان عليه أوله «٣».
ذكر أيلك الخان وما انتهت إليه حاله
قد كان أيلك الخان بعد الكشفة التي اتجهت عليه بباب بلخ، فركب ظهر جيحون وعاد وراءه يضطرب على نفسه غيظا مما دهاه، وأسفا على ما أعياه، وما زال يعاتب طغان خان أخاه، ويستنصر قدر خان على ما أوهى من قواه، وفوّته من «٤» مراده ومغزاه، والقدر له معاند، والزمان مناكر ومناكد، حتى طرحه الكمد على فراشه، وفجعه عن قليل بطيب حياته، فأشبعه التراب، بعد أن جوّعه الحرص والاضطراب، همة كانت معلقة بالأثير، محلقة على فلك التدوير، غير «٥» أن يد القدر فوق يد التدبير «٦»، وما يصنع المرء بالجد إذا وافق الجد سافلة البئر؟!
فهبه رحى يجري لها اليمّ ماءها «٧» ... وليس لها قطب بماذا أديرها؟
و قد ينهض العصفور كثرة ريشه ... وتسقط إذ لا ريش فيها نسورها

---

(١) الحيّة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٤٠ (أيم).
(٢) الموضع الذي يظن فيه الشيء. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٢٧٤ (ظنن).
(٣) ورد بعدها في ب: بتوفيق الله تعالى.
(٤) ساقطة في ب.
(٥) وردت في الأصل: على.
(٦) وردت قبلها في الأصل كلمة مشطوبة غير مقروءة، وفي ب: يد.
(٧) وردت في الأصل: ماؤها.

و كانت وفاته «١» في سنة ثلاث وأربعمائة. وولي مكانه أخوه طغان خان، فمالأ السلطان يمين الدولة وأمين الملة ووالاه «٢»، وهاداه «٣» متلافيا بزعمه لما أخلّ به [٢١٠ ب] أخوه، ومتوددا من حيث ركب الخلاف ذووه.
و جاشت من جانب الصين جيوش لقصد طغان خان، وبلاد الإسلام من ديار الترك وسائر ما وراء النهر، يزيد عددهم «٤» على ثلاثمائة ألف «٥» خرگاه «٦» لم يعهد الإسلام «٧» مثلها على صعيد واحد، يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ «٨» بغيا طالما صرع أهله وأوردهم كما يورد الهدي محله، فاستنفر من خطط الإسلام حتى اجتمع إليه من رجال الترك وأحرار الغزاة والمطوّعة قرابة مائة ألف رجل. واستكّت «٩» أسماع المسلمين من فظاعة ذلك النبأ الهائل، والبناء المائل، فارتاعت له القلوب، والتاعت النفوس، وتناصرت الأدعية والذكور.

و سار طغان خان مستقبلا من أقبل عليه من جموع الكفرة «١٠» بنيّات مقصورة على الاستقتال، والاستقبال للآجال «١١»، أو ينزل الله نصره، ويظهر حزبه، تحقيقا لما وعدهم

---

(١) يقصد أيلك خان.
(٢) وردت في الأصل: وولاه.
(٣) وردت في ب: هادنه.
(٤) إضافة من ب.
(٥) وردت في ب:ماية ألف. انظر: ابن الأثير- الكامل، ج ٨، ص ١١٦.
(٦) الخيمة الكبيرة التي يتخذها أمراء الترك مسكنا ومقرا لهم. ثم تطور المدلول ليطلق على بيت مصنوع من الخشب على هيئة معينة، مغلف من الداخل بالجوخ والأنسجة، يحمل في السفر ليكون داخل خيمة الأمير للمبيت. انظر:
القلقشندي- صبح الأعشى، ج ٢، ص ١٣٨؛ ادي شير- معجم الألفاظ، ص ٥٣؛ الخطيب- معجم المصطلحات، ص ١٦٠.
(٧) ورد بعدها في الأصل: (من ديار الترك وسائر ما وراء النهر). وهي مكررة فحذفناها.
(٨) سورة التوبة، الآية ٣٢.
(٩) صمّت. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٤٣٩ (سكك).
(١٠) وردت بعدها في ب: الفجرة.
(١١) وردت في ب: استقبال الأجبال الآجال.

على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم «١» حيث يقول، وقوله الحق: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا [وَ الَّذِينَ آمَنُوا] «٢» «٣».

و التقوا أياما تباعا على ملاحم لم يدر من فتق العروق، وضرب الحلوق، وشد الخيول على الخيول [٢١١ أ] أصوب أنواء أم صبّ دماء؟! ولمع بروق أو وقع السيوف؟! وظلمة ليال أو رهج نزال؟! وفي كل ذلك يتولى الله عبادة بالأيد المتين، والنصر والتمكين، حتى وثقوا بالصنع المستبين، وطلوع النجح مشرق الجبين.

و تلاقوا ليوم منصوص عليه على فيصل الحرب، فشدّ بهرام لها «٤» نطاقه، وأدار على الفريقين دهاقه «٥». فأما أعداء الله فسكروا سكرا استوجبوا به الحدود بالحدود «٦» البواتك، فصبّت عليهم من لدن لاح جبين «٧» الشمس إلى أن ذكت سراجا وهاجا، وكادت تصير على قمم الرؤوس تاجا. وأما أولياء الله فانتشوا نشوة طربوا معها للضرب فوق الهام، والعبث بطلائع الحمام، لا جرم إن الله حماهم ونصرهم، وآواهم وأظفرهم، فغادروا من جماهير الكفار قرابة مائة ألف عنان صرعى على وجه البسيطة عن نفوس موقوذة، ورؤوس منبوذة، وأيد عن السواعد مجذوذة، نقرى «٨» للضباع، بل جفلى «٩» للسباع والوحوش الجياع. وأفاء الله على المسلمين مائة ألف رأس غلمانا كالبدور، واللؤلؤ

---

(١) وردت في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٢) إضافة من ب.
(٣) سورة غافر، الآية ٥١.
(٤) إضافة من ب.
(٥) صفة للكأس الممتلئة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ١٠٦ (دهق). والمقصود في هذا التعبير، والذي سبقه شدة التهييج على القتال.
(٦) إضافة من ب.
(٧) وردت في الأصل: حبن.
(٨) الدعوة الخاصة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٢٣٠ (نقر).
(٩) الدعوة العامة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ١١٤ (جفل).

المنثور، وجوار «١» كالحور العين «٢»، والبيض المكنون، وسوائم غصّت بها أقطار البيداء، وضاقت عنها أطرار الدهناء «٣». وشرد

الباقون وراءهم تشلّهم السيوف شلّ [٢١١ ب] الأنعام «٤»، وتختطف أرواحهم بأيدي الحمام. وتطايرت به البشارات في ديارات الإسلام، فنضرت لها «٥» الوجوه، وضحكت القلوب، وعمّ السرور، ووفر الشكور «٦»، وتباشرت الدور حتى القصور والخدور، لطفا من الله تعالى لدين ارتضاه، ووعد أن يصل بيد التأييد قواه.

و لم ينشب طغان خان «٧» بعد أن فرغ من هذه الحرب العظيم بأسها، الشديد مراسها، أن استأثر الله به، فنقله إلى جواره، وبوّأه مبوأ الصدّيقين من دار قراره، ختما له بالشهادة، وحتما عليه بالسعادة.

و ورث مكانه أخوه أرسلان خان [أبو منصور الأصم] «٨» صنوه في التقية، وتلوه في الأمور الإلهية، ثبت المقام في دين الإسلام، لا تعرف له جاهلية، ولا تنقم منه عنجهية ولا عجرفية، يقيم الصلوات جماعة، ويفترض العدل سمعا لله وطاعة. وعمر الحال التي كانت بين طغان خان أخيه وبين السلطان يمين الدولة وأمين الملة إظهارا للمصافاة، واستشعارا للمؤاخاة، وإيثارا للاشتراك «٩» على تصاريف الحالات.

و خطب السلطان إليه «١٠» كريمة له على ولده الأمير الجليل أبي سعيد مسعود بن

____

(١) وردت في الأصل، وفي د: جواري، وفي ب: الجواري.

(٢) إضافة من ب.

(٣) أطرار البلاد: أطرافها. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٥٠٠ (طرر). والدهناء: الفلاة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ١٦٣ (دهن).

(٤) وردت في الأصل: النعام.

(٥) وردت في ب: له.

(٦) وردت في ب: وتوفر الحبور والشكور.

(٧) وردت في ب: خوان.

(٨) إضافة من ب.

(٩) وردت في الأصل: لاشتراك.

(١٠) وردت بعدها في ب: وإلى أخيه أيلك.

يمين الدولة وأمين الملة، فأحسن «١» الإجابة، واغتنم «٢» القرابة. وتردد بينهما السفراء [٢١٢ أ] في ذلك مدة على جملة التهادي، ورصّ الحال باقتسام الأيادي، إلى أن حقّت الحقيقة، وتمت العقدة الوثيقة. وأنهض السلطان من اختارهم من ثقات بابه لنقل اليتيمة «٣» الكريمة، فجهزت وديعة تشاحّ عليها ملكان: هذا صدر الملك، وذاك «٤» ملك الترك، يختصّ بها الشبل ابن الليث، والوبل ابن الغيث، والتيار ابن البحر، والصباح ابن الفجر، الأمير الجليل أبو سعيد مسعود «٥» بن محمود «٦». ونقلت إلى الحضرة ببلخ، وقد صحبها من فقهاء تلك الدولة وأعيان رجالها من عدوا أئمة المشرق، وأرباب المنطق، فأدوا أمانتي اليد واللسان، على ما ألحمت الحال بين الجنبتين، ورفضت الحشمة في ذات البين.

و أمر السلطان أهل بلخ قبيل «٧» الوصول بعقد الآذين «٨»، وتكلف التنجيد والتزيين؛ فبلغوا من ذلك مبلغا لم يستبق فيه من الوسع مذخور، ولا من الرسم «٩» مذكور ومسطور.

و رأى السلطان بعد ذلك أن يرفع من قدره؛ فعقد له على هراة سرة ملكه ونواحيها، وسيّره إليها بعد أن وصله بمال عظيم، يعدّه ذخيرة، ويوسعه تجملا وزينة. فنهض إليها رشيد السيرة، حميد السريرة، عادل الطريقة، فاضل الخليقة، [٢١٢ ب] خليقا بالملك على الحقيقة، وذلك في سنة ثمان وأربعمائة.

____

(١) وردت في ب: فاحسنا.

(٢) وردت في ب: واغتنما.

(٣) تدعى الفتاة يتيمة ما لم تتزوج، فإذا تزوجت زال عنها اسم اليتم. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٦٤٥ (يتم). وربما قصد الفريدة.

(٤) وردت في الأصل: ذلك.

(٥) إضافة من ب.
(٦) ورد بعدها في ب: يمين الدولة وأمين الملة.
(٧) وردت في ب: قبل.
(٨) وردت في ب: اللاذين. والأصح ما أثبتناه. والآذين فارسية تعني الزينة. انظر: التونجي- المعجم الذهبي، ص ٣٢.
(٩) وردت في ب: الوشم.

٤٤ ذكر الأمير أبي أحمد محمد بن يمين الدولة وأمين الملة «1»

ذكر الأمير أبي أحمد محمد بن يمين الدولة وأمين الملة «١»
جملة ما يمكن الإفصاح به، والإيضاح عنه من حاله، وذكر خصاله، قول القائل:
إن السريّ إذا سرى فبنفسه «٢» ... وابن السري إذا سرى أسراهما
قد جمع الله له من الميل إلى خصائص الأدب، والسعي لمعالي الرتب، [و البعد عن مكان الريب] «٣»، مادلّ على أنه ابن أبيه، شرفا سمقت على النجوم شرفاته، وكرما تعرفت لأهل الفضائل عرفاته، فإنه خرج من حضن الكفالة خروج الإبريز من جمرات السابك، والهلال من تحت الشعاع المتشابك. لم يعرف له طول أيام الإيفاع غير الارتفاع إلى اليفاع، تصرفا على كرم الطباع، وتقييدا للمأثور بالسماع، وبذلا لما لفظته «٤» يد الطباع، وارتياضا بآداب الثقافة والمصاع، [و تمرينا للبنان بين القلم والعنان، وتعويدا للسان ذكر الإصابة والإحسان] «٥»، حتى إذا نزع يداه برد الحداثة، ولبس خداه طوق الشهامة، رأى السلطان أن يوفيه حق البنوّة، ويؤتيه شرط المروءة، ويجذب بضبعه «٦» إلى حيث اقتضته الفراسة فيه، واستدعته العناية به «٧»، والرعاية له، فزوّجه كريمة الأمير [٢١٣ أ] أبي نصر «٨» الفريغوني والي «٩» الجوزجان، وهي التي تجمع إلى الأصالة جلالة، وإلى الكفاية كفاءة، وإلى النعمة همة.
و عقد له على أعمال الجوزجان. كما عقد للأمير الجليل أبي سعيد مسعود على

____
(١) هذا العنوان ساقط في د.
(٢) هذا الشطر ورد في الأصل: ان السرى هو السرى بنفسه.
(٣) ساقط في ب، ود.
(٤) وردت في ب: لقطته.
(٥) ساقطة في ب، وورد بعدها في الأصل: (لا جرم أنه لما) بدلا من (حتى إذا).
(٦) بعضده. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٢١٦ (ضبع).
(٧) ساقطة في ب.
(٨) وردت في الأصل: النصر.
(٩) وردت في الأصل: وهي.

٤٥ ذكر التاهرتي الرسول الوارد من مصر

هراة. وهي التي وليها آل فريغون، وهم الذين حكوا في العزّ أفريدون «١» وفي الهمّة المنجنون «٢»، وفي الغزارة والسماحة جيحون.
و ولى أبا محمد الحسن بن مهران كفاية أموره، وولاية تدبيره؛ فبرز إليها بروز السيف من يد الصاقل «٣»، وهمى على أهلها همي السحاب الهاطل، وأحياهم بندى العدل الشامل، وعدل في العطف عليهم بين الأيامى والأرامل؛ فعلقته قلوب الخاص والعام، وكفته النفوس مؤونة الاستخدام.
و لما رأى السلطان حميد أثره، ورشيد مختبره «٤»، ازداد شغفا بآثاره، وحرصا على اصطناعه وإيثاره، فلم يخل من جديد إنعام، ومزيد حفاوة وإكرام. وسيأتي بيان خبر الأمير الجليل «٥» في موضعه من بعد بإذن الله.

ذكر التاهرتي الرسول الوارد من مصر

قد كان السلطان يمين الدولة وأمين الملة منذ شحذ الله عزيمته لغزوات [٢١٣ ب] الهند محييا لسنة أبيه، مقتفيا نهج آثاره ومساعيه، باحثا على طريق النظر وسبيل الجدل عن سنن الإسلام، والبدع المعترضة عليها في سالف الأيام، استبصارا منه في الدين، واستظهارا على قمع الملحدين، فقرأ الكثير «٦»، وسمع التأويل، وتتبع القياس والدليل، وعرف الناسخ والمنسوخ، والخبر «٧» الصحيح والموضوع، وتلقى «٨» من أصول

____

(١) أحد ملوك الفرس البيشداديين. عنه، انظر: المسعودي- مروج الذهب، ج ١، ص ٢٣١؛ المقدسي- البدء والتاريخ، ج ٣، ص ١٤٢؛ الثعالبي- تاريخ غرر السير، ص ٣٢؛ الكرديزي- زين الأخبار، ص ٩؛ جوزجاني- طبقات ناصري، ج ١، ص ١٣٧؛ كريستنسن- إيران في عهد الساسانيين، ص ٤٨٣.

(٢) دولاب يستخدم في السقي. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٤٢٣ (منجنون).

(٣) وردت في الأصل: القاصل.

(٤) وردت في ب: مخبره.

(٥) وردت في ب، وفي د: الأخوين الجليلين.

(٦) وردت في الأصل: الكبير.

(٧) وردت في الأصل: خبر.

(٨) وردت في ب: تلقن.

الدين ما لم يستجز معه في الدين بدعة، ورأى ما يخالف ظاهره نكرا وشنعة.

و ألقي إليه أن في غمار الرعايا بخراسان أقواما ينتحلون مذهب الباطن المنسوب إلى صاحب مصر «١»، ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض، بتأويلات موضوعة تؤدي إلى رفع قواعد الدين، ودفع معاقد الحق واليقين، وإبطال معالم الشرع، وتتبع «٢» أحكام الله بالرفض والنقض؛ فأمر بوضع العيون عليهم، وإلصاق الطلب بهم.

و عثر على رجل كان سفيرا بين المذكور «٣» وبين أوليائه، والملبّين لدعائه «٤» وندائه، يعرف القوم بسيماهم وأسمائهم، فنصّ «٥» على عصابة منهم مختلفي البلدان والأوطان، فأشخصوا إلى الباب، ورجموا تحت الصلب بالأحجار. ولم يزل يفعل [٢١٤ أ] مثل ذلك بأضرابهم «٦»، ومن كان يخرج له ذكر بألقابهم «٧»، حتى التقطتهم حجارة الرجم والرضّ، عن بساط الأرض.

و قد كان الأستاذ أبو بكر محمد بن إسحاق بن محمشاذ زعيم أصحاب أبي عبد الله بن كرّام، غزير الفضل، كبير المحل، مذكورا بالديانة الوافية، والأمانة البادية والخافية، ومشهورا «٨» باليقظة «٩» على الفرق الغالية والبدع الجافية. فوافق رأي السلطان على اجتياح من ركب بنيّات «١٠» الطريق، وعدم في العدول عن مثل مخارف «١١» النعم

____

(١) يقصد الخليفة الفاطمي، وهو يومئذ الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١ ه).

(٢) وردت في الأصل: منع.

(٣) يقصد صاحب مصر.

(٤) ساقطة في ب.

(٥) وردت في الأصل: وقبض، والأصح ما أثبتناه حيث إنها متعلقة بالسفير الذي كان يعرف القوم فعيّن مجموعة منهم.

(٦) وردت في ب: بامثالهم.

(٧) أي من كان يشاع عنه بين الناس أنه منهم.

(٨) ساقطة في ب.

(٩) وردت في الأصل: اليقضه.

(١٠) الطرق الصغار تتشعب من الجادة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٩١ (بني).

(١١) جمع مخرف ومخرفة: الطريق الواضح. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٦٥ (خرف).

مساعدة التوفيق، ونبّهه «١» على عدة زعم «٢» أنهم ضلّال، ولهم في فضول القول «٣»، وهذر المحال مجال؛ فسلكوا في أصفاد الآخرين، ونصبوا عبرة للناظرين.

و ازداد أبو بكر فيما تقرّب به «٤» من ظاهر المحاماة على دين الله، والمراماة دون حق الله، وتطهير بيضة الإسلام عن كل ذي ريبة بعيدة أو قريبة، حشمة أطمعت فيه الرجال، وأمالت إليه الآمال. وأية حشمة وضع الله عليها طابع الدين، فهي في جوار النجم علو مكان، وسمو شأن. وكفاك بها نخامة ما ورد في الخبر المروي أن الله تعالى «٥» قال للدنيا: «من خدمني فاخدميه، ومن خدمك فاتعبيه أو فاستخدميه» «٦».

و اتفق [٢١٤ ب] بعقب ذلك أن طلع رجل من ديار العراق ينتسب «٧» إلى الشجرة «٨» العلوية يذكر أنه رسول صاحب مصر إلى السلطان يمين الدولة وأمين الملة بكتاب تحمّله، وبرّ تزوّده. فورد نيسابور مدلا بسبب النسب، ومدليا بشرف السلف «٩»، فاستوقف إلى أن أنهي إلى السلطان خبره، ووكل إلى ما يرد من مثاله صدره. ونهض من بعد ذلك إلى هراة ممتدا إلى الحضرة، فأمر بردّه إلى نيسابور، لتقرير ما تحمّله على رؤوس الأشهاد، وبمرأى ومسمع من كل حاضر وباد، صيانة لخاص مجلسه عما عسى أن يضاف إليه من إحالة، وسرّ تحت رسالة. فلما ردّ «١٠» القهقرى وفتّش عما صحبه، عثر على

____

(١) أي أن أبا بكر نبه السلطان.

(٢) وردت في ب: زعموا.

(٣) وردت في ب: الفضول المقال.

(٤) وردت في الأصل: إليه.

(٥) ساقطة في ب.

(٦) البيهقي- كتاب الزهد الكبير، ج ٢، ص ٦٥؛ المناوي- فيض القدير، ج ٢، ص ٣٠٥.

(٧) وردت في ب: ينسب.

(٨) وردت في ب: شجرة.

(٩) وردت في ب: بصلب الشرف.

(١٠) وردت في ب: ردوا.

تصانيف الباطنية، وأغاليط في الشريعة الحنيفية، أصح منها في الأسماع خباط المجانين، ووسواس المبرسمين «١». لا تؤخذ في محصول، ولا توجد في معقول ومنقول.

و ناظره «٢» الأستاذ أبو بكر على أمور من جهة مرسله، تفاوتت فيها ألفاظه، فلم يوجد له على نار الامتحان ثبات، ولا إلى وجه التحقيق وجانب التمييز التفات. ومازال يضرب أخماسا لأسداس «٣» إلى أن تبين له أنه أخطأ في تحمل تلك الرسالة، وحرم التوفيق في تقلد تلك [٢١٥ أ] السفارة.

و قضى الله أن أشخص إلى حضرة السلطان، فلما استحضر مجلس حفله وقد غصّ بأعيان الإسلام، ساداتها «٤» وكبرائها، وقضاتها وفقهائها، وغزاتها وزعمائها. وهناك الحسن بن [طاهر بن مسلم العلوي، ومن قصته أن جدّه مسلما لم يكن في الطالبية من أولاد الحسين] «٥» الأصغر رضي الله عنهم «٦» بناحية مصر أوجه وأنبه منه، ولا أغنى ولا أفتى منه «٧». فلما استقر معد أبو تميم المعز بمصر، خطب إليه بعض بناته على ولده أبي «٨» منصور الملقب بالعزيز. وسبب ذلك- على ما قيل- أنه وجد في داره رقعة فيها:

إن كنت من آل أبي طالب ... فاخطب إلى بعض بني طاهر

فإن رآك القوم كفئا «٩» لهم ... في باطن الأمر وفي الظاهر

فأم من سفّه خوزية ... يعضّ منها البظر بالآخر

____

(١) جمع مبرسم وهو المصاب بالحمى. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٤٦ (برسم)، ص ٥٦٦ (موم). ومن الواضح أن المقصود هنا أصحاب الخلل العقلي.

(٢) وردت في ب: ناضره.

(٣) وردت في الأصل: في أسداس. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٦٨ (خمس).
(٤) أي سادات الحضرة.
(٥) إضافة من ب.
(٦) وردت في ب: عنه.
(٧) وردت في الأصل: عنه.
(٨) ساقطة في ب. انظر: القضاعي- عيون المعارف، ص ٢٦٨.
(٩) وردت في النسخ: كفؤا.

فنسبهم الشاعر إلى أمهم الخوزية بالعسكر «١» لأن كورتها خوزستان، وهي أم محمد بن عبد الله بن ميمون. فاعتلّ مسلم عليه بأن لا واحدة من بناته إلا وهي في حبالة وتحت عقدة «٢»، تفاديا من إجابته، وتحرّجا من مصاهرته، فلما عرف امتناعه ذهابا بنفسه عنه، وترفعا بنسبه دونه، وضع عليه يد الاستقصاء بعد أن أودعه الحبس سنين «٣»، وخبطه خبط العصا ورق السّلم «٤»، وألبسه [٢١٥ ب] عن «٥» فضفاض الغنى غلالة العدم، وهلك من بعد على يده. فقال قوم: غيّب عن محبسه «٦»، فما يدرى كيف صار أمره؟ وأين جعل قبره؟

و زعم آخرون أنه هرب من الحبس على طريق الحجاز، فاحتضر في الطريق. وعند ذلك لجأ طاهر والد الحسن المذكور إلى مدينة الرسول «٧» صلى الله عليه وسلم، [فاستولى عليها] «٨» متأمرا على أهلها، ومعه ابن عم له يعرف بأبي علي بن طاهر وهو ختنه على أخته. فلما مضى لسبيله، ورث أبو علي مكانه من الإمارة إلى أن لحق به وورثه ولداه هانى ء ومهنى دون الحسن لا ستضعافهما إياه، وتقوّيهما بالحال والمال عليه، فرحل هو نحو خراسان ملتجئا إلى السلطان يمين الدولة وأمين الملة سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة.

فلما ورد التاهرتي بزعمه رسولا، صغّر الشريف الحسن شأنه، ووضع فيه لسانه، وأبى أن يكون له نبات على دوحة الرسالة، وانتساب إلى نبعة النبوة، وادعى عليه فساد الدين،

---

(١) يقصد عسكر مكرم، من نواحي خوزستان، وهي الأرض الواقعة شمال شرق الخليج العربي، وتشكل محافظة من محافظات إيران اليوم، كما تعرف عندهم أيضا بعربستان. انظر: ياقوت- معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٠٤، ج ٤، ص ١٢٣.
(٢) ورد بعدها في الأصل: تحا، وهي زائدة فحذفناها.
(٣) وردت في الأصل: سنتين.
(٤) نوع من الشجر، يضربه الرعاة كي تأكل أغنامهم الورق المتساقط. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٢٩٧ (سلم).
(٥) وردت في الأصل: من.
(٦) وردت في الأصل: مجلسه.
(٧) وردت في ب: رسول الله.
(٨) ساقطة في ب.

٤٦ ذكر الأمير أبي العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه وما ختم به أجله «7» إلى أن ورث السلطان ملكه «8»

و استحقاقه ضرب الوتين «١»، نخلّى السلطان بينه وبين ما يستجيزه لنفسه ودينه فيه، فقام إلى جيده بضربة غرقته في دم وريده.

و قد كان الإمام «٢» القادر بالله أمير المؤمنين [٢١٦ أ] كتب إلى السلطان يمين الدولة وأمين الملة بما ترامى إليه من خبر الرسول، وما يقتضيه الدين من التصلب عليه «٣»، وتقديم الجد في الانتصاف للإسلام والمسلمين منه. فلما ختم أمره بما تقدم ذكره، أنهي إلى مجلس الخلافة صورة الحال، وكعم «٤» السيف أفواه العذّال، فقوبل من القبول بمقتضاه، وجزي الخير على ما أتاه وتوخّاه «٥»، فكان مثل التاهرتي [كما قيل] «٦»:

و من يشرب السم الزعاف فإنه ... حقيق بأنياب المنايا النواهس

ذكر الأمير أبي العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه وما ختم به أجله «٧» إلى أن ورث السلطان ملكه «٨»

قد كان أبو الحسن علي بن مأمون لما ورث أباه مأمونا مملكته، وقد كان استضاف «٩» خوارزم «١٠» إلى الجرجانية خطب إلى السلطان يمين الدولة وأمين الملة إحدى أخواته تقوية لعمدة الحال، وتسدية للحمة الوصال، فأوجب إسعافه بما استدعاه،

---

(١) عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٤٤١ (وتن).
(٢) ساقطة في ب.
(٣) ورد بعدها في ب: وترك الحفل له.
(٤) شدّ. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٥٢٢ (كعم).
(٥) إضافة من ب.
(٦) إضافة من ب.
(٧) وردت في ب: أمره.
(٨) وردت في ب: مملكته.
(٩) ورد بعدها في الأصل: هزاراسف، ولا محل لها فحذفناها.
(١٠) وردت في ب: خوارزمشاه.

استكفاء إياه، وتوخيا لرضاه، وزفّ «١» إليه من خطبه، ووصل بأسبابه سببه، ودرّ التهادي بينهما حتى صارت الديار واحدة، والأسرار لغير الإخلاص جاحدة. وغبرت الحال على جملتها في الاتّشاج والامتزاج، إلى أن قضى [٢١٦ ب] خوارزمشاه نحبه، ولقي بانقراض الأجل ربه، وورث أبو العباس مأمون بن مأمون مكان أخيه، وولي ما كان يليه، فكتب إلى السلطان يسأله أن يعقد له على شقيقته عقده عليها لأخيه «٢» من قبل، فهو تاليه في الطاعة بل أتم إخلاصا، وثانيه في القربة بل أشد اختصاصا. فشفع السلطان فيه «٣» داعي الكفاءة، واستجدّ للحال رونق الطراءة، وعقد له عليها عقدا خلطه فيه بنفسه، وفرّغ له فريقا من قلبه وخلبه «٤». ومازال الأمر على جملة الاشتراك والاشتباك إلى أن دعا السلطان داعي الاختبار إلى سومه «٥» إقامة الخطبة باسمه، وأنهض رسولا يتنجّزه العمل بما يقتضيه ظاهر حكمه، فصادف منه حرصا على الإجابة، وافتراضا لحق الطاعة، غير أنه عرض الحال فيه على من حوله من أعيان أشياعه وأتباعه، فأظهروا نفارا، وأصروا واستكبروا استكبارا، وقالوا: نحن أتباعك وأطواعك ما سلم لك الملك عن الاشتراك، فأما إذا وضعت خدك للطاعة، وضعنا السيوف على العواتق خلعا لك، وتمليكا عليك، وجهادا فيك، فعاد الرسول [إلى السلطان] «٦» بما رآه عيانا، وسمع بغيا وعدوانا.

و أحس القوم [٢١٧ أ] بجمرة الدم من «٧» وراء جرأتهم على ولي نعمتهم بالقول الفظيع، والرد الشنيع، وزعيمهم في الأمر يومئذ ينالتكين البخاري صاحب الجيش،

---

(١) وردت في الأصل: زفا.
(٢) وردت في ب: على اخته.
(٣) إضافة من ب.
(٤) الخلب: حجاب القلب. وقيل: لحيمة رقيقة تصل بين الأضلاع، وقيل: حجاب ما بين القلب والكبد، وقيل حجاب بين القلب والبطن. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٣٦٤ (خلب).
(٥) السّوم: التكليف والتجشيم. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٣١١، ص ٣١٢ (سوم).
(٦) إضافة من ب.
(٧) إضافة من ب.

فأوجسوا خيفة، وتآمروا على الفتك به غيلة. ومازالوا في التدبير عليه إلى أن دخلوا عليه ذات يوم على رسم السلام، فإذا هو صريع كأس الحمام، لا يدرى كيف قتل، ومن أي وجه إليه قد «١» وصل. فبادروا بالعقد لأحد ولده، وبسطوا أيدي الإصفاق على بيعته.

و علموا أن السلطان يمتعض للحادثة، ويقصد قصد الانتصاف للوارثة «٢»، فتحالفوا على مقارعته إن غزاهم في عقر دارهم، وجزاهم على «٣» مسخوط آثارهم.

و لما انتهى إلى السلطان خبر صنيعهم بولي نعمتهم، وهو قيّم شقيقته وحامي حقيقته، أزعجته قوة الحفاظ للانتقام من أولئك الغدرة الفجرة، والمرقة الفسقة. فجاش لمناهضتهم على حمية مسجورة، وحفيظة على ابتغاء مرضاة «٤» الله مقصورة. وكانت سعادة أيامه قد لقنت أولئك العتاة البغاة ما أتوه استحقاقا للنقمة، وبراءة من العصمة، وتمهيدا لعذره قربا وبعدا في استخلاص مملكة كانت [٢١٧ ب] إلى عزّ إيالته نازعة، ولباب الإقبال برفق سياسته قارعة. وجرّ الجحافل كالجبال سائرة، والبحار زاخرة، حتى أناخ بعقوتهم مستعينا بالله على قتالهم، واستنزالهم إلى مناهل آجالهم.

و شاور صاحب الجيش الخوارزمي عامة قواده في ركضة على طلائع السلطان بياتا تعضّهم بأنياب الحديد، إن لم تسلمهم للتشريد والتبديد، فطار تحت خوافي الليل حتى انقضّ على أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الطائي- وهو طليعة السلطان في كماة العرب- حين أنقض الكرى رؤوسهم، وشغل برد الصباح نفوسهم. واختلط البعض بالبعض ضربا بالسيوف القواصل، وطعنا بالرماح الذوابل. وطار الخبر إلى السلطان بركض القوم، فزحف بجيوشه إلى معترك «٥» الحرب. وثبتت الخوارزمية من لدن طلوع

____
(١) إضافة من ب.
(٢) شقيقته، زوجة الأمير المقتول.
(٣) وردت في الأصل: عن.
(٤) وردت في الأصل: ذات.
(٥) وردت في الأصل: معركة.

الشمس إلى أن حمي وطيس النهار جاهدين في القراع، مجاهدين دون المساكن والرباع، يظنون أن يظفروا وقد غدروا بمن ربّاهم في حجور الإنعام، وأرواهم من ثدي الإكرام، هيهات إن الغدر قلادة منظومة، أحد طرفيها عاجل العار، وثانيها «١» آجل النار. ولم تشرف الشمس على التكبيد حتى أضجعت الخيول [٢١٨ أ] ثم الفيول رجالا حكوا جمالا، قد قصفت أصلابهم، وانتهبت أسلابهم، وفلقت بالسيوف هامهم، وبضعت بها «٢» أجسامهم، وانهزم الباقون في خمر الغياض على شاطىء جيحون، والصوارم من ورائهم تخطب أرواحهم، حتى إذا واقعتها نحلتها «٣» الطلاق صداقا. واستأسر زهاء خمسة آلاف حقن الله دماءهم عبرة للنظّار، وعظة لأمثالهم من الغدرة الفجار. وركب البخاري ظهر الماء موائلا «٤» في الهرب، ومقدرا خلاصه من العطب، ولم يدر أن فعلة السوء تجزيه، وإقدامه على ولي نعمته يرديه «٥»، وأن حافر البئر لأخيه ساقط لا محالة فيه.

و جرت [في الزورق] «٦» بينه وبين بعض أضرابه منافرة حملته على الاستيثاق «٧» منه، وبعث الملّاح على استقبال المعسكر «٨» بوجه الزورق، فلم ينشب إلا يسيرا، حتى حصل في يد السلطان أسيرا. وأحضره السلطان مجلسه في سائر القواد المأسورين، يسأله وإياهم عن استحلالهم دم صاحبهم من غير داعية، واجترائهم عليه من غير وطأة عاتية. فردّ جواب المستبسل المستقتل، وأما الباقون فسقط في أيديهم لا يدرون ماذا يردّون.

و أمر السلطان بضرب الأعواد والجذوع تجاه مقبرة [٢١٨ ب] صاحبهم أبي العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه، وصلبهم أجمعين عليها، مع عدة

____
(١) وردت في ب: ثانية.
(٢) ساقطة في ب.
(٣) نحل: وهب وأعطى. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٦٥٠ (نحل).
(٤) الموئل: الملجأ. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٧١٥ (وأل).
(٥) وردت في الأصل: يريده؟؟؟.
(٦) إضافة من ب.

(٧) أي شد وثاقه.
(٨) أي معسكر السلطان.

ممن «١» اتهمهم بالدين، وعدّهم معد الناكبين عن قصد السبيل. وأمر بالكتابة على جدران تلك المقبرة بأن هذا قبر فلان بن فلان، بغي «٢» عليه حشمه، واجترأ «٣» على دمه خدمه، فقيّض الله «٤» يمين الدولة وأمين الملة أبا القاسم محمود بن ناصر الدين سبكتكين حتى انتصر «٥» له منهم، وصلبهم على الجذوع عبرة للناظرين، وآية للعالمين.

و أمر من بعد بالأسرى فوضعت الأغلال في أعناقهم يقادون إلى غزنة دار الملك فوجا بعد فوج، حتى إذا حصلوا بها وقد امتلأت منهم العيون، وغصّت بهم المحابس والسجون، منّ عليهم بالإفراج، وفرض لهم في جملة «٦» سائر الحشم والأجناد، ووضعهم مواضع أمثالهم من ديار الهند ربايا يحمون أقطارها، وينفضون عن عيون العيث «٧» مناكبها وأطرارها.

و ولّى خوارزم حاجبه الكبير أبا سعيد التونتاش، فأقام بها قامعا نجوم الفساد، وفاقئا عيون الغي والعناد. إلى أن نضب ماؤهم، وأذعن للطاعة أفناؤهم، واستقرت تلك الأسباب، ودرّت الأحلاب، وذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ «٨»، [و الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ «٩»] «١٠».
[٢١٩ أ]

---

(١) وردت في ب: منهم ممن.
(٢) وردت في ب: يعني.
(٣) ساقطة في ب.
(٤) وردت بعدها في ب: له.
(٥) وردت في الأصل: استنصر.
(٦) إضافة من ب.
(٧) العيون: الجواسيس. والعيث: الفساد. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ١٧٠ (عيث)؛ مج ١٣، ص ٣٠١ (عين).
(٨) سورة الأنعام، الآية ٩٦؛ سورة يس، الآية ٣٨؛ سورة فصلت، الآية ١٢.
(٩) سورة الفاتحة، الآية ٢؛ سورة الأنعام، الآية ٤٥؛ سورة يونس، الآية ١٠؛ سورة الصافات، الآية ١٨٢؛ سورة الزمر، الآية ٧٥؛ سورة غافر، الآية ٦٥.
(١٠) ساقطة في ب.

٤٧ ذكر فتح مهرة «1» وقنّوج «2»

ذكر فتح مهرة «١» وقنّوج «٢»

و لما فرغ السلطان يمين الدولة وأمين الملة من مهم «٣» خوارزم وقد انضافت كإحدى أخواتها إلى سائر ممالكه الموشحة بآثار ولايته، الموشعة بأصباغ عدله ورعايته، رأى أن يختم صحيفة العام بطابع الاستتمام، إجماما للركائب والركب، وتقليبا للرأي في الغزو «٤» بين جوانح القلب، فعدل إلى بست كالشمس قد جنحت للشمال، وجاوزت نقطة الاعتدال، فالدنيا بها حواشي المطارف، أو عواشر المصاحف، أو عقود المخانق أو نهود المعصرات العواتق، يدبر أعمالها، ويروّي فيما صار أحمى لها «٥»، إلى أن أذن الله له في معاودة غزنة منشئا «٦» سحاب الفكر في غزوة تحقق إعجاز القرآن، بما تضمّنه من وعد الله المنّان، في إظهار دينه المرموم «٧» بسيد البشر، ومولى البدو والحضر، محمد تاج الأنام، وسراج الظلام، صلى الله عليه وسلم وعلى آله خيرة البررة الكرام، على الدين كله وإن سخطت نفوس، وضرعت خدود، ورغمت معاطس «٨» وأنوف.

و بعد أن كانت الشقة قد بعدت عليه وعلى أعوان دين الله السائرين تحت رايته بنور هدايته، إذ كانت الهند قد تحيفت «٩» من [٢١٩ ب] شواها «١٠» وأطرافها سبيا وانتهابا،

---

(١) أوردها گرديزي: ماتوره. وقال: مدينة عظيمة بها معبد الهنادكة، ويعتقدون أن بها كان مولد نبيهم كشن بن باسديو. زين الأخبار، ص ٢٩٥؛ وذكرها البيروني: ماهوره، وعدها من أماكن الحج عند الهنود. تحقيق ما للهند من مقولة، ص ١٤١، ص ٢٣٦، ص ٤٢٤. وهي إلى الشمال الغربي من مدينة أگرا.
(٢) على نهر الكانج، شمال شرق مدينة كاونبور. إقبال- تاريخ إيران، ص ١٧٨.
(٣) وردت في ب: هم.
(٤) وردت في ب: لرأي الغزو.
(٥) وردت في ب: احمالها.
(٦) وردت في ب: ممنشئا.
(٧) وردت في ب: المرقوم.
(٨) وردت في ب: معاطيس.
(٩) تحيّفت الشى ء وتحوّفته: تنقّصته من حافاته وأطرافه. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٦٠ (حيف).
(١٠) أطرافها، وهي التي إن ضربت لم تصب مقتلا. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٤٤٧، ص ٤٤٨ (شوا).

و ملكت على أربابها سهوبا وشعابا، فلم يبق إلا ما أجنّه «١» ضمير قشمير، ومن دونها فياف تصمّ عن كل عزيف «٢» وصفير، وتضلّ بينها وفود الرياح إلا بخفير.

و اتفق أن حشر إليه من أدنى ديار ما وراء النهر إلى أقصى حدوده زهاء عشرين ألفا من مطوّعة الغزاة، وقد وضعوا سيوفهم على عواتقهم محتسبين للجهاد، منتدبين في ذات الله للاستشهاد. يخطبون الجنان بصداق الأرواح، ويستامون الغفران بحدود الصفاح. فحرّك «٣» السلطان نفيرهم، وذمر «٤» نفوس المسلمين تكبيرهم. واقتضى رأيه أن يزحف بهم «٥» إلى قنّوج وهي التي أعيت الملوك الماضين غير كشتاسب «٦» على ما يزعمه المجوس، وهو كبش أقرانه، وملك الأملاك بزعمهم في زمانه، فثار وبين «٧» غزنة دار الملك وخطة قنّوج مسيرة ثلاثة أشهر سير الركائب القود، والخوانف «٨» السود.

و استخار ربّه وسار، وهجر النوم والقرار، واستصحب من شهد من أنصار دين الله، وأعوان حق الله، رجالا يقتحمون أشداق المنايا، شوقا إلى السعادة بالشهادة، وحرصا على الموعود من الحسنى والزيادة «٩». وعبر مياه سيحون «١٠» وچيلم وچندراهة «١١»

---

(١) ستره. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٩٤ (جنن).
(٢) العزيف: صوت الجن. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٢٤٤ (عزف). وقد وردت في ب: غريف.
(٣) وردت بعدها في ب: من.
(٤) حضّ وشجع. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٣١١ (ذمر).
(٥) اضافة من ب.
(٦) أحد عظماء ملوك الكيانيين في تاريخ إيران القديم. عنه، انظر: جوزجاني- طبقات ناصري، ج ١، ص ١٤٤؛ ميرخوند- روضة الصفا، ج ١، ص ١٣١.
(٧) وردت في ب: فثاروا بين.
(٨) جمع خانف، وهو البعير الذي يميل رأسه إلى الزمام من النشاط. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٩٧ (خنف).
(٩) من قوله تعالى: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَ زِيادَةٌ، سورة يونس، الآية ٢٦.
(١٠) انظر: ص ٢١٠ من هذا الكتاب، هامش (٣).
(١١) وردت في ب: هندراهر.

[٢٢٠ أ] وايرايه «١» وبيت هرز «٢» وشتلدر «٣» سالما في سالمين. وهذه أودية تجلّ أعماقها عن الأوصاف، وتمتنع أطرافها على الأطواف، منها ما يغمر غوارب الفيول، فكيف كواهل الخيول! ويدهده ثقال الصخور، فكيف خفاف المطايا والظهور! صنعا من الله بمن «٤» والاه، وغرّر بروحه في استدامة رضاه.

و لم يطأ مملكة من تلك الممالك إلا أتاه الرسول واضعا له خدّ الطاعة، عارضا في الخدمة كنه «٥» الاستطاعة، إلى أن جاءه چنكي بن سمهي «٦» صاحب درب قشمير عالما بأنه بعث الله «٧» الذي لا يرضيه إلا الإسلام مقبولا، أو الحسام مفلولا. فأظهر العبودية عن حاضر التوفيق، وضمن الإرشاد «٨» باقي الطريق. وجعل يسير أمامه هاديا، ويجزع واديا فواديا، وكلما انتصف الليل آذن بالمسير خفق الطبول، واستوى أولياء الله على ظهور الخيول، يجشمون تعب الركض والسلوك، إلى أن تجنح الشمس من غد للدلوك، حتى استظهر ماء «٩» جون لعشر بقين من رجب سنة تسع وأربعمائة.

و ما زال يفتتح الصياصي والقلاع مبنية على ريود الجبال، وحروف القلال، بحيث تألم متالع «١٠» الأعناق متى شخصت إليه نواظر الأحداق، إلى [٢٢٠ ب] أن شافه

---

(١) وردت في د: برالة.

(٢) وردت في الأصل: تير، وفي ب: بيت، وفي د: تبب. والتصحيح من الترجمة الفارسية، ص ٣٧٨، وشرح اليميني، ج ٢، ص ٢٦٤.

(٣) وردت في الأصل: سلندر، وفي ب: سكندر، وفي د: شنلدر. والتصحيح من الترجمة الفارسية، ص ٣٧٨، وشرح اليميني، ج ٢، ص ٢٦٤.

(٤) وردت في ب: لمن.

(٥) كنه كل شي ء: قدره ونهايته وغايته. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٥٣٦ (كنه).

(٦) ورد في ب: شاهي رسمهي.

(٧) وردت في الأصل: إليه.

(٨) وردت بعدها في الأصل: في.

(٩) إضافة من ب. وجون اسم نهر. گرديزي- زين الأخبار، ص ٢٩٥.

(١٠) التّلع: طول العنق. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٣٦ (تلع).

قلعة برنة «١» من ولاية هردب «٢»، وهو أحد الرايان «٣» أعني الملوك بلغة الهند، فاطلع على الأرض اطلاعة وهي تموج بأنصار حق الله مسوّمة من فوقها الترائك، ومن حولها الملائك، فتزلزلت قدمه، وأشفق من أن يستباح دمه، فرأى أن يتقي بالإسلام «٤» بأس الله وقد شهرت حدوده، ونشرت بعذبات العذاب بنوده. ونزل في نحو عشرة آلاف منادين بدعوة الإسلام، متفادين عن ولاية الأصنام، فحقق الله ميعاده، وأحسن بفضله إسعادهم وإسعاده «٥».

نعم، وامتد الوجيف به بعد إلى قلعة كلچند «٦»، وهو من أعلام الشياطين، وأعيان أولئك الملاعين، يدل على الملوك بعز أقعس، ويرنو إلى القروم بطرف أشوس، قد قضى في الكفر معظم عمره، وغني بهيبة الملك وبسطة الأمر عن تجشيم بيضه وسمره. ولم يقصده أحد إلا ارتدّ عنه مغلولا، وعاد عقده عنه محلولا. عزة «٧» حال، وكثرة مال، وقوة رجال، وعدة أفيال. ووثاقة معاقل وحصون، وملك عن مطامع الأنام «٨» ومطامح الوهن والانثلام [٢٢١ أ] مصون. فلما رأى السلطان قد قصد قصده، وجرّد لمجاهدته جهده، رتب فيوله وخيوله وراء غياض لو رميت بأفراد الإبر، لاتّقتها الأرض بأوراق الشوك والشجر، وأغرى السلطان به بعض طلائع جيوشه، فثاروا «٩» إليهم يخرقون تلك الآجام

---

(١) وردت في ب: بربه. انظر: گرديزي- زين الأخبار، ص ٢٩٥.

(٢) وردت في ب: هردث، وفي زين الأخبار، هردت. ص ٢٩٥.

(٣) وردت في ب: الداتان. ومفردها راي. انظر: هروي- طبقات أكبري، ج ١، ص ٢٤، هامش (٩).

(٤) وردت في ب: بالا.

(٥) وردت في الأصل: اسعاده واسعادهم.

(٦) أمير قلعة مهاون من نواحي أگرا. وورد في زين الأخبار: كلچندر، ص ٢٩٥.

(٧) عزة حال، وما عطف عليها: تمييز لبيان أسباب ارتداد أعدائه عنه.

(٨) وردت في ب: الأيام.
(٩) وردت في ب: فساروا.

خرق الأمشاط منابت الشعور، بل الأشافي «١» مخارز «٢» السيور.

و أعرضت للسلطان طريق من فوق القلعة المذكورة، فلم يرع أهلها إلا البحر الأخضر، والله أكبر، والسيوف لا تبقي ولا تذر. فثبتوا للجلاد مستقتلين، وتواصوا بالمنايا مستبسلين، والسيوف تأخذهم من فوق وقدّام، وتبضّعهم ما بين لحوم وعظام «٣» وحملاتهم بينها تتصل اتصال الكعوب، وضرباتهم تتوالى توالي الغيث المصبوب، غير أن الله منزل الحديد ذي البأس الشديد «٤» هو الذي إذا شاء قطع، وإذا شاء نبا وامتنع.

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها ... وتقطع أحيانا مناط القلائد «٥»

فإن نالت من أولياء الله، فلأجر الاستشهاد، وثواب المعاد، وإن نبت فلإعجاز «٦» القدرة، وإظهار العبرة؛ ليعلم أن الحكم لله في كل مخذول [٢٢١ ب] ومعصوم، ومحروس «٧» ومقصوم.

و ظل المخاذيل يتنامسون بينهم وقد عاينوا سيوفهم نابية، وسيوف أهل الحق عليهم ماضية، وحملاتهم واهية، وحملات أهل الدين أولى وثانية. ما هؤلاء من جنس الأنس ولا من زمر البشر، هيهات إن وقع الحديد ليجزّ في الجبال، ولا حزّ له في هؤلاء الأبطال، حتى إذا مثل لهم شخص الطغيان في صورة الخذلان، تواصوا باقتحام ما وراءهم من زاخرة المياه يظنون أنها تقيهم بأس الانتقام، وتحميهم كأس الحمام، أو لا يرون أن الكفر لا يهدي سبيله، وأن الله يردي بكثير ما يحيي قليله! لا جرم إن صفائح الماء وافقت

(١) جمع إشفى وهو مثقب الإسكافي. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٤٣٨ (شفي).
(٢) وردت في ب: مغارز.
(٣) وردت في الأصل: عضام.
(٤) من قوله تعالى: وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ. سورة الحديد، الآية ٢٥.
(٥) ديوان الفرزدق، ص ١٤٣.
(٦) وردت في ب: فلإظهار.
(٧) وردت في ب: محروز.

صفاح الدهماء، فأوسعوا قتلا وأسارا، وأغرقوا فأدخلوا نارا. ولعل عدد «١» القتلى وعدد «٢» الغرقى يزيد على خمسين ألفا أصبحوا طعما للنسور والضبعان، وأقواتا للتماسيح والحيتان.

و عمد كلچند إلى قتّالته «٣»، فأهلك بها عرسه «٤»، ثم كرّ فألحق بها نفسه. وأغنم الله السلطان مائة وخمسة وثمانين رأسا من الفيلة الضخام، مضافة إلى سائر ما اطرد عليه حكم الاغتنام «٥»، من نعم الله العظام «٦»، وقسمه «٧» [٢٢٢ أ] الراجحة الأقسام.

و لما وضعت تلك الحروب أوزارها، وحلّت له الغنائم أزرارها، عطف عنانه إلى شط البلد الواقع عليه اسم المتعبد وهو مهرة الهند، يطالع أبنيتها التي يزعم أهلها أنها من صنيع الجنان دون الإنسان، إبداع أساس وسقوف، وإعجاز أوساط وحروف، فرأى ما يخالف العادات، ويفتقر رواتها «٨» إلى الشهادات بل المشاهدات. بلدا مبني السور من صمّ الصخور، قد شرع بابان منها إلى الماء المحيط به، موضوعة أبنيتها فوق شواخص التلال، صيانة لها من مضار سيول الماء «٩»، ومغار «١٠» غيوث السماء. وعن جنبتيها ألف قصر شبيهة بسائر «١١» الأبنية في الوثاقة، مشتملة على بيوت أصنام قد هندمت مفاصل أعراقها بمسامير تساوي سطوح البناء، وتواري ما وراءها من الحزوز تحت الخفاء. وفي صدر البلد بيت

(١) إضافة من ب.
(٢) إضافة من ب.
(٣) يقصد خنجره.
(٤) يقصد زوجته.
(٥) وردت في ب: الأغنام.

(٦) وردت في ب: الجسام.
(٧) وردت في ب: قسمته.
(٨) وردت في ب: رواياتها.
(٩) وردت في ب: السيول في الماء.
(١٠) وردت في ب: مقار، وبهامشها: معاد.
(١١) وردت في ب: شبيه لسائر.

أصنام يحكي أخواته أو أحسن، ويجري مجرى أضرابه بل أتقن، لا يهتدي الكتّاب بأقلام الدواة، ولا النقاشون بأطراف الخامات، إلى «١» أمثالها تحسينا وتزويقا، ونقوشا تخطف الأبصار بريقا. [٢٢٢ ب]

و كان فيما كتب السلطان به أنه «٢» لو أراد مريد أن يبني ما يعادل أشباه هذه الأبنية، لعجز عنها بإنفاق مائة ألف ألف درهم، في مدة مائتي سنة، على أيدي عملة كملة، ومهرة سحرة.

و في جملة الأصنام خمسة من الذهب الأحمر مضروبة، على قدر خمسة «٣» أذرع في الهواء منصوبة، قد ألقمت عينا «٤» واحد منها ياقوتتين «٥» لو سيم مثلهما «٦» على السلطان لا بتاعهما «٧» بخمسين ألف دينار استرخاصا، ولم يستثن فيه «٨» دركا ولا خلاصا «٩». وعلى آخر قطعة ياقوت أزرق أروى «١٠» من ريق الماء، وبريق البهاء «١١»، تتزن «١٢» أربعمائة وخمسين مثقالا. وخرج «١٣» من وزن قدمي أحد الأصنام المذكورة أربعة آلاف وأربعمائة مثقال.

---

(١) إضافة من ب.
(٢) ساقطة في ب.
(٣) وردت في الأصل: خمس.
(٤) وردت في الأصل: عين.
(٥) وردت في ب: ياقوتتان.
(٦) وردت في الأصل، وفي ب: مثلها، والتصحيح من د.
(٧) وردت في الأصل: لا بتاعه، وفي ب: لا بتاعها، والتصحيح من د.
(٨) أي في ذلك البيع.
(٩) الخلاص: الرجوع عن المبايعة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٢٧ (خلص).
(١٠) وردت في الأصل: أروق، وفي ب: ريا. والتصحيح من د.
(١١) وردت في الأصل: اليهماء.
(١٢) وردت في الأصل: تثرق.
(١٣) وردت في ب مكررة.

و كانت جملة الذهبيات الموجودة عن أجرام الأشخاص المنصوبة ثمانية «١» وتسعين ألفا وثلاثمائة مثقال. وزادت الفضيات منها على «٢» مائتي «٣» قطعة، لم يمكن «٤» وزنها إلا بعد التفصيل، والعرض على كفف «٥» المعايير. وأمر السلطان من «٦» بعد بسائر بيوت الأصنام «٧»، فضربت بالنفط والضرام، وجعلت سقوفها مواطى ء الأقدام «٨».

و سار من بعد قدما يروم قنّوج، وقد اشتق الفأل [٢٢٣ أ] له من تصحيفه (فتوحا) «٩»، وعدّه صنعا من الله ممنوحا. وخلّف وراءه معظم العسكر تطميعا لراجيبال «١٠» ملكها في الثبات لخفّة الزحام، وتقبيحا له قبل اللقاء صورة الانهزام، إذ كان أمراء الهند على غلب رقابها، وقوة أسبابها وأصحابها، أطواعا لراي قنّوج، اعتزازا بمكانه، واغترارا بفخامة شأنه. ولم يعبر على قلعة من قلاع تلك الرباع إلا وضعها بالأرض، وعرض أهلها على الإسلام أو السيف «١١»، وحاز من السبايا والنهاب، والنعم الرغاب «١٢»، ما يعجز أنامل الحسّاب.

و وصل ثامن شعبان إلى قنّوج، وقد فارقها راجيبال «١٣» حين سمع بإقدامه، فراق من لا يرى الهزيمة عنه عارا، ولا يعتد الفضيحة بها شنارا. وعبر السلطان الماء المسمى

(١) وردت في الأصل، وفي د: ثمانيا، وفي ب: ثمان.
(٢) إضافة من ب.
(٣) وردت في الأصل: ما بين.
(٤) وردت في الأصل، وفي ب: يكن. والتصحيح من د.
(٥) وردت في الأصل، كف. وهي كفة الميزان.
(٦) إضافة من ب.
(٧) وردت في الأصل:ساير الأنام.
(٨) عن المعبد والغنائم، انظر: گرديزي- زين الأخبار، ص ٢٩٥ - ٢٩٦؛ ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٩٩.
(٩) تصحيف (قنّوجا).
(١٠) وردت في الأصل: لراي حيبا؛ وفي زين الأخبار: راچبال، ص ٢٩٧؛ وفي روضة الصفا: راجپال راي قنّوج، ج ٤، ص ٥٩٩.
(١١) وردت في الأصل: والشيف.
(١٢) وردت في الأصل: الراغب.
(١٣) وردت في الأصل: لا جببال.

گنگ «١»، وهو الذي يتواصف الهنود قدره وشرفه، ويرون من عين الخلد في «٢» السماء مفترقه. إن أحرق منهم ميت ذرّوه فيه بعظامه، وظنّوه طهرة لآثامه. وربما أتاه الناسك من بعيد فغرّق نفسه فيه، يرى أن ذلك ينجيه، وهو في العاجل يرديه، وفي الآجل يصليه ويخزيه، ثم لا يميته ولا يحييه.

و تتبع السلطان [٢٢٣ ب] قلاع قنّوج «٣» فإذا هي سبع موضوعة على الماء المذكور، كالبحر «٤» المسجور. وفيها قريب من عشرة آلاف بيت للأصنام «٥»، يزعم المشركون أنها متوارثة منذ مائتي ألف سنة إلى ثلاثمائة ألف سنة، كذبا وزورا، وقولا موزورا، وعدولا عن سنن الهدى وكفورا. وبحسب قدمتها كانت عبادتهم لها، وإجهاشهم بالدعوات إليها. وقد شرّد عنها أكثر أهلها خيفة الأيم واليتم، وحلول النكير بآلهتهم الصمّ البكم، فمن بين ناج أغاثه نجاؤه، وثاو أباده ثواؤه «٦»، ولم ينجه من سيوف الحق أرضه ولا سماؤه، ففتحها كلها في يوم واحد، ثم أباحها لأهل عسكره يتناهبونها طلقا «٧» حلالا، ويتناوبونها وقما «٨» وإذلالا.

و ركض منها إلى قلعة منج المعروفة بقلعة البراهمة «٩»، وهم «١٠» حي «١١» لقاح، وعتاة ما لهم عن الفساد في تلك البلاد براح. فثبتوا للقراع أشباه العفاريت عارجة، والشياطين

(١) هو نهر الگانج المقدس عند الهندوس.
(٢) وردت في الأصل: و.
(٣) وردت في الأصل: القنوج.
(٤) وردت في ب: بالبحر.
(٥) وردت في الأصل: الأصنام.
(٦) وردت في الأصل: قواه.
(٧) حلالا. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٢٣٠ (طلق).
(٨) الوقم: الذل والقهر. ابن منظور- لسان العرب، ج ١٢، ص ٦٤٢ (وقم).
(٩) البراهمة: هم طبقة الكهان في الديانة الهندوسية، والطبقة العليا في المجتمع الهندوسي. انظر: البيروني- تحقيق ما للهند من مقولة، ص ٧٠ - ٧٣.
(١٠) وردت في الأصل: وهي.
(١١) وردت في ب: احيا.

ماردة ومارجة، حتى إذا أعوزهم الثبات، وأعجزهم النجاة. وعلموا أن ليست لهم بالمسلمين طاقة، وأن دماءهم «١» لا شك مهراقة، تهاووا من غرفات الجدران، وشرفات البنيان، على شبا الرماح، وظبي الصفاح، استخفافا [٢٢٤ أ] بالنفوس والأرواح، واستسلاما لأمر الله المتاح. لا جرم أن السيوف أشربت الأرض دماءهم، وأطعمت «٢» النسور أشلاءهم. كذلك المنايا أصهار، من خطب إليها لم تر له ردا، ولم تجد من إنكاحه «٣» بدا.

و أخذ «٤» على تفيئة ذلك نحو قلعة آسي وصاحبها المعروف بچندبال بهور «٥» أحد أنياب الهنود، وأرباب الجنود. ولم يزل ذا منعة بالملك، وسعة في الملك، فعرض له راي قنّوج منازعا، ومادّه الحرب مكاوحا ومقارعا، فلم يزد على أن أتعب أولياءه، ونكل على الخيبة وراءه. وقد أحاط بهذه القلعة غياض متكاثفة كأعراف الجياد، ومتداخلة كأشعار الحداد. لا تستجيب الأفاعي بينها للرقاة، ولا يستنير البدر عندها للسراة. قد أحاطت بها خنادق قعيرات الحفائر، فسيحات الدوائر، إحاطة الثور بالثريّا فماله عنها انفراج، ولا لها دونه انعراج.

فلما شعر المذكور بزحف السلطان إليه في كواكب دولته، ومراكب جملته، فقد قلبه فرط «٦» الحذار، وجسّ نبضه فكان ذنب الفار. ورأى الموت فاغرا فاه، فلم يملك إلا أن يوليه قفاه. فأمر بقلع قلعته من أصولها، وتعويرها على [٢٢٤ ب] من يهمّ آنفا بحلولها.

و قفّى آثاره بعفاريت أنصاره ينهبون ويغنمون، ويقتلون ويأسرون، حتى علم الكافرون أنهم هم «٧» الخاسرون.

---

(١) وردت في الأصل: دهاهم.

(٢) وردت في الأصل: اطمعت.

(٣) وردت في ب: نكاحه.

(٤) أي السلطان.

(٥) وردت في الأصل، وفي ب، وفي شرح اليميني، ج ٢، ص ٢٧٩: جندال بهور. وفي د، والترجمة الفارسية، ص ٣٨٣، وعند ميرخوند- روضة الصفا، ج ٤، ص ٥٩٩: جندبال بهور.

(٦) وردت في ب: فقد.

(٧) ساقطة في ب.

و كان المخذول يرى «١» أن أعوانه من كماة المقانب، وحماة الأشاهب، ورماة الكتائب «٢»، حتى رأى عسكر السلطان بين تلك المشاعب، وآثارهم بالقنا والقواضب، والقسي المواطر كالسحائب، فعلم أن ضرب اللاعب خلاف ضرب الثائر الغالب، وقوس المحلج غير قوس الناشب. ولما فصل السلطان أمر جندبال «٣»، وأذاقه في مهربه الداء العضال، عطف على چند راي- أحد أكابر الهند في قلعة شروة «٤» - وهو يظن «٥» أن القائل يعنيه بقوله:

عطست بأنف شامخ وتناولت ... يداي الثريا قاعدا غير قائم «٦»

قد ذهب بها على «٧» أن يعطي غيره مقاده، أو يألف غير التعزز عادة.

و كانت في غابر الأيام بينه وبين بروچيبال «٨» مناوشات تجاحش عن خيوط الرقاب، فدامت حتى استلحمت رجالا، واصطلمت أبطالا فأبطالا. ثم قام دست الحرب بينهما، فاضطرا إلى التوادع والتكاف، حقنا للدماء وصونا للأطراف.

و خطب بروچيبال إليه ابنته على [٢٢٥ أ] ابنه بهيمال «٩» استدامة للألفة، وإماطة للفرقة، واستدفاعا للفساد، واستبقاء للسيوف في الأغماد. وسرّح ابنه إليه على تنجّزه عقد

---

(١) وردت في الأصل: يذكر.

(٢) ورد بعدها في ب: يذبون عنه ذب الأسود عن أشبالها ويحامون عليه محاماة الربية على أطفالها.

(٣) وردت في الأصل: جندال.

(٤) وردت في ب: شرده.

(٥) وردت بعدها في ب: بنفسه.

(٦) هذا البيت لإسحاق بن إبراهيم الموصلي في مدح خزيمة بن خازم القائد العباسي. الأصفهاني- الأغاني، ج ٥، ص ١٧٩.

(٧) وردت في ب: عن.
(٨) عند البيروني- تحقيق ما للهند من مقولة، ص ٣١٩؛ گرديزي- زين الأخبار، ص ٢٩٧: (تروچنبال).
(٩) عند البيروني- تحقيق ما للهند من مقولة، ص ٣١٩: (بهيمبال).

الوصلة، وشرط الاتشاج في اللحمة، والاشتراك في البيت والنعمة. فلما حصل الختن «١» في يده، جعله تحت قدّه وقيده، وطالبه بعوض ما ذهب له على يد والده. فعجز بروچيبال عن قصد قلعته، واقتياض بيضته، واستخلاص ابنه من أسار محنته. غير أن المنازعة لم تنفك بينهما قائمة إلى أن طلعت رايات السلطان على تلك الحدود، وأسفر «٢» صنع الله له في المقصود [بعد المقصود] «٣» فأما بروچيبال فلحق ببهوجذيو «٤» - أحد المتعززين بحصانة المعاقل، وحزونة المداخل، وخشونة المواقل «٥» - خلاصا لمهجته «٦»، واعتياصا بزعمه على من «٧» همّ باقتصاص أثره. وأما چند راي فإنه استعد للمدافعة، واحتشد للممانعة، اعتزازا بوثاقة قلعته، ولو ثبت لا قتلعته، وإدلالا بمنعته، ولو وقف لا ختلعته.

فراسله «٨» بهيمال بأن محمودا ليس من جنس أكابر الهنود «٩»، وأمراء رجالهم السود. إن السلامة من مثله تغتنم، والجيش باسم أبيه يستهزم «١٠». وقد رأينا من كان أقوى منك حكمة، [٢٢٥ ب] وأعلى أكمة، لم يقم لضربة من ضربات حدوده، ولم يف بهضبة من هضبات جنوده. فإن أردت الافتضاح فشأنك، أو الخلاص فغمّض ما استطعت مكانك.

فعلم أن الرجل قد نصحه، وأنه إن خالف الحق فضحه، فسرّب أثقاله وأفياله، وخزائنه وأمواله، نحو جبال تناغي كواكب الجوزاء، وآجام تواري خد الأرض عن «١١» عين

(١) الختن: الصهر. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ١٣٨ (ختن).
(٢) وردت في ب: سفر.
(٣) إضافة من ب.
(٤) وردت في ب: ببهوخذيو.
(٥) وردت في الأصل: المعاقل. والمواقل: مصاعد الجبال. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٧٣٣ (وقل).
(٦) وردت في ب: بمهجته.
(٧) إضافة من ب.
(٨) وردت في ب: فماسله.
(٩) وردت في ب: اليهود.
(١٠) وردت في ب: يهتزم.
(١١) وردت في الأصل: من.

السماء. وورّى بوجه مقصده فلم يدر أين سار، وإلى «١» أي الأقطار طار. أمتطى الليل أم اقتعد النهار؟!

و كان غرض النصيح «٢» المظلوم «٣» في تهريبه وتغريبه إشفاقه من حبالة الاقتناص، فيسام من كلمة الإسلام «٤» ما سيم أعمامه وأقاربه من «٥» قبل حين اضطروا إلى الاستئمان والاستسلام. فلما أحاط السلطان بتلك القلعة وافتتحها، على حصانة قواعدها، ومناعة مراقيها ومصاعدها، وتوسع منها في ثراء «٦» كثير، ومال على اختلاف أصنافه خطير، لم يهنه الموجود، وقد فاته الكافر المقصود، وضاقت به الأرض دون طلبه، وانتزاعه من يد مهربه، فاقتصّ أثره ركضا نحو خمسة عشر فرسخا بين منابت أشجار تصك «٧» الوجوه فتدميها، ومساقط [٢٢٦ أ] أحجار تصدم الحوافر فتحفيها. ولحق القوم ليلة الأحد لخمس بقين من شعبان وقت العتمة، وهم يطوون «٨» مجاهل الأرض هبوطا وصعودا ولا طيّ التجار بحضرموت برودا.

و أهاب «٩» إلى أولياء الإسلام، وأبناء الصلاة والصيام، باقتصاصهم، وادّراع لباس الظلام في اقتناصهم، ثقة بالله الناصر لدينه، القاضي على الكفر بتوهينه، فكم من قتيل هنالك قبل أن يمسّه حر الحديد. وأسير تقيد قبل يد التقييد! فأما الأموال فباتت حجبا دون

(١) وردت في الأصل، وفي د: ومن، وفي ب: وفي. والأرجح ما أثبتناه.
(٢) أي الناصح. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٦١٥ (نصح).

(٣) وردت في الأصل: المطلوب.
(٤) أي الشهادتين.
(٥) إضافة من ب.
(٦) وردت في ب: علف.
(٧) وردت في الأصل: تفك.
(٨) وردت في الأصل: يطؤن، وفي ب: يطئوون. والتصحيح من د.
(٩) السلطان.

الأرواح، وسترا دون حد السلاح، وحرّ الجراح، فلا يعبأ بها. أو تشفى النفوس من عندة «١» الكفار، وعبدة الشمس والنار. و ظل الأولياء يتتبعون «٢» طرائح المخاذيل ثلاثة أيام تباعا، تنفلا «٣» واغتناما حلالا بعد أن جمعها الكفار حراما. وأما الفيلة فمن بين مقهور ومردود، ومتطوع بالعود إلى السلطان محمود، لطفا من الله تعالى يتيح «٤» له غنائم الأموال، حتى يسوق إليه بهائم الأفيال. لا جرم أنها سميت (خداي آورد) شكرا لله على إلهام ما لا يمسك إلا بالمقامع «٥»، ولا يملك في المراتع إلّا بالحيل [٢٢٦ ب] الخوادع، أن يأتي طوعا «٦» فيهجر الأصنام، ويخدم الدين والإسلام. ولقد أحسن من قال:

قل للأمير عبدت حتى ... قد أتاك الفيل «٧» عبدا
سبحان من جمع «٨» المحا ... سن عنده قربا وبعدا
لو مسّ أعطاف النجو ... م جرين في التربيع سعدا
أو سار في أفق السما ... ء لأنبتت زهرا ووردا «٩»

---

(١) وردت في الأصل: غزوة.
(٢) وردت في الأصل: يتبعون.
(٣) من النّفل: الغنيمة والهبة.
(٤) وردت في ب: ينتج.
(٥) جمع مقمعة وهي آلة من الحديد يضرب بها رأس الفيل. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٢٩٦ (قمع).
(٦) قال گرديزي: كان لجند راي فيل مشهور، سمع به السلطان محمود فصمم على شرائه بأي ثمن. وكان من المصادفات الحسنة أن هرب الفيل وقدم إلى خيمة السلطان بدون فيّال. فلما رآه السلطان شكر الله تعالى، وأطلق عليه (خدا داد) أي عطية الله. زين الأخبار، ص ٢٩٦.
(٧) وردت في الأصل: الصد.
(٨) وردت في الأصل: جعل.
(٩) هذه الأبيات لأبي الحسن الجوهري، وهو من شعراء حضرة الصاحب بن عباد، يصف الفيل الذي غنم من جيش السامانيين. انظر: ص ٥٨ من هذا الكتاب، هامش (١٠).

٤٨ ذكر المسجد الجامع بغزنة

و بلغ ما ردّ من خزائن السارب «١» الهارب ذهبا وفضة، ويواقيت محمرة، وفرائد مبيضة قرابة ثلاثة آلاف ألف درهم. فأما السبي فالشاهد على كثرة عدده، ووفور مدده وقوع «٢» الاستيام على الواحد منهم ما بين درهمين إلى عشرة دراهم. ذلك فضل الله ذخره لأيام السلطان يمين الدولة وأمين الملة، وهو الملي ء له بتمام الثواب، يوم قيام الحساب، فالحمد لله خير معبود ومحمود، وله الشكر على ما أقرّ به عين محمد صلى الله عليه وسلم بمحمود.

ذكر المسجد الجامع بغزنة

و لما عاد السلطان يمين الدولة وأمين الملة على هيئة النصر «٣» الموكل بقمع الكافر المفتري، المكلّل بسعدي السماء الزهرة والمشتري، إلى دار الملك بغزنة وقد كاد أن يغيض سيحها على عدد الأرقاء من العبيد [٢٢٧ أ] والإماء، حتى استفرغت عليها أكياس التجار، الضاربين إليها «٤» عن نوازح الديار، ونوازع الأمصار، فحصّ «٥» ما وراء النهر إلى مرابع العراق، ومبادئ الإشراق. منها ما خلط بيضهم بالسود، وعدل في التمليك بين المسوّد والمسود، أحب «٦» أن ينفق ما أفاء الله عليه من «٧» أنفال أولئك الغلف الأغفال، في عمل برّ يشيع جدواه «٨»، ويريع إلى أمر «٩» الاحتساب معناه.

و كان قد أوعز باختطاط صعيد من ساحة غزنة للمسجد الجامع، إذ كان ما اختط

(١) المتواري. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٤٦٢ (سرب).
(٢) وردت في ب: ووقوع.
(٣) وردت في ب: النصرة.
(٤) يقصد: إلى غزنة.
(٥) أي جعله ذا حصة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ١٤ (حصص).
(٦) جواب (و لما عاد ...).
(٧) وردت في الأصل: ما.
(٨) وردت في الأصل: جداواه.
(٩) وردت في الأصل: الأمر.

قديما على قدر أهلها، حيث عدّت من زمعات «١» البلاد شحوط دار «٢»، وشطون مزار «٣».

فوافق عوده من مضربه حصول المراد من تقطيعه وتوسيعه، وإقامة الجدران على ترابيعه، فصبّ بدر المال على الصنّاع، كما صبّ دماء «٤» الأبطال يوم القراع. ونصب لمشارفتهم أحد الزعماء بحضرته، فهو يطوف عليهم مطالبا بصدق العمل، ومعاتبا على رمز الخلل.

حتى إذا توسّدت الشمس قلة الجبل، أقام ألسن الموازين ناطقة بالإنصاف، وازنة بالجزاف، فيمسون «٥» بين أجرين «٦»: عاجل على السلطان منقود، وآجل على الرحمن موعود.

و نقل إليه من أقطار الهند والسند [٢٢٧ ب] جذوع توافقت قدودا ورصانة، وتناسبت تدويرا «٧» وثخانة. كأنها استودعت أرحام الأرض لأمر معلوم، وفجعت بأعمارها ليوم محتوم «٨»، فجاءت ولا الحق كمالا، والعدل استقامة واعتدالا. تثني عليها الملاسة والسداد، وكأن بها صمما فهي لا تصغي ولا «٩» تكاد.

و قد فرشت ساحته «١٠» بالمرمر منقولا من كل فج عميق، ومضرب سحيق، على تقطيع التربيع أشد ملاسة من راحة الفتاة، وصفحة المرآة. وعقدت عند منتهى الأبصار،

(١) وردت في الأصل: زعمات. وزمعات جمع زمعة وهي المكان الضيق. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ١٤٤ (زمع).
(٢) شحطت الدار شحوطا: بعدت. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٣٢٧ (شحط).
(٣) شطنت الدار شطونا: بعدت. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٢٣٨ (شطن).
(٤) وردت في الأصل: دهاء.
(٥) الصنّاع.
(٦) وردت في ب: الاجرين.
(٧) وردت في الأصل: تدبيرا.
(٨) وردت في ب: مختوم.
(٩) إضافة من ب.
(١٠) وردت في ب: ساحتها.

طاقات كما تقطع الدوائر على نقط المراكز، فلو عاش سنّمار «١» لعدّ في جنبها «٢» معد الواهن العاجز. فأما الأصباغ، فطالع روضة الربيع ضاحكة الثغور، باكية الجفون، تستوقف الأبصار، وتقيّد النظار. وأما التذهيب، فحسبك منه «٣» أن صنّاع الرصافة قد عزّت عليهم الحقاق «٤»، وصحّ لهم تكليف ما لا يطاق، وليس بصفائح الزرياب «٥» فقط، لكنه ضبّات «٦» الذهب الأحمر، أفرغت عن صور الأصنام المجذوذة، والبددة «٧» المأخوذة، فطفقت تعرض على النار، بعد أن كانت آلهة للكفار «٨». وتضرب بالمطارق «٩»، بعد أن عبدت بالخدود والعنافق «١٠». أو ليس الذي [٢٢٨ أ] ينفق على جدران مساجد الله عبرة «١١» للموحدين، وغيظا على الملحدين، أتم سماحة وأكرم راحة ممن يفرغه معبودا وينصبه للنفع والضرّ مقصودا؟! نعوذ بالله من رب شواره «١٢» عار، وهو محتاج إلى شعار «١٣».

و جزى الله عن الإسلام ملكا هذه أفعاله وأعماله، وامتحان الروح في امتهان الممنوح «١٤»

____

(١) رجل رومي بنى قصر الخورنق في الحيرة للنعمان بن امرئ القيس، ويضرب به المثل في إتقان صنعة البناء. انظر: الميداني- مجمع الأمثال، ج ١، ص ٢١٢.

(٢) وردت في ب: جنسها.

(٣) وردت في ب: به. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٣١٢ (حسب).

(٤) يقصد: عزّ الذهب في الرصافة لكثرة ما استخدم منه في تزيين المسجد.

(٥) وردت في ب: الزريات، والزرياب: ماء الذهب بالفارسية. أدي شير- معجم الألفاظ، ص ٧٧.

(٦) وردت في الأصل: ضباب.

(٧) جمع بد وهو الصنم.

(٨) وردت في ب: الكفار.

(٩) وردت في الأصل: المطارق.

(١٠) جمع عنفقة وهي شعر ما تحت الشفة السفلى. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٢٧٧ (عنفق). والمقصود في هذا التعبير تمريغ الخدود وتقبيل الأرض.

(١١) وردت في ب: عزة.

(١٢) الشوار (بكسر الشين وضمها): فرج المرأة والرجل. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٤٣٦ (شور).

(١٣) ملابس. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٤١٢ (شعر).

(١٤) وردت في ب: وامتهان الروح والممنوح.

في سبيل الله دأبه وآدابه.

نعم، وقد أفرد السلطان لخاصته بيتا [في المسجد مشرفا عليه، مكعّب البناء، موسّع الفناء، متناسب الزوايا والأرجاء. فرشه] «١» وإزاره من الرخام، كدّت عليه الظهور، حتى نقل من أرض نيسابور. وقد أحيط بكل رخامة مربعة محراب من الذهب الأحمر مكحلا باللازورد، في تعاريج من ألوان المنثور والورد، من يرها «٢» بعينه يقل بلسانه لاستحسانه: لا زال هذا الأستاذ ممتعا ببنانه «٣».

ألا من رأى مسجد دمشق، فراعه مرآه، وشاقه النظر حتى ثناه، وقضى بأن ليس يوجد شرواه، دونك هذا البيت يلزمك المثنوية «٤»، وتتعكس عليك القضية، وينبئك أن الحسن بعض صفاته، والإبداع أحد سماته، وأنفال الهند من خدم نقوشه، والهمة العلياء قد طمحت «٥» بعروشه «٦».

نعم، وأمام هذا البيت مقصورة بتعاريج عليها منصوبة تسع ثلاثة آلاف غلام، متى شهدوا للفرض أخذوا أماكنهم [٢٢٨ ب] منها صفوفا، وأقبلوا على انتظار الأذان عكوفا.

و أضيف إلى المسجد مدرسة فيحاء تشتمل بيوتها «٧» من بساط الأرض إلى مناط السقوف على تصانيف الأئمة الماضين، من علوم الأولين والآخرين، منقولة من خزائن الملوك الصيد، نقروا «٨» عن ديار العراق، ورباع الآفاق، حتى اقتنوها بخطوط كفرائد سموط، مصححة بشهادات التقييد، وعلامات التخفيف والتشديد. ينتابها فقهاء دار الملك

____

(١) إضافة من ب.

(٢) وردت في ب: يراها.
(٣) وردت في الأصل: ببنائه.
(٤) لعله قصد أن هذا المسجد أصبح- لعظمته- ثانيا لمسجد دمشق.
(٥) ورد بهامشها في الأصل: سمقت.
(٦) وردت في ب: لعروشه.
(٧) وردت في الأصل: بيوتا.
(٨) التنقير عن الأمر: البحث عن الأمر. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٢٣٠ (نقر).

٤٩ ذكر الأفغانية

و علماؤها للتدريس والنظر في علوم الدين، على كفاية ذوي الحاجة منهم. ما يهمّهم جراية وافرة، ومعيشة حاضرة. وقد اقتطع من دار الإمارة إلى البيت الموصوف طريق يفضي إليه في أمن «١» من ابتذال العيون اللوامح، واعتراض الرجال من بين صالح وطالح، فيركب إليه «٢» على وفور سكينة، وشمول طمأنينة، حتى يقضي المكتوبة، ويقتضي الأجر والمثوبة.
و أما سائر دور الحجّاب وقصور القواد، فما يثق «٣» بحقائق الإنفاق عليها إلا من أتاها اعتبارا، وشاهدها اختبارا، فيرى مل ء الأباطح أبنية تشرف [٢٢٩ أ] على الهضاب «٤» شرفاتها، وتكاد تغترف من نهر المجرّة غرفاتها. وناهيك من بلد يحتوي على مرابط ألف فيل يشغل كل منها- بساسته ومائرته «٥» - دارا كبيرة، وخطة وسيعة. إن الله تعالى إذا أراد، عمّر البلاد، وكثّر العباد، وهو على ما يشاء قدير.
ذكر الأفغانية
و لما قضى السلطان وغرة القيظ «٦» بغزنة، وأقبل الخريف بسفيفه «٧»، وسمح الوقت بحاضر ريفه، وقد كان طوائف من الأفغانية المستوطنين قلل تلك الجبال الشوامخ، والرعان البواذخ، تعرضوا فعل القطّاع لذنابى عسكره منصرفه من غزوة قنّوج، اغترارا بمناعة أماكنهم، وحصانة مساكنهم، أو تظنيا بخفاء «٨» أفعالهم، والتباسها بمناكير أمثالهم،

---

(١) وردت في الأصل: أحر.
(٢) وردت في الأصل: عليه.
(٣) وردت في الأصل: يتفق.
(٤) وردت في ب: الهضبات.
(٥) وردت في الأصل: مارته، وفي ب، ود: مآيرته. مائرة: جمع مائر وهو من ينقل الميرة.
(٦) وغرة القيظ: شدة الحر. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٢٨٦ (وغر).
(٧) وردت في ب: بشفيفه. والسفيف: الريح. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ١٥٤ (سفف).
(٨) وردت في ب: لخفاء.

رأى «١» أن ينتقم منهم بركضة تبيح عليهم أوكارهم وملاجئهم، وتخضب بدماء النحور جآجئهم «٢». فعزم على ما دبّر، وصمّم على ما قدّر، وورّى بنهضته إلى «٣» إحدى أقطار بيضته. ثم ركض عليهم في خاصته ركضا صبحهم في مراقدهم، فلم يشعروا إلا بحرّ الصفاح على برد الصباح، ضربا «٤» يقطف الرؤوس عن [٢٢٩ ب] النحور، ويفرغ البحور على الجحور «٥»، كما قال أبو تمام الطائي «٦»:
صرعى إلى صرعى كأن جلودهم ... طليت بها الشّيّان والعلّام «٧»
فيا لها نبهة أتمّت عليهم الرقود، وآلت حلفة أن لا تعود، أو «٨» تشهد اليوم الموعود. فكم من جثث «٩» فوق الأعلام، ورؤوس تحت الأقدام، حتى إذا استلحمت السيوف أجسامهم، ولم تستبق إلا أياماهم وأيتامهم، كفّ كفّ الاقتدار، وعلا ذروة العزّ بالانحدار. وعادت تلك الوعور سهولا، وكان أمر الله مفعولا «١٠».

و عطف إلى غزنة مميلا الرأي بين أن يشتو ببلخ مستجما، ولغابر السنة بالقرار «١١» مستتما، وبين أن يركب نية يمينية «١٢» في غزوة تقشع باقي ضبابات الكنود، عن ديار

---

(١) جواب (لما قضى السلطان ...).
(٢) جمع جؤجؤ وهو الصدر. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٤٢ (جأجأ).
(٣) وردت في ب: نحو.
(٤) وردت في ب: ضربات.
(٥) جمع حجر وهو الحضن. ويقصد أنه أفرغ بحورا من الدم في الحجور.
(٦) ساقطة في ب.
(٧) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، مج ٣، ص ١٥٧ (مع اختلاف في بعض المفردات).
(٨) وردت في ب: و.
(٩) وردت في ب: خبث.
(١٠) وردت في الأصل: المفعولا.
(١١) وردت في ب: في القرار.
(١٢) نسبة إلى لقبه (يمين الدولة). وقد وردت في ب: يمنية.

الهنود، مجهزا على من «١» كان يضرب بذنبه في مهربه كالوزغة المثخنة «٢» لا تلبث أن تموت، فأبت عليه حمية الإسلام أن يسيغ على القعود جريضه «٣»، أو يستبقي في محابس الأغماد بيضه. وثنى عنانه نحو الهند في رجال يرون منتهى الشهوات صهوات الخيول، وقصوى اللذات ملاقاة الفحول، ويجتزئون «٤» بالظهور أسرّة مرفوعة، [٢٣٠ أ] وبالأكوار وسائد موضوعة، وبالسموم رياحين مقطوفة، وبالآجن الطّرق «٥» صهباء موصوفة «٦»، وبالعرق السائل ماء ورد، وبالقسطل الثائر مثار عنبر وفتات ندّ، وبالليل سكنا وقرارا، وبالنجوم ندامى وسمّارا. فمن يمنه نسب فإن آباءهم المشرفيات بواتك، وأمهاتهم «٧» الزاعبيات «٨» فواتك، وأعمامهم القسي جوازع، وأخوالهم النبال قوازع. ومازال يخوض أنهارا «٩» هائجة، [و بحورا مائجة] «١٠»، وأودية هادية «١١»، لم تضمن قط عن غرقاها دية. وعين الله ترعاه، في كل سعي يسعاه، حتى اقتحم مغارات أولئك المغاوير، بل ديارات أولئك المدابير، فظلت رذايا «١٢» الفلّ يضجّون بالويل والثبور، ضجيج النوق رواجع «١٣» بيت الله

---

(١) وردت في الأصل: ما.
(٢) وردت في ب: المشتحتة.
(٣) غصة الموت. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ١٣٠ (جرض).
(٤) يكتفون. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٤٦ (جزأ).
(٥) الآجن: الماء المتغير الطعم واللون. ابن منظور- لسان العرب، ج ١٣، ص ٨ (أجن). والطّرق: الماء المجتمع الذي بالت فيه الإبل وبعرت. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٢١٦ (طرق).
(٦) وردت في الأصل: مصروفة.
(٧) ساقطة في ب.
(٨) رماح جيدة منسوبة إلى (زاعب)، رجل أو بلد. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٤٤٩ (زعب).
(٩) وردت بعدها في ب: هائلة.
(١٠) ساقطة في ب.
(١١) هادئة. تركناها لا نسجامها مع السجع.
(١٢) جمع رذيّة وهي الناقة المهزولة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٣٢٠ (رذي).
(١٣) وردت بعدها في ب: من.

و مازال السلطان يصفح عمن «١» آمن وأطاع، ويفضح من أظهر الامتناع، بعد أن أصاب غنائم لا يضبطها حساب، ولا يطعمها

ماء ولا تراب، حتى انتهى به المسير إلى ماء يعرف ب (راهب) غائر المخاض، حمى ء «٢» القرارة كالخضخاض «٣»، يبلتع الخف والحافر، ويقتلع الدارع «٤» كما يقتلع الحاسر «٥»، فإذا ببروچيبال من تلك الجيزة في رجال [٢٣٠ ب] كالصريم «٦»، وأفيال تحت الأديم «٧»، و«٨» قد أخذ من فاجى ء الركضة حذره، وأسند إلى زاخر النهر ظهره. ورام أن يمنع السلطان عبوره، ويشغل عن اقتحام الغمر جمهوره، حتى إذا اكتحل الليل بقاره «٩»، مرّ في ذمّة أستاره «١٠»، مرور مروان على حماره «١١». فلما علم السلطان ذلك من قصده، ورأى استعداده واحتشاده لصدّه، أمر بالأطواف فهيئت «١٢» للعبور، وأهاب بعدّة «١٣» من غلمانه للركوب، فامتثل الأمر ثمانية منهم يبتدرون العدوة القصوى، ويلتزمون كلمة التقوى، فلما رأى بروچيبال استقلال الماء بهم، رماهم بخمسة

(١) وردت في ب: يمسح من.

(٢) الحمأ: الطين الأسود المنتن. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٦١ (حمأ).

(٣) ضرب من القطران. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ١٤٤ (خضض).

(٤) وردت في الأصل: الذارع.

(٥) وردت في الأصل: الخاسر.

(٦) الليل المظلم. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٣٣٦ (صرم).

(٧) كناية عن كثرتها.

(٨) ساقطة في ب.

(٩) القار: الزفت الأسود، ويقصد شدة سواد الليل. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ١٢٤ (قير).

(١٠) وردت في ب: استتاره.

(١١) يقصد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية. سمي بالحمار لشدة صبره. وقصد في هذا التعبير شدة صبر بروچيبال.

(١٢) وردت في ب: فهيئته.

(١٣) وردت في النسخ: إلى عدة، والأصح ما أثبتناه. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٧٩٠ (هيب).

من فيلته المجففة «١»، وفوج من رجاله المصففة، فأراد الله تعالى «٢» أن يحقق قول نبيه الأمي الأمين، ورسوله المؤيد بالتمكين حيث قال صلى الله عليه وسلم: «زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها» «٣». فألهم تلك العدة أن استوقفوها على أماكنها خرزا لأطراف هاتيك الأخفاف بالنبال «٤»، وغرزا لها بعد في وجنات أولئك الضلّال، معجزة لم يسمع بمثلها قبلها «٥». ثمانية تجزع سيلا، وتدفع فيلة وخيلا.

و بدر من [٢٣١ أ] لفظ السلطان، عند عيان ذلك البرهان، أن قال: من قدر على السباحة فليتعب «٦» اليوم للراحة، فإذا «٧» بخاصته ومعظم عامته خائضين، ولصعب الماء رائضين، فتارة يسبحون بالأطواف، وأخرى يستريحون إلى الأعراف «٨»، حتى لفظهم النهر سالمين، لم تشجب لهم جنيبة، ولم تعطب لهم «٩» حريبة، ولم تذهب- بحمد الله- سبيبة.

و حمل السلطان بهم وقد نزوا إلى الظهور، حملة توزعتهم بين عقير سكران من عقار الحدود، وأسير حيران من أسر القدود، وطريد يخاف وقع القواضب، وقتيل بمرأى النجوم الثواقب، وصار ما حصل في الوقعة من عدد الفيلة مائتين وسبعين «١٠»، ثقال الأجسام كثقال الغمام. وطار الكافر هزيما، لا يملك عزيما، ولا يقدر تأخيرا وتقديما.

(١) أي المدرعة بالتجافيف.

(٢) إضافة من ب.

(٣) مسلم- الصحيح بشرح النووي، ج ٨، ص ٨٢.

(٤) يقصد: ألهم الله أولئك الثمانية فاستوقفوا الأطواف، وصاروا يرمون خفاف الفيلة بالنبال.

(٥) وردت في الأصل: قللها.

(٦) وردت في الأصل: فليلعب.

(٧) ورد بعدها في الأصل: هو.

(٨) أعراف الخيل.
(٩) إضافة من ب.
(١٠) وردت في ب: مايتان وسبعون.

٥٠ ذكر الأستاذ «5» أبي بكر محمد بن إسحاق بن محمشاذ، والقاضي أبي العلاء صاعد بن محمد وما انتهى إليه أمرهما «6» بنيسابور

و قد كان السلطان قبل أن لقي الكافر، ولبس جيوشه الدروع والمغافر، أخذ فألا من كتاب الله تعالى يهديه عاقبة ما ينويه، فخرج له قوله تعالى: عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ [٢٣١ ب] فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ «١». فلما «٢» حقق الله وعده، ونصره «٣» بفضله وحده، ضمن على نفسه أن يفي بواجب عمله عدلا يرفّه الأنام، وغزوا يؤيد «٤» الإسلام، وشكرا يقيد الأنعام. لا جرم أن الله حافظه وحاميه، ومصيب به أغراض آماله وأمانيه، والذي يدّخره له من ثواب المعاد أربح مقادير، وأرجح مكاييل ومعايير.
ذكر الأستاذ «٥» أبي بكر محمد بن إسحاق بن محمشاذ، والقاضي أبي العلاء صاعد بن محمد وما انتهى إليه أمرهما «٦» بنيسابور
قد كان أبو بكر مرموقا بعين النباهة في صدر هذه الدولة، لمكانة أبيه من الزهادة «٧»، وضمه الأطراف على العبادة، واقتفائه نهج أبيه فيما كان ينتحله وينتحيه. وكان الأمير ناصر الدين سبكتكين يرى من عصابته «٨» في التزهد والتعفف، والترهب والتقشف ما قلّ وجود مثله في كثير من فقهاء الدين، وأعيان المتعبدين، فحلي «٩» ذلك في قلبه كما حلى بعينه، والمجاهد في الله محبوب، وقد يكرم أهل الشفاعات من له ذنوب. واستمر السلطان بعده على وتيرته في ملاحظتهم [٢٣٢ أ] بعين الاحترام، وإيثار طوائف الكرّامية

____
(١) سورة الأعراف، الآية ١٢٩.
(٢) وردت في الأصل: فا.
(٣) وردت في ب: نصر.
(٤) وردت في الأصل: يه يد.
(٥) ساقطة في ب.
(٦) وردت في ب: أمورهما.
(٧) وردت في الأصل: الزهاد.
(٨) شدته.
(٩) وردت في الأصل: محدد.

بالإكرام، حتى قال أبو الفتح البستي «١» فيما شاهده من نفاق أسواقهم:
الفقه فقه أبي حنيفة وحده ... والدين دين محمد بن كرام
إن الذين أراهم لم يؤمنوا ... بمحمد بن كرام غير كرام
و انضاف إلى هذه الوسيلة القوية، والذريعة الإلهية، أنه لما تورّد جيوش الخانيّة خراسان، عند غزو «٢» السلطان ناحية الملتان، قبضوا بنيسابور على أبي بكر احتياطا لأنفسهم من شيعته، واحتراسا من غامض مكيدته، ونقلوه في جملتهم حين طلعت رايات السلطان من مغاربها، وأومضت «٣» سيوف الحق عن مضاربها، إلى أن وجد فيهم فرصة الإفلات، والسلامة على مسّ تلك الآفات، فاعتدّ السلطان ذلك له في سائر مواتّه، وأوجب له حقا «٤» يلحظه بعين مراعاته.
و نبغت «٥» من أرباب البدع الباطنية- على ما تنامست «٦» به البلاغات، والله أعلم بما تجنه الضمائر والنيّات- فئام «٧» وافقت تصلبا من السلطان في استئصالهم، وتعصبا لدين الله تعالى في احتناك أمثالهم، فحشروا [٢٣٢ ب] من أطراف البلاد، وصلبوا عبرة للعباد.

و كان أبو بكر أحد أعوان السلطان على رأيه حشرا إليه، وتصويبا للرأي عليه، فصار البرىء كالسقيم مذعورا، وعاد الملأ في عارض الخطب شورى. ورأى الناس أن ريقته السم القاتل، ومدته «٨» السيف القاصل، فبخعوا له بالطاعة، وفرشوا له خدود الضراعة.

(١) إضافة من ب.
(٢) وردت في ب: غزوة.
(٣) أي لمعت. وقد وردت في الأصل: امضت.
(٤) وردت في الأصل: حظا.
(٥) نبغ: ظهر بعد خفاء وكتمان. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٤٥٣ (نبغ).
(٦) نمست الرجل: ساررته. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٢٢٤ (نمس).
(٧) الجماعة من الناس. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٤٤٧ (فأم).
(٨) من المداد، ويقصد أن كلمة واحدة من قلمه تجلب الموت.

و انعقدت له الرئاسة في لبسة الصوف «١». ولحظته الخاصة والعامة بعين المرجو والمخوف، ووجدت خاصته سوقا للأطماع بعلة الابتداع، فاستزبنوا «٢» الناس، واستفتحوا الأكياس، فمن ألظّ «٣» منهم بمكّاس رمي بفساد معتقده، أو يعطي الجزية عن يده.

و غبرت على هذه الجملة سنون، لا مطمع لأحد في تبديل شكلها، وتحويل فادح الحال عن أهلها، ولا علم بأن الزمان بتغيير الأحوال ضمين، وبالخلاف على صورة المعتاد رهين، ومن صبر على الأيام رأى الرفيع وضيعا، والضليع ضريعا، وشاهد عن سموم القيظ صرّا كالحا وصقيعا.

و اتفق للقاضي أبي العلاء صاعد بن محمد أن حجّ بيت الله الحرام سنة اثنتين وأربعمائة، [٢٣٣ أ] وهو الإمام المرموق، والزاهد الموموق «٤»، والفاضل الجزل، والبازل «٥» الفحل. قضى أكثر العمر «٦» على الحظ النفيس، من ثمر «٧» الدرس والتدريس، تتطفل عليه الأعمال فيأباها، وتصبّ «٨» إليه الأعراض «٩» فيرى الخيار فيما عداها. ومن حاز شرف العلم لم يشتر به ثمنا قليلا، ولم يعدل به حظا وإن كان جليلا. فلما حصل بدار السلام، وأنهي إلى القادر بالله أمير المؤمنين خبره في حجيج «١٠» بيت الله الحرام، قوبل بمقتضى حقه في

(١) يقصد أنه أصبح شيخ الصوفية. وفي هذا الموضوع، انظر: أبو راس- شيخ الشيوخ بالديار المصرية.
(٢) يقصد أخذهم للرشاوى. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ١٩٥ (زبن).
(٣) ألظّ الرجل: اشتد في الأمر والخصومة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٣٨٩ (لطط).
(٤) أي المحبوب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٣٨٥ (ومق).
(٥) رجل بازل، على التشبيه بالبعير، ويعنون به كماله في عقله وتجربته. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٥٢ (بزل).
(٦) وردت في ب: عمره.
(٧) وردت في الأصل: ثمرة.
(٨) وردت في ب: تنصب.
(٩) جمع عرض وهو متاع باستثناء الأموال. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ١٧٠ (عرض).
(١٠) وردت في ب: حج.

الإسلام، من واجب الإثرة والإكرام، وظاهر التوقير والإعظام. وعضد بالكتّاب «١» إلى السلطان فيما تقرر من حاله، وفي مهمات أوجب الاحتياط شرحها على لسان مقاله. فلما عاد من وجهه، شخص إلى حضرة السلطان بغزنة، فعرض ما صحبه، وقرر ما تحمله، وأدّى من حق الأمانة ما لزمه، وبها الأستاذ «٢» أبو بكر محمد بن إسحاق، فجرى في مجلسه ذكر الكرّامية، وإطلاقهم القول بالتجسيم، وتعريض [الله تعالى] «٣» لما «٤» لا يليق بذاته الكريم، فأنف السلطان لهذه الشنعاء من مقالهم، والعوراء من فحوى جدالهم. ودعا أبا بكر سائلا عنه، وباحثا «٥» صورة الحال منه، فأنكر اعتقاد ما نسب إليه، [٢٣٣ ب] وأظهر البراءة مما «٦» أحيل به عليه، فسلم مع الإنكار عن مسّ العتب والإنكار، فأما الباقون «٧» فإن الكتب نفذت إلى العمال في تقديم الاستقصاء عليهم، فمن أظهر البراءة من

«٨» قوله الشنيع، واعتقاده الموجب للتبديع، ترك وشأنه من عقد المجالس للتدريس، وتشرّف المنابر للتذكير. ومن أصرّ على دعواه، ولم يختر لنفسه سواه، جعل مغناه عليه حصيرا «٩»، وردّ لسانه دون الفضول قصيرا.

و خلع السلطان على القاضي خلعة لاقت بجلالة قدره، وزخارة بحره، ورعاية أمير المؤمنين لحقه، وإيعازه بتمهيد أمره. وصرف كلا منهما «١٠» على جملة الاستئناس «١١»،

____

(١) وردت في ب: بالكتب.

(٢) إضافة من ب.

(٣) إضافة من ب.

(٤) وردت في ب: على.

(٥) وردت في الأصل: باعثا.

(٦) وردت في النسخ: عما. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٣٢ (برأ).

(٧) يقصد باقي أصحاب الكرّامية.

(٨) وردت في الأصل: في، وفي ب، ود: عن. انظر: هامش رقم (٦) من هذه الصفحة.

(٩) أي حصر في داره.

(١٠) أي أبا بكر، وأبا العلاء.

(١١) وردت في ب: الإيناس.

و التفخيم على أعين الناس.

و لم تزل غصّة القول بالتجسيم ناشبة في صدر أبي بكر، يصارع الأيام على نهزة المكافأة بها، إلى أن استتب له الأمر في عقد محضر «١» على انتحاله «٢» مذهب الاعتزال، وتنجّز خطوط قوم من الأعيان سلكوا فيه طريق المساعدة، وتنفّسوا به عن وغرة المنافسة، فغيظ ما لا يطاق داء دخيل، وهمّ على سر النفوس نزيل.

و احتيل في عرض المحضر على السلطان استفسادا لصورته «٣» لديه، فوقع [٢٣٤ أ] التدبير موقعه من الإحفاظ «٤» عليه، ورأى السلطان أن يبحث عن صورة المرفوع في إحقاق من صوّر، وإبطال من زوّر؛ فأنهض قاضي قضاته و«٥» واحد ثقاته أبا محمد الناصحي «٦»، من لم يشركه أحد في اصطناعه، والجذب إلى العلياء بباعه، فإنه استخصّه على طراءة شبابه لخلّتين «٧» قلّما توجدان في قرّح الأسنان، فضلا عن أحداث الفتيان والشبان، وهما العلم والورع أخوان، دونهما الدرّ بالياقوت «٨»، والصحة بكفاف القوت «٩».

و أقعده بغزنة- دار الملك- للتدريس والفتوى، وإصباح الناس من ساطع نوره في التقوى، حتى إذا بهر كماله، وطفح بالفضل مكياله، ولّاه القضاء على القضاة [في عامة ديار ممالكه، ثقة بقوته وأمانته، وورعه ونزاهته] «١٠»، فتولاه بنفس كصفحة الشمس

____

(١) وردت في الأصل: محضره.

(٢) أي انتحال أبي العلاء.

(٣) صورة القاضي أبي العلاء.

(٤) الإغضاب. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٤٤٢ (حفظ).

(٥) ساقطة في ب.

(٦) (ت ٤٤٧ ه‍). عنه، انظر: الخطيب البغدادي- تاريخ بغداد، ج ٩، ص ٤٥٠؛ القرشي- الجواهر المضية، ج ٢، ص ٣٠٥.

(٧) أي خصلتين. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٢١٦ (خلل). وقد وردت في الأصل: مخلتين.

(٨) وردت في ب: والياقوت.

(٩) وردت في ب: بالكفاف من القوت.

(١٠) إضافة من ب.

نقاء «١» وروضة الحزن ديّمتها السماء عشاء. وأمره «٢» بأن يستحضر القاضي أبا العلاء صاعدا، وأبا بكر الأستاذ في وجوه الرتوت،

وأعيان الشهود، ويطالب بإقامة الشهادة على الدعوى المذكورة على رؤوس الملأ من غير محاشاة، أو جنوح إلى مداهنة ومحاباة، فقابل الأمر بالامتثال، وتجافى عن حرمة العلم لحشمة الملك وهيبة الجلال، وسأل أرباب الخطوط [٢٣٤ ب] عما عندهم من قضية الحال، وجلية المقال، فأما أبو بكر فإنه أراد أن يتلافى باقي «٣» الخطب، فزعم أن الاشتراك في رتبة العلم أحدث بينهما منافسة تنازعا «٤» معها مذهبي التجسيم والاعتزال، فلا صحّ ما نسبني إليه، ولا تقرر ما ادعيته عليه. وأما الآخرون فمن جار على حكم المساعدة، في المحاباة والمهاودة، ومن حادر لثام «٥» الاحتشام في التصريح، وإطلاق الدعوى باللفظ الفصيح، مكاشفة عدّت الشهادة إلى التعصب، وجاوزت حدّ المعلوم إلى التغضب. وسيء- لذلك- وجوه أهل الرأي حتى كادت تثور فتنة لو لا أن هيبة السلطان أجرت الألسن الطوال، وضربت على النفوس التطامن «٦» والانخزال «٧». وتلطف قاضي القضاة لعرض الحال، وتقرير صورة المحال.

و اتفق أن تحيّن الأمير أبو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين «٨» في مجلس السلطان فرصة القول في باب القاضي أبي العلاء، فنبّه على سمته وسيماه، وأنبه عن ورعه وتقواه، والتمس على سبيل التلطف أن يقع تلاف «٩» للغضاضة به، وتدارك المهانة

____

(١) وردت في ب: طهار ونفا.

(٢) وردت في ب: أمر.

(٣) وردت في ب: باغي.

(٤) وردت في الأصل: تنازعلها

(٥) حدر اللثام: أماله. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ١٧٢ (حدر).

(٦) وردت في الأصل: التطان. والتطامن: السكون. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٢٦٨ (طمن).

(٧) يقصد الانقطاع عن الشغب. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٢٠٤ (خزل).

(٨) ساقطة في ب.

(٩) وردت في الأصل، وفي ب: تلافي.

الطارئة عليه، بعرك من تصدّى لمكاشفته، [٢٣٥ أ] وتعرض لاستفساد مكانته. فوثق به السلطان فيما قال، وحدس أن صاعدا أجلّ من أن يعتقد الاعتزال، وأمر بإشخاص من انتدب لمراغمته، ومقابلته بما اقتضاه حكم وقاحته. واستحلس القاضي قرارة «١» بيته، فلم يكن يبرز إلا لفرض يقضيه، أو علم يمليه، مجتزئا بالله تعالى جدّه عن غيره، ومقتنعا بما أدرّه عليه من خيره. ورأى أن بقية العمر أعزّ «٢» من أن تضاع على القيل والقال، وخدمة فضول الآمال، ومزاولة ما يصم «٣» قدر العلم بالابتذال، واستناب ولدين له «٤» كالفرقدين، أو الشّعريين «٥»، أبا الحسن وأبا سعيد شريكي عنان في المروءة والفتوة، ورضيعي لبان في أوامر «٦» النبوة، وأحكام آيات الله المتلوّة، في قضاء المواجب، واحتمال النوائب، فعفي له عن حقوق الناس، وفرغ لعلم النظر والقياس، وحظي بمثل ما أنبأ عنه أبو الفتح [علي بن محمد] «٧» البستي من حاله بقوله:

قد جمع الله أربعا لي ... فيهن عزي وحسن حالي

بلاغ علم، مساغ شرب، ... رفاغ عيش، فراغ بال

نعم، وأطلق تمادي الأيام على نباهة أبي بكر وارتفاع مكانته، و [٢٣٥ ب] اتساع حشمته ومهابته، وانبساط أيدي حاشيته في أموال وأعراض أهل ناحيته، واستمرار العناد بينه وبين أعيان الأشراف في جيرته، ألسن الجمهور بحضرة السلطان بما طغى من حاله، وبغى من جرح خباله، إدلالا بأفاعيله، واعتمادا بزعمه على ما سبق العلم به من خلوص ضميره، ورشاد سبيله؛ فتداركه الاحتمال مدة من الزمان مديدة، محافظة على الصنيعة من

____

(١) وردت في الأصل: قرار.

(٢) وردت في ب: أجل.

(٣) وردت في الأصل: يقيم.

(٤) وردت في ب: له ولدين.

(٥) الشّعرى العبور، والشّعرى الغميصاء. وهما كوكبان نيران. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٤١٦ (شعر).
(٦) وردت في ب: أوامره.
(٧) ساقطة في ب.

الانتزاع، والعارفة «١» من الارتجاع، وإبقاء على المحل المرموق في الله من أن يلمّ به انحطاط، أو يحلّ له رباط، حتى إذا جاوز الاحتمال حدّه، وامتنع المستزاد بعده، عقد السلطان رئاسة نيسابور لأبي علي الحسن بن محمد بن العباس، وقد كان جده في دولة آل سامان مجدودا «٢»، وفي جملة الأعيان والتناء معدودا، وأثره فيما بين آثار الرجال محمودا. ووافق أبوه أيام السلطان أول مقدمه خراسان، وانتصابه منصب أصحاب الجيوش بها لآل سامان، فانجبل خلقاهما على مناسبة الشباب، وعرف السلطان له حق الخدمة والاصطحاب، غير أنه اعتبط في شبابه فعاد كما بدأ «٣»، [٢٣٦ أ] وكل امرى ء يوما مداه إلى الردى.

و كان يضرب أبا نصر أحمد بن ميكال بقرابة، وأواصر مستجابة، فنشأ في جملته نشأة المقبل، وخرج خروج القدح قدح ابن مقبل «٤»، وأحدث له شكر النعمة حشمة، وصفو الخدمة أدبا وهمّة. فلما مضى أبو نصر لسبيله، أنهي إلى السلطان حاله في كيسه وذلاقته «٥»، وظرفه ولباقته، فاستحضره ليخبره، فوافق أولى النظرة قبولا، وطرفا بمرود الإعجاب مكحولا. وازداد على طول الخبرة وفاقا، وعلى سوق الخدمة نفاقا، فنما نموّ الأشاء «٦» أصلحها التدبير، ولقّحها التأبير والماء النمير، حتى سمت به المراتب «٧»، وتوجهت إليه الرغبات والرغائب، وقابلت حشمته حشمة أرباب الجنود، وسادات الأقلام والحدود.

(١) أي الإحسان. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٢٣٩ (عرف). وقد وردت في ب: العافية.
(٢) أي ذا بخت وحظ. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ١٠٧ (جدد).
(٣) أي مات.
(٤) (قدح ابن مقبل) مثل يضرب لحسن الأثر. انظر: الثعالبي- ثمار القلوب، ص ٢١٨.
(٥) الذّليق: طلق اللسان فصيحه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ١١٠ (ذلق).
(٦) وردت في النسخ: الأشياء. والأرجح ما أثبتناه، وهي صغار النخل، ويؤكد ذلك التلقيح والتأبير. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٤ (أبر)، مج ١٤، ص ٣٧ (أشي).
(٧) وردت بعدها في ب: والذوائب.

و كان غرض السلطان في عقد الرئاسة له أن يقمع «١» به من انعقدت «٢» له بدالّة «٣» التألّه «٤» والتعبّد، وسابقة الترهّب والتزهّد، فقدّر أن الذي حظي به معقود بالدين، فلا سبيل إلى حلّه، ولا محاق أبدا لمستهله. ويرجع به إلى ما يوجبه حكم التقيّة، من رفض المراتب العليّة، والمطامع الدنيوية «٥». فلما وردها ساس أهلها سياسة [٢٣٦ ب] لو عاش إليها زياد «٦» لعاد إلى سياسته بعين استزادته، نخفت عليه حتى صرير الجنادب، وسكن حتى دبيب العقارب، وهدأ حتى «٧» شغب المراتب «٨»، وسكت حتى دوي المذاهب «٩»، وكأنما «١٠» أقبل به شفيف «١١» الشتاء، فلكل سامّة أو هامة في الوجار انجحار، وبالمغار استتار، [و كأن القائل عناه بقوله] «١٢»:

و قد بث عبد الله خوف انتقامه ... على الليل حتى ما تدبّ عقاربه «١٣»

ها إن هيبة السلطان هي التي خطمت «١٤» اللهاميم «١٥»، وحطمت «١٦» الأقاليم. فلو

(١) وردت في ب: يقع.
(٢) أي انعقدت الرئاسة.
(٣) وردت في الأصل: بدالت.
(٤) أي التنسّك. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٤٦٩ (أله).
(٥) وردت في ب: الدنياوية.
(٦) المقصود به زياد ابن أبيه المشهور بسياسته.
(٧) إضافة من ب.

(٨) وردت في الأصل: المذانب.
(٩) وردت في الأصل: دبيب العقارب، وهي مكررة.
(١٠) وردت في ب: وكما.
(١١) شفيف الشتاء: برده. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ١٨٢ (شفف).
(١٢) ساقطة في ب.
(١٣) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، مج ١، ص ٢٣٦.
(١٤) وردت في ب: حطمت.
(١٥) جمع لهموم وهو الجواد من الناس. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٥٥٥ (لهم).
(١٦) وردت في ب: خطمت.

و كل بعض همّه برواسي الجبال لأصبحت منسوفة، أو بطوامي البحار لعادت منزوفة، فما خطر خطة يتيه بها عن الرشد تائه، ويعمى عندها «١» عن قصد الصواب نبه «٢» أو نابه، ومن أحسن في جنب مثاله فعن عون القدر، وحكم الفلك الدوّار على البشر، أبى الله أن يحمد على دحر المريد شهاب، أو يمدح على سقي المحول ذهاب.

و تطرّف الرئيس «٣» حواشي المقصود ينتزع منهم بعض ما أخذوه رشى، واحتسوه ثروبا وكشى «٤». ثم نقلهم إلى بعض القلاع عبرة لمن أكل بالله، وأظهر الزهد في الدنيا ثم لم يتوكل [٢٣٧ أ] على الله. وهمّ بصاحبهم «٥» فأخذ حذره، وأرخى من دونه ستره، ولم يقصد السلطان قصد استئصاله، ونفضه «٦» عن فضول ماله؛ فترك من وراء الحجاب على قدم الزهادة «٧»، وغصص الفطام «٨» عن شرف «٩» العادة.

و عطف من بعد إلى جماعة الأشراف العلوية، ذوي الأقدار العلية، فأشعرهم أن حشمتهم بالطاعة موصولة، وحرمتهم بلزوم القصد وترك تعدي الحدّ مكفولة؛ فتلقوه بالإجلال، وقابلوا أمره بالامتثال، علما بأنه «١٠» ظلّ الله في أرضه، فما يغني عنه «١١» غير

---

(١) وردت في الأصل: فيها.
(٢) النّبه: المنسي الملقى الساقط الضال. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٥٤٧ (نبه).
(٣) وردت في الأصل: الرسي.
(٤) الثروب جمع ثرب وهو شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٢٣٤ (ثرب).
و الكشى جمع كشية وهي شحمة في الضب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٢٢٤ (كشي). والمقصود بهذا التعبير أنهم بالغوا في الأخذ.
(٥) وردت في ب: بصاحبه.
(٦) وردت في ب: نفظه.
(٧) إضافة من ب.
(٨) وردت في الأصل: الطعام.
(٩) ساقطة في ب.
(١٠) وردت بعدها في الأصل: لمر، ولا محل لها فحذفناها.
(١١) وردت في ب: منه.

الانقياد، والميل على الغلوّ للاقتصاد.

و استخلف على الرئاسة عند الشخوص إلى الحضرة أبا نصر منصور بن رامش «١» وهو يضربه بقرابة أبي السلطان إلا قطعها عليه صيانة له من تعيير الكرام، وتثريب الرجال عند ذكر الأرحام. وطوّع له قياد «٢» الأحرار، والأشراف الكبار، وألزمهم أن يخدموه بكرة وأصيلا، ويختصّوا بطاعته جملة وتفصيلا. فمن ورم أنفه دون «٣» طاعته- شريفا كان أو مشروفا- نفي عن بلده، وعري عما تحت يده. فشخصت إليه الأعناق، وأحدقت بفنائه الأحداق. [٢٣٧ ب] واستتب له رئاسة لا عهد لأحد بمثلها من رؤساء خراسان إلا

أبا عبد الله العصمي «٤»، فإنه بلغ مثلها، ولكن على عمر مديد، وعز عتيد، وبأس شديد، وخدم وعبيد، ومال ينادي على العفاة هل من مزيد.

و فرش «٥» في زمانه بساط العدل، [و نشر في أيامه رايات الفضل] «٦»، فقواعد «٧» الأحفاش «٨» كرجالات الثروة والرياش، اشتراكا في الإنصاف. ونفقت سوق الاحتساب «٩» بالدرر «١٠» فوق الأكتاف، فمن بدعة مرفوضة «١١»، ورتبة «١٢»، مخفوضة، وحدود على الحق

____

(١) وردت في الأصل: امش.

(٢) وردت في الأصل: قيادة.

(٣) وردت في الأصل: عن.

(٤) محمد بن العباس الضبي العصمي الهروي (ت ٣٧٨ ه). له ترجمة ضافية في: السمعاني- الأنساب، ج ٤، ص ٢٠٥؛ وانظر: نيشابوري- تاريخ نيشابور، ص ١٨٥.

(٥) أبو نصر.

(٦) ساقطة في ب.

(٧) وردت في ب: بقواعد.

(٨) قواعد جمع قاعد وهي المرأة التي قعدت عن الحيض أي انقطع عنها. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٣٦١ (قعد). والأحفاش جمع حفش وهو البيت الصغير. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٢٨٧ (حفش).

(٩) وردت في الأصل: الاكتساب.

(١٠) جمع درّة وهي أداة من أدوات العقاب. وقد وردت في ب: بالدر.

(١١) وردت في ب: مرفوعة.

(١٢) وردت في ب: ربيه.

مقامة، وعيون على الفضول منامة. وبطلت معها الحانات «١» والمواخير، وخرست «٢» العيدان والمزامير، وركدت ألحان النائحات والسكارى، واستوت في الانجحار واللياذ بما وراء الأستار عون «٣» النساء والعذارى. فأما شوارع أسواق البلد فقد كانت منذ بنيت نيسابور فضاء لا يكنّها غطاء، ولا يظلها دون السماء سماء، تخرقها الأعاصير مرّة «٤»، وتردغها «٥» الأهاضيب «٦» أخرى. فأما التراب مثارا «٧»، وأما الأنداء ثلوجا وأمطارا. لم يفطن أحد من ملوك خراسان وأصحاب الجيوش بها لإلحاقها «٨» بأخواتها من ديار خراسان [٢٣٨ أ] تسقيفا لها وتستيرا، وتنظيفا عن الأقذاء وتطهيرا، حتى ورد الرئيس أبو علي فطالب أهلها به «٩»، فلم يمض شهران حتى سمقت نحو السّماك «١٠» سقوفها، وقامت على ركائز «١١» الأعواد حروفها، فمن بين منقّش ومزخرف، ومدبّج بالأصباغ ومفوّف، تنفتح منها فرج بقدر ما يملي ضياء النهار على الأبصار، دونما يوسع لذرور الغبار، ويمكن لدرور القطار. وخمّن البصراء استغراق «١٢» قدر العمارة مائة ألف دينار، عن طيب النفوس،

____

(١) وردت في ب: الخانات.

(٢) وردت في ب: خرمت.

(٣) جمع عوان وهي المرأة الثيب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٢٩٩ (عون).

(٤) وردت في ب: تارة.

(٥) وردت في ب: وترد عنها. ردغه: أوقعه في الوحل والطين. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٤٢٦ (ردغ).

(٦) جمع هضاب: المطر الشديد. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٧٨٤ (هضب).

(٧) وردت في ب: مسارا.

(٨) وردت في الأصل: لا يحاقها.

(٩) أي بالإلحاق.

(١٠) السّماك: نجم نيّر، وهما سماكان: رامح وأعزل. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٤٤٤ (سمك). وقد وردت في ب: السكاك.
(١١) وردت في ب: ركائن.
(١٢) ساقطة في ب.

٥١ ذكر الأمير صاحب الجيش أبي المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين «10»

و فضل الكيوس «١» لم يكلف أحد عليها، ولم يستكره دون المثال فيها، بل عمّتهم المباهاة، وشملتهم المباراة، فأنفقوا موفرين ومستبصرين، ولأنفسهم على العجز دون المراد مستقصرين، فمن تسوّق تاسعا أو «٢» عاشرا ليس بادئا أو ثانيا، ردّ إلى الكاهل قذاله، وترك على شغل النظر أشغاله «٤»، فيالها من سمك «٥» شاخص نحو السّماك «٦»، وزائد فلكا ثامنا على الأفلاك.

و لما عاد الرئيس إلى الحضرة، وقرّر حال ما تولّاه، ومن عزله وولّاه، وافق هوى السلطان ورضاه، فصادف تقريرا وتمكينا، وإحمادا «٧» واسعا مستبينا. وسنورد شرح ما يتجدد من هذه الأحوال إن شاء «٨» الله تعالى ويسّره «٩». [٢٣٨ ب]

ذكر الأمير صاحب الجيش أبي المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين «١٠»

قد كان السلطان يمين الدولة وأمين الملة لما ملك خراسان، وأخلاها من «١١» شرذمة «١٢» آل سامان، عرف له «١٣» موالاته إيّاه، وهجرته فيها إسماعيل بن ناصر الدين

____

(١) لعلها جمع كيس، وهو ما تحفظ فيه الدنانير والدراهم والدر والياقوت. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٢٠٢ (كيس). وقد وردت في ب: الكسوب.
(٢) وردت في الأصل: و.
(٤) وردت في ب: أشكاله. وهذا التعبير كناية عن ترك أشغاله، واشتغل بتأمل جمال تلك النقوش والأعمال الفنية.
(٥) وردت في ب: شكل.
(٦) وردت بعدها في ب: والسكاك.
(٧) أحمدته: وجدته محمودا، وأحمد أمره: صار عنده محمودا. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ١٥٦ (حمد).
(٨) وردت في ب: أراد.
(٩) إضافة من ب.
(١٠) هذا العنوان ساقط في ب، ومكانه فراغ بقدر سطرين.
(١١) وردت في الأصل: عن.
(١٢) وردت في الأصل: شراذمة. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٣٢٢ (شرذم).
(١٣) ساقطة في ب. والمقصود به أبو المظفر نصر بن ناصر الدين.

أخاه، إعظاما لحق الكبر، واعترافا بواجب الفرض، فولّاه نيسابور مظنّة أصحاب الجيوش الأكابر، على وجه الزمان الغابر، سادّا به مكانه من قبل إذ هو سائس الجمهور، ومدبر هاتيك الأمور. ومن وضع أخاه موضعا قد سدّه قبل بنفسه، ورآه أهلا لبعض قدره، فقد «١» بالغ في البرّ والتوقير، وخرج من عهدة التقصير، فوليها سنين عدة حميد السيرة في الخيرة، كريم الفعال في سياسة الرجال.

و جرى على يده من حميد الآثار «٢» في مطاردة أبي إبراهيم المنتصر عند ركضاته، وكفاية ما كان يطرأ من معرّته وشذاته «٣» ما تقدم شرحه، ثم رأى السلطان بعد ذلك أن «٤» يجمع به شمله، ويصل «٥» بمشاهدته حبله، فاستدعاه وأهّل به مستجمّه ومغزاه.

فلم يزايله بعد بحال، ولم يفاصله في حالتي حلّ وترحال. وكان يراه في مقاماته «٦» أول من يسمح «٧» [٢٣٩ أ] بروحه في المحاماة على دين الله، والمراماة من دون حق الله، وواقيا أثناءها بمهجته نفسه إن كثف زحام، أو عظم على جيوش حق الله استلحام، شفقة تجيش بها لحمة القربى، وشجنة «٨» من الرّحم الدنيا. وكان ينصر «٩» مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله «١٠» اعتقادا، ويرى

الاستمساك به رشادا، فأمر بمدرسة «١١» بنيسابور في جوار القاضي

____
(١) وردت في الأصل: قد.
(٢) وردت في الأصل: الأثر.
(٣) شذاة فلان: شرّه وأذاه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٤٢٧ (شذا).
(٤) وردت في الأصل: بعد أن ذلك.
(٥) وردت في الأصل: يفيد.
(٦) يقصد حروبه.
(٧) وردت في ب: أول سمح. وبعدها يبدأ نقص في الأصل يستغرق عدة صفحات. وسيجري تلافيه من ب ود مع الإشارة إلى انتهاء النقص في موضعه.
(٨) شجنة رحم: قرابة مشتبكة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٢٣٣ (شجن).
(٩) وردت في د: ينظر.
(١٠) ساقطة في ب.
(١١) أي ببناء مدرسة.

صاعد بن محمد، وأنفق مالا حتى ابتناها، وحبس حبائس على من أواها، ودارس «١» بأمالي العلم في ذراها؛ فبقيت تذكرة عنه تغدى «٢» بالعلم وتراح، ويثنى عليه «٣» الإمساء والإصباح.

و لم ينقم السلطان منه طول أيامه «٤» قولا محالا، ولفظا دون الصواب مستحالا، ولا شكا أحد من الكبار له جانبا، وفعالا «٥» لإشفاق الرؤوس على الأتباع مجانبا.

و قضى الله أن خانه الشباب، ولما استوفى أمده، ونفض بباقي الأمل فيه يده، فلحق بالواحد الغفار، إن الكرام قليلة الأعمار [١٩٨ أ] «٦». وكتبت في مرثيته رسالة سئلت إثباتها في ذكره ففعلت، إذ كان في ضمنها ما يفي بشرح حاله، وتقرير بعض خصاله. وهي:

آه من سفرة بغير إياب ... آه من حسرة على الأحباب «٧»

آه من مضجع الأمير المفدى ... فوق فرش من الحصى والتراب «٨»

نصر بن الأمير ناصر دين ... الله صدر الحروب والمحراب

صاحب الجيش درة الشرق «٩» تاج ... الفخر غوث الكرام والكتّاب

نعاء يا ساسة الرجال، يا سادة الفعال، يا أعيان العلوم، يا إخوان النجوم، يا شيوخ الإسلام، يا عيون الكرام، يا أحرار الزمان، يا أنصار السلطان.

نعاء إلى كل حي نعاء ... فتى الكرم احتل ربع الفناء «١٠»

____
(١) وردت في د: درس.
(٢) وردت في ب: تغدا.
(٣) وردت في ب: عليها.
(٤) وردت في د: طول أيامه منه.
(٥) وردت في ب: فعلا.
(٦) هذا الترقيم حسب النسخة ب.
(٧) وردت في ب: الارباب. وقد جاء هذان الشطران في ب متعاكسين.
(٨) ورد هذا الشطر في ب: فوق فرش الحصى وفرش التراب.
(٩) وردت في د: التاج.
(١٠) ديوان أبي تمام، ص ٣٤٧ (مع بعض الاختلاف).

أتدرون أي ركن انهدم، وأي حد انثلم، وأي عقد انفصم، وأي سوار انقصم، وأي روض ذبل، وأي نجم أفل، وأي بحر نضب،

وأي طود تحصب «١»، وأي خطب نزل، وأي نصر رحل؟ رحل «٢» والله نصر ابن الأمير الجليل ناصر الدين، الأمير ابن الأمير، والشهاب ابن الأثير، والبحر ابن الصبير «٣»، والحبر ابن النحرير، والعنبر ابن العبير. مرخ الملك و«٤» عفاره «٥»، وسور الدين وسواره، وركن العز وغراره «٦»، ونور المجد وعراره «٧».

و غارت به بحيرة الأدب التي استعذبتها الشفاه، وضلت قبلة العلم التي وليت شطرها الجباه، وعريت دوحة الكرم التي خبطتها العفاة، وجفت طينة الفضل التي خدمتها الكفاة، وطلقت كريمة البرّ التي درس عليها التوحيد، [١٩٨ ب] وغذي بها اليافع والوليد، وأحييت عليها فواصل «٨» النهار، وحليت بها «٩» عواطل الأسحار، وأقشعت سماء شام أبناء الدين «١٠» بوارقها، وخاف أحزاب الكفر والجحود صواعقها، فلا نار ولا ماء، ولا خوف ولا رجاء؛ فأضحى به جيب الزمان مشقوقا، وسكر الحدثان مبثوقا، وبناء العزّ منقوضا «١١» ولواء المجد مخفوضا، ودمع الدين «١٢» مسفوحا، وطرف الإسلام مجروحا.

---

(١) الطود: الجبل، وتحصب: صار حصبا أي حصى. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٣١٨ (حصب).
(٢) ساقطة في د.
(٣) السحاب الأبيض. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٤٤٠ (صبر).
(٤) وردت في د: أو. وهكذا إلى نهاية العبارة.
(٥) المرخ والعفار نوعان من الشجر سريعا الاشتعال. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٥٣ (مرخ)، مج ٤، ص ٥٨٩ (عفر).
(٦) الغرار: حد الرمح والسيف والسهم. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ١٦ (غرر).
(٧) العرار: نبت يري طيب الريح. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٥٦٠ (عرر).
(٨) وردت في ب: احيلت عليها فواضل.
(٩) وردت في ب: عليها. وساقطة في د. والأصح ما أثبتناه.
(١٠) وردت في ب: الدنيا.
(١١) وردت في ب: منقوصا.
(١٢) وردت في د: العين.

و أقبل العلم في صورة المفجوع، وبزة الخشوع، يقرمط خطوه، وينفث إلى أهله شكوه، مغرقا في صعداء تذوب لها جوامد الدموع، وتنفكّ عليها لواحك «١» الضلوع:

فلو غير المنون أتاه أهوى ... إليه أخوه بالبيض البواتر
يمين الدولة الملك المرجّى ... صباح الدين مصباح المفاخر
و لكن القضاء له مضاء ... تذل لعز مضربه المناخر

ألا يا صاحبيّ سمعكما إليّ إن كنتما مسعدين، وجامعين إليّ كلتا «٢» اليدين:

ألمّا على نصر وقولا لقبره ... سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا «٣»

فيا قبر نصر أنت أول حفرة ... من الأرض خطّت للسماحة مضجعا
و يا قبر نصر كيف واريت جوده ... وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ... ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فتى عيش في معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
بكى الجود لما مات نصر فلم يدع ... لعينيه لما أن بكى الجود مدمعا «٤»

و لما مضى نصر مضى الجود وانقضى ... وأصبح عرنين «٥» السماحة «٦» أجدعا

لئن جاز للموت أن يغصب الأمير نصرا، لقد ساغ لي أن أغصبها «٧» [١٩٩ أ] معنا، وأين معن من شقيق ملك الشرق؟! وسائس جمهور الخلق؟! والقاعد من قمة الفرقدين على الفرق؟! سلطان الزمان يمين الدولة وأمين الملة، من دانت لعزه القروم،

---

(١) الملاحكة: شدة التئام الشي ء بالشي ء. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٤٨٣ (لحك).
(٢) وردت في د: كلتي.

(٣) هذه الأبيات لشاعر يدعى حسين بن مطير الأسدي في رثاء معن بن زائدة، وقد استبدل العتبي معن بن زائدة بالأمير نصر. انظر: أبو تمام- ديوان الحماسة، مج ١، ص ٥٩٣.
(٤) هذا البيت ساقط في ب، وغير موجود في الحماسة.
(٥) العرنين: أول الأنف، وقيل الأنف كله. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٢٨٢ (عرن).
(٦) وردت في ب: المكارم.
(٧) يقصد المرثية.

و استكانت لهيبته الترك والروم، ففي بعض خصاله ألف معنى لم يرق إليه معن بهمته، ولم يلق له ذكر «١» في ديوان نعمته.
نال حظوة من سلطان زمانه باتفاق، إذا الحرب قامت على ساق، ودارت كؤوسها بين حاس وساق. وقد فضح ابن بنان «٢» في جوده، وفضله بالسخاء عن موجوده، ثم لم يعترض له قط صيانة لفعاله، ولم يقترف «٣» عليه من بعد ذهابا بعزّ حاله «٤» وجماله. ها «٥» إن الأمير نصرا ورث العزّ أباه، ولم يخدم مدى العمر إلا أخاه، ولم يثنه غير فراغ الأكياس عن شغل المواهب، وفلول الأسياف عن قراع الكتائب، وقطيعة الدنيا في صلة الرحم، وعصيان الهوى في طاعة السلطان ولي النعم.
نشأ بين القرآن والتفسير، والإيمان والتذكير، والعلم بالصلاة والصيام، والفرق بين الحلال والحرام. وسخّر الورى بطرف العنان، وسنّ العلى بحد السنان. قد اقتسمت أيامه شرائط السلم باسمة الثغور، أو الحرب ظاهرة البسور «٦»، فأما المغافر والبواتر، وأما المحابر والدفاتر، وأما المحاضر والمنابر، وأما القماطر والمساطر، فيوما في جحيم الغضب، ويوما في نعيم الأدب، ويوما بين [١٩٩ ب] ظلال السيوف، ويوما بين معاني الحروف.
رفيقه إذا احتمى زجّ أو قبيعة «٧»، ونديمه إذا احتبى حكمة أو شريعة، فكم في ديار الهند له من وقائع أنطقت الحديد، وأخرست الوليد، وسكرت البثوق، وفجرت العروق.
و غادرت بيض الرباع في فحمة الليل، وخضبت «٨» الجربى عن ثميلة الكحيل. وكم في

(١) وردت في ب: لم نلق له ذكرا.
(٢) وردت في د: مامه.
(٣) وردت في د: يعترف.
(٤) وردت في ب: رجاله.
(٥) حرف تنبيه، وهو ساقط في ب.
(٦) بسر الرجل وجهه بسورا: كلح. والبسر عكس البشر. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٥٨ (بسر).
(٧) الزّج: النصل والسنان. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٢٨٦ (زجج)، والقبيعة: ما على طرف مقبض السيف من فضة أو حديد. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٢٥٩ (قبع).
(٨) وردت في ب: خضبة.

نوادي الفضل له من محاسن تلثم أطرافها الكلم، وتعشق أوصافها الأمم، وتسجد لأعقابها الحكم، ويأوي إلى برد ظلالها «١» الكرم. وقد غنيت بذوب العقول عن صفو الشمول، وبحلو المقال عن كعب الغزال «٢»، وبغرر البراهين عن نزه الرياحين، فالخليل على ذكره محشور، وكأن سيبويه من «٣» طيب نشره منشور، وأئمة الهدى عليه عكوف، وملائك العرش حوله صفوف، فمن صحيفة للذكر منشورة، ومن أخرى بأقلام العدل مسطورة، لا لغو فيها ولا تأثيم إلا قيلا صوابا، وحديثا كخالص التبر مذابا. نفس عليه الدهر مكانه إن الدهر غيور، وعلى عقائل الزمان جسور، فصرعه كيادا للنظار، وأضجعه عنادا للأحرار، شاغلا عن الجود يمينه، وعن السجود جبينه، وعن الذكر لسانه، وعن الغزو سيفه وسنانه.
حتى إذا كاد «٤» يطمع في انتعاشه واستمكانه، وقد وزن على معيار الفداء بأضعاف جثمانه، فجعه بروحه الطاهرة، ونفسه التي لم تغذ إلا لنعيم الآخرة، [٢٠٠ أ] فسخا عن العمر أنضر ما كان غصن شباب، وأنطقه فصل خطاب، وأكرمه عود نضار، وأحفظه حق ذمار، وأوثقه بالدنيا دار قرار، فكم هنالك من ستور «٥» مهتوكة، ودموع مسفوكة، وجيوب مشقوقة، ورؤوس محلوقة، وصدور مكلومة، وخدود بنعال السّبت «٦» ملطومة:

رمى الحدثان نسوة آل نصر «٧» ... بمقدار سمدن له سمودا «٨»
فردّ شعورهن السود بيضا ... وردّ وجوههن البيض سودا

---

(١) وردت في د: ظلها.
(٢) نوع من الحلوى يصنع من العنب المجفف والجوز والسكر ومسحوق الدارصيني. موسوعة حلب المقارنة. ج ٦، ص ٣٦٤؛ وانظر: الثعالبي- يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٢٠٣.
(٣) وردت في د: عن.
(٤) وردت في ب: كان.
(٥) وردت في ب: أستار.
(٦) السّبت: الجلد المدبوغ. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٣٦ (سبت).
(٧) وردت في ب: حرب، وهو الأصل في القصيدة حيث إن هذين البيتين لعبد الله بن الزبير الأسدي، فأبدل العتبي آل حرب بآل نصر. انظر: أبو تمام- ديوان الحماسة، مج ١، ص ٤٩٨.
(٨) سمد الرجل سمودا: بهت. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٢١٩ (سمد).

حتى إذا نشر رداء الردى عليه، وقرّبت حمولة البلى إليه، تنازعته أكتاف الرجال، كما تنازعته من قبل ظماء الآمال، فكأن الشمس غبرى من حثو التراب، والأرض غرقى من دموع المصاب، والآذان موقورة من رفع العقائر «١»، والأبصار مخطوفة من نقض الغدائر.
و قد غدت الوجوه مسفورة للنظار، والجموع محشورة للاعتبار، والعيون بين جموم «٢» تجري سواقيه، وجمود لا تندى مآقيه. وودّت زهر النجوم لو صادفن ليلا فدعون ويلا، وتناوحن على المصاب خيلا نخيلا، وأما الليل فقد أحسن فيه من قال، وإن ركب الارتجال:
لقد بكت الليالي في دجاها ... لموت القرم مصباح الأنام
فأشخاص النجوم الزهر مما ... تجسّم من مدامعها السجام
و يظل هجّيري «٣» كل ثاكل سائر وصائر «٤» إلى موقف الوداع حائر:
من كان مسرورا بموت أميرنا ... فليأت نسوته بوجه نهار [٢٠٠ ب]
يجد النساء حواسرا يندبنه ... بالصبح قبل تبلّج الأسحار
يخمشن حرّ وجوههن على فتى ... عفّ الشمائل طيب الأخبار
قد كن يخبأن الوجوه تسترا ... فاليوم جئن برزن «٥» للنظّار
ها إنا لله وإنا إليه راجعون من شعوب «٦»، تركت القلوب شعوبا، وأوسعت الأكباد ثقوبا «٧»، وكظمت النفوس كروبا، وسفحت العيون غروبا «٨»، ونضحت الوجوه قطوبا،

---

(١) جمع عقيرة: البكاء أو الغناء أو القراءة بأعلى الصوت. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٥٩٣ (عقر).
(٢) كثرة الماء. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ١٠٥ (جمم).
(٣) هجّيري الرجل: دأبه وديدنه وعادته. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٢٥٤ (هجر).
(٤) وردت في ب: سار.
(٥) وردت في ب: حين بدون.
(٦) المنية. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٥٠١ (شعب).
(٧) وردت في ب: نقوبا.
(٨) الغروب: الدموع. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٦٤٢ (غرب).

و نثرت قناء «١» الأصلاب أنبوبا فأنبوبا. وسار شخص «٢» العلى إلى فرضة البلى فريدا وحيدا، لم يغن عنه جوده، ولم تجد عليه جنوده، ولم تقاتل عنه فيوله، ولم يناضل دونه مرده وكهوله، خلا أنه فاح ذكاء مآثره، كما فاح كباء «٣» مجامره، ووهت على عرشه الرقاب، كما وهت حين أثلها النعم الرغاب:

فليس نسيم المسك ريّا «٤» حنوطه ... ولكنه «٥» ذاك الثناء المخلّف

و ليس صرير النعش ما تسمعونه ... ولكنه «٦» أصلاب قوم تقصف

أيا ويل العفاة من بعده ما حالهم، وما فعلت بهم آمالهم! لقد «٧» انقصم محالهم، وانقطع دون هاتيك الموات «٨» حقهم ومحالهم، كأني بهم غادين على سدة كانت بالأبواع تلتزم «٩»، وبالأفواه تستلم، وبعثير «١٠» ركابها يتمسك «١١»، وبخدمة أركانها يتنسك. قد أقفرت فلا باب ولا بوّاب، ولا حجاب ولا حجّاب، يسألون أين الأمير؟! وما فعل السرير؟! وأين [٢٠١ أ] الحاجب والوزير؟! وأين المنادم والسمير؟! وما هذه الوحشة المستطارة، والغبرة المثارة؟! والظلمة الساجية، والغمة الشاجية؟! يقولون: ركب الأمير يزور أباه، ويحيّي بالسلام محيّاه، ويقضي نذر الاعتكاف على ثراه، ويعتذر من هجرة

---

(١) جمع قناة الظهر وهي التي تنتظم الفقار. والقناة عند العرب القامة. فكأنه قصد العمود الفقري. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٢٠٤ (قنا).

(٢) وردت في ب: بشخص.

(٣) عود البخور. ابن منظور- لسان العرب، ج ١٥، ص ٢١٤ (كبا).

(٤) وردت في د: ريح.

(٥) وردت في د: لكنما.

(٦) وردت في د: لكنما.

(٧) وردت في د: وقد.

(٨) جمع ماتّة: الوسيلة والحرمة. يقال: فلان يمتّ إليك بقرابة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٨٨ (متت).

(٩) وردت في ب: تتشيك.

(١٠) العثير: الغبار. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٥٤٢ (عثر).

(١١) يتطيب بالمسك.

طال عليها مداه، أفمن «١» يركب للسلام تخذل أبوابه، ويعدم بوّابه «٢»، ويعزل حجابه، ويوحش منتابه؟! ها إنه الركوب. فمتى المعاد؟! يقولون: ميعاده والله المعاد. ألم تروا عروشه بالأمس مهدودة، وغروسه مخضودة، وجياده مهلوبة، وسروجه مقلوبة، وأياماه مفجوعة، وأيدي يتاماه فوق الهام موضوعة؟! هنالك نادوا ثبورا «٣»، وعلموا أنه الحق «٤» مقدورا.

و عقدوا دون حامّة «٥» البيت «٦» مناحة، وندبوا عين الورى أدبا وفصاحة، وكرما وسماحة، وأفعالا كما أسفر الصّريم «٧»، وأبرز كفه الكليم «٨»، مغداه ومراحه. يعتبون على الحجّاب، وقد غدوا في بيض الثياب، أينزع «٩» السواد، وقد كذب «١٠» الحداد؟! الآن أحوج ما كنتم إليه «١١» نزعتموه. هلّا خالفتم الرسم للوجوب، ولبستم لبسة المنكوب، ووقفتم وقفة الحجّاب للسيد المحجوب؟!

يا قوم ليس بياض الثوب زينتكم ... وقد فجعتم بمولى كله كرم

ردوا عليكم جميعا فضل لبستكم ... إن الحداد على المفقود ملتزم

---

(١) وردت في د: فمن.

(٢) وردت في ب: ثوابه.

(٣) اقتباس من قوله تعالى: دَعَوْا هُنالِكَ ثُبُوراً، بسورة الفرقان، الآية ١٣.

(٤) ورد في ب: لحق.

(٥) حامّة الإنسان: خاصته وقرابته. ابن منظور- لسان العرب، ج ١٢، ص ١٥٣ (حمم).

(٦) وردت في ب: الحق.

(٧) الصّريم: من الأضداد، الليل والنهار، والمقصود هنا النهار. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٣٣٦ (صرم).

(٨) الكليم هو النبي موسى عليه السّلام. والمقصود هنا أن أعمال المتوفى بيضاء مثل يد سيدنا موسى عليه السّلام، وهو مأخوذ من قوله تعالى اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ سورة القصص، الآية ٣٢.

(٩) وردت في ب: انتزع.

(١٠) كذب: وجب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٧١١ (كذب).
(١١) وردت في ب: عليه.
فطفقوا يتناشدون بينهم عتبا على الزمان، وندبة للفضل والإحسان: [٢٠١ ب]
يا دهر دونك ما فعلت فقد غدا ... بك كل ما يخشى الرجال سليما
من ذا «١» الذي يرجو وفاءك بعدما ... غادرت نصرا في التراب رميما
من كان أعذب شيمة وسجية ... وألذّ مكرمة وأطيب خيما
و من العجائب والعجائب جمة ... أن لا تلام وقد غدوت مليما
يا دهر مالك طول وقتك ترتعي ... روض المعالي بارضا وجميما «٢»
يا دهر مالك والكرام أولي النهى ... ماذا يضرك لو تركت كريما
لئن سرّ الأمير أباه بلقياه «٣»، وشفى لوعة غلته «٤» وصداه، لقد ساء أخاه، بأن عدم مثواه، وافتقد مصبحه وممساه، ووكل من بعده إلى نواهس الأرض، ولواحس التراب قراه. لكنه ما يصنع وسيف القضاء أحدّ؟! وحكم السماء حتم لا يرد.
و من قبله ما قد أصيب نبينا «٥» ... أبو القاسم النور المبين بقاسم
و خبّر قيس «٦» بالجلية في ابنه ... فلم يتغير وجه قيس بن عاصم
و قال علي في التعازي لأشعث ... وخاف عليه بعض تلك المآثم
أتصبر للبلوى عزاء وحسبة ... فتؤجر أم تسلو سلوّ البهائم «٧»

---

(١) وردت في ب: ذي.
(٢) البارض: أول ما يظهر من نبت الأرض. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ١١٦ (برض). والجميم: النبت الذي طال وغطى الأرض. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ١٠٧ (جمم).
(٣) وردت في د: بلقياه أباه.
(٤) وردت في ب: غلة لوعته.
(٥) ورد هذا الشطر مكررا في ب.
(٦) هو قيس بن عاصم المنقري، يضرب به المثل في الحلم. عن هذه الحادثة، انظر: الميداني- مجمع الأمثال، ج ١، ٢٨٤؛ ابن خلكان- وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٥٠١.
(٧) يروى أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عزى الأشعث بن قيس في ابن له، فقال: يا أشعث، إنك إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت موزور. وهذه الأبيات من قصيدة لأبي تمام يعزي مالك بن طوق في ابن له. انظر: ديوان أبي تمام، ص ٥٥٨ (البيت الثاني غير موجود في الديوان).

لا درّ درّ الموت من وقاح، وقرن كفاح، ما أنشب نابه إلا افترس، ولا ألحج مخلبه إلا انتهس. سواء عليه الملك المحجّب، والسلطان المغلّب، والفقير المستضعف، والسوقة المتنصف «١».
ألا تعس هذا الموت كيف ارتقى إلى ... حمى قصره العالي المنيع الجوانب
فمرّ على تلك القنابل والقنا ... وجاز على تلك القواضي القواضب [٢٠٢ أ]
عجبت له والموت ليس بمعجب ... وفيه إذا فكرت كل العجائب
لعمري لقد جرّاه حين غزا على ... نهاب النفوس واغتيال الكتائب
و فهّمه فتح الحصون وإنها ... سوامي المراقي ساميات المراتب
و بصّره بالفتك في غزواته ... ورمي الرزايا وافتراض المضارب
فكّر عليه شدة الليث وانتحى ... كطوف فحول السوء حول القرائب

و من عجيب الأمور في حكم المقدور أن اخترم الماضي «٢» - برّد الله حفرته، ونوّر غرّته- حتف أنفه، على خطاره بنفسه في لحم الحتوف، واعتراضه للشهادة بين الأسنة والسيوف، كخالد بن الوليد حين وفّي أجله، إذ قال: ثاورت الحروب منذ عقلت، فما في بدني مغرز إبرة إلا وفيه حزّ ضربة، أو وخز طعنة. وها أنا أموت ميتة الحمار، إن الحكم إلا لله الواحد القهار. أو كلاما شبيها به. أما إن خالدا لم يدر أن سيف الله لا يقتل بالسيف، وكذلك القتل يرنو إلى موت الشباب من خصاص الحيف «٣» وأن الله تعالى لما جعله أكرم النفوس مناقب، قيّض له أحمد الأمور عواقب، وقد فرغ ابن الرومي من هذا المعنى فجوّد، وبيّض وجه البرهان بما سوّد:

---

(١) وردت في ب: المنتصف. تنصّف: خدم. المنتصّف: المستخدم. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٣٣٣ (نصف).

(٢) أي الأمير الماضي.

(٣) وردت في ب: خصايص الحتف. الخصاص: تفاريج ضيقة في الجدار أو الباب. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٢٦ (خصص). والحيف: الجور والظلم. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٦٠ (حيف).

إن لم يكن ظفر الهيجاء منيته ... فأكرم النبت يذوي غير مختضد «١»

أما ترى الغرس لا تذوي كرائمه ... إلا على سوقها في سالف «٢» الأبد

لميتة السيف قوم يشرفون بها ... ليسوا من المجد في غاياتها البعد

عزّ الحياة وعزّ الموت «٣» ما اجتمعا ... أسنى وأبنى لبيت العزّ ذي العمد

موت السلامة للإنسان نعلمه ... وإنما القتلة الشنعاء للأسد

لم يعمل السيف ظلما في ضرائبه ... فلم يسلّط عليه سيف «٤» ذي قود «٥»

و لعمري إن الرزيّة به- قدّس الله روحه- لقاطرة الغموم، مشاطرة «٦» بين الرجال على العموم، غير أن القاضي أبا العلاء وسائر شيعته، والشاربين من زلال شريعته، أوفر من الأحزان «٧» أقساطا، وأشد على مرود الأشجان ارتباطا، فقد كان- عرّف الله تعالى تربته- لهم «٨» ظلا ممدودا، وشربا مورودا، وكهفا مقصودا، ولواء على نصرة الدين معقودا. ولو لا أن الله تعالى سدّ ثلمة المصاب، وخلّة الاكتئاب بملك الشرق، وسيد الغرب، وحجة الله في الأرض، سلطان الزمان، يمين الدولة وأمين الملة- أطال الله بقاءه، وحفظ على الدين والدنيا بهاءه «٩» وسناءه، ففي بقائه عوض من كل شاجب «١٠»، وخلف من كل غائب «١١» أو عازب- لاتّسع القول في عظم [٢٣٩ ب] هذا النعي، وفقد

---

(١) هنا ينتهي النقص في الأصل.

(٢) وردت في الأصل: سائر.

(٣) وردت في ب: المجد.

(٤) وردت في الأصل: كف.

(٥) ديوان ابن الرومي، ج ١، ص ٦٧٣.

(٦) وردت في ب: ومشاطرة.

(٧) وردت في ب: الأحزاب.

(٨) ساقطة في الأصل، ووردت في ب: له. والتصحيح من د.

(٩) وردت في الأصل: بهاؤه.

(١٠) هالك. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٤٨٣ (شجب).

(١١) وردت في ب: غارب، وهي بنفس المعنى.

٥٢ ذكر ما انتهى إليه أمري بعد بلوغ هذا المكان من شرح أحوال «1» السلطان [يمين الدولة وأمين الملة] «2» من قصد الوزير شمس الكفاة واقتضائه حقي الخدمة والموالاة

ذلك الشهاب المضيّ، والنقاب الألمعيّ، غير أن النعمة- بحمد الله- فيما بقي ضافية اللباس، نامية الغراس، ناضرة الأكناف، حافلة الأخلاف، فلا زال فضل الله عليه عظيما، وصنعه لديه جسيما، ولطفه كريما، ولا خلف عنه الزمان يتيما، وألهمه الله فيما عراه راجحة الصبر، وعرّفه فيما غزاه فاتحة النصر، ولقّاه مل ء الوهم مواهب تخرط الدنيا في سلك ملكه، وتقرّرها بحق الوجوب في قبضة ملكه، ورحم الله ذلك الأمير العديم النظير، والجليل الفقيد المثل والبديل، رحمة تبرّد ضريحه، وتقدّس روحه وريحه، وعرف له مساعيه في الذبّ عن دين الله، والسعي في سبيل الله، والفرض من ماله لأولياء الله. وعوّض الله المشايخ السادة عمّا دهاهم فأوهاهم ثوابا يحفظ عليهم دينهم، ويثقل في موقف العدل موازينهم، وجعلنا من المستعدّين ليوم الدين، إن حكم الله يقري الجفلى، والخلق فيها شرع، والآخر للأول تبع، والحمد لله على كل حال، والصلاة على نبيه محمد وآله خير آل. [٢٤٠ أ]

ذكر ما انتهى إليه أمري بعد بلوغ هذا المكان من شرح أحوال «١» السلطان [يمين الدولة وأمين الملة] «٢» من قصد الوزير شمس الكفاة واقتضائه حقي الخدمة والموالاة

قد سبق في أول الكتاب ما سلف «٣» لي إلى «٤» الأمير ناصر الدين سبكتكين- أنار الله برهانه- من خدمة، وتمهّد «٥» عنده من إلّ وذمة، وغرست أثناء ذلك في التقرب إلى الوزير شمس الكفاة، والتكفل بما رآه، والتجرد لما أرضاه، ما «٦» رجوت على الأيام إيراق شجره، وإيناق نوره وثمره، بعد أن صادفت من آثار رعايته ما لم يكن يليق إلا بهمّته، وما

(١) وردت في ب: أخبار.
(٢) ساقطة في ب.
(٣) وردت في ب: سبق.
(٤) إضافة من ب.
(٥) وردت في ب: تمهيد.
(٦) وردت في ب: وما.

نشأ من كريمة المجد في ضمان ذمته، فرأى عند وصولي إليه، وعرضي موضوع الكتاب ومجموعه عليه، أن يسمني «١» بالتقليد، ويسيّرني إلى كنج رستاق على البريد، وعليها فرعون بون «٢» أبو الحسن البغوي «٣» الغوي. شيخ ظاهره نور، وباطنه ديجور، ومنظره متن السيف، ومخبره ردّ الزيف، وأوله مشور العاسل، وآخره قرون السنابل، فافتتح موفدي عليه باستهانة لم تناسب حشمة الآمر، ولا حرمة الأقلام والمحابر، يوهم من جانب أنه مبعوث، [٢٤٠ ب] ومن آخر أن الحقد موروث. وقد كذب إن الزعاق «٤» من منبع الشّريب «٥» محال، ووراثة محبّات الأولاد حلال، وما علمنا أن موالاة الأبناء معاداة الآباء، وأن والدا يكاشح ولده، ويطوي على الداء الدفين معتقده، حتى يباغض من وافقه أو عاهده، وضرب على وجوب عقد الموالاة يده.

و سامني خيانة الدين بمواطأته على كبائر تغلق الرقاب، وتوجب في عواقبها العقاب، حتى إذا علم أن مثلي لا يقرّ على الباطل، ولا يرضى باستيكال مال «٦» اليتامى والأرامل، رام «٧» أن يغرقني في دردور «٨»، ويتيهني «٩» في تيهور «١٠»، فاحتال واكتال، وحرش

(١) وردت في ب: يسمى.
(٢) قصبة كنج رستاق، وتسمى أيضا بين، وبنة. انظر: الاصطخري- مسالك الممالك، ص ٢٦٩؛ al Hudud -ﷺP lam, ١٠٤٠، المقدسي- أحسن التقاسيم، ص ٣٠٨؛ مستوفي- نزهة القلوب، ص ١٧٩؛ لسترنج- بلدان الخلافة، ص ٤٥٥.
(٣) لعله المذكور في رسائل بديع الزمان الهمذاني، ص ٣٢٧ وما بعدها، ص ٣٥٦، ص ٥١٦.
(٤) الماء الزعاق: مر غليظ لا يطاق شربه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ١٤١ (زعق).
(٥) الماء الذي ليس فيه عذوبة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٤٨٩ (شرب).

(٦) ساقطة في ب.
(٧) وردت في ب: حتى كاد.
(٨) الدردور: موضع في وسط البحر يجيش ماؤه لا تكاد تسلم منه السفينة. ابن منظور- لسان العرب، ج ٤، ص ٢٨٣ (درر).
(٩) وردت في ب: يتيه بي.
(١٠) التيهور: ما اطمأن من الرمل. وتيه تيهور: شديد. ابن منظور- لسان العرب، ج ٥، ص ٢٦٩ (هور).

عليّ الأمراء الأشبال. وأبى الله- لعلمه بعباده- إلا أن يحيق به مكيدته، ويكشف «١» عن إقواء الزور وإيطاء الغرور قصيدته «٢».

و لما آيس مما «٣» رامه، وأبلس «٤» دون ما جرّد له اهتمامه واعتزامه «٥»، عرّج على استنزال «٦» شمس الكفاة بسحر التمويه، وعرض صورتي عليه في معرض التشويه، موهما إياه أن لي صغوا «٧» في بعض من ناظره يوما على رتبة المقابلة، أو وازنه بمعيار الموازاة والمماثلة، علما منه بأن حلمه «٨» لا يستخف إلا بهذا التأويل «٩»، [٢٤١ أ] وأن رأيه لا يستنزل إلا على مثل هذا التخييل، حتى نفذت فيه رقيته، وعملت «١٠» في استنزاله «١١» دخنته، فتشرّب حقدا ولا الأرض من صوب العهاد «١٢»، والكف من وشم السواد، والثوب من لون الجساد «١٣»، أو صبغ الفرصاد «١٤».

____
(١) وردت في ب: ينكشف.
(٢) الإقواء والإيطاء من مصطلحات علم العروض. وهما من عيوب القافية. انظر: الخوارزمي- مفاتيح العلوم، ص ١١٧.
(٣) وردت في الأصل، وفي ب: عما. انظر: ابن منظور- لسان العرب، ج ٦، ص ١٩ (أيس).
(٤) أبلس: يئس. ابن منظور- لسان العرب، ج ٦، ص ٢٩ (بلس).
(٥) وردت في ب: اغترامه.
(٦) وردت في ب: استزلال.
(٧) صغا إليه صغوا: مال. ابن منظور- لسان العرب، ج ١٤، ص ٤٦١ (صغا).
(٨) أي حلم الوزير.
(٩) بعدها يبدأ نقص في الأصل يستغرق عدة صفحات، وسيجري تلافيه من ب، ود، مع الإشارة إلى انتهاء النقص في موضعه.
(١٠) وردت في ب: علمت.
(١١) وردت في ب، وفي د: استزلاله، والأرجح ما أثبتناه.
(١٢) جمع عهدة: مطر بعد مطر. ابن منظور- لسان العرب، ج ٣، ص ٣١٤ (عهد).
(١٣) ساقطة في ب. والجساد: الزعفران ونحوه من الصبغ الأحمر والأصفر الشديد الصفرة. ابن منظور- لسان العرب، ج ٣، تص ١٢١ (جسد).
(١٤) الفرصاد: التوت. ابن منظور- لسان العرب، ج ٣، ص ٣٣٣ (فرصد).

و علم الله أني لم أكن لأضمر كدرا على صفاء، أو أسرّ حسوا في ارتغاء، أو أستجيز غمصا لصنيعة، أو طما على عين شريعة. غيري من نكب «١» عن نهج الوفاء، وغبّب «٢» دون فرض النعماء، وودّع حق المنعم المثيب، وردّ الحجر على قرارة القليب.

و نزعني عما قلدنيه بفدم من أهل جرجان لا يعرف الرشد من الغي، ولا الظل من الفى ء، ولا النشر من الطي، ولا النقد من اللي «٣»، ولا الإثبات من النفي، ولا جرجان من الريّ.

شوهة بوهة قد صيغ من طول القناة «٤»، وزرقة البزاة، وليقة «٥» الدواة، وصفاقة الصفاة، وتجدير الصحف بالعشرات. طالما خرّ على العثنون «٦» تشمما للتراب، وتكففا «٧» للعصا في الجراب، وتصرفا على المكس بالصروف، وتهجيا للألف بنقطتين من بين الحروف.

و طفق من «٨» بعد يرتضخ لكنة عجمية في شعر كشعره الموصوف بوثارة الصوف، مستميحا كل صرّاف وإسكاف وعطّار وبيطار على سعر «٩» صفقته الأولى إذ «١٠» السلعة قائمة، والجلّة رائمة «١١»، والسبخة ممطورة، والنخلة [٢٠٤ ب] مأبورة. وغبر زمانا على هذه الجملة في الوتاحة «١٢» والوقاحة. ثم انتجع خراسان ببضاعته المزجاة، فوافقت على

____
(١) وردت في ب: بكت.
(٢) وردت في ب: غيب. غبب: قصّر. ابن منظور- لسان العرب، ج ١، ص ٦٣٦ (غبب).

(٣) اللي: المطل وهو بخلاف الدفع نقدا. ابن منظور- لسان العرب، ج ١٥، ص ٢٦٣ (لوي).
(٤) يرميه بالطول المفرط وهو من الصفات غير المحمودة.
(٥) الليقة هي التراكيب الداخلة في صناعة الحبر. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٣٣٤ (ليق).
(٦) لحية الرجل. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٢٧٦ (عثن).
(٧) وردت في د: تلقفا.
(٨) ساقطة في ب.
(٩) ساقطة في ب.
(١٠) وردت في ب: إذا.
(١١) الجلة البعير المسن أو الناقة المسنة. والرائمة: الناقة الحانية على ولدها. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ١١٧ (جلل)، مج ١٢، ص ٢٢٣ (رأم).
(١٢) الشي ء الوتح: القليل التافه. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٦٢٨ (وتح).

النظرة الخرقاء قبولا، ولبست من عزّ العطاء غرة وحجولا. فلما تعقّبها التأمل، علم أن خرق الانتقاد ضيّع المال، وأورث الوبال، فأهمل مخذولا، وغودر في قذر شعره مرذولا، إلى أن غرّ شمس الكفاة عن نفسه فاختاره عليّ، ونفذ معه مكيدة البغوي الغوي فيّ «١»، فقصدت من المكروه في الروح، دون سائر الممنوح، بما لو لا مكان الأمير الأجلّ أبي سعيد «٢» مسعود بن يمين الدولة وأمين الملة وفضل إحسانه، واستنقاذه إياي من لجوات أشداقهما «٣» بأحد غلمانه، لتراقى الخطب إلى ما يعزّ تلافيه، ولغلق رهن الحياة بما فيه. ولو كنت علمت من سيرة البغوي قبل ما عرفته بعد لا ستعفيت من جواره، واحترست من مساقط أحجاره، لكن السرائر بيد «٤» الله لا يكشفها إلا الاختبار:

و الظلم من شيم «٥» النفوس فإن تجد ... ذا عفّة فلعلة لا يظلم «٦»

و قد كتبت إلى جماعة الأفاضل في ذكر المذكور وشكواه، وتقرير سجاياه، ما هذه نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

لجماعة أرباب الصناعة، وعصابة أعلام الإصابة، من مبادى ء الإشراق إلى أقاصي العراق، من محمد بن عبد الجبار المعروف بأبي نصر «٧» العتبي، رسالة تخص كل باد وحاضر موجود، [٢٠٥ أ] وتعمّ كل لاحق مولود، ما سمع للحق أذان، وأطلق على الكفر عنان، وشيم في سبيل الله حسام، وأقيم على كتاب الله «٨» نقط وإعجام. سلام عليكم ما

____

(١) وردت في ب: إلى.
(٢) وردت في ب: سعد. انظر: ابن خلكان- وفيات الأعيان، ج ٥، ص ١٨١.
(٣) وردت في ب: أشداقها.
(٤) وردت في ب: بعد.
(٥) وردت في ب: خلق.
(٦) ديوان المتنبي، ج ٤، ص ٢٥٣.
(٧) وردت في د: النضر.
(٨) ساقطة في ب.

راق شارق «١» مهضوب، وأراق بارق سكوب، ودرّ على الإبساس حلوب، وكرّ في حومة البأس قارح «٢» يعبوب. سلاما تميد على نفحات السحر قضبانه، وتنم على فتات المسك والعنبر أردانه «٣». أما بعد:

فإن لله- تعالى جدّه- بإزاء نعمه «٤» التي يتبلّج للسارين صباحها، ويتبرّج للناظرين وشاحها، معدلة القدود، مورّدة الخدود، مضفّرة القرون، منؤورة «٥» الشؤون، مغلفة العوارض، مدبجة المعارض، مخضبة الأطراف، معطرة الأردان والأعطاف، منّا منه على عباده ابتداء يقتضيه حكم كرمه، أو ابتلاء لآثارهم في جنب نعمه، نقما «٦» قائدها شؤم الخذلان، وسائقها لؤم الكنود والكفران. تخالط أبناءها مشوّهة المطالع، منفّشة القنازع، مروّقة المكاشر، مقلّصة المشافر، مغوّلة المعاري والمحاسر. تصرفهم بين أخلاق مذمومة، وأخطار

مثلومة، وأعراض مكلومة، وأفعال بعاجل العار وآجل النار مختومة، وقد تستحيل النعم بأعيانها نقما منكورة، كما تستحيل المحن على أربابها منحا مشكورة.

تطبعا على خلق المكان، وترعرعا على عادة المقصود بالإحسان، كالجيب يعطر من نوافج الندود المعطرة، والجو يذفر من روائح الحشوش [٢٠٥ ب] المقيرة. والمزن يسقط على عرصة الروض فيوليه طهارة ونضارة، ويهبط على فروة الكلب فيعديه نجاسة وقذارة، والماء القراح يسقي عروق الشجر؛ فيقضي عليها باختلاف الثمر؛ يقبله كل منها على ما كتب له من مرارة وحلاوة، ومزازة وحرافة «٧»، وكثافة ولطافة. يسقى بماء واحد،

____

(١) وردت في د: شارب. والشارق: الشمس. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ١٧٤ (شرق).

(٢) القارح: الفرس في سنته الخامسة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٥٦٠ (قرح).

(٣) وردت في ب: ادرانه.

(٤) وردت في ب: نعمته.

(٥) وردت في ب، ود: منورة. والأصح ما أثبتناه، حيث إن النؤور هو الدخان الذي يستعمل في الكحل والوشم.

انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ١٨٩ (نار).

(٦) اسم إن مؤخر. وأصل الجملة: إن نقما لله- تعالى جده- بإزاء نعمه ...

(٧) الحرافة: طعم يحرق اللسان والفم. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٤٥ (حرف).

وَ نُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ «١» قدرة من البدي ء الأول، والأبدي الموجود في الأزل.

و إن شر خلق الله نفسا وشيمة، وأخبثهم قدرا وقيمة، من يضيفه صنع الله ريّان من ماء الطلاقة، نشوان من صهباء اللباقة، فينان «٢» من غلل «٣» السجاحة، ميسان في حلل الراحة «٤»، حتى إذا حطّ رحله، وخالط بالبشر الخصيب أهله، قراه من بؤس الخصال، وعبوس الملال، وضرة الاستبدال، ومضرة الابتذال، ما يطير واقعه، ويهيج وادعه، وينشز «٥» به «٦» ودوده، ويعقر عليه ولوده؛ فيرحل في سواد الحداد، شاكيا سوء الجوار، وخفرة الذمار «٧»، وذلة المقدار، وغلظة الأحماء والأصهار، ثانيا على ثنية الوداع صليفه «٨»، متمثلا بقول الشاعر «٩»:

نعم «١٠» الله لا تعاب ولكن ... ربما استقبحت على أقوام

لا يليق الغنى بوجه أبي يعلى ... ولا نور بهجة الإسلام

و سخ الثوب والعمامة والبر ... ذون والوجه والقفا والغلام

و لو لا أن العقاب تبع للخطاب، وأن التأمّر على الأعراض مجهول [٢٠٦ أ] في حكم الاعتبار ونصّ الكتاب، وأن مجاز الشعراء غير حقائق الكتّاب، لادّعيت غضب الله

____

(١) سورة الرعد، الآية ٤.

(٢) فينان: حسن الشعر طويله. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٣٢٨ (فين).

(٣) غلل: الماء المتغلغل بين الشجر. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٥٠٢ (غلل).

(٤) وردت في د: الرباحه.

(٥) وردت في ب: ينشر.

(٦) ساقطة في ب.

(٧) وردت في ب: الزمار.

(٨) الصليف: عرض العنق. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ١٩٨ (صلف).

(٩) وردت في د: القائل.

(١٠) وردت في ب: نعمة.

على نعمه حين ابتلاها بمجاورة الأنذال، وزواها عن مظان الاستحقاق من كرام الرجال، غير أن المقصود فيها بالكرامة وقد قابلها بالاستخفاف «١»، وكابر عقله في جوارها بغير الإنصاف، أولى بأن يقهره عاجل الغضب، ويصهره آجل اللهب، فكم من وارد ماء

أشرقه نميره. وقادح زند أحرقه سعيره، وشاحذ حد قطع به وريده، وراكب جواد قصم عليه جيده. وقد تختلف مواقع النعم من أربابها على شينها من «٢» صارت إليه، ونيلها ممن مالت «٣» بسوء اختياره وقبح آثاره عليه، فالأحداث فيها أحسن حالا، وأزين خصالا، من الكهول الطاعنين في الأسنان، والشيوخ الحالبين أشطر الزمان، فليس من قرح وحنك، وسبر «٤» وسبك، وأخذ على وجه الاستبصار أو ترك، كالغرّ «٥» لم تلفحه هواجر الأمور، والغمر «٦» لم تردعه زواجر الدهور، والغفل لم تدربه الحادثات بأحوالها، والمهر لم ترضه الرجال بأكفالها. وقد يتعذر النازي «٧» في طول «٨» الجهالة بالشباب الذي هو طليعة الحياة، وشريعة الشهوات واللذات. وأن سائس العقل لم يضرب عليه عقاله، وصيقل التجريب لم يحكم عن متنيه صقاله. وأن الرأي برعومة لا يفتقها إلا كرّ الجديدين ببدر يدور، وشمس تطلع ثم تغور، وموسم زمان يتفتق «٩» فيه [٢٠٦ ب] النّور والنور. وأن الشباب شعبة من الجنون. وأن قلم التكليف مرفوع عن المجون، والحدث الغرّ كالعجماء جرحها جبار، وعجمتها دون جنايتها اعتذار، فما بال من خلع لباس الحداثة، ووضع جلباب الطراءة،

---

(١) وردت في ب: بالاستحقاق.
(٢) وردت في د: ممن.
(٣) وردت في ب: نالت.
(٤) وردت في ب: سير.
(٥) ورد بعدها في د: الذي.
(٦) ورد بعدها في د: الذي.
(٧) اسم فاعل من نزا: وثب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥ ص ٣١٩ (نزا).
(٨) الحبل الطويل جدا. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٤١٣ (طول).
(٩) وردت في ب: ينفق.

و اجتلى نهار المشيب عيانا، وأفنى ثلاث عمائم ألوانا:

سوداء داجية وسحق مفوف ... وأجد لونا بعد ذاك هجانا

و حان له أن يصحو عن قهوة البطالة، وينزل عن صهوة الاستطالة، ويبكي لضحك المشيب برأسه، ونصول الأنقاس «١» عن قرطاسه، وتمشّي الوهي في عظامه، وقعود القوى به عند قيامه، وإصباحه على خمار ندمه، وافتضاحه بعثار قدمه، ونداء برهان الله عليه باتساع محجته، وانقطاع حجته، وإتلاع النار أعناقها لا لتقاطه، واختطافه هاويا عن سراطه. يستجيز العمى عن سبيل الله، والصمم دون أمر الله، خبطا في ليل الخبال، وحطبا في حبل الضلال، ورجوعا في حافرة الخسار، وولوعا بفاجرة الآثار، وخلاء «٢» في شطن «٣» العتوّ والغلو، وإباء إلا على النفس الأمّارة بالسوء، فلا درّ درّ الشيب مشوبا «٤» بدنس الجيب، ولا نوّرت أقاحي القذال إلا على مكارم الأفعال:

فأقبح ما اجتلاه الطرف يوما ... ضياء الشيب في حلك الخصال «٥»

نعوذ بالله من غضب الرحمن، وختمة العمر بطابع الخذلان، وتعريضه المشيب لما يهتك من أستاره، ويكشف من أسراره «٦»، ويمحق «٧» [٢٠٧ أ] من نوّاره، ويحرق من نوره بناره، وعصم أقمار الكرام وأحرار الأنام عن مصرع الغوي أبي الحسن البغوي دلّة الاحتيال، وسلة الافتعال، وجراب المخاريق، وجرداب «٨» التخاليط، وعقرب التضريب،

---

(١) جمع نقس: المداد. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٢٤٠ (نقس).
(٢) الخلاء في الإبل كالحران في الدواب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٦٨ (خلأ).
(٣) الشّطن: الحبل. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٢٣٧ (شطن).
(٤) وردت في ب: مشبوبا.
(٥) وردت في ب: حلل الخضاب.
(٦) وردت في د: ازراره.
(٧) وردت في د: يمحو.

(٨) تعريب (كرداب) الفارسية، وتعني معظم البحر. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٢٦٥ (جردب)؛ ادي شير- معجم الألفاظ، ص ٣٩.

و يلمع «١» الأكاذيب، وشبه التدليس، وزئبق «٢» التمويه، ومرآة القريب، ومقراض المغيب، وآفة الجود، وخرافة الموعود، وحرباء الإلحاد، وكيمياء العناد، ويربوع النفاق، ويعسوب الشقاق، وضبة العقوق، وفأرة الفسوق، وثعلب الخداع، وخنزير القصاع، وكلب الهنات «٣»، وأسود «٤» [الخبث، وأسد] «٥» الترات، وحرضة الأنذال، وفرضة الخبال، وسكين الأرحام، ويبرين «٦» الدم الحرام. ولعل بعض من يتصفح هذه الألفاظ منسوقة، والأسجاع مجموعة ومفروقة، يظن «٧» بها ركوب البهت «٨» في حلبة الاقتدار، وعصيان القصد في طاعة الإهجار، إدلالا بنضناض «٩» البلاغة، وإعمالا لمقراض السفاهة بالفصاحة، وحذوا على غرار الشعراء في استعمال المجاز، وإغفال التحفظ والاحتراز، وإنكارا «١٠» لاتقاء هذه المساوى ء السود في شخص قد شري «١١» على تصاريف الزمان وجرب «١٢»، وأكل على طعمي أحواله وشرب، ولم يعلم أن الله جل جلاله إذا خذل عبدا «١٣» ممن شاء من عباده

---

(١) اليلمع: السراب للمعانه. وفي المثل: أكذب من يلمع. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٣٢٤ (لمع).
(٢) وردت في ب: زيق.
(٣) وردت في د: الهناة.
(٤) الأسود: العظيم من الحيّات. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٢٢٦ (سود).
(٥) ساقطة في د.
(٦) موضع في الجزيرة العربية مشهور بكثرة الرمل، والمقصود أنه يشرب الدم كما يشرب الرمل الماء. انظر: ياقوت- معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٢٧؛ ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٥٠ (برن).
(٧) وردت في ب: قد يظن.
(٨) الكذب أو الحيرة والتعجب. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ١٣ (بهت).
(٩) النضناض: الحركة والقلق. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٢٣٧ (نضض).
(١٠) وردت في ب: انكالا.
(١١) أصابه مرض جلدي هو الشرى. والشرى خراج شبه البثر، أحمر كهيئة الدراهم يخرج في الجسد. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٤٣٠ (شري).
(١٢) أصابه الجرب.
(١٣) ساقطة في ب.

لم يبق منه إلا حمأ مسنونا، وجلدا على أخلاط الفساد معطونا «١». وعلى شك خاصرة الشك «٢» عن واضحة اليقين بالإفصاح عما أبهم، والإصباح [٢٠٧ ب] على ما أظلم، تحذيرا لغفلة الأنام، وتيسيرا لشاكلة الاستعصام، وتنبيها على مزلة الاغترار بظواهر النعم، والانخداع لزواهر الأحاظي والقسم. فكم من صفيح «٣» يروق العيون «٤» نوره، ويروع النفوس «٥» مشهوره، قد قطف عناقيد رؤوس، وأراق أباريق عروق، وفرّ المنايا عن عصل من الأنياب روق. ومن شهاب كما خطّ بالإبريز كاتب، أو حلّ عن معقود اللواء راكب، يستوقف الأبصار ضياء ممدودا، وبهاء بأفق السماء معقودا. قد رمّد «٦» من طار بطواره «٧»، وهمّد من رام التحيز «٨» في جواره، وكذلك الدفلى يغرّ الناظر مجرّده، ويفترّ عن عقيق الورد زبرجده، ثم هو الداء المجلوب لمن خبر، والسم المقشوب لمن فكر واعتبر. ولو لا أن قصد الشريعة أن تسمح بخيرها على العموم، وتكافى ء بين الكافّة في فضلها المعلوم، إباحة للكتابة التي هي قيد العلوم، وصيد الحكم المبثوثة في الرقوم، لقلت: لله درّ ساسة «٩» العجم، ورفعة أقدار الدواة والقلم، حين عنّسوها «١٠» دون ذوي الاستحقاق، وخدّروها «١١»

---

(١) عطن الجلد: وضع في الدباغ وترك حتى فسد وأنتن. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٢٨٧ (عطن).
(٢) شك الأولى بمعنى الشق، والشك الثانية عكس اليقين. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٤٥١ - ٤٥٢ (شكك).
(٣) السيف. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٥١٢ - ٥١٣ (صفح).

(٤) وردت في د: العين.
(٥) وردت في د: النفس.
(٦) رمّد الشى ء: جعله رمادا، أي أهلكه. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ١٨٦ (رمد).
(٧) طوار البيت: جداره أو فناؤه. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٥٠٧ - ٥٠٨ (طور).
(٨) وردت في ب: التحير.
(٩) وردت في ب: سياسة.
(١٠) طال مكثها، من العنوسة وهي عدم زواج البنت. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ١٤٩ (عنس). والمقصود عدم السماح بممارسة الكتابة إلا لذوي الاستحقاق.
(١١) ستروها في الخدر. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٢٣١ (خدر). وقد وردت في ب: خذروها.
و بالوجهين يتم المعنى. انظر: مج ٤، ص ٢٣٤ (خذر).

إلا عن «١» الكرام العتاق.

لله درّ أنو شروان من رجل ... ما كان أعرفه بالدون والسّفل
نهاهم أن يمسّوا بعده قلما ... وأن يذل بنو الأحرار بالعمل

فما كان نحيزة «٢» لها كفاءة في مناكحة الآداب، وملاءة في متاجرة الكتّاب. ولا كل مسك «٣» يصلح للمسك وعاء، ولا كل ذرور يصلح [٢٠٨ أ] للعين جلاء. وأضيع شى ء عقد في نحر خنزير، وحدّ بكف ضرير، وخطر بجنب قتير «٤»، ونقس على بنان فاجر شرّير. ها، إن المذكور معيدي «٥» الأحرار بخراسان دناءة همة، وقماءة قيمة، وخساسة مفعول، وخصاصة معقول. نشأ في بيت الفضل والنعمة، ونما على فرش «٦» اللين والنعمة، فرف عليه نعيم النّشب «٧»، وعبق به نسيم الأدب، فأصبح مخيلا لصوب الصواب في أفعاله، جديرا بحكم الانتجاب «٨» في أمثاله، يظن به وبعض الظن إثم.

إن الفرع إلى الأصل نازع، والغيث للغيم مضارع، ولا علم يقضي بأن النار تهفو عن رماد ماثل، والجمر تطفو على عكر سافل. حتى إذا أيفع وأينع، حملته نذالة الطباع، وخبأته السّنخ تحت يد الطبّاع «٩»، على عقوق أبيه، سعاية به إلى السلطان فيما يحويه،

(١) وردت في ب، ود: على، والأصح ما أثبتناه.
(٢) النّحيزة: الطبيعة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٤١٥ (نحز).
(٣) المسك: الجلد. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٤٨٦ (مسك).
(٤) الخطر: نبات يجعل ورقه في الخضاب الأسود يختضب به. والقتير: الشيب. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٢٥٣ (خطر)، مج ٥، ص ٧٢ (قتر). وقد وردت في ب: حظر تحت قدير.
(٥) «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه». مثل يضرب لمن خبره خير من مرآه. انظر: الميداني- مجمع الأمثال، ج ١، ص ١٧٨.
(٦) وردت في د: فراش.
(٧) النّشب: المال والعقار. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٧٥٧ (نشب). وقد وردت في د: النسب.
(٨) وردت في ب: الانتحاب.
(٩) السّنخ: الأصل من كل شى ء. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٢٦ (سنخ). والطبّاع: الحداد. والمقصود أن الحديد لا تظهر جودته ورداءته إلا بعد عرضه على النار ودخوله تحت يد الحداد.

و ابتياعا له بأملاكه وأملاك ذويه، فامتلك عليه قبل الاستحقاق ماله، وقصم محاله، وأحال حاله، وفجع به أمه وكانت عياله، وأجره دون ما اقتناه على كبر سنه وضعف أساسه، واشتعال المشيب برأسه، ورسوب قذى العمر آخر كأسه، فطفق يمري الشؤون دموعا، ويقتضي أجل الكتّاب مخمصة وجوعا. ويزجي مطايا الأسحار بين برد اليأس، وحر الأنفاس، بدعوات لم ترجع مجانيقها إلا بقاصمة الظهور، وحالقة الدين لا حالقة الشعور.

و عطف بعد على من طلعت عليه شمس [٢٠٨ ب] والده، ورفّت عليه أغصان فوائده، فنجبهم نجب السّلم «١»، وقرضهم قرض الجلم، وعركهم عرك الأدم، وقشرهم قشر القلم، فعادوا أعرى من الصخر معصورا، والسيف مشهورا، والغصن مخبوطا، والدجاج

على السّفّود مربوطا. كل ذلك بين يديه، ونصب عينيه، حتى أصمرته الأرض نديما للزفرات، كظيما بالحسرات، غريقا في العبرات، شرقا بماء الحياة.

و عقد على مال خطته بكنج رستاق عقدا اشترى به أهلها، وأخذ يطيبهم بما يريهم من سداد السيرة، ورعاية حق الجيرة، ذريعة إلى استئكالهم واستئصالهم، دون حرائبهم وأموالهم. وسامح عدة من شيوخ تنائهم ببعض ما لزمهم، استمالة لهم على بؤساء معرورين «٢»، وضعفاء مضرورين. وسامهم بعد الاحتكام عليهم في التراضي بزعامته. والتواصي بطاعته، عقد الوثائق عليهم بتصحيح مال من ضمانه ينكسر، وجبران حق من عقده ينجبر، حتى إذا استتب له ما أراد، واستوفى عليهم الحق وزاد، وضع عليهم يد الاستصفاء «٣» بعلة حاصل وباق، وحائر وناق «٧». فأخذ ما وجد من صامت وناطق، وصاهل وناهق، حتى إذا

---

(١) نجب الشجرة: قشر لحاءها. والسّلم: شجر. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٧٤٩ (نجب)، مج ١٢، ص ٢٩٦ (سلم). وقد وردت في ب: فنحتم تحت السلم.

(٢) معرورين: محتاجين. عراه: طلب معروفه. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٥٥٧ (عرر). وقد وردت في ب: مغرورين.

(٣) استصفى الشي ء: استخلصه، وصفا الشي ء: أخذ صفوه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٤٦٣ (صفا).

و الاستصفاء هو الاستخلاص وهو استيفاء الضرائب. ولعل المقصود هنا المصادرة. انظر: دوزي- تكملة المعاجم العربية، ج ٤، ص ١١٦، ج ٦، ص ٤٥٦.

(٧) وردت في ب: تاق.

أرب «١» كل من ذي يديه، وباد «٢» غير أطلال الضياع والرباع عليه، رام استنزالهم عنها طواعية وكراهية، فمن اهتبل منهم فرصة الخلاص على التظلم مما دهاه فأوهاه، وعراه فعرّاه، سبقه محضر [٢٠٩ أ] العصبة القائمة بالإفك في خفارة التوفير، وكفّارة التزوير، فارتدّ على عقبيه خزيان قد سال به السيل، وأسوان «٣» طال «٤» به الويل، وناح عليه النهار والليل. فإما أن يزول على كرب وقلق، وإما أن يؤول على غيظ وحنق، حتى استخلص الضاحية «٥» والضامنة «٦»، واعتصر البادية والكامنة. وغادر الضياع حشين «٧»، وشرّد عنها الزرّاع عزين «٨». وأخرس الثغاء والرغاء، وأنطق الهام والأصداء. وطمّ المنابع والمشارع، وحمى المراعي والمراتع. فلو ملك عصافير الهواء، ويعافير البيداء، لاستكرهها على طعوم القوانص، وحقوق الملاجى ء والمفاحص «٩». قد شحا فاه «١٠» للأطماع ولا مداخل الكهوف، ومفاتح الولائح «١١» الجوف:

كالحوت لا يرويه شي ء يلهمه ... يصبح ظمآن وفي البحر فمه «١٢»

---

(١) أرب: احتاج وكلف. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٢٠٨ (أرب).

(٢) وردت في د: بار. ووردت بعدها في د: من، فحذفناها لأنها زائدة.

(٣) حزين. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٣٥ (أسا).

(٤) وردت في ب: طاف.

(٥) ضاحية كل شي ء: ما برز منه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٤٧٧ (ضحا).

(٦) الضامنة من كل بلد: ما تضمن وسطه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٢٥٨ (ضمن).

(٧) قفرة خالية. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٣٦٩ (وحش).

(٨) جماعات متفرقة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٥٣ (عزا).

(٩) جمع مفحص وهو المكان الذي تفرخ فيه القطاة من الأرض. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٦٣ (فحص).

(١٠) شحا فاه: فتح فمه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٤٢٤ (شحا).

(١١) جمع وليحة وهي الغرارة أو الجوالق الضخم. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٦٣٨ (ولح). وقد وردت في ب: ولايج.

(١٢) انظر: الميداني- مجمع الأمثال، ج ١، ص ٥٦١.

و ما به «١» التخريب لو لا اجتياح «٢» الممالك «٣» بجوعه، واستحلال حرام الملك بربوعه «٤»، كأنما عقد على الدهر حلفا لا يخونه، واتخذ عنده عهدا يصونه، ويتحاماه من دونه منونه. وهيهات إنها مظالم حديدات الشفائر، ومغارم ثقيلات الغرائر، ومصائد طالما خنقت

نخاخها، وضربت عليها «٥» (الشاه مات) «٦» رخاخها، ومطاعم ظاهرها الأري، وباطنها السم، وإن من الربيع ما يقتل حبطا أو يلم.

نعم، وأقام سوق الفسوق خاصة وعامة، وأباح حمى الفجور بطانة وحامّة، ملتزما سمة الشطارة، ومستمطرا بقية [٢٠٩ ب] الحجارة، ومضاهيا تيوس المجوس في خبث الإلحاد، وصلة الأخوات والأولاد، بلاغا نمته ثقات خدمه، وأدّته على وجه الإكبار جيران حرمه. وربما أرادوا له «٧» في السر ملاما، وراموا «٨» من تحذيره حدود الله، وتخويفه عقاب الله مراما، فما يزيدهم على ظاهرتين عاهرتين «٩» كحدق الجراد مالها أجفان تواريها، ولا أهداب تقيها، تصلفا بركوب الآثام، وتكلفا لمحظور الحرام. وإنما أثبت لفظ التكلف قطعا على ما سمعته «١٠» من بعض مشايخ الأدب، يحكي عمن سأل أبا حاتم السجستاني «١١» عن قول النبي صلى الله عليه وسلم «١٢»: «أبغض الأشياء إلى الله شيخ

---

(١) وردت في د: بها.
(٢) استئصال: ابن منظور- لسان العرب، ج ٢، ص ٤٣١ (جوح).
(٣) وردت في ب: الممالك. وبالوجهين يتم المعنى.
(٤) وردت في ب: برتوعه.
(٥) وردت في د: عليه.
(٦) من مصطلحات لعبة الشطرنج. وقد وردت في ب: الشامات.
(٧) ساقطة في ب.
(٨) وردت في ب: رمواه.
(٩) يعني العينين اللتين تنظران إلى المحرمات.
(١٠) وردت في د: سمعت.
(١١) سهل بن محمد بن عثمان النحوي المقرى ء (ت ٢٥٠ أو ٢٥٥ ه‍). انظر عنه: السمعاني- الأنساب، ج ٣، ص ٢٢٦؛ المزي- تهذيب الكمال، ج ٣، ص ٣٢٧.
(١٢) وردت في د: عليه السلام.

زان، وعائل متكبر، وفقير فخور» «١». وزعم «٢» أن القياس يقتضي كون الشاب الشديد الفحلة، القوي المنة أبغض إليه من الشيخ المضعوف «٣»، والمعتصر المنزوف. فقال «٤»:

هو- بناء على قوله صلى الله عليه وسلم «٥» - أبغض الأشياء إلى الله التكلف. فأبغض الشيخ الزاني «٦» لأن فعله تكلف، وتقدمه استكراه للطبع وهو تخلف. كذلك هذا الخرف المتكلف، والشّره المتورّه «٧». قد قضى شبيبته على اقتراف المحارم، واختراف المآثم، حتى إذا وضح القتير، ورزح المسير، وانحلّ المرير، وأفرغ ماءه «٨» الصبير، أبت عادة السوء أن ترخيه من عقالها، وتعريه عن سربالها، وتضحيه عن خصالها، وتريه إلا على شعب الأران يوم فصالها:

لا تعود يا أخي عادة ... تحوي بها ضربا من الشين [٢١٠ أ]
فعادة السوء إذا استحكمت ... شر على المرء من الدين

هذا، ولم يرض بالعقوق الذي وسمه ووشمه، وسخّم وجهه وحمّمه، وردّاه بالخزي وعمّمه، حتى قطع على رؤوس الأشهاد رحمه، وقتل في الشائع المستفيض ولده وكان لحمه ودمه. فلو كان كأحد أولاد السوقة، في أخلاق لهم بين الجدّة والخلوقه «٩»، لكنه الخمر بماء العهاد، والزبد بذوب الشهاد، واللثم برشف الرضاب، والملك بشرخ الشباب، والأمن بطعم الوصال، والخلو «١٠» بطيب الحلال، والعفو ببشرى النوال، والعيش

---

(١) الهيثمي- مجمع الزوائد، ج ٤، ص ٧٨.
(٢) السائل.
(٣) وردت في ب: المعضوف.
(٤) أبو حاتم السجستاني.

(٥) وردت في د: عليه السلام.
(٦) ساقطة في د.
(٧) الوره: الحمق في كل عمل. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٥٦٠ (وره).
(٨) وردت في ب: ماء.
(٩) الجدّة: نقيض الخلق والبلى. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ١١١ (جدد).
(١٠) الخلو: الفارغ البال من الهموم. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٢٣٩ (خلا).

بموت العذّال، وشمس الجنوب بروح الشمال. عشق الأدب قبل أن عقدت عليه تمائمه، وزينته دون الاحتضان روائمه، فجاء كالقدح هدى أوله النصل المطار، وحدا أسفله الريش الظهار. وناهز عشرين من سنيه «١» يرى الخليل في جنب «٢» فضله خليلا، وسيبويه كليلا، وعبد الحميد رديدا، وابن العميد عميدا. إن خطّ فنقش العيد على أيدي الكواعب الغيد، وإن لفظ فعقود الرود منظومة، وأقاحي البطاح مرهومة «٣». ولو لا أن أباه اعتبطه دون مداه، لخلّف من آثار بنانه، وخلّد من أنوار إبداعه وإحسانه، ما يفضح ماء الورد في تصعيده، وعصير الخمر من «٤» عناقيده. لكنه لم يغن إلا قدر ما لحته العيون، حتى اختطفته المنون، فقامت نواعي المجد يندبنه جميعا، ويبكينه نجيعا:

فظللت من بينهم صريعا ... أنشدهم [٢١٠ ب] واله القلب وجيعا
قد كان لي في رأيه وذكائه ... أشراط صدق أن يموت سريعا

و لقد ضمني وإياه مجلس لبعض أركان الدولة اليمينية، فاتفقنا ثاني اثنين من بين الحضور «٥» في تنافث الهموم، وتذاكر العلوم، وتناشد أبيات الكرم واللؤم، فما كان إلا أن حمي المجلس بناره، وعقر الشرب بعقاره، حتى انحلّ عنه عقال اختياره، وانفتحت له أقفال أسراره، فغرّق في بحر الدموع عينه، وألقى إليّ ما دار بين أبيه وبينه، يقرر ما نشأ عليه من خدمة الأدب، والاستغناء بعصام النفس عن عظام النسب، على طاعة من ولد في حجره، والبروز على حكمي أمره وزجره. وإنه حين ملك أمره، وعرف من خلّه خمره «٦»، وانفرد بتدبير معاشه، وتوفير نعمته ورياشه، ناهض «٧» بأمله معونة أبيه ببعض ما يستحقه بررة

____
(١) وردت في ب: سنه.
(٢) وردت في ب: جنبه.
(٣) ممطورة، صفة من الرّهمة: المطر الضعيف الدائم الصغير القطر. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٢٥٧ (رهم).
(٤) وردت في د: عن.
(٥) وردت في ب: الحضود.
(٦) أي عرف الخمر من الخل، ويعني صار يميز الصالح وغير الصالح.
(٧) وردت في ب: كما نهض.

الأبناء على الآباء، فلم يزده على أن زاحمه في إرثه عن أمه، وحال بينه وبين ما كتب الله له «١» من حقه، مطاوعة لرقيق اعتقده «٢»، فذاق عسيلته «٣»، وأذاقه ذبيلته «٤»، فخلّاه عنهما «٥» تدبير «٦» دانيته وقاصيته، وولّاه ترتيب حاشيته وغاشيته، وحكّمه في عرض «٧» ولده، وسائر ما تحت يده، فأجحر ذلك الفاضل دون نعمته، وأقعده دون الاستمتاع بلحمته، وجعل كل من يعتزي «٨» إليه منقوما ومقدوعا «٩»، ومن يعتريه [٢١١ أ] ملطوما ومصفوعا، حتى اضطره صراح اليأس، وإلحاح الإفلاس إلى قصد الوزير «١٠» شمس الكفاة لاستماحته، وانتجاع ندى راحته.

فحين علم أبوه المعتوه تخييمه على شاطى ء الإقبال، واستقلاله على مواطى ء الآمال، ندب الفكر لاغتياله، وأسهر الليل لاقتناصه بإحدى حبائله وحباله، فدسّ إليه- على ما شاع وذاع، وشحن المسامع والبقاع- من ذعف «١١» له نقيعا، غادره على فراش المنون صريعا. وانتقل غير بعيد إلى جوار الله ودار كرامته، مشبّكا يديه فوق هامته، ومستصرخا ولي العدل ومالك الخلق على ظلامته، ومختصما حول العرش إلى يوم قيامته.

____
(١) ساقطة في د.
(٢) اقتناه. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٢٩٩ (عقد).

(٣) العسيلة كناية عن حلاوة الجماع. ابن منظور- لسان العرب، ج ١١، ص ٤٤٥ (عسل).
(٤) الذبيلة: الفتيلة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٢٥٦ (ذبل). استعملها ليشير إلى ضعف آلته. وعنى بهذين التعبيرين الوطء المتبادل بينهما.
(٥) وردت في ب: فخلاه عنها.
(٦) ساقطة في د.
(٧) خلاف النقد من المال. وقيل: الأمتعة التي لا يدخلها كيل ولا وزن ولا يكون حيوانا ولا عقارا. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ١٧٠ (عرض).
(٨) أي ينتمي أو ينتسب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٥٢ (عزا).
(٩) القدع: الكفّ والمنع. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٢٦٠ (قدع).
(١٠) ساقطة في ب.
(١١) دسّ له السم. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ١٠٩ - ١١٠ (ذعف).

و حدّث عن قهرمان بيته وقد عاد إلى أبيه السفيه بما كان استفضله عن رواتب «١» نفقاته، واقتطعه دون عوارض حاجاته، استظهارا به على حوادث النّوب، واستنفاقا على معالي الرتب، أنه وآخر من رفقائه أنفقا من جملة المال قدر ما قطعا به المسافة إليه، ووضعاه في أكياسه بختومها بين يديه، فكان جزاؤهما منه أن وضع الدّهق عليهما، حتى استغرق ملكيهما، وانتزف صليب العظام من «٢» جنبيهما. ثم قصدهما في روحيهما، إشفاقا على صورة الحال، ومستورة المآل من هتكة الإذاعة، وفضحة «٣» الكشف والإشاعة، لو لا أنه اعتصم بالاستتار دون صاحبه، مرعدا بما تحاماه، [٢١١ ب] ومبرقا «٤» باستبراز ما واراه، ولم يرض بالإرث وقد حازه دون مستحقيه من قرابته وذويه، حتى قطع سياط المطالبة على وكلائه ومواليه، وهلمّ جرا إلى شقيقة له معجّزة في الحجاب، معنّسة دون الخطّاب، خلافا على الله في حكمه، واجتراء عليه في فرض الإسلام وحتمه، واستحقاقا لولغ الألسن في دينه المجروح، وعرضه المفضوح، وعقده المحلول، وسرّه المعجون بالغلول؛ فعرّاهم ذكرانا وإناثا عما لبسوه من بال وجديد، وطارف وتليد. اعتلالا عليهم ببقايا أخرجة «٥» للمتوفى «٦» على ضياعه، وهي تحت استغلاله وفي ضمان مزارعيه وعمّاله.

و لم يستبق «٧» من جملة الداخلين كانوا عليه رحمه الله لتسليمة، غير موسوم بجريمة، ومكلوم «٨» بهضيمة، ومنفوض «٩» عن ذخيرة وكريمة، ومغلوب على ما حواه من

____
(١) وردت في ب: روايت.
(٢) وردت في ب: بين.
(٣) وردت في ب: فضيحة.
(٤) ردت في ب: مبروقا.
(٥) وردت في ب: أخرجها.
(٦) وردت في ب: المتوفى.
(٧) البغوي.
(٨) وردت في ب: مكدوم.
(٩) وردت في ب: منقوص.

تيعة «١» أو تيمة «٢»، فزارته المقصورة المهجورة «٣» تشكو «٤» إليه بلابلها «٥» خضوعا، وتمري عليه مكاحلها دموعا، ضيقا بما دهاها «٦» من إضاقة، وأفدحها «٧» على مسّ «٨» التسبيب من فاقة، وتسأله سؤال المضطر أن يملك عليها ما ملكته إرثا، ويحوي ما حوته عتقا وحدثا.

مصانعة له «٩» دون ما أطلقه عليها من أيدي الجنود، وأخياف «١٠» الترك والهنود. فهرّ في وجهها ضجرا بما تشوفته من نظره، وقلقا لما خصفته عليها من ورق الصيانة عن شجره.

و جعل [٢١٢ أ] يرميها في جواب التلطف والتألف بأحدّ من مؤللة «١١» القراع، وأشدّ من ململة القلاع «١٢»، فعل من لا تكفّه حرمة، ولا تكنفه رحمة، ولا ترفّ عليه رأفة، ولا تخفّ إليه في ذات الله مخافة، ولا يثنيه عن وجوه الناس حياء في درة تذال

«١٣»، وعورة تنالها الأيدي الطوال.

فلما آيسها «١٤» الإعراض، أدركها «١٥» الامتعاض. وآلت حلفة مصبورة «١٦» لئن لم ينته

____

(١) اسم لأدنى ما يجب فيه الزكاة من الحيوان. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٣٨ (تيع).

(٢) الشاة التي تحلب في المنزل، وليست سائمة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٧٥ (تيم).

(٣) يقصد ابنته.

(٤) وردت في ب: تشكوا.

(٥) البلابل: شدة الهم والوسواس في الصدور: ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٦٩ (بلل).

(٦) وردت في ب: دهاه.

(٧) وردت في د: أفرحها.

(٨) وردت في ب: وأفدحها من ألم.

(٩) ساقطة في د.

(١٠) مختلفون. ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ١٠٢ (خيف).

(١١) مؤللة: محددة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٢٤ (ألل).

(١٢) جمع قلاعة: المجرة أو الطين اليابس. وململمة أي مستديرة. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٢٩٠ (قلع).

(١٣) يقصد: جوهرة تهان.

(١٤) وردت في ب: اياسها.

(١٥) وردت في ب: أدركه.

(١٦) أي حلفت حلفا شديدا. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٤٣٨ (صبر).

عما لم يقصد بمثله والد ذات خدر، وكريمة وراء ستر، لتهتكنّ الحجاب، ولتطرحنّ الجلباب، ولتحثين على قرونها التراب، منطلقة إلى حضرة السلطان في إيضاح ما وارته «١» الجدر منه، وطرحته المجاملة عنه، وكتمته ضمائر الإشفاق فيه، وطمسته ذيول الهوادة دونه «٢». فقال المجنون «٣» لأخيه، وهو معه في ناديه: اغلق على هذه القحبة الورهاء «٤»، فقد أبطرتها الفضول، وأنطقتها «٥» دالة «٦» الاحتمال فما تدري ما «٧» تقول. هذه والله حمية الأبطال في حماية الذّمار «٨»، ورعاية حقوق الحرم الأبكار. ورحم الله أبا الفتح البستي حيث يقول:

لي جار فيه حيرة ... عرسه تلعن أيره

خلق الله إله النا ... س للغيرة غيره «٩»

و لما فرغ هذا الفاضل «١٠» من هلاك ولده، ووراثة ما كان تحت يده. واعتصار المظلومة عن بلالة حالها، وعلالة [٢١٢ ب] مالها، ندب أخاها لصلبه، وهو عجزة «١١» أولاده، ومن يرجوه مثله لمعاشه ومعاده، للتقبل بمعاملات ناحيته احتيالا عليه في إلحاقه بأخيه، واقتطاعه دون كفاف يتصرف فيه. فتلطف واعتذر، واعترف بالعجز ما «١٢» قدر،

____

(١) وردت في ب: وازنه.

(٢) ساقطة في د.

(٣) يقصد البغوي.

(٤) الحمقاء. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٥٦٠ (وره).

(٥) ساقطة في د.

(٦) وردت في ب: دلالة.

(٧) وردت في ب: ماذا.

(٨) وردت في ب: الزمان، وفي د: الضمار. والأرجح ما أثبتناه وهو ما يلزمك حفظه وحمايته. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٣١٢ (ذمر).

(٩) الخولي- أبو الفتح البستي، ص ٢٥٥. (مع اختلاف في بعض الألفاظ).

(١٠) تهكم واستهزاء.
(١١) العجزة: آخر ولد الرجل. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٣٧٢ (عجز).
(١٢) وردت في ب: عما.

حتى إذا أعياه التلطف، ولم يقنعه إلا التصرف، مدّ رقبته لربقة التقليد، وكبّر سبعا «١» على طارف الملك والتليد. وما زال يجبي كل ولود ونزور «٢»، ويمري كل بكي ء «٣» وثرور «٤»، حتى نضب المال «٥» إلا قليلا، وعصب ريقه إلا بليلا. وطفق يعيّره بعجزه وتضجيعه «٦»، ويبكّته على خرقه وتضييعه. وأمر فجمع عليه ما لم يثبته سمع ولا بصر، ولم ينبته نجم ولا شجر، ولم تطلع عليه شمس ولا قمر. وسبّب عليه لأعلاج الهنود، وغلاظ كفّارهم السود مالا أو هى متن «٧» طاقته، وأتى من وراء فاقته. وحرّشهم عليه بتطميع في عاجل موزون، وترغيب في آجل مضمون، حتى أوهنوه شدا وإيثاقا، وأثخنوه ضربا وإرهاقا، ووضعوا عليه في بعض لياليه دهقا استمر به إلى الصباح النائر «٨». حتى إذا لم يبق منه غير ناقر «٩» الطائر، علموا أنه مظلوم، وأن الأنحاء عليه في دينهم المدخول، وشركهم المخذول قزم «١٠» ولؤم، فنفضوا أيديهم عنه «١١»، لا عنين أباه ومن أرضعه وربّاه، وأطعمه بعد الله وسقاه. وما ظنّ الأفاضل الكرام بمن يوفي رحمة الكافر الفاجر على قساوته، [٢١٣ أ] وطبع قلبه «١٢» وغشاوته؟! وبمن يزعم أنه والد يحنو «١٣» على ولده، ويعتده فلذة من كبده، وبضعة من

____
(١) وردت في ب: سعيا.
(٢) الولود: كثيرة الولد. وبعكسها النزور. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٤٦٩ (ولد)، مج ٥، ص ٢٠٣ (نزر).
(٣) يمري: يحلب. وناقة بكي ء أي قلّ لبنها وانقطع. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٣٤ (بكأ).
(٤) ثرور. غزيرة اللبن. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ١٠٢ (ثرر).
(٥) وردت في ب: المآ.
(٦) تقصيره. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٢٢٠ (ضجع).
(٧) وردت في ب: إلا متن.
(٨) وردت في ب: الثاير.
(٩) أي لم يبق من روحه إلا مقدار ما ينقره الطائر بمنقاره وهو قليل جدا. وقد وردت في ب: فاقر، وفي د: حسر.
(١٠) القزم: الدناءة والقماءة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٤٧٧ (قزم).
(١١) وردت في ب: به.
(١٢) وردت في ب: على قلبه.
(١٣) وردت في ب: يحنوا.

روحه وجسده؟! كل ذلك طمعا في استزادة مال، واستضافة حال، قصاراها إلى تمحق وزوال. فلا رحم الله كل جافي العقيدة، خافي المكيدة، قاسي الفؤاد، حاسي دماء الأولاد. إن للآباء فروضا على الأبناء. وللأبناء حقوقا على الآباء، فإن يكن من فرض الوالد أن لا يقتصّ منه على «١» قتل ولده، وقطع بيده «٢» يده، فمن حق الولد أن يطاع الله في صلة رحمه، وتقوى «٣» الإقدام على روحه ودمه.

نعم، ولما أن خفّ عن البائس كربه، وانجلى عنه وصبه، أسرى إلى جانب الأمير أرسلان الجاذب [فتى السلطان يمين الدولة وأمين الملة] «٤» في زحفة السهم المارق، والرجم المقذوف على المارد السارق، متقيا به عارض البأس، ومستبقيا روحا معلقة بخيط اليأس، فآواه وقبله، ونشر عليه جناحه رحمة له. وكتب إلى أركان الدولة في بابه بما أطلّ «٥» عليه سعاية أبيه، وغلّ دونه نكاية قصده وتجنيه. وحاذر الفاسق المارق افتضاحه بآخر ولده كما افتضح بمن قبله، أروى الله صداه، وقبّح أباه. فلم يزل يلقاه بشعوذة المخاريق، وبرقشة التزاويق، حتى أقرضه مالا سدّ به منخر بأسه، وردّ معه عدوى امتعاضه وشماسه «٦»، كابن المقفع حين أقرض السجّان، واستوجب الأمن والأمان. فلو [٢١٣ ب] نقّب عن منافس فتوقه، ومنانخ جلده وعروقه، لا نتضحت حيلا تعجز كل صبّاغ وصوّاغ، وثعلب بين الوحوش روّاغ.

و مازال هذا المذكور «٧»، يختلف به السرج والكور «٨»، إلى أن قدم شمس الكفاة

---

(١) وردت في ب: متى.
(٢) ساقطة في د.
(٣) وردت في د: يوقي.
(٤) ساقطة في ب.
(٥) أهدر. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٤٠٥ (طلل). وقد وردت في ب: ابطل. وبالوجهين يتم المعنى.
(٦) شامسه شماسا: عاداه وعانده. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ١١٤ (شمس).
(٧) يقصد ابن البغوي.
(٨) الكور: رحل الدابة بأداته. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ١٥٤ (كور).

وزير السلطان يمين الدولة وأمين الملة مرو الروذ مستوفيا على العمال بقايا الارتفاعات والأموال سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، فجنح إليه لائذا بكنفه، وعائذا بواقية الكرام وراقية الأنام من شرفه، ومقررا حاله في الظلم الذي ضرّسه بجريره، ومعسه «١» معس «٢» الملحاح «٣» غارب بعيره، وموطئا لسانه فراش التقية طاعة لله تعالى في لزوم الاحترام، وصيانة للعرض من وشوم المذام. إلى أن حشرت مطالبة العمال أباه على مثواه، من باب ولي نعمته ومولاه، فكم ضرع إليه فما نفع، وخشع فما نجع، وتلطف فما أقصر، واستعطف فما سمع ولا أبصر. حتى إذا عارضه الرد بحجابه، وكلّمه اليأس من وراء نقابه، باح على شمس الكفاة ببعض تلك المخاريق، وصبّ له جرعا من أكواب تلك الأباريق، وأشعره أن صنيعته لم تنجم منه إلا جاحدا لأياديه، مخافتا بمساوئه، مواليا لأعاديه، مخالفا لكريمة الحفاظ في مواليه، ببراهين كما سطع «٤» الصباح السافر، أو متع النهار الجاشر «٥»، مقرطة بصحائح «٦» الأقوال، مشنفة بفضائح «٧» الأفعال. فلو لا كرم غذي بلبانه، وعجن على مسكه [٢١٤ أ] وبانه، لرجمه رجم العفريت، وضربه بالنفط والكبريت، لكنه رأى أن يضم عليه طرفي بساطه، ويستبقي مختوم سره بين خرزه ورباطه. تقديما لشفاعة المشيب، وتفويضا إلى ما ورائه من الأجل القريب، وإقناعا لمن سمع أو نظر، وروى وأخبر، بما تتناهبه الآفاق من ذكر شيخ معائبه أحداث، ولؤمه مكتسب، وفضله ميراث.

و لما تسامع أهل عمله «٨» بما ركد من ريحه، وظهر من رغوة صريحه، تبادروا إلى

---

(١) معس الجلد: دلكه. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٢١٩ (معس).
(٢) إضافة من د.
(٣) رحل البعير إذا لزق بظهره. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٥٧٧ (لحح).
(٤) وردت في ب: سطح.
(٥) جشر الصبح: طلع وانفلق. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ١٣٩ (جشر).
(٦) وردت في ب: بصفايح.
(٧) وردت في ب: بصفايح.
(٨) وردت في ب: علمه.

مفصل الظلامات صارخين، كما نقنق «١» في الجوّ بنات الأعداد «٢»، وجهور «٣» في الشّعب حجيج البلاد. واختلفوا في المظالم، فمن قائل هتكت حرمته، وآخر «٤» انتهكت نعمته، وثالث انتهبت ثلّته «٥»، ورابع طلقت عليه طلّته «٦»، وخامس قتل على التعصب أخوه وأبوه، وسادس جدرت «٧» على المعروف بشرته وفضّ فوه. فمنهم من وصل فسعد بالإنصاف، ومنهم من حذر فشقي على يأس الانصراف.

و رأى شمس الكفاة أن يسلك به شعب المجاملة، فطمّ «٨» بصرفه على نبائث «٩» مساوئه، وصدّ «١٠» عن مسامع السلطان خبائث أفعاله ودواهيه، وأصمّ صدى التظلم عن شريف ناديه. فعاد المذكور وراءه مخذولا مفلولا، وأراد الله أن يقضي فيه أمرا كان مفعولا.

و لما رأى أن قد ضجت عليه أفعاله، وضحكت منه حيله وأدغاله، وأن الألسن قد مضغته حين أطاع عبدا مملوكا في معصية خالقه، ووصل شهوة الفجور [٢١٤ ب] في قطيعة ولده، وعمّر أطلال ضياعه بخراب آخرته، وثب به وثوب الثائر الموتور، والجائش المسعور، يرتجع ما حلاه «١١» على الفسوق، ووفاه من ثمن الاستلذاذ بسلعة تلك «١٢»

---

(١) وردت في د: ينعق.
(٢) جمع عدّ: الكثرة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٢٨٢ (عدد).
(٣) وردت في د: يجهور.
(٤) وردت في د: من آخر.
(٥) الثلّة (بالفتح): جماعة الغنم. و (بالضم): الكثير من الدراهم. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٨٩، ٩٠ (ثلل).
(٦) طلة الرجل: امرأته. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٤٠٦ (طلل).
(٧) الجدر: آثار الضرب على جلد الإنسان. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ١٢٠ (جدر).
(٨) وردت في ب: فأمر.
(٩) النبائث: الحفر. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ١٩٣ (نبث).
(١٠) وردت في د: سد.
(١١) وردت في ب: حاله.
(١٢) وردت في د: ذلك.

السوق. ويرى أن صنيعه «١» ذلك يحميه سمة الألامة «٢»، ويقيه نبال الألسنة الذامة. فاستردّ ما نحله من صداق، ورجع عليه بقيمة ما أشربه من مجاجة «٣» أشداق، وعرّاه عما أعطاه بعد أن عرّاه فامتطاه، وبطحه للسياط بعد أن أضجعه لوطء اللواط، مبتذلا منه جردة «٤» طالما امتصها بثغريه «٥»، وكنسها بعارضيه، وفداها بنفسه وأبويه، ودفن عليها أحد ولديه. هذا «٦» والله الجود لا ما نبي ء عن حاتم العرب، وروي عن سادات بني عبد المطلب. فلحا «٧» الله من رضي بها لنفسه سيرة، وخبأها على تناسخ الأحقاب كنزا وذخيرة. إنه- وذات الأستار ببطن مكة «٨» - لأرذل من والغ في جيفة مقلوب، وأنذل من طامع في شريطة مصلوب. إن كان ما أتاه انتقاما فهلّا ذاك والولد حيّ؟! وفي اليد من ملك الخيار شي ء؟! آلآن وقد سبق السيف العذل؟! وقد فعل القضاء ما فعل؟! أوردا وقد نضب الماء؟! وشيما وقد أصحت «٩» السماء؟! وغبرة وقد سقط الجدار؟! وسترة وقد ظهر الشّوار؟! هيهات هيهات لظن حائل، ورأي فائل، وظل زائل، وردّ ماء سائل:

أيتها النفس اجملي جزعا [٢١٥ أ] ... إن الذي تحذرين قد وقعا «١٠»

و احتال مفترش لذته ومعتصر شهوته «١١» للانقطاع إلى بعض كبراء الأمراء، فقبله

(١) وردت في د: صنعه.
(٢) ألام الرجل: أتى ما يلام عليه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٥٥٧ (لوم). وقد وردت في ب: الملامة.
(٣) وردت في ب: ما احترجه من محاجاة.
(٤) الجرد من الأرض: ما لا ينبت. واستعمله هنا كناية عن قلة الشعر. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ١١٥ (جرد).
(٥) يقصد شفتيه.
(٦) وردت في ب: هذه.
(٧) وردت في د: فلحى. لحا: لعن وقبّح. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٢٤٢ (لحا).
(٨) الكعبة المشرفة.
(٩) وردت في ب: أصبحت.
(١٠) هذا القول من قصيدة لأوس بن حجر أحد شعراء العرب قبل الإسلام. ديوان أوس بن حجر، ص ٥٣.
(١١) يقصد الغلام.

و آواه، وانتزعه من قبضة مولاه، مراغمة كوته «١» بنار أضغانه، وشوته على حرارة غمومه وأشجانه. فلا حميم ولا قريب، ولا ولي ولا حبيب، ولا والد ولا مولود، ولا عابد ولا معبود. فأما الشرع وطريقه، والدين وتحقيقه، فخيّلا «٢» به. إن في وضوح هذه الخلال- على شوه أحكامها، وسفه أحلامها- لغنية دون شرح الحال وتشريحها، وتبليغ لسان المقال وتفصيحها، غير أن التقرب «٣» إلى الرسول المصطفى الأبطحي المجتبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقوله «٤»: «اذكروا الفاسق بما فيه يقتضي التنبيه على مخازيه» «٥» تلخيصا

لخفايا نكره وخباياه، وتشكيلا لأضلاع خبثه وزواياه.

ليعلم الأفاضل أني جاورته «٦» على البريد قريبا من سنتين، فلا والله إن «٧» تصبّغت «٨» الأحداق به في المسجد الجامع للفرض «٩» إلا يوما واحدا، كبيضة العقر، أو كقفضة البكر، فما أدري أخطأت به خطاه، أم ألجأه عذر تخوف عقباه! وتجاذبنا «١٠» حديث الصلاة، فقال ممازحا- وما صدقك إلا ممازح أو سكران-: قام بعضهم وهو يسعى يوم الجمعة للفرض، وقد نودي للصلاة، فقال له صاحبه: مكانك إن أربعة من خير البيوت لخير من اثنين من عمل السوق «١١». وقد كان من طريق التجوّز مساغ للتأويل على وجه التملّح.

____

(١) وردت في ب: كونه.

(٢) كلمة يستحث بها. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٢٢١ (حيا).

(٣) وردت في ب: التقريب.

(٤) وردت في ب: لقوله.

(٥) انظر: القرطبي- التفسير، ج ١٦، ص ٣٣٩؛ الصنعاني- سبل السلام، ج ٤، ص ١٨٨.

(٦) وردت في ب: حاولته.

(٧) وردت في د: ما ان. و (إن) هنا نافية.

(٨) وردت في د: تضيقت. والمقصود هنا: لم يره.

(٩) وردت في ب: للقريض.

(١٠) وردت في ب: تجارينا.

(١١) يقصد أربع ركعات (الظهر) في البيت خير من ركعتين (الجمعة) في السوق.

و لكن [٢١٥ ب] من هذا قيله «١»، وترك العبادات سبيله: فلا عيد يعتاد، ولا فرض كما يقضيه العباد، محال به غير اليقين بالإلحاد، وتلقي أوامر الشرع بالعناد، وأظن قول الغلام الواصف مولاه أنه ليعرب في الشتم ويلحن في الإعراب «٢»، ويصلي من قعود وينيك من قيام، يحى إلى صورة حاله، ويأوي إلى مقصورة خبثه وضلاله، فجلّ أحواله عيوب، ومعظم أفعاله ذنوب:

يصلي فيخفض أركانه ... ويشهي فينصب سيقانه

يخاطب بالكاف إخوانه ... ويشتم بالزاي غلمانه

و يكفت للشر أكمامه ... ويسحب للإثم أردانه

و من نادرة البلد اعتقاده الاعتزال على وعيد الأبد، ثم لا يبقي «٣» محظورا أو محجورا «٤»، ولا يستبقي عملا موزورا، ومنكرا من القول وزورا. ها هو طمع بمشهدي في مال رجل كان انقطع إليه منذ زمان بأمان، فأغرى به ربيبا له كقضيب من الآس مياس، بعلة فتكه «٥» كانت بأمه إذ هو رضيع، وعلى جدالة العجز صريع. ولقّنه استعداء «٦» الأمير الأجل أبي سعيد مسعود بن محمود «٧» عليه، وتنجّز الأمر في معنى الانتصاف إليه. فتنبّه ذلك الأمير الألمعي، والسيد اللوذعي على غامض كيده، وباطن ختله في صيده. فأمر بالكتاب إليّ في تعرف الحال، وتجنب جانب الاحتيال، والانتداب لإعداء الشاكي على

____

(١) أي قوله. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٥٧٣ (قول).

(٢) وردت في د: القرآن. واللّحن: الخطأ. وهو ضد الإعراب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٣٨٠ (لحن).

(٣) وردت في د: يتقي.

(٤) وردت في ب: منكورا.

(٥) وردت في د: فتلة.

(٦) وردت في ب: الاستعداء.

(٧) وردت في ب: يمين الدولة.

خصمه، وإيفائه [٢١٦ أ] حكم الله في أمه. فلما أحس أخو دلة «١» المحتالة أن حدسه قد فال، وظنه استحال، وسعيه إلى الثبور قد مال، منع شهود الزور أن يصدعوا بالحق فيما بذلوا من خطوطهم ترغيبا وترهيبا، فرّضوا القول، وادّعوا على مسألتهم العول، ومال

المزوّر والمزوّر «٢» إلى التوسط عن أرش المستباح دمها على مائتي درهم قيمتها خمسة دنانير. فلم أدر أية نحلة وقفت «٣» بأن ديات الأمهات على هذين العقدين، فما في الإسلام له ذكر معلوم، ولا في الفقه باب مرقوم، ولا عند أهل الكتاب أمر محتوم، ولا في ديار أهل الشرك رسم مرسوم، ولا في فطر النفوس أن تنزل عن أمهاتها مقتولة بهذا الوكس «٤»، والثمن البخس، ولا الخنانيص «٥» أو القرود لو نطقت ترضى عن واضعاتها بمثله. وكم قد قلت وأقول: إنها ليست دية تودية «٦» أو ودّية «٧»، بل هي دية نسمة مسلمة قد حقن الله دمها إلا بإحدى ثلاث «٨»، نصا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين.

فهل يستجيز الترخص في هذه الأحكام إلا مستخفّ «٩» بدين الإسلام؟! أما إن المحكوم عليه لم يلتزمها إلا بقرة «١٠» قومت مائة وعشرة. فقال له المفجوع المخدوع: تا الله «١١» لا رضيت بهذا الغبن، ولا شربت الدم الحرام باللبن. وهمّ بالرحيل في أمر القتيل، فاغتيل.

____

(١) كناية عن البغوي.
(٢) ساقطة في د.
(٣) وردت في ب: وقعت.
(٤) النقص. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٢٥٧ (وكس).
(٥) جمع خنّوص: ولد الخنزير. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٣١ (خنص).
(٦) التّودية: خشبة توضع على ضرع الناقة تمنع الفصيل من الرضاع. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٣٨٦ (ودي).
(٧) النخلة الصغيرة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٥، ص ٣٨٦ (ودي). وفي هذا كناية عن القلة.
(٨) كفر بعد إيمان، وزنا بعد إحصان، وقتل نفس بغير حق. انظر: الشافعي- مسند الشافعي، ص ١٦٤.
(٩) وردت في د: المستخف.
(١٠) وردت في ب: نقرة.
(١١) وردت في ب: بالله.

فلم يدر أأكلته النار، أم شربه الماء؟! والتقطته الأرض أم اختطفته السماء؟! لله هما من دمين ذهبا هدرا، وشخصين [٢١٦ ب] فقدا غيلة وسخرا. هذا والله الدين السليم، والعقد «١» الحكيم، والأمر القويم، والسمت المستقيم، والمبالاة بما وراءه الجحيم «٢».

و مما يزيده- أدام الله عز المشايخ- فضوحا، ويفيد [من] هذه المقدمات وضوحا، ما كانت الأخبار تتشاهد به من استحلاله عند «٣» الإشفاق من لواحق جناياته على سلطان زمانه، ورعايا عمله وسكانه، حبس ما نسب «٤» إليه من ضياع وعقار، وباغ ودار، ليتناهب ذكره الأسماع، ويتقاصر دونه الأطماع، حتى إذا ما خلا جوّه، واستقام على إيقاع المراد شدوه، ندم على ما فعل، ورجع فيما بذل، وفصّل بالفسخ كل ما أجمل. فكان هذا البلاغ يقرب تارة من الإمكان ويبعد أخرى، حتى أغنى شخص العيان عن الخبر، ونابت شمس البيان عن القمر. وذلك حين بعث السلطان يمين الدولة وأمين الملة قاضي قضاته أبا محمد [عبد الله بن محمد] «٥» الناصحي إلى ديار خراسان، لتدارك أمور الأوقاف، وانتزاع ما اقتسمته أيدي التسلط والاختطاف، فرفع «٦» إليه خليفته وأنا حاضر، وإلى حقائق ما يرد أو يصدر ناظر، ما تقرر عنده من احتجانه ما يقارب مائة ألف دينار عن أوقاف وضع عليها سمة التملّك، وسومة التغلّب والتحجّن، كاعما «٧» فيها أفواه أربابها دون التظلم بوعد دونه رقراق السراب، ووعيد عنده فراق الرقاب، حتى درج عليها قرن بعد قرن [٢١٧ أ] آيسين عن الانتصاف، وخلف من بعدهم خلف قانعين من دونه بالكفاف.

____

(١) وردت في د: العقل. العقد: الاعتقاد.
(٢) هذا تهكم وسخرية من الكاتب.
(٣) وردت في ب: استحالة عقد.
(٤) وردت في ب: ينسب.
(٥) ساقطة في د.
(٦) وردت في ب: فرجع.

(٧) وردت في ب: كاعيا. والكعام: شي ء يجعل على فم البعير لشده. ابن منظور- لسان العرب، ج ١٢، ص ٥٢٣ (كعم).

فأوحى إليه بإنعام الاستقصاء «١» على حكم أمانة القضاء، فقام فيه وقعد، وأبرق وأرعد، وانتزع مالا عظيما من تحت أضراسه، وحذّره الافتضاح إن تعرّض لمراسه.

و كان قصاراه أن سكن وسكت «٢»، وخشي أسوة أمثاله العنت. وأحضر الرجل طواغيت الشهود، وعفاريت الفسوق والمرود. وعقد بمشهدهم وعلى شهاداتهم وثائق بوقفه كل ما ملك، وإطلاقه على وجه الله جميع ما أمسك. يري بما فعل أن التسمح بما تحت يده من قليل أو كثير، وزهيد وغفير، براء عن الطمع في مال لغيره موقوف، وعرض إلى وجوه القربات مصروف. فلم يتراخ الأمد على هذا العقد الوثيق، والخذلان المشبه بالتوفيق، حتى قال لي وهو يشكو الوزير شمس الكفاة، وسماعه أباطيل السعاة: ما هو إلا أن أحلّ عقود أملاكي هذه على طفرة إلى العراق، ساليا عن «٣» خراسان وأهلها، وقاليا «٤» قرارة الميلاد، ومباءة «٥» الطارف والتلاد منها. فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون من شيخ هذه تقيّته، وما لفظ به على وجه الاستحلال، وغيظ العجز عن أملاك الرجال بقيّته «٦». هذا، ومن فضل سماحته «٧»، وإساحة فيض راحته، أن كل من ساكنه في حلّته على عمل يليه، أو مال يجبيه «٨»، كاله ما شاء جزافا، ووزنه تبذيرا وإسرافا، استحقاقا لشهاداتهم «٩» [٢١٧ ب] له بجوده، وتخرّقه «١٠» حذو الكرام بموجوده، حتى إذا قضى الوطر منهم،

____

(١) وردت في د: الاستصغاء.

(٢) وردت في ب: يسكن ويسكت.

(٣) ساقطة في ب، وبالوجهين يتم المعنى.

(٤) وردت في ب: تاليا. والقلى: البغض. ابن منظور- لسان العرب، ج ١٥، ص ١٩٨ (قلا). ويقصد أنه أبغض مسقط رأسه.

(٥) المباءة: منزل القوم في كل موضع. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٣٩ (بوأ).

(٦) ما بقي من سيرته.

(٧) تهكم وسخرية من البغوي.

(٨) وردت في ب: يجتنيه.

(٩) وردت في د: بشهاداتهم.

(١٠) وردت في ب: تجزفه. تخرق بالسخاء: توسع فيه. ابن منظور- لسان العرب، ج ١٠، ص ٧٤ (خرق).

و ملك بسطة الاستغناء عنهم، تتبع عليهم صبابات القدور «١»، وخلالات الثغور «٢»، وقمامات الأطراف، وصواحات الأصواف «٣». وجعل المطعوم في زنة الذهب المصون، والمشروب في قيمة الجوهر المخزون، والدرهم الواحد قنطارا، وحديثا في دواوين الشرق مطارا «٤»، سعاية من خسّت أرومته، ورست على دمنة اللؤم جرثومته؛ فيصدر «٥» عنه العامل والمجاور والآمل مغبونا مدة مقامه، موضوعا «٦» في شرابه وطعامه، مفجوعا بما اقتناه غابر أيامه، مخدوعا عن شهادة ختمت صحيفة آثامه، قد خصف فرجيه بكلتا يديه، يباري في عدوه السّليك «٧»، وينادي لبيك اللهم لبيك.

و ليست هذه من آثاره بأعجب من كمون أخباره، وسدول الأستار دون أسراره، وقصور يد الانتقام عن معقد أزراره، غير أن لكل شي ء أمدا «٨»، ويأبى الله أن يفلح الظالم أبدا، إلا أن المال يغزر الماء، ويحقن الدماء، ويجمع الأهواء، ويدفع القضاء، ويستر العوار والعوراء. ولقد بالغ أبو الفتح البستي في النصح حيث يقول:

اشفق على الدرهم والعين ... تسلم من العينة «٩» والدّين

فقوة العين بإنسانها ... وقوة الإنسان بالعين

غير أن المال متى سلب الجمال، وأورث القيل والقال، [فهو] وبال. ولا الدين

____

(١) الصبابة: بقية الطعام والشراب في الإناء. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٥١٦ (صبب).

(٢) الخلالة: بقية الطعام بين الأسنان. ابن منظور- لسان العرب، ج ١١، ص ٢١٩ (خلل).

(٣) الصّواحة: ما تشقق من الشعر والصوف. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٥٢٠ (صوح).
(٤) أي أنه صار يمن بفضله عليهم، ونشر ذلك في الآفاق.
(٥) فيرجع. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٤٤٩ (صدر).
(٦) خاسرا. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٣٩٨ (وضع).
(٧) أحد عدّائي العرب، والصعاليك المشهورين. انظر: الميداني- مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٥٥.
(٨) وردت في ب: اعمدا.
(٩) وردت في ب: العيفة. والعينة: نوع من البيوع، مكروه عند الفقهاء. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٣٠٦ (عين).

مطلوبا، والذنب مكتوبا، والأنف مجدوعا، [٢١٨ أ] والبنان مقطوعا. فقبّح الله الأعراض متى دنست الأعراض «١»، والأموال متى لطّخت السربال، والأملاك متى أعرت الأوراك، والحرائب متى أبدت المعائب.

فأما موائده ومطاعمه نخذوها [مني] إليكم بإسناد، كما انفتحت الأصابع، واتسقت الكعوب الفوارع «٢». إنه يغدو مع صفير العصافير على أطعمة يرتو «٣» عليها حشاه كما حشا الدقيق جرابا، وأثقل الرصاص كعابا، فما هو إلا أن يذرّ ورس «٤» الشمس على صلايات «٥» الجدران، حتى كأن أولاد البقر تلحس فؤاده، وكأن الظليم يدّعي فيه ميلاده، فيتغدى بالفول «٦» سنّة وعادة، وبما يجانسه من عمل السوق شهوة وإرادة، حتى إذا طفح كالدلو لمن متح «٧»، كفّ وقبض الكف على قرم «٨» لا يطير داجنه، ولا تنثني دون الجذب محاجنه «٩». فإذا انتصف النهار أو كاد، والتحف الحرباء الإلحاد، دعا بطعام اليوم وهو المتكلف، وما يقيم رسمه التصلف، فاحتشى «١٠» من كل حلو وحامض، وامتلأ من كل بكر وفارض، حتى يخشى عليه في الصّفاق «١١» من الانشقاق، وفي العروق من البثوق،

---

(١) الأعراض الأولى جمع عرض: المال. والثانية جمع عرض: حسب الإنسان أو نفسه. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ١٧٠ (عرض).
(٢) هذه صفة للإسناد، ويقصد أن هذه الروايات عالية الإسناد.
(٣) يشد. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٣٠٧ (رتا).
(٤) الورس: نبت أصفر يستخدم في الأصباغ. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ٢٥٤ (ورس). والمقصود هنا استعارة لضوء الشمس.
(٥) الحجارة العريضة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٤، ص ٤٦٨ (صلا).
(٦) وردت في د: بالغول.
(٧) متح الدلو: جذبها مستقيا. ابن منظور- لسان العرب، مج ٢، ص ٥٨٨ (متح).
(٨) القرم: شدة الشهوة إلى اللحم. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٤٧٣ (قرم).
(٩) حجن العود: عطفه. والمحجن: العصا المعوجّة. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ١٠٨ (حجن).
(١٠) وردت في د: فاحتسى.
(١١) جلد البطن. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٢٠٣ (صفق).

فيظل باقي النهار يشكو أمعاء معاوية «١»، وخلاء خابية خاوية. حتى إذا جنحت الشمس للأصيل، وهمّ الليل على الطفل بالتطفيل «٢» أعيد عليه الطبائخ والغروف، وحشر إليه القراطف والقروف «٣». ثم يؤتى لمبيته بلفائف كالأضابير مطوية، والطوامير مختومة محشية «٤»، وربما تعارّ «٥» بعض ساعات [٢١٨ ب] الليل فينادي بالجوع، ويلاقي الطهاة بالقنوع «٦»، فيحاش عليه عجالة الوقت من مستودعات البساتيق، ومطجّنات الطيور والغرانيق، فيتهجّد عليها من غير قيام، ويتسحّر منها لغير صيام، طعاما لا يشركه فيه غير الملائك حاضرة، والكواكب من محاجر الظلماء ناظرة «٧». فما الأرض وهي الغاية في الالتقام والالتهام، ولا الدعص وهو النهاية في الاشتفاف والارتشاف بأبلع «٨» منه لو لا فناء زاده، ولا بأجرع لو لا قضاء نفاده.

و من نادر أمره في المعاقرة أنه يكتتب ضمنا «٩» في التنقل من الصّبوح إلى الغبوق،

---

(١) الخليفة معاوية بن أبي سفيان، ويضرب به المثل في كثرة الأكل.
(٢) وردت في ب: هم الطفل على الليل بالتطفيل. الطفل: وقت الغروب. يقال: طفلت الشمس أي دنت للغروب. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٤٠٣ (طفل).
(٣) نوعان من الطبيخ الدسم. قال أحدهم:
و ذبيانية وصّت بنيها ... بأن كذب القراطف والقروف
أي عليكم بالقراطف والقروف. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مج ٩، ص ٢٨١ (قرف).
(٤) وردت في د: مسجية.
(٥) انتبه من النوم. ابن منظور- لسان العرب، مج ٤، ص ٦٢٢ (عير).
(٦) السؤال والتذلل للمسألة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٨، ص ٢٩٧ (قنع).
(٧) وردت في ب: ناضرة.
(٨) وردت في د: بابلغ.
(٩) الضّمن: الذي به ضمانة في جسده من زمانة أو بلاء. فالضمان هو الداء نفسه. وفي الحديث: أن يكتتب الرجل أن به زمانة ليتخلف عن الغزو، وإنما يفعل ذلك اعتلالا. ومعنى (يكتتب) أنه يأخذ لنفسه خطا من أمير جيشه ليكون عذرا عند واليه. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٢٦٠ (ضمن).

و التردد بين الفجور والفسوق. فإن نشط للتنزّه تبوء مقاعد الأكّاف، كما تعود مقاعد الأحقاف، فيهادي بين اثنين، حرضا «١» في جلدة شيطان، وجيفة في صورة أفعوان، قد نجم بينها تنوّخ «٢» الفحل للرماك «٣»، بل صنيع الداهيتين بالضحّاك «٤». وربما بقي في التمارض سنة أو أكثر شفقا من تكلّف الخدمة لولي النعمة، وتجشّم المسير إلى باب الوزير. فيرشو على التعالل مالا «٥»، ويحلو وجوه الأطباء وأصحاب الإنهاء فرها خفافا، وبدرا «٦» ثقالا.

و ليس هذا الاحتيال بأغرب من اكتتابه الزّمانة على امتناع الطباع، وشموس النفوس «٧» دون الإصغاء إليها، فضلا عن القرار عليها. فسبحان من خلق النفوس أطوارا، وجعل من الهمم أنجادا وأغوارا.

هذه من أعيان مساوى ء هذا الفاضل [٢١٩ أ] العاطل، ولو سردت أمثالها لطال الكلام، وعال الإبرام «٨»، ووراءها من دقائق الظلم المذموم، والدغل المكتوم، وثقل الحيزوم، والذل المبلول بلعاب اللؤم ما يربي على دقائق الأبراج وأجزاء جواهر الأمشاج،

(١) رجل حرض: الفاسد في جسمه وعقله ولا يرجى خيره. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ١٣٤ (حرض).
(٢) وردت في د: نتوج.
(٣) جمع رمكة: الفرس والبرذونة التي تتخذ للنسل. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٠، ص ٤٣٤ (رمك).
(٤) اسم أطلقه العرب على (بيوراسب) وهو أحد ملوك الفرس القدماء، ويسمى أيضا (ازدهاق). تزعم الفرس أنه خرج في منكبيه حيّتان سوداوان كلما قطعتا عادتا كما كانتا. ويقال: بل هما زائدتان من اللحم، وكانتا تؤلمان جدا، فكان يقتل كل يوم رجلين ويطلي مكان الوجع بدماغهما. والقصة طويلة، وقد شرحها: الطبري- التاريخ، ج ١، ص ١٩٦؛ الثعالبي- تاريخ غرر السير، ص ١٧ وما بعدها.
(٥) ساقطة في ب.
(٦) وردت في ب: بدارا، وفي د: بدورا، والأصح ما أثبتناه.
(٧) وردت في ب: النفس. وشموس بمعنى صعوبة الخلق. ابن منظور- لسان العرب، مج ٦، ص ١١٤ (شمس).
(٨) الإبرام: الملل والضجر. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٢، ص ٤٣ (برم). وعال: زاد واشتد. ابن منظور- لسان العرب، مج ١١، ص ٤٨٢ (عول).

و الصغائر «١» على الإصرار كبائر، كما أن «٢» زغب الشعور على الأيام غدائر. ولقد أحسن ابن المعتز حيث يقول:
خلّ الذنوب صغيرها ... وكبيرها فهو التقى
لا تحقرنّ صغيرة ... إن الجبال من الحصى «٣»

و مما اقتضى التنبيه على معاير المذكور «٤» ومعايبه، والفلي عن شمط عقائصه وذوائبه، مقابلته صنائع لي عنده أيام آل سامان وبعدها، في حق قضيته، وعهد رعيته، وعيب طويته، وسر أخفيته، وشغل كفيته، وبرّ أوليته، بأن كاشفني لمودة جمعتني وولده المعتبط «٥» أبا المظفر- رحمة الله عليه- بعداوة لم يرج لعظيم سيلها صفاء، ولا لبهيم ليلها انقضاء «٦». وذلك أن شمس الكفاة ندبني لمحاورته، وتقمّن «٧» لي خيرا بمعاشرته، مكافأة على خدمتي دولة السلطان يمين الدولة وأمين الملة ب (اليميني) في شرح أخباره، ومدح مقاماته في عدته «٨» وأنصاره، فما زال يسري إليه عني بنميمة كقطار ديمة، ووقيعة كسراب بقيعة، على غفلتي دون ما ينصبه لي من شرك، ويهيجه من معترك، تمويها له أني لحقّه كافر، وعن فرض محبته نافر، وإلى مرموق بعين الكفاءة في استحقاق [٢٤١ ب] صدر الوزارة مائل، وفي شعب الاختصاص به والانقطاع اليه سائل، أكذوبة لم يخلق الله لها

____

(١) هنا ينتهي النقص في الأصل.

(٢) إضافة من د.

(٣) ديوان ابن المعتز، ص ٤٠.

(٤) وردت في ب: المذكورين.

(٥) المقتول بدون علة. ابن منظور- لسان العرب، مج ٧، ص ٣٤٧ (عبط).

(٦) وردت في ب: قضاء.

(٧) توخّى. وقمين بمعنى جدير. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ٣٤٧ - ٣٤٨ (قمن).

(٨) وردت في ب: عديده. والعديد هم الأنصار، فالعدة أولى، لأن الأصل في العطف المغايرة والمخالفة.

رأسا ولا ذنبا، ولم يضرب لها ودّا ولا طنبا «١». ودمنة «٢» لم يهتد دمنة «٣» لنسور «٤» حوافرها، ومصفوف كلاها وأباهرها، حتى هاجه عليّ كالليث موتورا، والنمر محرجا ومضرورا، فكم كدحت حتى استنزلته عن حران وشماس، وجهدت حتى نجوت منه رأسا برأس، وطفقت أنشد وقد فارقته سالما:

إذا نحن أبنا «٥» سالمين بأنفس ... كرام رجت أمرا فخاب رجاؤها

فأنفسنا خير الغنيمة إنها ... تؤوب وفيها ماؤها وحياؤها «٦»

و أغرى بي بدر الملك «٧» ابن «٨» شمسه يمين الدولة وأمين الملة في عظيمة، لولا أن ألهمه الله الأناة، وأشعره الحصاة، فنقّر ونقّب، واستشف أعطاف البلاغ فعل من جرّب ودرب، لثارت علي منه داهية لا تبقي ولا تذر، ولا ستطارت «٩» عباقية يفنى عليها الشعر والبشر، فمنّ الله تعالى بأن فضح الفاضح فيما زوّره، وكسف «١٠» وجهه وكوّره، وأهواه فيما حفره، وخنقه بقوى ما ضفره، وسخّم وجهه بنؤور الافتعال، وكشف عورته لفحول [٢٤٢ أ] الرجال، وجعله عبرة للغابرين بشرح هذه الأحوال، فمن قرأ هذه

____

(١) الود: الوتد. ابن منظور- لسان العرب، مج ٣، ص ٤٥٥ (ودد). والطّنب: الحبل الطويل. ابن منظور- لسان العرب، مج ١، ص ٥٦١ (طنب).

(٢) الحق المدمّن للصدر. ابن منظور- لسان العرب، مج ١٣، ص ١٥٨ (دمن).

(٣) ربما قصد دمنة قرين كليلة، فبهما يضرب المثل في الاحتيال.

(٤) النّسر: لحمة صلبة في باطن الحافر كأنها حصاة أو نواة. ونسر الحافر: لحمه، تشبهه الشعراء بالنوى قد أقتمها الحافر. ابن منظور- لسان العرب، مج ٥، ص ٢٠٥ (نسر).

(٥) عدنا.

(٦) وردت في ب: وجاوها.

(٧) أي الأمير مسعود بن محمود.

(٨) وردت في الأصل: ان.

(٩) وردت في الأصل: واستطارت، وفي ب: ولا استطارت.

(١٠) وردت في الأصل: كشف.

الفصول، فليحمد الله عليّ السلامة من مثلها، والبراءة من فوادح الأوزار، وقوادح النار بها، وليعلم أن الإساءة تعقب على مرور الأيام عبأ ثقيلا، وغبّا «١» وبيلا، وخطبا جليلا، ولسانا كالحسام صقيلا. وقبّح الله من نقص عمره على زيادة الآثام، ومساءة الأنام، وحيازة الملام، ويرحم الله عبدا قال: آمينا «٢».

---

(١) عاقبة، وقد وردت في ب: غيا.

(٢) ورد بعدها في الأصل: تم الكتاب (اليميني) للعتبي بحمد الله وحسن توفيقه، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله. وقع الفراغ من تحريره العبد الضعيف المذنب المحتاج إلى رحمة الله أبو العلاء بن منصور بن أبي العلاء بن محمود بن منوچهر المصى (؟) ليلة الجمعة الثامن من شوال سنة ست وسبعين وستمائة الهجرية، والحمد لله على كل حال، حامدا ومصليا ومسلما.

و ورد بعدها في ب: تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه في شهر ربيع الأول من شهور سنة تسع وخمسين بعد المائة والألف أحسن الله ختامها بمحمد وآله. آمين.

و ورد بعدها في د: وافق الفراغ من تسويده بحمد الله وحسن توفيقه يوم السبت قبيل المغرب رابع عشر شهر جمادى الأولى (وردت الأول) من شهور سنة ١٠٤٢. وصلواته على أشرف خليقته محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

و ورد بعدها في ر: تم الكتاب بحمد الله وحسن تيسيره في المنتصف من جمادى الآخرة سنة سبع عشرة وستمائة، والحمد لله على نعمائه، والصلاة على سيد أنبيائه.

٥٣ الكشافات العامة

الكشافات العامة

٥٣.١ فهرس الحديث والآثار

فهرس الحديث والآثار

٥٣.٢ فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

٥٣.٣ فهرس الأمم والجماعات والطوائف

فهرس الأمم والجماعات والطوائف

٥٣٠٤ فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الأماكن والبلدان

٥٣.٠٥ ثبت المصادر والمراجع

٥٣.٠٥١ أولا: مصادر عربية:

ثبت المصادر والمراجع
أولا: مصادر عربية:
- القرآن الكريم.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م) - الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.
- الكامل في التاريخ، بولاق، القاهرة، ١٢٨٦ هـ.
- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني (ت ٥٦٠ هـ/ ١١٦٥ م) - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩.
- الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت ٣٤٦ هـ/ ٩٥٧ م) - مسالك الممالك، باعتناء دي غويه، الطبعة الثانية، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٢٧.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦ هـ/ ٩٦٧ م) - الأغاني، تحقيق د. إحسان عباس وآخرين، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٢.
- الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي (ت ٢١٦ هـ/ ٨٣١ م) - كتاب الأمثال، جمع وتحقيق د. محمد جبار المعيبد، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٠.
- ابن أعثم، أبو محمد أحمد بن محمد بن علي الكوفي (ت ٣١٤ هـ/ ٩٢٦ م) - الفتوح، تحقيق محمد عبد المعيد خان، دار الندوة الجديدة، بيروت، (د. ت).
- ابن الأكفاني، محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري (ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨ م) - نخب الذخائر في أحوال الجواهر، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د. ت).
- امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (ت ٨٠ ق. هـ/ ٥٤٥ م) - شرح ديوان امرىء
القيس ومعه أخبار المراقسة، باهتمام حسن السندوبي، الطبعة السابعة، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٨٢.
- الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن أبي عبد الله (ت ٥٧٧ هـ/ ١١٨١ م) - نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨.
- أوس بن حجر بن مالك التميمي، أبو شريح (ت نحو ٢ ق. هـ/ نحو ٦٢٠ م) - ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح د. محمد يوسف نجم، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩.
- الباخرزي، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب (ت ٤٦٧ هـ/ ١٠٧٥ م) - دمية القصر وعصرة أهل العصر، تحقيق د. محمد التونجي، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣.
- بديع الزمان، أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني (ت ٣٩٨ هـ/ ١٠٠٧ م) - ديوان بديع الزمان الهمذاني، تحقيق يسري عبد الغني عبد الله، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.
- كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان، شرح إبراهيم الأحدب الطرابلسي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٩٠.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢ م) - فتوح البلدان، باعتناء رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨.
- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي (ت ٤٤٠ هـ/ ١٠٤٨ م) - الآثار الباقية عن القرون الخالية، دار صادر، بيروت، (د. ت)، نسخة مصورة عن طبعة Sachau ﷺ. في ليبزج ١٩٢٣.
- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣.

- الجماهر في معرفة الجواهر، الطبعة الأولى، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن، ١٣٥٥ ه.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى (ت ٤٥٨ ه/ ١٠٦٦ م) - شعب الإيمان، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠ ه.
- كتاب الزهد الكبير، تحقيق عامر أحمد حيدر، الطبعة الثالثة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٦.
- التّرمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي (ت ٢٧٩ ه/ ٨٩٢ م) - سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).
- أبو تمّام، حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١ ه/ ٨٤٦ م) - ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر، (د. ت).
- ديوان أبي تمام، باعتناء محيي الدين الخياط، نظارة المعارف العمومية الجليلة، (د. م)، (د. ت).
- ديوان أبي تمام، شرح إيليا الحاوي، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١.
- ديوان الحماسة، بشرح الأعلم الشنتمري، تحقيق د.
علي المفضل حمودان، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الطبعة الأولى، دبي، ١٩٩٢.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت ٤٢٩ ه/ ١٠٣٧ م) - آداب الملوك، تحقيق جليل العطية، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠.
- الإعجاز والإيجاز، شرح إسكندر آصاف، الطبعة الأولى، المطبعة العمومية بمصر، ١٨٩٧.
- تاريخ غرر السير (غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم)، باعتناء مجتبى مينوي، مكتبة الأسدي، طهران، ١٩٦٣.
- تتمة يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قميحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣، منشور كجزء خامس ليتيمة الدهر.
- التمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، (د. ت).
- خاص الخاص، تحقيق مأمون محيي الدين الجنان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤.
- ديوان الثعالبي، جمع وتحقيق محمود عبد الله الجادر، الطبعة الأولى، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٨.
- الكناية والتعريض، بعناية السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٠٨.
- لباب الآداب، تحقيق قحطان رشيد صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨.
- لطائف اللطف، تحقيق عمر الأسعد، الطبعة الأولى، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٠.
- لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الإبياري وحسن الصيرفي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١.
- المبهج، الطبعة الأولى، دار الصحابة للتراث، طنطا، ١٩٩٢.
- من غاب عنه المطرب، تحقيق د. النبوي عبد الواحد شعلان، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٤.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قميحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.
- الجاجرمي، أبو المعالي المؤيد بن محمد (ق ٦/ ٧ ه) - نكت الوزراء، تحقيق د. نبيلة عبد المنعم داود، الطبعة الأولى، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.
- جرير بن عطية الكلبي اليربوعي (ت ١١٠ ه/ ٧٢٨ م) - ديوان جرير، شرح وتقديم مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦.
- الجواليقي، أبو منصور موهوب أحمد بن محمد بن الخضر (ت ٥٤٠ ه/ ١١٤٥ م) - المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر، (د. ن)، طهران، ١٩٦٦.

- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج بن عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ ه/ ١٢٠٠ م) - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.
- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه (ت ٤٠٥ ه/ ١٠١٤ م) -
المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ ه.
- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت حوالي ٣٠٠ ه/ ٩١٢ م) - المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، صورة عن طبعة دي غوية، (د. م)، (د. ت).
- ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (ت ٣١١ ه/ ٩٢٤ م) - صحيح ابن خزيمة، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠ ه.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ ه/ ١٠٧٠ م) - تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ ه/ ١٢٨٢ م) - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (د. ت).
- الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (ت ٣٨٧ ه/ ٩٩٧ م) - مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الإبياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٩ م.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ ه/ ١٣٤٨ م) - سير أعلام النبلاء، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٧.
- العبر في خبر من غبر، تحقيق محمد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).
- ابن رستة، أبو علي أحمد بن عمر (ت ٣٠٠ ه/ ٩١٢ م) - الأعلاق النفيسة، باعتناء خليل المنصور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.
- ابن الرومي، علي بن العباس بن جريج (ت ٢٨٣ ه/ ٨٩٦ م) - ديوان ابن الرّومي، باعتناء د. عمر الطباع، الطبعة الأولى، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ٢٠٠٠.
- السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١ ه/ ١٣٦٩ م) طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، (د. ن)، (د. ت).
- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى المغربي (ت ٦٨٥ ه/ ١٢٨٦ م) - الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، الطبعة الأولى، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠.
- السّمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التيمي (ت ٥٦٢ ه/ ١١٦٦ م) - الأنساب، تقديم عبد الله عمر البارودي، الطبعة الأولى، دار الجنان، بيروت، ١٩٨٨.
- سهراب (ق ٤ ه/ ١٠ م) - عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، تحقيق هانس فون مزيك، مطبعة أدولف هولزهوزن، فينا، ١٩٢٩.
- السهمي، أبو القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم بن موسى القرشي (ت ٤٢٧ ه/ ١٠٣٥ م) - تاريخ جرجان، باعتناء محمد بن عبد المعيد خان، الطبعة الرابعة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧.
- ابن سيار الوراق، أبو محمد المظفر بن نصر- كتاب الطبيخ وإصلاح الأغذية المأكولات وطيبات الأطعمة المصنوعات، مخطوط محفوظ في الجامعة الأردنية.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري (ت ٩١١ ه/ ١٥٠٥ م) - تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، (د. ت).
- الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت ٢٠٤ ه/ ٨٢٠ م) - المسند، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

- أبو شجاع، ظهير الدين محمد بن الحسين بن إبراهيم الروذراوري (ت ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥ م) - ذيل تجارب الأمم، باعتناء آمد روز، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د. ت).
- الشّريف الرّضي، أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي الحسيني (ت ٤٠٦ هـ/ ١٠١٥ م) - ديوان الشريف الرضي، دار صادر، بيروت، (د. ت).
- الصريفيني، إبراهيم بن محمد بن الأزهر (ت ٦٤١ هـ/ ١٢٤٣ م) - المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩.
- الصّفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٣ م) - الشعور بالعور، تحقيق عبد الرزاق حسين، الطبعة الأولى، دار عمار، عمان، ١٩٨٨.
- الوافي بالوفيات، سلسلة النشرات الإسلامية الصادرة عن المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، دار النشر فرانز شتاينر، فيسبادن، ١٩٤٨ - ١٩٩٧، باعتناء عدد من المحققين.
- ابن الصلاح، تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (ت ٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥ م) - طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق محيي الدين علي نجيب، الطبعة الأولى، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٩٢.
- الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير (ت ١١٨٢ هـ/ ١٧٦٨ م) - سبل الإسلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، تحقيق محمد عبد العزيز الخولي، الطبعة الرابعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٩ هـ.
- طاش كبري زادة، أحمد بن مصطفى (ت ٩٦٨ هـ/ ١٥٦٠ م) - مفتاح السعادة ومصباح السيادة، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ/ ٩٢٢ م) - تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ١٩٧٦.
- علي بن الجهم بن بدر القرشي (ت ٢٤٩ هـ/ ٨٦٣ م) - ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مردم بك، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠.
- أبو فراس الحمداني، الحارث بن سعيد بن حمدان بن حمدون التغلبي (ت ٣٥٧ هـ/ ٩٦٨ م) - ديوان أبي فراس، رواية عبد الله الحسين بن خالويه، دار صادر للطباعة/ دار بيروت للطباعة، بيروت، ١٩٦١.
- الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي (ت ١١٠ هـ/ ٧٢٨ م) - ديوان الفرزدق، شرح علي فاعور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد (ت ٨١٧ هـ/ ١٤١٥ م) - القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، (د. ت).
- ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد الدمشقي (ت ٨٥١ هـ/ ١٤٤٨ م) - طبقات الشافعية، باعتناء عبد العليم خان، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ/ ٨٨٩ م) - الشعر والشعراء، تحقيق مفيد قميحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١.
- عيون الأخبار، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (د. م)، (د. ت).
- قدامة، أبو الفرج بن جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب البغدادي (ت ٣٢٨ هـ أو ٣٣٧ هـ/ ٩٣٩ أو ٩٤٨ م) - الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، وزارة الثقافة والإعلام العراقية/ دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١.
- القرشي، محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله الحنفي (ت ٧٧٥ هـ/ ١٣٧٣ م) - الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة/ هجر للطباعة والنشر، مصر، ١٩٩٣.
- القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي (ت ٤٥٤ هـ/ ١٠٦٢ م) - عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، تحقيق د. عبد الرحيم محمد عبد الحميد، دار الينابيع للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٧.
- مسند الشهاب، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت ٦٧١ هـ/ ١٢٧٣ م) - تفسير القرطبي، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، الطبعة الثانية، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢ هـ.
- القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨ م) - المحمدون من الشعراء، باعتناء محمد عبد الستار خان، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن/ الهند، ١٩٦٦ - ١٩٦٧.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م) - صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطابع كوستا تسوماس وشركاه، القاهرة، (د. ت).
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٣ م) - تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١ هـ.
- الكميت بن زيد بن الأخنس بن مجالد بن ربيعة الأسدي (ت ١٢٦ هـ/ ٧٤٤ م) - ديوان الكميت بن زيد، تحقيق د. محمد نبيل طريفي، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠.
- المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد النحوي (ت ٢٨٦ هـ/ ٨٩٩ م) - الكامل في اللغة والأدب، مكتبة المعارف، بيروت، (د. ت).
- المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي الكندي الكوفي (ت ٣٥٤ هـ/ ٩٦٥ م) - ديوان المتنبي، شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٠.
- المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٢١ هـ/ ١٠٣٠ م) - شرح ديوان الحماسة، الطبعة الثانية، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٧.
- المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (ت ٧٤٢ هـ/ ١٣٤١ م) - تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق د. بشار عواد، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن عبد الله (ت ٣٤٦ هـ/ ٩٥٧ م) - مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرح د. مفيد محمد قميحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).
- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١ هـ/ ١٠٣٠ م) - تجارب الأمم، تحقيق د. أبو القاسم إمامي، الطبعة الأولى، دار سروش للطباعة والنشر، طهران، ١٩٨٧.
- مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ/ ٨٧٥ م) - صحيح مسلم بشرح النووي، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢ هـ.
- ابن المعتز، أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل العباسي (ت ٢٩٦ هـ/ ٩٠٩ م) - ديوان ابن المعتز، شرح د. يوسف شكري فرحات، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥.
- المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي البشاري (ت ٣٨١ هـ/ ٩٩١ م) - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، باعتناء دي غويه، الطبعة الثانية، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٦٧.
- المقدسي، المطهر بن طاهر (ت بعد ٣٥٥ هـ/ ٩٦٦ م) - البدء والتاريخ، باعتناء كلمان هوار، مطبعة برطرند، شالون/ فرنسا، ١٨٩٩ - ١٩٠٧.
- ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري (ت ٨٠٤ هـ/ ١٤٠١ م) - العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، تحقيق أيمن نصر الأزهري وسيد مهنى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.
- المناوي، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي (ت ١٠٣١ هـ/ ١٦٢٢ م) - فيض القدير شرح الجامع الصغير، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ١٣٥٦ هـ.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الإفريقي المصري (ت ٧١١ هـ/ ١٣١١ م) - لسان العرب، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤.
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري (ت ٥١٨ هـ/ ١١٢٤ م) - السامي في الأسامي، باعتناء د. محمد موسى هنداوي (د. ن)، (د. م)، (د. ت).
- مجمع الأمثال، تحقيق نعيم حسن زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

Shamela.org

- الميكالي، أبو الفضل عبيد الله بن أحمد بن علي (ت ٤٣٦ ه/ ١٠٤٥ م) - ديوان الميكالي، جمع وتحقيق جليل العطية، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥.
- أبو نواس، الحسن بن هانى ء (ت ١٩٨ ه/ ٨١٤ م) - ديوان أبي نواس، دار صادر/ دار بيروت، بيروت، ١٩٦٢.
- الهيثمي، أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان (ت ٨٠٧ ه/ ١٤٠٥ م) - مجمع الزوائد، دار الريان للتراث، القاهرة/ دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ ه.

٥٣.٥٠٢ ثانيا: مصادر فارسية:

- ياقوت، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي البغدادي (ت ٦٢٦ ه/ ١٢٢٨ م) معجم الأدباء، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١.
- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩.
- اليزدادي، عبد الرحمن بن علي (ت؟) - كمال البلاغة، المكتبة العربية، بغداد/ المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤١ ه.
ثانيا: مصادر فارسية:
- ابن اسفنديار، بهاء الدين محمد بن حسن الكاتب (ت ٦١٣ ه/ ١٢١٦ م) - تاريخ طبرستان، بتصحيح عباس إقبال، چاب دوم، انتشارات پديده (خاور)، تهران ١٣٦٦ ه.
- البيهقي، أبو الفضل محمد بن حسين (ت ٤٧٠ ه/ ١٠٧٧ م) - تاريخ البيهقي، ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٢.
- جرفادقاني، أبو الشرف ناصح بن ظفر (ق ٦ - ٧ ه/ ١٢ - ١٣ م) - ترجمة تاريخ يميني، باعتناء د. جعفر شعار، چاب دوم، بنگاه ترجمه ونشر كتاب، تهران، ١٩٧٨.
- جوزجاني، منهاج الدين أبو عمر عثمان بن سراج الدين محمد (ت بعد ٦٥٨ ه/ ١٢٦٠ م) - طبقات ناصري، باهتمام عبد الحي حبيبي، چاب أول، انشارات دنياي كتاب، چابخانه دو هزار، تهران، ١٣٦٣ ه.
- خوافي، أحمد بن محمد فصيح (ت ٨٤٥ ه/ ١٤٤١ م) - مجمل فصيحي، بتصحيح محمود فرخ، ناشر كتابفروشي باستان، مشهد، (د. ت).
- خواندمير، غياث الدين بن همام الدين بن جلال الدين بن برهان الدين الشيرازي (ت ٩٤٢ ه/ ١٥٣٥ م) - دستور الوزراء، ترجمة حربي أمين سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠.
- دولتشاه بن علاء الدولة بختيشاه الغازي السمرقندي (ت بعد ٨٩٢ ه/ ١٤٨٦ م) - تذكرة الشعراء، تحقيق محمد عباسي، انتشارات كتابفروشي باراني، تهران، (د. ت).
- عوفي، سديد الدين محمد بن محمد (ت ٦٣٠ ه/ ١٢٣٢ م) - لباب الألباب، بتصحيح سعيد نفيسي، كتابخانه ابن سينا/ كتابخانه حاج علي علمي، ١٣٣٣ ه.
- ابن فندق، أبو الحسن علي بن أبي القاسم زيد البيهقي (ت ٥٦٥ ه/ ١١٦٩ م) - تاريخ بيهق، بتصحيح أحمد بهمنيار، كتابفروشي فروغي، تهران، (د. ت).
- قابوس، عنصر المعالي بن كيكاوس بن قابوس بن وشمكير بن زيار (ت ٤٦٢ ه/ ١٠٦٩ م) - قابوس نامه، ترجمة صادق نشأت وأمين عبد المجيد بدوي، منشور ضمن كتاب (مرايا الأمراء) لمحمد أحمد دمج، مؤسسة بحسون/ دار المنار، بيروت، ١٩٩٤.
- الكرديزي، أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود (ت ٤٤٢ أو ٤٤٣ ه/ ١٠٥٠ أو ١٠٥١ م) - زين الأخبار، ترجمة عفاف السيد زيدان، الطبعة الأولى، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٨٢.
- كرماني، ناصر الدين منشي (ت بعد ٧٢٥ ه/ ١٣٢٤ م) - نسائم الأسحار من لطائم الأخبار در تاريخ وزراء، بتصحيح مير جلال الدين حسيني ارموي، انتشارات دانشكاه تهران، چابخانه دانشكاه، تهران، ١٣٧٨ ه.
- مجهول (من القرن ٥ ه/ ١١ م) - تاريخ سيستان، باهتمام جعفر مدرسي صادقي، چاب أول، نشر مركز، تهران، ١٣٧٣ ه.

- المرعشي، سيد ظهير الدين بن سيد نصير الدين (ت ٨٩٢ ﻫ/ ١٤٨٦ م) - تاريخ طبرستان ورويان ومازندران، باهتمام برنهارد دارن، چاب أول، چاب دنيا، تهران، ١٣٦٣ ﻫ.
- مستوفي، حمد الله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر (ت ٧٥٠ ﻫ/ ١٣٤٩ م) - تاريخ گزيدة، قطعة خاصة بالسامانيين منشورة ضمن تاريخ بخارى للنرشخي.
- نزهة القلوب (المقالة الثالثة)، بتصحيح كاي ليسترنج، دنياي كتاب، چاپخانه ارمغان، تهران، ١٣٦٢ ﻫ.

٥٣.٥٠٣ ثالثا: مراجع عربية:

- ميرخوند، محمد بن خاوند شاه بلخي (ت ٩٠٣ ﻫ/ ١٤٩٨ م) - روضة الصفا، باهتمام عباسي زرياب، چاب دوم، چاپخانه مهارت، ١٣٧٥ ﻫ.
- النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر (ت ٣٤٨ ﻫ/ ٩٥٩ م) - تاريخ بخارى، ترجمة أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف بمصر، (د. ت).
- نظام الملك، أبو علي حسين بن علي الطوسي (ت ٤٨٥ ﻫ/ ١٠٩٢ م) - سياست نامه، ترجمة د. يوسف بكار، الطبعة الثانية، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٧.
- نيشابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه الحاكم (ت ٤٠٥ ﻫ/ ١٠١٤ م) - تاريخ نيشابور، ترجمه من العربية إلى الفارسية محمد بن حسين خليفة نيشابوري، تصحيح محمد رضا شفيعي كدكني، چاب أول، چاب دفتر نشر اكه، تهران، ١٣٧٥ ﻫ.

ثالثا: مراجع عربية:

- آغا بزرك الطهراني- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الطبعة الثانية، مختلف الطبع.
- إبراهيم، ناجية عبد الله- ريف بغداد، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨.
- ادي شير- معجم الألفاظ الفارسية المعربة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٠.
- الأسدي، م. خير الدين- موسوعة حلب المقارنة، باعتناء محمد كمال، جامعة حلب، (د. ت).
- الأمين، محسن- أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، (د. ت).
- البغدادي، إسماعيل باشا البابائي- هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢.
- الثامري، إحسان ذنون عبد اللطيف- التاريخ الحضاري لمدينة بخارى منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك/ الأردن، ١٩٩٧.
- الجغرافيا التاريخية لمدينة بخارى في القرون الهجرية الأولى، الطبعة الأولى، (د. ن)، ١٩٩٩.
- الجنابي، خالد جاسم- تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، ١٩٨٤.
- حاج حسين، محمد- الكميت (حياته وشعره)، دار الأجيال، دمشق، ١٩٧٢.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢.
- الحسون، خليل بنيان- أشجع السلمي (حياته وشعره)، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨١ م.
- الحسني، عبد الحي بن فخر الدين- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر المسمى الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٩.
- الخطيب، مصطفى عبد الكريم- معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦.
- الخولي، محمد مرسي- أبو الفتح البستي (حياته وشعره)، الطبعة الأولى، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، (د. م)، ١٩٨٠.
- دهمان، محمد أحمد- ولاة دمشق في عهد المماليك، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، ١٩٨١.
- الدوري، عبد العزيز- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، الطبعة الثالثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٥.

- العصر العباسي الأول، منشورات دار المعلمين العالية/ مطبعة التفيض الأهلية، بغداد، ١٩٤٥ م.
- أبو راس، عبد الرحمن أمين صادق- شيخ الشيوخ بالديار المصرية في الدولتين الأيوبية والمملوكية، الطبعة الأولى، مكتبة عالم الفكر، القاهرة، ١٩٨٧.
- رحمة الله يف، أركين وآخر- الحضارة الإسلامية في تاجيكستان، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، ١٩٩٨.
- الرصافي، معروف- الآلة والأداة، تحقيق عبد الحميد الرشودي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠.
- الزركلي، خير الدين- الأعلام، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠.
- سلوم، داود- شعر الكميت بن زيد الأسدي، مكتبة الأندلس، بغداد/ مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٩.
- العبيدي، رشيد عبد الرحمن- أبو طالب المأموني (حياته شعره لغته)، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٨٩.
- فيضي، سليمان- البصرة العظمى، دار التضامن، بغداد، ١٩٦٥.
- القوبائي، أبو القاسم أحمد بن محمد الحسني الحسيني الأصفهاني- الإرشاد في أحوال الصاحب الكافي إسماعيل بن عباد، باعتناء جلال الدين الطهراني، ملحق بكتاب محاسن أصفهان للمافروخي، مكتبة الإقبال، طهران، (د. ت).
- مبارك، زكي- النثر الفني في القرن الرابع، المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت، (د. ت).
- مجمع اللغة العربية- المعجم الوسيط، دار الفكر، (د. م)، (د. ت).
- المرادي، أبو الفضل محمد بن خليل بن علي- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني

٥٣.٥٠٤ رابعا: مراجع فارسية:

عشر، الطبعة الثالثة، دار ابن حزم/ دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٨٨.
- مصطفى، شاكر- التاريخ العربي والمؤرخون، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩.
- المنيني، أحمد بن علي بن عمر بن صالح- شرح اليميني المسمى الفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي، تحقيق الوهبي مصطفى، المطبعة الوهبية، (د. م)، ١٢٨٦ ه.
رابعا: مراجع فارسية:
- إقبال، عباس- تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩.
- پيرنيا، حسن- تاريخ إيران القديم، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم والسباعي محمد السباعي، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٧.
- تبريزي، محمد علي (مدرس) - ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية أو اللقب، شركت سهامي طبع كتاب، تهران، ١٣٦٩ ه.
- التونجي، محمد- المعجم الذهبي (فرهنك طلائي)، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢.
- خليلي، خليل الله- سلطنت غزنويان، كابل، ١٣٣٣ ه.
- دهخدا، علي أكبر- لغت نامه، زير نظر محمد معين، چاب سيروس، دانشكاه تهران، تهران، ١٣٣٧ ه.
- رفيع، عبد الرفيع حقيقت- تاريخ نهضتهاي ملي إيران از سوك يعقوب ليث تا سقوط عباسيان، چابخانه نورياني، تهران، ١٣٥٤ ه.
- صفا، ذبيح الله- تاريخ أدبيات در إيران، چاب چهارم، كتابفروشي ابن سينا، تهران، ١٣٤٢ ه.
- عميد، حسن- فرهنك عميد، انتشارات أمير كبير، تهران، ١٣٧٥ ه.

٥٣.٥٠٥ خامسا: مراجع مترجمة:

- نفيسي، سعيد- محيط زندكي وأحوال وأشعار رودكي، چاب سوم، مؤسسة انتشارات أمير كبير، تهران، (د. ت).
- الهروي، نظام الدين أحمد- طبقات أكبري (المسلمون في الهند من الفتح العربي إلى الاستعمار البريطاني)، ترجمة د. أحمد عبد القادر الشاذلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥.
خامسا: مراجع مترجمة:

- بارتولد، فاسيلي فلاديميروفتش- البيهقي، دائرة المعارف الإسلامية، مج ٤٠.
- تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦.
- تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨١.
- بروكلمان، كارل- تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر، ١٩٧٤.
- دوزي، رينهارت- تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١.
- زامباور، فون- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة زكي محمد حسن وآخرين، مطبعة جامعة فؤاد الأول، (د. م)، ١٩٥١.
- فامبري، أرمنيوس- تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة أحمد محمود الساداتي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، (د. ت).
- كريستنسن، آرثر- إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢.
- لسترنج، كي- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥.
- لين بول، ستانلي- الدول الإسلامية، أشرف على ترجمته محمد أحمد دهمان، مكتب الدراسات الإسلامية، دمشق، ١٩٧٣.
- مؤلف مجهول (من القرن الرابع الهجري/ ١٠ م) - حدود العالم، تحقيق يوسف الهادي، الطبعة الأولى، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٩٩٩.
- هنتس، فالتر- المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، الطبعة الثانية، الجامعة الأردنية، (د. م)، (د. ت).
سادسا: مراجع غربية:

٥٣.٦ فهرس المحتويات